

## ترجمة المؤلف رضى الله عنه مع فهرست الجزء الاول

الامام أبى العباس أحمد بن نيمية الحنبلى رحمه الله ملخصه من كتاب  
(جلاء العينين فى محامدة الاحمد بن) للعلامة خير الدين الشيرازى  
الاولمى ومن كتابه القول الجلى فى ترجمة الشيخ تقي الدين ابن  
نيمية الحنبلى ، للعلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفى البخارى ومما  
ذكره العلامة الشيخ أبو بكر بن محمد المكي الحنبلى السافى فى الكتاب  
الاول مانصه

هو شيخ الاسلام وحافظ الانام المجتهد فى الاحكام تقي الدين أبو  
العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم  
ابن الخضر بن محمد بن نيمية الحرانى الحنبلى وفى تاريخ أربل أن جده  
سئل عن اسم نيمية فأجاب أن جده حيج وكانت امرأته حاملا فلما كان  
بتياء بلدة قرب تبوك رأى جارية حسنة الوجه قد خرجت من خباء  
فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها اليه قال يا نيمية  
يا نيمية يعنى أنها تشبه التى رآها بتياء فسمى بها اه وقد ولد بجران يوم  
الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وثمانئة وقدم به والده  
وباخويه عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين  
وثمانئة فاحذ الفقه والاصول عن والده وسمع عن خلق كثيرين منهم  
الشيخ شمس الدين والشيخ زين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر  
وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم أخذ كتاب سيديويه فتأمله وفهمه

وعني بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات وأقبل على تفسير  
القرآن الكريم فبرز فيه وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب  
والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم ونظر في الكلام والفلسفة  
وبرز في ذلك على أهله ورد على رؤسائهم وأكابرهم ومهر في هذه  
الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة وتضاعف في  
علم الحديث وحفظه حتى قالوا إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس  
بحديث وأمد الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك  
والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد أنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه  
وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة وصنف التصانيف المفيدة  
في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام والردود على الفرق  
الضالة والمبتدعة وله الفتاوى المفصلة وحل المسائل المعضلة

ومن تصانيفه التي تبلغ ثلاثمائة تصنيف ( تعارض العقل والنقل )  
أربع مجلدات \* والجواب الصحيح رداً على التصاري أربع مجلدات  
وشرح عقيدة الأصفهاني مجلد \* والرد على الفلاسفة أربع مجلدات  
وكتاب اثبات المعاد والرد على ابن سينا \* وكتاب ثبوت النبوات عقلاً  
ونقلاً \* والمعجزات والكرامات \* وكتاب اثبات الصفات مجلد \* وكتاب العرش  
وكتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام \* وكتاب الرد على الإمامية رداً على  
ابن المطهر الحلي في مجلدين كبيرين \* وكتاب الرد على القدرية \* وكتاب  
الرد على الاتحادية والهلوية \* وكتاب في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله  
عنهما على غيرهما وكتاب تفضيل الأئمة الأربعة وكتاب شرح العمدة في



الفقه أربع مجلدات\* وكتاب الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية\* وكتاب  
الناسك الكبير والصغير\* والصارم المسلول على من سب الرسول  
\* وكتاب في الطلاق\* وكتاب في خالق الافعال والرسالة البغدادية\* وكتاب  
التحفة العراقية\* وكتاب اصلاح الراعي والرعية\* وكتاب في الرد على  
تأسيس التقديس لارازي في سبع مجلدات\* وكتاب في الرد على المنطق  
وكتاب الفرقان وكتاب منهاج السنة النبوية\* وكتاب الاستقامة في  
مجلدين وغير ذلك

قال الذهبي وما أبعد أن تصانيفه الي الان تبلغ خمسمائة مجلد وترجمه  
في مئتين شيوخه بترجمة طويلة منها قوله شيخنا وشيخ الاسلام وفريد  
العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً اهلياً وكرماً ونصيحة لامة  
وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر سمع الحديث وأكثر بنفسه من  
طابه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصله  
غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال  
وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال مهال واستنبط منه أشياء لم يسبق  
اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث  
مع شدة استحضاره له وقت الدليل وفاق الناس في معرفة الفقه  
واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين وأتقن العربية أصولاً  
وفروعاً ونظر في العقليات وعرف أفعال المتكلمين ورد عليهم ونبه  
على خطئهم وحذر منهم ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين  
وأوذي في ذات الله تعالى من المخالفين وأخيف في نصر السنة المحفوظة

حتى أعلى الله آمالي مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت أعداءه وهدي به رجالا كثيرة من أهل المال والنحل وجبل قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته وأحيا به الشام بل الاسلام بعد أن كاد ينلّم خصوصا في كائنة التار وهو أكبر من أن ينه على سيرته مثلى فلو حلفت بين الركن والمقام أني مارأيت بعين مثله وأنه مارأى مثل نفسه لما حدثت انتهى

قال الحافظ ابن كثير وفي رجب سنة سبعمئة وأربع راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد النارج وأمر أصحابه وتلاميذه بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزال عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما وبهذا وأمثاله أبرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه فحسد وعودى ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكرهه وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحثه لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالحاء كسيأتي اه قيل ومن جملة أسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعى ويطلب الامارة فأتى أعداؤه عليه طريقاً من ذلك فحسبوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه وكان له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وأمديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه

الجزء الاول

من مجموعة الرسائل الكبرى

تأليف

شيخ الاسلام نقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم

ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى

سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الاولي)

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٣)

بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)



الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما  
قال الامام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله وهو  
مما صنفه بقلعة دمشق أخيراً

(فصل في الفرقان بين الحق والباطل) وان الله بين ذلك بكتابه  
ونبيه فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذي أنزله ونبيه الذي أرسله كان أعظم  
فرقانا ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان  
واشته به عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان  
والنبي الصادق بالمتنبي الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى  
شتبه عليهم الخالق بالخلق فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالهدى  
ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور ففرق به بين الحق  
والباطل والهدى والضلال والرشاد والغنى والصدق والكذب والعلم  
والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء  
وبين ماعيه الناس من الاختلاف وكذلك النبيون قبله قال الله تعالى

( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ) وقال تعالى ( نال الله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزينا لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) وقال سبحانه وتعالى ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ) وقال تعالى ( انا الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدق لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

قال جماهير المفسرين هو القرآن \* روى ابن أبي حاتم باسناده عن الربيع بن أنس قال هو الفرقان فرق بين الحق والباطل قال وروى عن عطاء ومجاهد ومقسم وقنادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وروى باسنادة عن شيبان عن قتادة في قوله وأنزل الفرقان قال هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ففرق به بين الحق والباطل وبين فيه دينه وشرع فيه شرائعه وأحل حلاله وحرم حرامه وحد حدوده وأمر بطاعته ونهى عن معصيته وعن عباد بن منصور سألت الحسن عن قوله تعالى وأنزل الفرقان قال هو كتاب بحق \* والفرقان مصدر فرق فرقانا مثل الرجحان والكفران والخسران وكذلك القرآن هو في الاصل مصدر قرأ قرأنا ومنه قوله ( ان علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا

يانه) ويسمى الكلام المقروء نفسه قرآنا وهو كثير كما في قوله (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كما ان الكلام هو اسم مصدر كـلم تكليما وتكلم تكلمما ويراد به الكلام نفسه وذلك لان الانسان اذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر وحصل عن الحركة صوت يقطع حروفا هو نفس التكلم فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعا من العمل اذا أريد به المصدر وتارة يجعل قسيما له اذا أريد ما يشكك به وهو يتناول هذا وهذا وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان لفظ الفرقان اذا أريد به المصدر كان المراد أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل وهذا منزل في الكتاب فان في الكتاب الفصل وانزال الفرق هو انزال الفارق وان أريد بالفرقان ما يفرق فهو الفارق أيضا فهما في المعنى سواء وان أريد بالفرقان نفس المصدر فيكون انزاله كالانزال الايمان وانزال العدل فانه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن كما جعل فيها الايمان والعدل وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان والميزان قد فسر بالعدل وفسر بانه ما يوزن به ليعرف العدل وهو كالفرقان يفسر بالفرق ويفسر بما يحصل به الفرق وهما ملازمان فاذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه واذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الاخرى سمي كتابا باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب وسمى فرقانا باعتبار أنه

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمى هدى باعتبار أنه يهدي الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشهوات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقتفى والمأخوذ والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والعطف يكون لتغاير الاسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله سبيح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى \* وقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك \* وهنا ذكر أنه نزل الكتاب فانه نزله متفرقا وانه أنزل التوراة والانجيل وذكر أنه أنزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان فى القلوب وأنزل الميزان والايمان والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا أنزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكيم بنصره على فرعون كما فى قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نور أميناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل يتناول الآيات التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هناك جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فلهمذاشاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان



كما حصل بالقرآن ويحصل بالنظر والتمييز بين أهل الحق والباطل بان  
يُنحى هؤلاء ويُنصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين  
كما يفرق المفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الى هؤلاء وعقوبة  
هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله ( ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على  
عبدنا يوم الفرقان يوم التنبي الجمعان والله على كل شئ قدير ) قال الوالي  
عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل  
قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبد الله بن عبد الله  
والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وبذلك فسراً أكثرهم ان  
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا كما في قوله ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً \*  
أى من كل ما ضاق على الناس قال الوالي عن ابن عباس في قوله ان  
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى مخرجاً قال ابن أبي حاتم وروى عن  
مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان كذلك  
غير ان مجاهداً قال مخرجاً في الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن  
ابن عباس قال نصراً قال وفي آخر قول ابن عباس والسدى نجاة وعن  
عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أى فصلاً بين الحق والباطل يظهر  
الله به حقكم ويظفي به باطل من خالفكم وذكر البغوى عن مقاتل  
ابن حيان قال مخرجاً في الدنيا من الشبهات لكن قد يكون هذا تفسيراً  
لمراد مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزى عن ابن عباس  
ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن قتيبة أنهم قالوا هو المخرج ثم قال  
والمعنى يجعل لكم مخرجاً في الدنيا من الضلال وليس مرادهم وانما

مرادهم المخرج المذكور في قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا والفرقان المذكور في قوله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقد ذكر عن ابن زيد أنه قال هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهو النصر والنجاة هو نوعا الظهور في قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان ويظهر باليد والعز والسنان وكذلك السلطان في قوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً فهذا النوع وهو الحجة والعلم كما في قوله أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر وقوله ان هي الا أسماء سميتوها أتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بسلطان القدرة واليد وفسر بالحجة والبيان فمن الفرقان مانعته الله به في قوله ورسمي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبث أحل هذا وحرم هذا

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين  
أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

السيّات قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيّات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المساكين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون وقال تعالى آمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب وقال تعالى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وقال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شئ فيجعل المخلوق نداً للخالق قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (هل تعلم له سمياً ولم

يكن له كفوّاً أحد ليس كمثله شيء وضرب الامثال في القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خلقه كما قالوا وهم في النار يضطربون فيها تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين وقال تعالى افس يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وان الذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون

فهو سبحانه الخالق العالم الحق الحي الذي لا يموت ومن سواء لا يخلق شيئاً كما قال ان الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره

وهذا مثل ضرب به الله فان الذباب من اصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لا يخلقون ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه فاذا تبين انهم لا يخلقون ذباباً ولا يقدرون على انتزاع ما يسألهم فهم عن خلق غيره وعن مغالته أعجز وأعجز

والمثل هو الاصل والنظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون أي لما جعلوه نظيراً قاسوا عليه آلهتهم وقالوا اذا كان قد عبد وهو لا يعذب فكذلك آلهتنا فضرربوه مثلاً لآلهتهم وجعلوا يصدون أي يضجون ويعجبون منه احتجاجاً به على الرسول والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه في قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال فى فرعون وجعلناه سلفا ومثلا  
للاخرين أى مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره فمن عمل بمثل عمله  
جوزى بجزائه ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله وقال تعالى ولقد  
أنزلنا اليكم آيات مبيّنات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهو ما ذكره  
من أحوال الامم الماضية التى يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلية  
كما قال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب فمن كان من أهل الايمان  
قيس بهم وعلم ان الله يسعده فى الدنيا والآخرة ومن كان من أهل  
الكفر قيس بهم وعلم ان الله يشقيه فى الدنيا والآخرة كما قال فى حق  
هؤلاء، أكفاركم خير من أولئك أم لكم براءة فى الزبر وقد قال قد  
خات من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة  
المكذبين وقال فى حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا  
الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قباهم وقال وذا  
النون اذ ذهب مغاضبا نظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله  
الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجينااه من الغم وكذلك  
نجى المؤمنين وقال فى قصة أيوب رحمة من عندنا وذكري للعابدين رحمة منا  
وذكري لاولى الالباب وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال  
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم  
البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر  
الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل  
ما نثبت به فؤادك \* فلفظ المنزل يراد به التخيير الذى يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع انقياس قال سبحانه وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم أى لا أحد يحييها وهى رميم \* فقل الخالق بالخلق فى هذا النفى فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احيائها سواء نظمه قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع وبين ان معنى القياسين قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل المضروب المذكور فى القرآن فاذا قلت النبيذ مسكر وكل مسكر حرام وأقت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم قياساً على الخمر لان الخمر انما حرمت لأجل الاسكار وهو موجود فى النبيذ فقوله ضرب مثل فاستمعوا له جبل ماهو من أصغر المخلوقات مثلاً وانظيراً يعتبر به فاذا كان أدون خالق الله لا يقدر على خالقه ولا منازعته فلا يقدر على خالق ما سواه فيعلم بها من عظمة الخالق وان كما يعبدون من دون الله فى السماء والارض لا يقدر على ماهو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم جعلوا آلهتهم مثلاً لله فاستمعوا لذكرها وهذا لانهم لم يفقهوا المثل الذي ضرب به الله جعلوا المنكرين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا نفي القرآن قد ضرب به الله يبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا ومثلاً كقوله ذل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا يبدل الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين نسوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن هدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

ولما قرر الوحداية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا به لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم اياه ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون لم يكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتمظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك بخلاف من لا يعدل به ولكن يذنب مع اعترافه بان الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك

(فصل) وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه يجمع ويسوي بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خاتما وأمرأ بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين شئيين غير متماثلين بل ان كانا



مختلفين متضادين لم يـو بينهما

وانط الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله انكم اني قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالى ان السنة لا تبدل ولا تحول في غير موضع \* والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن شيء بمثله فبعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرت الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا يا اولي الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالى وان كادوا اليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافاك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد استنما تحوila وقال تعالى لنن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

ماعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله قبل الأحزاب وظهور الاسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبمدها وقبل أحد وبمدها فآخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم انبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يجب من لم يقتل الزنادقة ويقول اذا أخفوا زندقته لم يمكن قتلهم ولكن اذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله ماعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من انفاق فلو عدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذاك وكتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق قال مقاتل ابن حبان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعنى كما قتل أهل بدر وأسروا فذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدي كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبيّ وعبد الله بن نفيل ومالك بن داعس فكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحبون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزنا ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يتبعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجاسون على

الطريق ثم قل المدونين ثم فصات الآية أينما تقنوا يعملون هذا العمل  
مكابرة النساء \* قال السدي هذا حكم في القرآن ليس يعمل به لو أن  
رجلا أو أكثر من ذلك اقصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها فنجروا  
بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم

قال السدي قوله سنة كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم قال  
فنكار امرأة على نفسها فقتل فلاس على قتله دية لانه مكابر  
قلت هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا لصولة عنها مثل أن  
يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمة فهو شهيد وهذه  
لها أن تدفعه بالقتل لكن إذا طاعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قضيتان عن  
عمر وعلى معروفان وأما إذا جربهم مستكرها ولم يجد من بينهما عليه فهو لاء  
نوعان أحدهما أن يكون له شوكة كالمحاربين لاخذ المال وهؤلاء محاربون  
للفاحشة فقتلوا قال السدي قوله غيره وذكر أبو المولى أن هذه جرت  
عنده ورأى أن هؤلاء أحق بأن يكونوا محاربين والثاني أن لا يكونوا  
ذوى شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالا حتى إذا صارت عندهم المرأة  
أكبر هوها فهذا المحارب غيلة كما قال السدي يقتل أيضا واركبوا جماعة  
في المعسر فهم كالمحاربين في المعسر وهذه المسائل لها مواضع أخر

والمقصود أن الله أخبر أن سنة أن تبدل وإن تجول وسنته عادة  
التي يسوى فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضى أنه سبحانه  
يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال اكفركم خير من  
أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشباههم ونظرأهم

وقال واذا انفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبكم  
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت  
لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا بر آء منكم  
ومما تعبدون من دون الله كفرتا بكم وبدا بيننا وبينكم الهدى والبغضاء  
أبدا وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم  
باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها  
الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم باحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان  
والجنة وتد قال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم  
فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا  
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا  
انك رؤوف رحيم وقال تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز  
الحكيم فمن اتبع السابقين الاولين كان منهم وهم خير الناس بعد الانبياء  
فان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في  
الصحيح من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الفرون القرن  
الذى بنت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم \* ولهذا كان معرفة أقوالهم  
في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم  
في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد  
والعبادة والاخلاق والجهاد وغير ذلك فانهم أفضل من بعدهم كمال  
عليه الكتاب والسنة فالافتداء بهم خير من الافتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكرون اجماع  
غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لا يكون الا معصوما واذا تنازعوا فالحق لا يخرج  
عنهم فيمكن طاب الحق في بعض أقاويلهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم  
حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا  
الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى  
الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير  
وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلكوا سبيلهم ولا هم  
خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون  
به ولا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى  
والزهد والتصوف فهو لاء تجد عمدتهم في كثير من الامور المهمة في  
الدين انما هو عما يظنونه من الاجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال  
السلف البتة أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحلون الاجماع  
ولا يعلمون الاقوالهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة  
أو طائفتين أو ثلاث وتارة عرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير  
في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة  
بذلك يحلون اجماعا ونزاعا ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة بل  
قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجد ذلك في مسائل أقوال  
الله وأفعاله وصفاته مثل مسألة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم  
 باجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به لمدم علمهم بأقوال السلف  
 فكيف اذا كان المسلمون يمتدحون القطع باجماعهم في مسائل النزاع  
 بخلاف السلف فانه يمكن العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع  
 المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي  
 يكون كل قول من تلك الاقوال سائغا لم يخالف اجماعا لان كثيرا من  
 أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبوق باجماع السلف على  
 خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعاً كخلاف الخوارج  
 والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها  
 النصوص المستفيضة المعلومة واجماع الصحابة بخلاف ما يعرف من نزاع  
 السلف فانه لا يمكن أن يقال انه خلاف الاجماع وانما يرد بالنص واذا  
 قيل قد أجمع التابعون على أحد قوايهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على  
 مقدمةين احدهما العلم بأنه لم يبق في الامة من يقول بقول الآخر وهذا  
 منعذر\* انني ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف  
 يمكن القول به اذا كان معه حجة اذ على خلافه ونزاع المتأخرين  
 لا يمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كدلت  
 النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعاً وأيضاً فلم يبق  
 مسألة في الدين الا وقد تكلم فيها السلف فلا بد أن يكون لهم قول يخالف  
 ذلك القول أو يوافقه وقد بسطنا في غير هذا الموضع ان العوالم في  
 أقوالهم أكثر وأحسن وان خطأهم أخف من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأخس وهذا في جميع علوم الدين ولهذا أمثلة كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم

(فصل ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى أقوال أهل اللغة فانه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبح ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الاصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان انه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لأبرأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فانهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وان القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من حبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الالهواء ولا تلبس به الالاسن فلا يستطيع أن يزيغه الى هواه ولا يحرف به لسانه ولا يخلق عن كثرة الرداد فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يبدل كغيره من الكلام ولا تنقص عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به



صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم .

فيكان القرآن هو الامام الذى يقتدى به ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بدوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تمارض فى هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول فيجب تقديم العقل والنقل يعنى القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين اما أن يفوض واما أن يؤول\* ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم انه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول\* وانه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته أو يقول الولى أفضل من النبي ونحو ذلك من مقالات أهل الاتحاد\* فان هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد فى المسلمين\* وانما يعرف مثل هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله فى الحوارين فانهم عندهم رسل وهم يقولون أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسى وان سموهم أنبياء الى أمثال هذه الامور\* ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الابائية أخرى تفسرها ونسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تفسرها\* فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعتبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها قالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعنى لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد  
 وقد فهمه  
 منها قوم فيسمون ما رجع ذلك الابهام والافهام نسخا  
 هذه  
 التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك  
 الشيطان  
 ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الاذعان من ظن دلالة الآية  
 على معنى لم يدل عليه سوى هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخا كما سموا  
 قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حتى نقائه وقوله لا يكلف  
 الله نفسا الا وسعها ناسخا لقوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه  
 يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويمذب من يشاء وامثال ذلك مما ليس  
 هذا موضع بسده

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان اقرآن لا يعارضه الا قرآن  
 لا رأى ومعتول وقياس ولا ذوق ووجد والهام ومكاشفة  
 وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هي من سوء فهمهم  
 للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا انه ما لم يدل عليه فظنوا انه  
 يوجب تكفير أرباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقي قالوا فمن لم  
 يكن برا تقياً فهو كافر وهو مغلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلى ومن  
 والاها ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها  
 مقدمة الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو  
 كافر واثنانية ان عثمان وعليا ومن والاها كانوا كذلك ولهذا يجب  
 الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت  
 في الاسلام فكفر أهاها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم لم الأحاديث الصحيحة في ذمهم والامر  
بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من  
عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وأفرد البخاري قطعة  
منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته  
ممارسة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية  
ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان  
غرضه فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على  
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الأحاديث الصحيحة  
ولهذا لا يوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف  
الخوارج فانه لا يعرف فيهم من يكذب

(والشيعة) لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب  
فيهم ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروى البخاري ومسلم  
أحاديث على الا عن أهل بيته كولداه مثل الحسن والحسين ومثل محمد  
ابن الحنفية وكتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم  
مثل عبيدة السلماني والحريث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم اذهولاء  
صادقون فيما يروونه عن علي فلهمذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم

وهذان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان  
المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان في السنة  
الاولى من ولايته متفقين لاتنازع بينهم ثم حدث في أواخر خلافة عثمان  
أمور أوجبت نوعاً من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا

عثمان فنفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفين  
واتفقوا على تحكيم حكيمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا  
جماعة المسلمين الى مكان يقال له حروراء فكشف عنهم أمير المؤمنين وقال  
لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفئ ولا نمنعكم المساجد الى أن  
استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقلوا عبد الله بن حباب وأغاروا  
على مروح المسلمين فعلم على أنهم الطائفة التي ذكرهم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم حيث قال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع  
صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون  
من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضمة  
عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان  
نخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال  
هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على مروح الناس فقاتلهم  
ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فمسجد لله شكراً

وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهره الله  
وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخذلهم  
أخاديد عند باب مسجد بني كنده وقيل انه أنشد

لما رأيت الامر أمراً منكراً \* أحجبت ناري ودعوت قنبراً

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أتني على بزنادقة

فخرتهم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقهم انتهى النبي صلى الله عليه وسلم  
أن يذهب بعباد الله واضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه  
وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى  
أنه أجلبهم ثلاثاً

(والثانية) السابغة وكان قد بلغه عن أبي السوداء أنه كان يسب أبا بكر  
وعمر فطابه قيل أنه طابه ليقته فهرب منه

(والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتواتر عنه أنه قال  
خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه  
عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قل عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون  
في تفضيل أبي بكر وعمر وإنما كان النزاع في علي وعثمان ولهذا قال شريك  
ابن عبد الله أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر  
وعمر ف قيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا  
وهو الذي قال هذا على أعواد منبره أفتكذبه فيما قال ولهذا قل سفيان  
الثوري من فضل علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين  
والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواد  
أبوداود في سننه وكأنه يعرض بالحسن بن صالح بن حي فان الزيدية  
الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام  
ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وإنما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين  
دار كفر وحرب

وكلا الطائفتين تطمن بل تكفر ولاية المسلمين وجمهور الخوارج  
يكفرون عثمان وعائيا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان  
ومن تولاهما واكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ  
الاموال والخروج بالسيف فلماذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم  
والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل  
الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنه وأحاديث الشفاعة  
والحوض

(وقد رويت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة) روى بعضها أهل  
السنن كابن داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء  
من طعن فيها وضعفها ولكن الذي ثبت في ذم القدرية ونحوهم هو عن  
الصحابة كابن عمر وابن عباس

(وأما لفظ الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج  
زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد  
الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما  
فرفضه قوم فقل رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى  
أخاه أبا جعفر محمد بن علي زيدية والزبدية يتولونه وينسبون إليه ومن  
حينئذ انتمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

(ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية) وأصل بدعتهم كانت من

عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايمان بامرہ ونهيہ ووعدہ ووعيدہ وظنوا ان ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمرہ ونهيہ ووعدہ ووعيدہ وظنوا أنه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من يطيع ومن يعصى لانهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بالنكار القدر السابق للمحاجة أنكروا انكاراً عظيماً تبرؤاً منهم حتى قال عبد الله بن عمر أخبر أولئك أني برىء منهم وانهم مني برآء والذي يخاف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصراً

ثم كثرت الخوض في القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة فصار مقتصدوهم وجهورهم يقرؤون بالنقد السابق وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين \* النفاة يقولون لا ارادة الا بمعنى المشيئة وهو لم يرد الا ما أمر به ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد \* وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وأمثاله فقالوا ليست الارادة الا بمعنى المشيئة والامر والنهي لا يستلزم ارادة وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لا يسمى الله شيئاً ولا غير ذلك من



الاسماء التي تسمى بها العباد الا القادر فقط لان العبد ليس بقادر  
 \* وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة  
 وقالوا انهم كفار مخلصون في النار نخاض الناس في ذلك وخاض في ذلك  
 القدرة بعد موت الحسن البصري فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم  
 مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلصون في النار  
 فوافقوا الخوارج على أنهم مخلصون وعلي انه ليس معهم من الاسلام  
 والايمان شيء ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن  
 البصري مثل قتادة وأيوب السخيتاني وأمثالهما

( فسموا معتزلة من ذلك الوقت بسند موت الحسن ) وقيل ان  
 قتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أي في أسماء الدين مثل مسلم  
 ومؤمن وكافر وفاسق وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة فالله منزلة  
 وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من  
 دماءهم وأموالهم ما استباحته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين  
 المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا فيها وسائر أقوالهم قد شاركهم  
 فيها غيرهم

( وحدثت المرجئة ) وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن  
 أصحاب عبد الله من المرجئة ولا إبراهيم النخعي وأمثاله فصاروا يقيض  
 الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمال ليست من الايمان وكانت هذه  
 البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحسب اذ كان الفقهاء الذين يضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلى انه لا بد في الايمان أن يتكلم بلسانه وعلى ان الاعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والمقاب فكان في الاعمال هل هي من الايمان وفي الالاتياء ونحو ذلك وعاءته نزاع لفظي فان الايمان اذا أطاق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى الله عليه وسلم لم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقد ذكر مقيدا بالطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه وعطف عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف كما في اسم الفقير والمساكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين وكما في آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة مساكين وفي قوله وان تحنوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير والمساكين شيء واحد وهذا التفصيل في الايمان هو كذلك في لفظ البر والتقوى والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تخلف دلالتها في الافراد والاقتران لمن تدر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كبيراً في الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل الذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد فلذلك هو ثمرة ما في القلب فلماذا قال بعضهم الاعمال ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت في الاسم كما نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفي الجملة الذين رموا بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب وابراهيم التيمي ونحوهما كان ارجاؤهم من هذا النوع

(وكانوا أيضا) لا يستثنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو الايمان الموجود فينا ونحن نقطع باننا مصدقون وبرون الاستثناء شكاً وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستثنون وقد روى في حديث انه رجع عن ذلك لما قاله بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكر هذا وضمف هذا الحديث وصار اناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدعا وقول ان الاستثناء محذور فانه يقتضى الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار فاذا كان مقصوده اني لأعلم اني قائم في كل ما أوجب الله على وانه يقبل أعمالى ليس مقصوده الشك فيما في قلبه فهذا استثناءه حسن وقصده أن لا يزكي نفسه وأن لا يقطع بأنه

عمل مملا كما أمر فقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول واحد منهم ان ايمانه كايما جبريل وميكائيل والبخاري في أول صحيحه بوب أبوابا في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بمض من ضعف في هذا الباب من أصحاب أبي حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايماني كايما جبريل وميكائيل قال محمد لانهم أفضل يقينا أو ايماني كايما جبريل أو ايماني كايما أبي بكر أو كايما هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لا يجوزون الاستثناء في الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لا يوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتبون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء فيه بانه لا يصح تعاقبه على الشرط لان المعلق على الشرط لا يوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا عاق الايمان بالشرط كسائر المعاقات بالشرط لا يحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يرجاه القائل لا يتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل على التصديق والاقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معنى للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤمنا وربما يتوهم هذا القائل القارن بالاستثناء على الايمان بقاء التصديق وذلك يزيله

(قلت) فتعليقهم في المسئلة انما يتوجه فيمن يعلق انشاء الايمان

عني المشيئة كالذي يريد الدخول في الاسلام فيقال له آمن فيقول  
 أنا أو من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو  
 أشهد ان شاء الله أن لا اله الا الله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول  
 الله والذين استثنوا من السالف والخلف لم يقصدوا في الانشاء  
 وإنما كان استثنائهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما  
 ان الايمان المطابق يقضي دخول الجنة وهم لا يعلمون الخاتمه كانه اذا  
 قيل للرجل أنت مؤمن قيل له أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة  
 فيقول أنا كذلك ان شاء الله أو لانهم لا يعرفون انهم أتوا بكمال الايمان  
 الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن آمنت بالله  
 وملائكته وكتبه فيجزم بهذا ولا يعلقه أو يقول ان كنت تريد الايمان  
 الذي يعصم دمي ومالي فأنا مؤمن وان كنت تريد قوله انما المؤمنون الذين اذا  
 ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون  
 الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا  
 وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا  
 بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فأنا مؤمن ان شاء  
 الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من  
 آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

فتبين ان النزاع في المسئلة قد يكون لفظيا فان الذي حرمه هؤلاء  
 غير الذي استحسنته وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما في قلبه من

الحال وهذا حق لا ينافي تعليق الكمال والعاقبة ولكن هؤلاء عندهم  
الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند أولئك  
(والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الاسلام) وهو  
المشهور عن أحمد رضى الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط  
هذا في شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التي في الكتاب  
والسنة

(ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله) ففيه نزاع مشهور  
وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيئاً يراد به ايقاع  
الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده أنت طالق بهذا  
اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين  
أني بالطلاق فيقع وان كان قد علق لئلا يقع أو علقه على مشيئة توجده  
بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هذا فانه حينئذ شاء الله أن  
يطلق وقول من قال المشيئة تنجزه ليس كما قال بل نحن نعلم قطعاً أن الطلاق  
لا يقع الا اذا طلقت المرأة بان يطلقها الزوج أو من يقوم مقامه من ولى  
أو وكيل فاذا لم يوجد تطليق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق  
ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا بتطليق بعد ذلك وكذلك  
اذا قصد تعليقه لئلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة  
توكيدها وتحقيقها فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان  
كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا أو من بعد ذلك فهذا لم يصبر مؤمناً

مثل الذى يقال له هل تصير من أهل دين الاسلام فقال اصبر ان شاء الله فهذا لم يسلم بل هو باق على الكفر وان كان قصده انى قد آمنت وايمانى بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء وايضا فان الاصل انه انما يعاقب بالمشيئة ما كان مستقبلا فأما الماضى والحاضر فلا يعاقب بالمشيئة والذين استمنوا لم يستمنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فأخبر انهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء

وعلى كل أحد أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثنى أحد من السلف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كينحصر عن نفسه بأنه برأتى فيقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت برأتى فاذا قال أنابرأتى فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يتعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فالاستثناء يعود الى ذلك لالى ما علمه هو من نفسه وحصل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك لتحقيق لا تعليق والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم



بأنه يكون فالمعلق هو الفمل كقوله لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله  
والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لأفعلن كذا ان شاء الله  
وهو لا يجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه  
عليه قد يكون جازما ولكن لا يجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون العزم  
مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متى كان المعزوم عليه معلقا لزم تعليق  
بقاء العزم فانه بتقدير ان تعليق العزم ابتداء أو دواما في مثل ذلك ولهذا  
لم يحنث المطلق المعلق وحرف أن لا يكون لا يبقى العزم فلا بد اذا دخل  
على الماضي صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل  
ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليكم البلاغ واذا أريد الماضي  
دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فيفرق بين قوله  
أنا مؤمن ان شاء الله وبين قوله ان كان الله شاء إيماني \* وكذلك اذا  
كان مقصوده اني لأعلم بماذا يختم لي كما قيل لابي مسمود ان فلانا يشهد  
انه مؤمن قال فليشهد أنه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن  
عند الله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايماني حاصل  
بمشيئة الله \* ومن لم يستثن قال أنا لأشك في ايمان قلبي فلا جناح عليه  
اذا لم يزك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل  
ان ايمانه كإيمان جبريل وأبي بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما  
كان مسعر بن كدام يقول أنا لأشك في ايماني قال أحمد ولم يكن من  
المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان  
يقول هي من الايمان لكن أنا لأشك في ايماني



وكان الثورى يقول لسفيان بن عيينة ألتناه عن هذا فانهما من  
قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع  
والمقصود هنا أن النزاع في هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس  
المنازعة في كثير من الاحكام وكلهم من أهل الايمان والقرآن  
﴿ وأما جهنم ﴾ فكان يقول ان الايمان مجرد تصديق القلب وان لم  
يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الائمة وأئمتها بل أحد  
ووكيع وغيرهما كفروا من قال به - هذا القول ولكن هو الذى نصره  
الاشعرى وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك ان كل من حكم الشرع بكفره  
حكمنا بكفره واستدلنا بتكفير الشارع له على خلق قلبه من المعرفة وقد  
بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم في الايمان  
والاصل الذى منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم  
يكن معه شيء من الكفر والنفاق وظن بعضهم ان هذا اجماع كما ذكر  
الاشعرى ان هذا اجماع فهذا كان أصل الارجاء كما كان أصل القدر  
عجزهم عن الايمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا  
حزبين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الاعمال من الايمان  
فمن تركها فقد ترك بعض الايمان واذا زال بعضه زال جميعه لان  
الايمان لا يتبعض ولا يكون في العبد ايمان ونفاق فيكون أصحاب  
الذنوب مخلصين في النار اذا كان ليس معهم من الايمان شيء وقالت  
المرجئة مقصدهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا ان أهل الذنوب من أهل  
القبلة لا يخلصون في النار بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الاحاديث

وعلمنا بالكتاب والسنة واجماع الائمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان  
الكتاب قد أمر بقطع السارق لابقته وجاءت السنة بجلد الشارب لابقته  
فلو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتالهم وبهذا ظهر لامة معتزلة ضعف  
قول الخوارج نخالفوهم في أحكامهم في الدنيا

والخوارج لا يتسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ما خالف  
ظاهر القرآن عندهم فلا يرجون الزاني ولا يرون للمارقة نصابا وحينئذ  
فقد يقولون ليس في القرآن قتل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين  
وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم  
على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية  
والكرامية والاشعرية والسبئية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية  
ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط  
الكلام علي تفصيل القوم في أقوال هؤلاء في غير هذا الموضع

(وان الناس في ترتيب أهل الاهواء تلي أقسام) منهم من يرتبهم  
علي زمان حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم  
وغاظه فيبدأ بالمرجئة ويختتم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد  
رضي الله عنه كما عبد الله ابنه ونحوه وكالحلال وأبي عبد الله بن بطة  
وأمثالهما وكأبي الفرج المقدسي وكلا الطائفتين تختتم بالجهمية لانهم أغلظ  
البدع وكالبخاري في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة  
وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب  
في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهمية وكذلك رتب أبو القاسم الطبري كتابه في أصول السنة والبيهقي أفرد لكل صنف مصنفين فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر ومصنف في شعب الإيمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الأمور له موضع آخر

والمفتـود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام في الإيمان والالام أنهم لما ظنوا أنه لا يتبعض قال أولئك فإذا فعل ذنباً زال به منه فيزول كله فيخلد في النار فقالت الجهمية والمرجئة قد علمنا أنه ليس يخلد في النار وأنه ليس كافراً مرتداً بل هو من المسلمين وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمناً تام الإيمان به بعض الإيمان لأن الإيمان عندهم لا يتبعض فاحتاجوا أن يجعلوا الإيمان شيئاً واحداً يشترك فيه جميع أهل القبلة فقال فقهاء المرجئة هو التصديق بالقلب والقول باللسان فقالت الجهمية بمد تصديق اللسان قد لا يجب إذا كان الرجل أخرس أو كان مكرهاً فالذي لا بد منه تصديق القلب وقالت المرجئة الرجل إذا أـلم كان مؤمناً قبل أن يجب عليه شيء من الأفعال وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن المبارك يقول هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لا ينقص رواه إبان والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم يعرف هذا اللفظ إلا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجعل من نقصان

دينها انها اذا حاضت لاتصوم ولا تصلى وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذي أمر به كل شخص فان المسلمين في أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالتبلة فكان من الايمان في أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في الشريعة الواحدة وأيضا فن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الا مجعلا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول ما يسلم انما يجب عليه الاقرار المجمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شيء واحد وانه يستوى فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين ان الايمان الذي أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما فيجب على الملائكة من الايمان ما لا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

مالا يجب على غيرهم ويجب على العلماء مالا يجب على غيرهم ويجب على الامراء مالا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم الاقرار المجمل بكل ما جاء به الرسول فاكثرتهم لايعرفون تفصيل كل مأخبر به ومالم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا ومالم يؤمر به العبد من الاعمال لا يجب عليه معرفته ومعرفة الامر به فمن أمر بحج وجب عليه معرفة ما أمر به من أعمال الحج والايان بها فيجب عليه من الايمان والعمل مالا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ما أمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به مالا يجب على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل مالا يجب على غيره اذا جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا في مسمى الايمان كان أبلغ في كل حال قد وجب عليه من الايمان مالا يجب على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور أخرى لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حوت القبلة الى المكعبة وطائفة نافقت لما انزلت المسلمين يوم أحد ونحو ذلك ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك في سورة البقرة فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عنى فهم لا يرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا  
فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا ايمانا مجحلا ثم يأتي أمورا يؤمن بها  
فينافق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته  
وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر  
فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينفرون اليك نظر المغشى  
عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو  
صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة فلا يمكن المنازعة ان الايمان الذي أوجبه الله يتباين فيه  
أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبي  
صلى الله عليه وسلم في النساء ناقصات عقل ودين وقال في نقصان دينهن  
انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلى وهذا مما أمر الله به فليس هذا المقص  
دينا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا  
الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان  
من أمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا  
أفضل ديننا وايماننا وهذا المفضل ليس بتعاقب ومذموم فهذه زيادة  
كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب في حق شخص  
وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة وتركها بهذا لا يستحق  
العقاب بتركها وذلك لا يستحق العقاب بتركها ولكن ايمان ذلك أكمل  
قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا  
فهذا يبين تفاضل الايمان في نفس الامر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والتنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الايمان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذي يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليس ايمان السارق والزاني والشارب كإيمان غيرهم ولا إيمان من أدى الواجبات كإيمان من أحل ببعضها كما أنه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل ديناً وبراً وتقوى فهو كذلك أفضل إيماناً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وقد يجتمع في العبد إيمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لا يتبع بعض ولا يتفاضل بل هو شيء واحد يستوى فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغاطوا في هذا وهذا ثم نفرقوا كما تقدم وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماء وهم وأئمتهم أحسنهم قولاً وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن بكامل الايمان لكن ان كان مقرراً بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار

(وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته) ولم يسبقها



أحد الي هذا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الايمان وبعض الناس يحكى عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار فيلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وان قالوا لا يخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر لهم أولاً تسغفر لهم ان تسغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بالسنتهم سراً فكفروا بذلك وانما يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك رده عن الايمان قيل لهم ولو أضعروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم واتهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله بعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون



وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب  
وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا  
ولما بدخل الايمان في قلوبكم وفي الصحيحين عن سعدان النبي صلى الله  
عليه وسلم أعطي رجلاً ولم يعط رجلاً فقلت يا رسول الله أعطيت فلاناً  
وفلاناً وتركت فلاناً وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أو ثلاثاً وبسط  
الكلام في هذا له مواضع آخر وقد صنف في ذلك مجلداً غير ما صنف  
فيه غير ذلك

وكلام الناس في هذا الاسم ومناه كثير لأنه قطب الدين الذي  
يدور عليه وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والدم  
والنواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ولهذا سمي هذا الاصل  
مسائل الاسماء والاحكام وقد رأيت لابن الهيثم فيه مصنفاً في أنه قول  
اللسان فقط ورأيت لابن الباقلاني فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط  
وكلاهما في عصر واحد وكلاهما برد على المعتزلة والرافضة

(والمقصود هنا ان السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان)  
فلما حدث في الامة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق  
والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن  
والايمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد  
والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ثم ماظنوا أنه يوافقها  
من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجردهم اذا احتجوا  
بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلائلها ولم يستقصوا ما في القرآن

من ذلك المعنى اذ كان اعتمادهم في نفس الامر الى غير ذلك والآيات التي نخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده ان يفهم مراد الرسول بل ان يدفع منازعه عن الاحتجاج بها

ولهذا قال كثير منهم كأبي الحسين البصري ومن تبعه كل رازي والآمدی وابن الحاجب ان الامة اذا اختلفت في تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم احداث قول ثالث بخلاف ما اذا اختلفوا في الاحكام على قولين فجوزوا ان تكون الامة مجتمعة على الضلال في تفسير اقرآن والحديث وان يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون ولكن قالوا ان الله أراد معنى آخر وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا فان أصلهم أن الامة لا تجتمع على ضلالة ولا يقولون قوانين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه لكن تداعوا ان يتأولوا ما خلفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية يجوز ان يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ ولم يستشعروا أن المتأول هو مبين لمراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى اذا حملها على معنى وكذلك اذا قال يجوز أن يراد بهذا المعنى والامة قبله لم يقولوا أريد بها الا هذا أو هذا فقد جوزوا أن يكون ماأراد الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ماأراده لكن الذي قاله هؤلاء يمتشى اذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بانه مراد وتكون الامة قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله ضالة عن

معرفته وانقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية ولكن طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال ههنا معنى يجوز أن يكون هو المراد فاذا كانت الامة من الجاهل بمعانى القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال توجه ماقلوه واسط هذا له موضع آخر والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لاعلى القرآن ولا على الايمان الذى جاء به الرسول بخلاف السلف فلهذا كان الساف أكمل علماً وإيماناً وخطوهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه وكان الاصل الذى أسسوه هو ما أمرهم الله به فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين فوصفهم سبحانه بانهم لا يسبقونه بالقول وانهم بأمره يعملون فلا يخبرون عن شىء من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله كما قال لا يسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ما أمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شديد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا تأكيد وقال بعضهم بل لا يعصونه في الماضي ويفعلون ما أمروا به في المستقبل وأحسن من هذا وهذا ان العاصي هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به اعجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون الله ما أمرهم لم يكن في هذا بيان انهم يفعلون ما يؤمرون فان العاجز ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون ما يؤمرون ليعين أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لا يتركونه لاعجزاً ولا معصية والامور انما يترك ما أمر به لأحد هذين اما أن لا يكون قادراً واما أن يكون عاصياً لا يريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الامر وهو قادر وجب وجود فعل ما أمر به فكذلك الملائكة انذكروا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين فالملائكة مصدقون بنجبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعليهم أن لا يقولوا حتى يقول الرسول ما ينههم عن الله ولا يعملوا الا بما

أمرهم به كما قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ

قال مجاهد لا تفتاتوا عليه بشيء حتى يقضيه الله على لسانه تقدموا  
معناه تقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ تقدموا يقال قدم وتقدم كما  
يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم منعدياً أى قدم غيره لكن هنا هو  
فعل لازم فلا تقدموا معناه لا تقدموا بين يدي الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم فى شيء من الدين الا تبعاً لما جاء به  
الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله  
وعلمه تبعاً لامره فهذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين  
لهم باحسان وأئمة المسلمين فلهم لم يكن أحد منهم يعارض النصوص  
بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شيء  
من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فانه يتعلم وبه يتكلم  
وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع  
لا يجعلون اعتمادهم فى الباطن ونفس الامر على ما تلقوه عن الرسول  
بل على ما رووه أو ذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك  
فاذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلًا

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة  
وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن  
فيهم من النفاق والبدعة بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله  
وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لما قالوه 'لم يكونوا منافقين بل ناقصى الايمان مبتدعين وخطؤهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وان تقصوا به

(فصل) وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عنه - علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنه - الا جهل وظلم وظن وما تهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ما أخذ به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لا يكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لانظلم فيه فمن نهي عنه فهو نهي عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون ما يخالفه الا جهلا وظلما ظنا وما تهوى النفس وهو لا يخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناها أن يكون ما شرع قط بل يكون من المبدل فمكل ما خالف حكم الله ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبدل ما شرعه الله بل شرعه شارعا بغير اذن من الله كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله لكن هذا وهذا قد يقعان في خفي الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها استفرغوا فيه وسعهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع ما يغمر ذلك كما وقع مثل ذلك من بعض الصحابة في مسائل الطلاق والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلي الامور وجليها لان بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف الرسول وهم معصومون بحبل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم لا يتقدمون

بين يدى الله ورسوله فضلا عن تعدد مخالفة الله ورسوله  
 فلم اطال الزمان خفي علي كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ودق  
 على كثير من الناس ما كان جليا لهم فكثير من المتأخرين مخالفة الكتاب  
 والسنة ما لم يكن مثل هذا في السلف  
 وان كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم  
 ويثيبهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين  
 رجلا يعملها في ذلك الزمان لانهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك  
 وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم علي ذلك لكن تضعيف الاجر  
 لهم في أمور لم يضعف للصحابة لابلزم ان يكونوا أفضل من الصحابة  
 ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فان الذى سبق اليه انصحابة من  
 الايمان والجهاد ومعاداة أهل الارض في موالاته الرسول وتصديقه  
 وطاعته فيما ينجر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر  
 أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين  
 والمنافقين وانفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك  
 لحال أمر ما بقى يحصل مثله لاحد كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه  
 وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبها  
 ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد اتفقت النصوص الصحيحة عنه انه قال  
 خير القرون قرنى الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم



فجملة القرن الاول أفضل من القرن الثاني والثاني أفضل من الثالث  
والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من  
بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثاني وهل يكون فيمن بعد الصحابة  
من هو أفضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين هذا فيه نزاع  
وفيه قولان حكاهما القاضى عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في  
مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له منزلة الصحبة والجهاد  
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له منزلة فضيلته من العدل والزهد  
والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا يعر وأن يتبع الظن وماتموى  
الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان  
يتبعون الا الظن وماتموى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى

وقال في الذين يخبرون عن الملائكة انهم أنك ان الذين لا يؤمنون  
بالآخرة يسمون الملائكة نسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون  
الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ فأعرض عنم تولى عن  
ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم  
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم انا كما قال وجعلوا  
الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن  
انا انا شهدوا خلقهم ستمكتب شهادتهم ويسئلون وهؤلاء قال عنهم  
ان يتبعون الا الظن لانه خبر محض ليس فيه عمل وهناك وماتموى  
الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهناك عبادة وعمل بموى أنفسهم



فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس \* والذي جاء به الرسول كما قال والنجم اذا هوى ماض صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن يعتقدا قوله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغنى من الحق شيئا كاحتجاجهم بقياس فالدأونقل كاذب أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله وكان من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا اما أن يحتج بادلة عقلية و يظهرها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعانى متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة انما يركب حججه من ألفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وهذه هي الحجج العقلية وان تمسك المبطل بحجج سمعية فاما أن تكون كذباً على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل البطول فالمنع اسافي الاسناد واما في المتن ودلالته على مذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر

وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل الحق من هؤلاء لهم (لهـ مات صحيحة) مطابقة لكافي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمة أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواء المطيعين واسمعوا

منهم ما يقولون فانها تجلي لهم أمور صادقة \* وفي الترمذي عن أبي سعيد  
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور  
الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لايات للمتوسمين \* وقال بعض الصحابة  
أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم \* وفي صحيح البخارى  
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ولا يزال عبدى يتقرب  
الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره  
الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها \* وفي رواية فى  
بسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى فقد أخبرانه يسمع بالحق ويبصر به  
وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه  
\* وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن  
لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور  
على نور الايمان مع نور القرآن \* وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه  
ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله  
\* وهو القرآن شهد الله فى القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الايمان  
وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا فى وجوب النظر  
وتحصيله لا علم فليل لهم أهل التصفية والرياضة والعبادة ولأنه يحصل  
لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون لنظر كما قال الشيخ الملقب بالكبرى  
(لارازى) ورفيقه وقد قال له ياشيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال  
نعم فقال كيف تعلم ونحن نتناظر فى زمان طويل كما ذكر شيئا أفسدته  
وكما ذكرت شيئا أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها فجاءه - لا يعجبنا من ذلك ويكرران الكلام وطلب أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المعترلة النفاة

فبين له ان الحق مع أهل الاثبات وان الله سبحانه فوق سمواته وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد ابن محمد بن خاف المقدسى وذكر ان الشيخ الكبير حكاه له وكان قد حدثني بهاعنه غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل هذا كثير وهذا الوصف الذى ذكره الشيخ جواب لهم بحسب ما يعرفون فانهم قد قسموا العلم الى ضرورى ونظرى والنظرى مستند الى الضرورى والضرورى هو العلم الذى يلزم نفس الخلق لزوما لا يمكنه معه الانفكاك عنه وهذا حد القاضي أبى بكر الطيب وغيره نفاسته انه يلزم النفس لزوما لا يمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لا يمكنه مع ذلك الانفكاك عنه وقال وارادات لانه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظر متقدميهم كالشيخ الهراسى والفزائى وغيرهما ومتأخريهم كالرازي والآمدى وقالوا نحن لا نتكر أن يحصل لناس علم ضرورى مما يحصل لنا بالنظر هذا لا يدفعه لكن ان لم يكن علما ضروريا فلا بد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان لو دفع ذلك الاعتقاد

الذى حصل له لزم دفع شئ مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لا يلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر والمقصود ان هذا الجنس واقع لكن يقع أيضا ما يظن انه منه كبير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا أو يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك الذى يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب انه انسى وقد يقول له أنا الحضرة أو الياس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به فى الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا البس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط فى السمعيات والعقليات فهؤلاء يتبعون ظنا لا يغنى من الحق شيئا ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجدته وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعا لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما نهوى الأنفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحبه من آبائه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وأنا

على آثارهم مقتدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد هذا وسلطانا عليه فهم يعملون بهواههم وارادة نفوسهم بحسب قدرتهم كالمملوك المساطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بما أمر الله فيتبعون أمر الله وما يحبه ويرضاه لا يتبعون ارادتهم وما يحبونه هم ويرضونه وأن يستعينوا بالله فيقولون اياك نعبد واياك نستعين لا حول ولا قوة الا بالله لا يعتمدون على ما أوتوه من القوة والتصرف والحال فان هذا من الجبد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عقب الصلاة وفي الاعتدال بعد الركوع اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجبد منك الجبد

فالذوق والوجد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بحلاوته وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوبه ذوق ووجد فان لم يكن ذلك بساطان من الله وهو ما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحبه متبعاً لهواه بغير هدي وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثير الضالون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وكذلك من اتبع ما يرد عليه من الخطأ أو ما يراه من الانوار والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فانما يتبع ظناً لا يغني من الحق شيئاً

فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صلى الله عليه

وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمي منهم أحد  
 قعمر منهم وقد وافق عمر ربه في عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن  
 يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل ما يرد عليه حتي يعرضه علي الرسول  
 ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين  
 له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر  
 يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليمه  
 كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره من مانع الزكاة  
 وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه ما يقوله وتذكر الحجة من القرآن  
 فيرجع اليها كما جرى في مهور النساء ومثل هذا كثير ؛

فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل  
 من عمر فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعاً لما  
 جاء به الرسول لا يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لما ورد عليه وهؤلاء الذين  
 أخطؤا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا ان ذلك  
 يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا  
 عن الحي الذي لا يموت فيقال له أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو  
 حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما  
 من اليهود والنصارى وأما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله  
 ومن أين لك انه ليس من وحي الشيطان

والوحي وحيان وحي من الرحمن ووحى من الشيطان قال تعالى

وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وتد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمرو ابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحي اليه فقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين فهؤلاء يحتاجون الى الفرقان الايمانى القرآنى النبوى الشرعى أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما ان النظر لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هي طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع أغلب على بعض الناس في الدين وغير الدين كالطبيب فانه تجربات وقياسات وأهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس أصله التجربة والتجربة لا بد فيها من قياس لكن مثل قياس العاديات لا يعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فقد يغلط



والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه فان الحس يرى أمراً معيناً فيظن صاحبه فيه شيئاً آخر فيؤتي من ظنه فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شيئاً وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هي خيالات وأمثلة فلما عذب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذي يرى نفسه في مكان آخر يكلم أمواتاً ويكلمونه ويفعل أموراً كثيرة وهو في النوم يجزم بأنه نفسه الذي يقول ويفعل لان عقله عذب عنه وتلك الصورة التي رآها مثال صورته وخيالها ليكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان ذلك المثال هو نفسه فلما ثبت اليه عقله علم ان ذلك خيالات ومثالات ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام وهذا كالذي يرى صورته في المرأة أو صورة غيره فاذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى انه يفعل به ما يفعله بالشخص وهذا يقع للصبيان والبله كما يخيل لاحدهم في الضوء شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصاً حقيقاً ولا يعلمون انه خيال فالحس أحسن صحيجاً لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان العقل قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وانه لا يكون في الهواء ولا في المرأة ولا يكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود في الخارج وما لا يكون موجوداً الا في أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه



كل أحد ولكن قد يرون في الخارج أشخاصاً يراها عياناً وما في خيال  
الإنسان لا يراه غيره ويخطأ بهم أولئك الأشخاص ويحملونهم ويذهبون بهم  
إلى عرافات فيقفون بها وأما إلى غير عرافات ويأتونهم بذهب وفضة  
وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون إلى الناس ويأتونهم أيضاً  
بمن يطلبونه مثل من يكون له إرادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك أما  
محمولاً في الهواء وأما بسعي شديد ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث  
القوى ما لم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطاباً وقد يقتلون له من يريد  
قتله من أعدائه أو يمرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من  
يعلم أن هذا من الشيطان وأنه من السحر وأن ذلك حصل بما قاله ويعلمه  
من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا  
بتسخير الجن لنا ومنهم من لا يظن أولئك الأشخاص إلا آدميين أو ملائكة  
فإن كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وإن يسموا قالوا هذا هو  
الخصر وهذا هو الياس وهذا هو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبد القادر  
أو الشيخ عدى أو الشيخ أحمد الرفاعي أو غير ذلك ظن أن الأمر كذلك  
فهنأ لم يغلط لكن غلط عقوله حيث لم يعرف أن هذه شياطين تمتد على  
صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو  
غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي  
صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه آياه من قال أنه النبي  
أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذي  
له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمره بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحانيته ومن هؤلاء من يقول اذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذاك جنياً قد قال لهذا الميت انك تجيء بعد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته يقول له أموراً وغرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضي ديونا ودخل الي منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص نفسه وانما هو شيطان تصور في صورته

(ومن هؤلاء) من يكون في جنازة أبيه أو غيره والميت على سريرته وهو يراه أخذاً يمشي مع الناس بيد ابنه وأبيه قد جعل شيخاً مد أبيه فلا يشك ابنه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذي رآه هو دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمي نفسه خالداً وغير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه فيقولون محمداً الخالدي ونحو ذلك

(فان الجن مأمورون ومنهيون) كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى يامعشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهـم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض وبلغنا أجانا الذى أجبت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله \* قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتهم من الانس وأضلناهم وهم قال البغوى قال بعضهم استمتع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الاراحيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التى يهيئونها ويسهل سبلها عليهم واستمتع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبى حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس \* وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة في الدنيا وقال ابن السائب استمتع الانس بالجن استعاضتهم بهم واستمتع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في أنفسهم وعظماً في نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً \* قلت الاستمتاع بالشئ هو أن يتمتع به ينال به ما يطلبه ويريده ويهواه ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم لبعض كما قال فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة  
ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث  
ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك  
والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس  
ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من  
السلف من يتمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمة ومنهم من يتمتع بكسوة  
أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى النعمة خادم وأدناها كسوة يجزى  
فيها الصلاة

وفي الجملة استمتع الانس بالخن والخن بالانس يشبه استمتاع  
الانس بالانس قال تعالى لأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين  
وقال تعالى وتقطع بهم السباب قال مجاهد هي المودات التي كانت لغير  
الله وقال الخليل إنما اتخذتم من دون الله اوتانا مودة بينكم في الحياة  
الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال  
تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمشرك يعبد ما يهواه واتباع الهوي  
هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والخن هذا كله  
وتارة يخدم هؤلاء هؤلاء في أغراضهم وهؤلاء هؤلاء في أغراضهم  
فالخن تأتيه بما يريد من سورة أومال أو قتل عدوه والانس تطيع  
الخن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه  
من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس  
الذي يخدمه ما يريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن

ونسأئهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسى وقد يفعل ذلك بالذكران

(وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة) تارة يكون الجنى يحب المصروع فيصرعه ليشمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى آذاهم اذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الاذى هذا أشد الصرع وكثيراً ما يقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبت سفهاء الانس ببناء السبيل

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم في الاخبار بالامور الغائبة كما يخبر الكهان فان في الانس من له غرض في هذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهاناً وقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلمى أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يحجى ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لا يخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطبعه الانسى في بعض ما يريد اما في شرك واما في فاحشة واما في أكل حرام واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشرطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشرطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة

والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذي لا ينفعه فيه ويجب ذلك كما فعل ابليس بآدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم في احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتع الجن بالانس استعمالهم فيما يريد الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى في صورة الانمي فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به ياسيدي فلان فينقل الجنى ذلك الكلام الى الشيخ يتمثل صوت الانمي حتى يظن الشيخ انه صوت الانمي بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتي الجنى يتمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه وهو الذي فعله ذلك حتى ان تابع الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجنى يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظن ذلك التابع انه شيخه حاضر معه والجنى يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ ان يده في ذلك الاناء فاذا حضر المرید ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل ولكن الجنى مثل للشيخ ومثل للمرید حتى ظن كل منهما ان أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجنى وخيله واذا سئل الشيخ المخدم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطاب منه ان يخبر بحاله أو علة في النساء أو غير ذلك فان الجنى قد يمثل ذلك فيريه صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدلّه علي سرقة مثل له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذي فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه لان الذي سرق المال معه أيضا حتى يخدمه والجنى يخاف بعضهم من بعض كما ان الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجنى عليه جاء اليه أولياء السارق فأذوه وأحيانا لا يدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب مرفف اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما الرغبة ينالها منه واما الرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق الكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه فهذا وأمثاله من استمتاع بعضهم ببعض



(والجن مكلفون كتكليف الانس) ومحمد صلى الله عليه وسلم  
 مرسل الى الثقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص  
 واجماع المسلمين (وأما مؤمنهم) ففيهم قولان وأكثر العلماء على  
 أنهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون في ربضها  
 يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو  
 حديث رواه الطبراني في معجمه الصغير يحتاج النظر في استناده  
 \* وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات  
 مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والنجار في الاحقاف  
 والانسام \* واحتج الاوزاعي وغيره بقوله تعالى لم يطعمهن انس قبلهم  
 ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في  
 أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خسرين ولكل  
 درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك  
 الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة  
 ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال  
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات  
 أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون  
 ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا  
 القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم  
 حطباً ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع  
 من قلة العلم كما في الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين  
والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع  
واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس بشئ\* منهم من  
يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله  
بلاء- لم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من أفعال  
الشياطين\* ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة اما احضار ماله أو  
دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أو دفع من يؤذيه ونحو  
ذلك فهذا كاستمالة الانس بعضهم ببعض في ذلك\* والنوع الثالث أن  
يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم  
بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس  
وينهاهم وهذه حال نبينا صلى الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدي به  
من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بأمرهم الله به  
ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقلين الانس والجن وقد  
قال الله له قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني  
وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني  
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (وعمر رضى الله عنه  
لما نادى ياسارية الحبيل قال ان الله جنودا يبلغون صونى) وجنود الله هم  
من الملائكة ومن صالحى الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية  
وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والانفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول  
يا فلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يا فلان وقد يقول لمن هو  
بعيد عنه يا فلان احبس الماء اعالنا وهو لا يسمع صوته فيناديه  
الواسطة بمثل ذلك يا فلان احبس الماء ارسل الماء اما بمثل صوت الاول  
ان كان لا يقبل الاصوته والا فلا يضر بأي صوت كان اذا عرف ان  
صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد ارسل جيشا فجاء شخص  
وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم  
هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذلك أبو الهيثم  
يريد الجن وسيجيء يريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستتكمته اياه فيخرج فيرى  
الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون  
الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا ينبغي لاحد  
بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي صلى  
الله عليه وسلم لما تفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته  
فدعته حتي سال لعبه عنى يدي وأردت أن أربطه الى سارية من  
سوارى المسجد ثم ذكرت دعوة أخى سليمان فأرسلته ( فلم  
يستخدم ) الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم  
القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس \* والذي أوتيته  
صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيته سليمان فانه استعمل الجن  
والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض

يرجع اليه الا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الأبرار أصحاب اليمين وكثير من يرى هذه العجائب الحارقة يعتقد أنها من كرامات الأولياء وكثير من أهل الكلام واللم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الحارقة وما لاولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهنة والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الاسلام جعلوا الخوارق جنساً واحداً وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة اذا اقترنت بدعوى النبوة والاستدلال بها والتحدى بمثلها

واذا ادعى النبوة من ليس بنبي من الكفار والسحرة فلا بد أن يسلبه الله ما كان موهبه من ذلك وأن يقبض له من بعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله بخفاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل اليهم لا يأتون بمثل ما أتى به النبي كان معتاداً للناس قالوا ان عجز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هي خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأولئك أثبتوا الكرامات ثم زعموا أن المسلمين أجمعوا على أن هذه لا تكون الا لرجل صالح أو نبي قالوا فاذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الاجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون للسحرة ما هو مثلها ويناقضون في ذلك كما قد بسط في غير هذا الموضع

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان وما يفعلونه الشياطين من العجائب وظنوا أنها لا تكون الا لرجل صالح فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولي اذا تولى لا يعترض عليه فمنهم من يراه مخالفا لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك الصلاة المفروضة وأكل الحباث كالحمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل الفواحش والفحش والتفحش في المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولي من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلا من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه من أعمال الشياطين وان هذه من أولياء الشياطين يضل به الناس ويغويهم

(ودخلت) الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لى وأصير شيخك وأنت تتوب الناس لى ويلبسه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه فلا يشك ان الصديق هو الذى جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام وتارة يقص شعره في النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً ما يستغيث الرجل بشيخه الحى أو الميت فيأتونه في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكاً تصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضلته الشياطين والملائكة لا تجيب مشركاً وتارة يأتون الى من هو خال في البرية وقد يكون ملكاً أو أميراً كبيراً ويكون كافراً وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة انسى ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون في موضع ( كما جرى مثل هذا الى ) كنت في مصر في قلعها وجري مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير انى أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك الترتير مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامى ليظن ذاك انى أنا الذى فعلت ذلك

( قال لى طائفة من الناس فلم لا يجوز أن يكون ملكاً قلت لا ) ان الملك لا يكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك ( وكثير من الناس ) رأى من قال انى أنا الخضر وانما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الحضر والذين قد صرفوا صدقها يقطعون بحياة الحضر وكلا الطائفتين مخطيء فان الذين رأوا من قال اني أنا الحضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطأوا في ظنهم انه الحضر وانما كان جنياً ولهذا يجري مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا ما يأتهم في كنائسهم من يقول انه الحضر وكذلك اليهود يأتهم في كنائسهم من يقول انه الحضر وفي ذلك من الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأي شخصاً وظن انه الحضر وانه غلط في ظنه انه الحضر وانما كان جنياً وقد يقول أنا المسيح أو موسي أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبي صلى الله عليه وسلم قال من رآني في المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لا يتمثل في صورتي قال ابن عباس في صورته التي كان عليها في حياته وهذه رؤية في المام وأما في اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى مجيء بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة فمن جهله أتى

(ومن هنا) ضلت النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتى الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذي جاء كان شيطاناً قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشبهه مثل هذا على الحواريين كما اشتبهه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتي بلغ



رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الى السماء  
 ( وأصحاب الحلاج ) لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه  
 في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان  
 يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه  
 الكتاب الذي أرسله فرأيت به بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة  
 وفيه كلام من كلام الجن وذلك المعتقد يعتقد ان الشيخ حيّ وكان يقول  
 انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من  
 الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه  
 هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء عليّ أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان  
 يأتي الى بعض أصحابهم حتى في صورته وكذا منتظر الرافضة قد يراه  
 أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنباً فهذا باب واسع واقع كثيراً وكلما كان  
 القوم أجهل كان عندهم أكثر في المشركين أكثر مما في النصارى وهو  
 في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها  
 ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها الى  
 ما هو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس  
 قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما  
 كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فاسداً وقد قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم  
 وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأى  
 فانه بنقطة بها كثير من أهل الباطن ويقوى بها قلوب كثير من أهل

الحق وان كانت في نفسها باطلة فغيرها أبطال منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام فينتقلون مما كانوا عليه الى ما هو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فأسلم على يديه خاق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد يفز وغزوا ويظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خاق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذاك كان شراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان في قلبه فنفى ذل الكفر الذي كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل الى خير مما كان عليه وخفف الشر الذي كان فيه ثم اذا أراد الله هدايته أدخل الايمان في قلبه والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتعليها والنبى صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون وأكثر المتكلمين يردون باطلاً بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلمًا مبتدعًا وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أستاذ البدع

ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليًا ومنهم من يفضلونه على أبي بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ولا أعلم غيرها وقالوا أنه قال لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما إلا بعينه ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم أعظم على

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمر بن العاص لأجل علي ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة قائمهم يقولون أن هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولي عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر ويعظمون الذنوب فهم يحرون الصدق كالخوارج لا يمتثلون للكذب كالرافضة ولا يرون أيضًا اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن وانصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجيحون علي الخوارج والروافض وهم تصدعهم أثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفى الصفات وإنكار الرؤية والقول بأن القرآن

مخلوق فوافقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لا يشاء ما يكون ويكون ما لا يشاء وانه لم يخلق أفعال العباد فنفوا قدرته ومشيتته وخلقه لانبات العدل وجعلوا من الرحمة نفى أمور خلقها لم يعرفوا ما فيها من الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق لا يكذب اذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام فتى لم يقل بذلك لزم كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما قصدوا الخوارج والزبدي فغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارج غير المعجزات قصدوا به اثبات النبوة ونصرها وغلطوا فيما سلوكوه فان النصر لا يكون بتكذيب الحق وذلك ليكونهم لم يحققوا خاصة آيات الانبياء والاشعرية ماردوه من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وينوا ما ينووه من تناقضهم وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ما انتفع به خلق كثير

فان الاشعري كان من المعتزلة وبقى على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبي علي الجبائي فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيراً باصولهم وبالرد عليهم وبيان تناقضهم وأما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية وأما خصائص المعتزلة فلم يوالهم الاشعري في شيء منها بل تناقضهم في جميع أصولهم ومال في مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه وكثير من الطوائف كالنجدية أتباع حسين النجار والضرارية أتباع

ضرار بن عمر ويخالفون المعتزلة في القدر والاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد والمعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والحوارق والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر مما يبالغون في ذم اليهود وهم إلى اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم إلى النصارى أقرب فإن النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مغضوب عليهم والنصارى ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين وروى بإسناد عن أبي روق عن ابن عباس وغير طريق الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بزيهم عليه يقول فاهمنا دينك الحق وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تنضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضلت النصارى فتمذهبنا كما تمذهبهم يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك قل ابن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين وقد قال سفيان ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

فاهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله فيعظمون العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر وأهل الزهد يعظمون الارادة والمريد وطريق أهل الارادة

فهؤلاء يبنون أمرهم على الارادة وأولئك يبنون أمرهم على النظر وهذه هي القوة النامية ولا بد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ولا بد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول

فالايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعى فغلطوا من جهة كون جانب الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال الظاهرة فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعى الحق الذى أمر به الشارع وأخبر به وبين النظر البدعى الباطل المنهى عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى وبالغوا في الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقة لامر الله ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة النظر

وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين ولهذا سار هؤلاء بميل اليهم النصارى ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم اليهود ويميلون اليهم وبين اليهود والنصارى غاية التباغض وكذلك بين أهل الكلام والرأى وبين أهل التصوف والزهد تنافر وتباغض وهذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(فصل) فان قبل فاذا كان في كتب الاناجيل التي عندهم ان المسيح صلب وانه بعد الصلب بياض اثنى اليهم وقال لهم انا المسيح ولا يقولون ان الشيطان تمثل على صورته فالشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه اثر الممير أو نحو هذا الكلام فابن الانجيل الذي قال الله عز وجل فيه وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه وقال قبل هذا وقفنا على آثارهم ببسبى ابن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناها الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وقد قال قل هذا وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفضوا من كتاب الله وكانوا عليه شهاداء وقال أيضاً ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال أيضاً قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم. ولا يزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول لا ملل الكتاب الذين بعث اليهم وهو من كان في وقتهم ومن يأتي من بعدهم الي يوم القيامة لم يؤمر ان يقول ذلك



لمن قد تاب منهم وكذلك قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله اخبار عن اليهود الموجودين وان عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله

وايحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان محمد لاهل الانجيل ومن لا يؤمر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قيل قبل هذا انه قد قيل ليس في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في التوراة والانجيل بل ذلك مبدل فان التوراة انقطع تواتره والانجيل لما أخذت من أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما في التوراة او الانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل وهذا القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو ان في الارض نسخا صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونسخا كثيرة محرفة ومن قال انه لا يحرف شيء من النسخ فقد قال مالا يمكنه نفيه ومن قال بجميع النسخ بعد النبي صلى الله عليه وسلم حرفت فقد قال ما يعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والانجيل ويخبران فيها حكمه وليس في القرآن خبر أنهم غيروا جميع النسخ واذا كان كذلك فنقول هو سبحانه قال وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح فاما حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها في التوراة ذكر وفاة موسى عليه السلام ومعلوم ان هذا الذي في التوراة والانجيل من الخبر عن موسى

وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك لتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس

وكذلك لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسيخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه في آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

(ولهذا) أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن وان لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتي كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا مافي الانجيل من الخبر عن صاب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الى الحواريين ليس

هو م. قاله المسيح وانما هو م. رآه من بعده والذي أنزله الله هو م. سمع من المسيح المبلغ عن الله

فان قيل فاذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب وانه أناتهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الانجيل والدين فقد دخلت الشبهة

قيل الحواريون وكل من نقل عن الانبياء انما يجب أن يقبل منهم ما نقلوه عن الانبياء فان الحجة في كلام الانبياء وما سوى ذلك فهو قوف على الحجة ان كان حقاً قبل والا رد ولهذا كان ما نقله الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لاسيما المتواتر كالقرآن وكثير من السنن وأما ما قالوه فما أجمعوا عليه فاجماعهم معصوم وما تنازعوا فيه رد الى الله والرسول وعمر قد كان أولاً أنكر موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في دفعه حتى فضل أبو بكر بالحديث الذي رواه وتنازعوا في تجهيز جيش اسامة وتنازعوا في قتال مائى الزكاة فلم يكن هذا قادحاً فيما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا منفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه فان الذي صلب انما صلبه اليهود ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح وقد قبل انهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس والاول هو المشهور وعليه جمهور الناس وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عمدتهم

على ذلك الشخص الذى جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذالك شيطان وهم يعترفون بأن الشياطين كثيراً ما تجيئ ويدعي أنه نبي أو صالح ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطاناً وفى ذلك حكايات متعددة مثل حكاية الراهب الذى جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت لاهدئك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل بها فان جئت اليوم بشيء يخالف ذلك لم تقبل منك

فأيس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وأضاف الخبر عن قتله الى اليهود بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فانهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة اذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم فى هذا القول كاذبون وهم آثمون واذا قالوه نخرا لم يحصل لهم الفخر لانهم لم يقتلوه وحصل الوزر لاستحلالهم ذلك وسميهم فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول فى النار قولوا يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وقوله وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى والآية تعم الطائفتين وقوله لفي شك منه قيل من قتله وقيل منه أى فى شك منه هل صلب أم لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر وقالت النصارى انه اله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب أم لا وهم فى شك من ذلك ما لهم به من علم فاذا كان هذا فى الصلب فكيف فى

الذى جاء بعد لرفع وقال انه هو المسيح  
فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا في ايمانهم  
فأين المؤمنون به الذين قال فيهم  
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا  
على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لا يقدح في ايمانه اذا كان لم يحرف  
ما جاء به المسيح بل هو مقرر بأنه عبد الله ورسوله وكنيته ألقاها الي مريم  
وروح منه فاعتقاده بمد هذا أنه صلب لا يقدح في ايمانه فان هذا  
اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبي  
لا يقدح في نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثيراً من الانبياء وقال تلامي  
وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآية وقال تعالى وما محمد الا  
رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم  
وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد  
كثير من مشايخ المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في البقعة  
فانهم لا يكفرون بذلك بل هذا كان يعتقده من هو من أكثر الناس  
اتباعاً للسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان  
يأتيه من يظن أنه رسول الله فهذا غلط منه لا يوجب كفره فكذلك  
ظن من ظن الحواريين ان ذاك هو المسيح لا يوجب خروجهم عن  
الايمان بالمسيح ولا يقدح فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبي صلى  
الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسى وأنه لا يموت

حتى يوت أصحابه لم يكن هذا قادحاً في إيمانه وإنما كان غلطاً ورجع عنه  
 (نصل وقوله تعالى في هذه ما لهم به من علم الا اتباع الظن)  
 هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هي الا أسماء سميتوها  
 أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى  
 الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وكذلك قوله وما لهم به من علم  
 ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً وقوله تعالى وما  
 يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم  
 الا يخربون وقوله أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي  
 الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن  
 لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن وكذلك  
 قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم  
 الا تخربون قل فوالله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما  
 عنده علم وكذلك قوله نبؤني بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيراً  
 ليضلوا بها واهواهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن  
 وقد ثبت في السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين  
 وان لم يكن شهود حلف الخصم\* وفي الصحيحين عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم انه قال انكم تختصمون اليّ وامل بعضكم أن يكون الخن  
 بحجته من بعض وإنما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه  
 خلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد في تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولا بد منه  
 حكمكم ذوى عدل بالمثل في جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند  
 الاشتباه ونحو ذلك فلا يقطع به الانسان بل يجوز أن تكون القبلة في  
 غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشئ  
 من حق الآخر وأدلة الاحكام لا بد فيها من هذا فان دلالة العموم في  
 الظواهر قد تكون محتملة للنقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان  
 كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا في خبر الواحد  
 كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع في العموم كالمعتزلة  
 البغداديين وان نازع في العموم والقياس منازع كبعض الرافضة مثل  
 الموسوى ونحوه لم ينازع في الاخبار فان الامامية عمدتهم على ما نقل  
 تن الاتي عثر فلا بد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغني عن  
 الظواهر والاخبار والاقيسة بل لا بد أن يعمل ببعض ذلك مع تجوز  
 نقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت  
 طرق الناس في جواز هذا فطائفة قالت لا يتبع قط الا العلم ولا يعمل  
 بالظن أصلاً وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في  
 الظواهر بل يقولون تقطع بخطأ من خالفنا وننقض حكمه كما  
 يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما  
 الاستصحاب والاستصحاب في كثير من المواضع من أضعف الأدلة وهم  
 في كثير مما يحتجون به قد لا يكون ما يحتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر  
 خلافه فطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح



كنا متبين للعالم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لا نعمل بالظن وهذه طريقة القاضي أبي بكر وأتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه أنه العلم بالأحكام الشرعية العملية وقال الرازي العلم بالأحكام الشرعية العمارة المسند على أعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

﴿فان قات﴾ الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

﴿قات﴾ المجتهد اذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالعلم حاصل قطعا والظن واقع في طريقه وحقيقة هذا الجواب ان هنا مقدمتين احدهما انه قد حصل عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن فالمقدمة الاولى وجدانية والثانية عملية استدلالية فليس الظن هنا مقدمة في الدليل كما توهمه بعضهم لكن يقال العمل بهذا الظن هو حكم أصول الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذلك الظن الحاصل بالظاهر وخبر الواحد والقياس والاصول يفيد أن العمل بهذا الظن واجب والا فالفتهاء لا يترضون لهذا فهذا الحكم العملي الاصولي ليس هو الفقه وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناء على أصله فانه عنده كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالي وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس الى أحد القولين دون الآخر كمثل ذى الشدة الى قون وذى اللين الى

قول وحيد فمعه متى وجد المجتهد ظنا في نفسه فحكم الله في حقه اتباع هذا الظن وقد أنكر أبو المعالي وغيره عليه هذا القول إنكارا بليغا وهم معذورون في إنكاره فان هذا أولا مكبرة فان الظنون عاينها أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهذا أمر معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شيئا على شيء والكلام في شيئين في اتباع الظن وفي الفقه هل هو من الظنون

أما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ما أمر الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الحفية عليه أن ينظر في الأدلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عند أمر مقطوع به وإن قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به وإذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على ان هذا راجح وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان فقد يكون عاما وقد لا يعمل حتى يعلم الرجحان وإذا ظن الرجحان أيضا فلا بد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلأن ينتهي الأمر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لما علم انه أرجح وهذا اتباع للعلم لا للظن وهو اتباع الاحسن كما قال نخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها وقال الذين يسمعون أقول فيقبحون أحسنه وقال واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم فإذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الاحسن وهذا معلوم

قالوا يجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الأبا العلم وهذا جواب الحسن البصري وأبي وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع إلا الظن فلم يستند ظنه إلى علم فإن هذا أرجح من غيره كما قال ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وهكذا في سائر المواضع يذم الذين إن يتبعون إلا الظن فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس أنهم لا يعلمون إلا بعلم بأن هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقاداً عملياً لكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الأمر وهذا كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال واعمل بأمركم أن يكون الحق بحجته من بعض وإنما أقضي بحجتي مما أسمع فإذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالماً بأن حجة هذا أرجح فما حكم إلا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أولاً يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أولاً يذكرها أولاً يجسر أن يتكلم بذلك فيكون هو المضيع بحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم إلا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه وتفریطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الأحكام فإذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لأن الحديث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا

ضبطه كشاهدين زكى أحدهما ولم يزك الآخر فهذا المزكى أرجح  
وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد  
انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا علي هذا ليس ممن لم يتبع الا  
الظن ولم يكن تبين له الا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك الحديث  
وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد  
يكون هذا الشاهد عدلا ونحن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوى لكن  
معنا عدم العلم بمدانتهما وقد لا يعلم عدالتهما مع تقويتها ورجحانها في  
نفس الامر فن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد لكن هذا لا سبيل الي أن  
يكلفه العالم أن يدع ما يعلمه الي أمر لا يعلمه لا مكانه ثبوته في نفس الامر  
فاذا كان لابد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هذا الذي علم  
ثبوته على ما لا يعلم ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهة فانهما اذا تعارضا  
وكانا متناقضين فانبات أحدهما هو نفي الآخر فهذا الدليل المعلوم قد  
علم أنه يثبت هذا وينفي ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لابد من  
الترجيح وجب قطعا ترجيح المعلوم بثبوته على ما لم يعلم ثبوته ولكن  
قد يقال انه لا يقطع بثبوته وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان  
الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل الا بذلك العلم  
وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هذا الاعتقاد على  
هذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن من قال الله فيه ان يتبعون الا  
الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذلك وهذا الظن هو  
الراجح ورجحانه معلوم بحكم بما علمه من الظن الراجح ودليله الراجح

وهذا معلوم له لا مطنون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات  
كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب لظنون فقد أجاب طائفة  
منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان  
جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه  
التي يحتاج اليها الناس ويفتون بها هي ثابتة بالنص أو الإجماع وإنما يقع  
الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود في - أئمة العلوم  
وكثير مسائل الخلاف هي في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما ما لا بد  
للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به  
وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه وإخراجه من الفقه قول  
لم يعلم أحد من المتقدمين قاله ولا احترز بهذا القيد أحد إلا الرازي  
ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة  
والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم  
الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأيضاً فكون الشيء معلوماً من الدين ضرورة أمراً في حديث  
العهد بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلاً عن  
كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبي - صلى  
الله عليه وسلم سجد لله وهو وقضى بالدية على العاقلة وقضى أن الولد  
للفراش وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

البتة \* الجواب الثاني أن يقال الفقه لا يكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو علمه برجحان هذا الدليل وهذا الظن ليس الفقه قطعه بوجوب العمل أى بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولي يتكلم في جنس الادلة ويتكلم كلاما كليلا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بأرجحهما ويقول أيضا اذا تعارض المصالح والمفاسد فالحاصل أرجح واذا تعارض المسند والمرسل فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شموله الافراد أرجح من عدم شموله ويجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيتكلم في دليل معين في حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصات من المؤمنات والمحصات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم خاص في أهل الكتاب وتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لا تناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصا فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذى يختص به الفقيه وهو علم قطعي لا ظنى ودين لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتماد المقلد ليس بفقه ولهذا قال المسندل على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والمسؤل عنه وحيث لا يعلم الرجحان فهو متوقف لا قول له واذا قيل له فقد قال ولا تمسكوا

بمعصم الكوافر قال هذا نزل عام الحديبية والمراد به المشركات فان سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعا وسورة المائدة بعد ذلك فهي خاص متأخر وذلك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المتقدم ولهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بمعصم الكوافر فارق عمر امرأة مشركة وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل على أن آية البقرة بعد آية المتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة \* فهذا النظر وأمثاله هو نظر الفقيه العالم برجحان دليل وظن على دليل وهذا علم لا ظن.

فقد تبين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذي لا يعلم رجحانه فلا يجوز تباعه وذلك هو الذي ذم الله به من قال فيه ان يتبعون الا الاظن فهم لا يتبعون الا الاظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين بأنه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الاظن والله أعلم

﴿فصل﴾ فههنا ثلاثة أشياء، أحدها الظن الراجح في نفس المندل المجتهد

والثاني الأدلة التي يسهلها بعض المتكلمين أمارات التي تعارضت وعلم المستدل بأن التي أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها  
الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر علي القول الآخر



لم يعلم به المسـ تدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل  
تدب مع نساء عاملا كما سمع ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم  
نهى عن قطع الخفين وانه أمر أن لا يخرج أحد حتى يودع البيت أو ان  
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا  
راجع على الاستصحاب الثاني لتحريم فعملوا بهـ هذا الراجح وهم  
يعلمون قطعا ان النبي أولى من الاستصحاب لكن يجوز أن يكون مع  
الاستصحاب دليل خاص ولكن المالم يعلموه لم يجز لهم أن يعدلوا عما  
علموه الى مالم يعلموه فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع وعليها  
قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وابن الزبير كان يحرمه  
على الرجل والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في  
الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه  
وسلم رخص للحائض أن تنفر بلاوداع وانها تلبس الخفين وغيرهما  
نهى عنه المحرم ولكن تجنب النقاب والقفازين وانه رخص في موضع  
أصبعين أو ثلاث أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح في رواية  
عمر ولم يعرف به ابنه عبدالله وكان له حبة مكفوفة بالحرير فلما سمع  
ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجحوا وعلموا حينئذ انه كان في  
نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذي يستصحبوه ولم يعلموا به وهم  
في الحالين انما حكموا بهـ لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا  
رجحوا العموم على استصحاب البراءة الأصلية وهذا ترجيح يعلم فان  
هذا راجح بلا ريب والشرع طافح بهذا

فما أوجب الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي  
نصوص عامة وما حرمه كالميتة والدم ولحم الخنزير حرمه بنصوص عامة  
وهي راجعة ومقدمة على البراءة الأصلية النافية للوجوب والتحريم فمن  
رجح ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدلائل المعلوم الرجحان ولم  
يكن ممن لم يتبع الا الظن لكن لجويزه أن يكون النص مخصوصا صار  
عنده ظن راجح ولو علم انه لا تخصيص هناك قطع بالعموم وكذلك لو  
علم ارادة نوع قطع بانتفاء النصوص وهذا القول في سائر الأدلة مثل  
أن يتمسك بنصوص وتكون منسوخة ولم يبلغه الناسخ كالذين نهوا عن  
الانتباز في الاوعية وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص الناسخ  
وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم الناسخ مثل من  
كان من المسلمين بالبوادي وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير  
الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاة الى القبلتين بعضها الى هذه  
القبلة وبعضها الى هذه القبلة لما بلغهم النسخ وهم في أثناء الصلاة  
فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة من جهة  
الشام الى جهة اليمن

فالقاضي أبو بكر ونحوه من الذين ينفون أن يكون في الباطن حكم  
مطلوب بالاجتهاد أو دليل عاينه يقولون ما ثم الا الظن الذي في نفس  
المجتهد والامارات لاضابط لها وليست أمارة أقوى من اماره فانهم اذا  
قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذي عمل بالارجوح دون الراجح مخطئا  
وعندهم ليس في نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعه والجمهور فيقولون بل الامارات بعضها أقوى من بعض في نفس الامر ﴿وعلى الانسان أن يجتهد﴾ ويصلب الاقوى فاذا رأى دليلاً أقوى من غيره ولم ير ما يعارضه عمل به ولا يكف الله نفسه الا وسعها واذا كان في الباطن ما هو أرجح منه كان مخطئاً معذوراً وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على معرفته فمن عجز عن معرفته لم يؤخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطيء بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعمل ما أمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الامر فالمصيب واحد وله أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا الى أربع جهات فالذي أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره واؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علماً وعمله زاده أجراً بما زاده من العلم والعمل قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لا يتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع ما لم يسمع الآخر

واما بان فهم ما لم يفهم الآخر كما قال تعالى ودارد سليمان اذ يحكمنا في  
الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان  
وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع  
ولم يفرق أحد من السلف والائمة بين أصول وفروع  
بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا في الصحابة  
والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذي  
استفرغ وسعه في طلب الحق يأنم لافي الاصول ولا في الفروع ولكن  
هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل  
ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن الغنبري انه قال كل مجتهد  
مصيب ومراده انه لا يأنم

وهذا قول عامة الائمة كابي حنيفة والشافعي وغيرها  
ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء ويصلون خلفهم ومن ردها  
كمالك وأحمد فليس ذلك مسئلما لانهما لكن المقصود انكار المنكر  
وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان  
ذلك مناه له من اظهار البدعة ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية  
لابدعة المظاهر لها وغيره وكذلك قال الخرقى ومن صلى خلف من يجهر  
ببدعة أو منكر أعاد وبسط هذا له موضع آخر

والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكرها ضابطا يميز بين  
النوعين بل تارة يقولون هذا قطي وهذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قطعي وكثير من مسائل الاصول ظني عند بعض الناس فان كون الشيء قطعيا وظيفيا امراضا في وتارة يقولون الاصول هي العمليات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من ججدها ككفر كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات وهذه سمعيات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير الخطيء فان الكافر حكم شرعي يتعاقب بالسرعة وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم ما ليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك متقدم في الاصول الخمسة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد وهي التي توالى المعتزلة من وافقهم عليها ويثرون ممن خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب وثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك مسلكهم كابني الحسن الاشعري وأصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول الخمسة وكان عندهم علم ليس عند أولئك وكان عند أولئك علم ليس عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما في الكتاب والسنة من بيان هذه الامور بل علموا بعضها وجهلوا بعضها فان هؤلاء المجبرة هم في الحقيقة لا يثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا ولا إياك قصدوا اثبات هذه الامور أما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شيء وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهى عنه وهو لا نهى له ويجوزون الامر بكل شيء وان كان منكرا وشركا والهي عن كل شيء وان كان توحيدا ومعروفا فلا ضابط عندهم للفعل فانهذا الزموم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقا بين المعجزات وغيرها ولا ما به يعلم صدق انبي صلى الله عليه وسلم الا اذا نقضوا اصلهم وقد قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وعندهم هذا لافائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائما بهذا دون هذا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

وكذلك الحكمة عندهم لاتفعل الحكمة وقد فسروا الحكمة اما بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيما ويكون غير حكيم كذلك المرید قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم يطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان الله حكيم وكذلك الرحمة ما عندهم في نفس الامر الا ارادة ترجيح احد المثلين بلا مرجح نسبتها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أيضا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وتناقض كل من أثبت بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نقاة الارادة أعظم تناقضاتهم فان الرازي ذكر في المطالب العلية مسألة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة المتفلسفة على أصول أصحابه الجهمية والمعتزلة ففر اليهم وكذلك في غير هذامن المسائل فهو تارة يرجح قوله قول المتفلسفة وتارة يرجح قول المتكلمة وتارة يحار ويقف واعترف في آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لا تشفى غليلا ولا تروى غليلا وقال قد تأمات الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيها تشفى غليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الانبياء الرحمن على العرش استوى اليه يصعد الكلم الطيب واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل آمارني فقد تبين انهم لا يثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق في الكلام النفساني واجب لانه يعلم الامور ومن يعلم يتمتع أن يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه وعلي هذا اعتمد الغزالي وغيره فقل لهم هذا ضعيف لوجهين أحدهما الصدق في ذلك المعنى لا ينفع ان لم يثبت الصدق في العبارات الدالة عليه ويتميز بين الافعال عندهم اثناي انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبرك بالكذب فيقوم في نفسه ، معني ليس هو العلم وهو معني الخبر فهذا يقتضي انهم يقولون ان العلم قد يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه والرازي لما ذكر مسألة انه لا يجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا لماحشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لا يعنى بكلامه شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب ان في



هذا نزاعا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص  
والله منزّه عنه فقييل له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات  
المخلوقة أما الاول فلا يجوز ارادته هنا لان المعنى ثلثة هي فيمن يتكلم  
بالحروف المنظومة ولا يعنى به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى  
وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك  
أن يخاف كل شئ ليس منزها عن فعل من الافعال والعيب عندك هو مالا  
يريده فهذا ممتنع فذنين انه ليس لهم حجة لاعلى صدقه ولا على تنزيهه  
عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون ممن تنزيهه عن بعض الافعال  
وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه  
والمعتزلة قصدتهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات  
كما يذكرونها أبو الحسين البصري وغيره كما ذكر في أول صور الأدلة  
خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس  
أنفسهم يظالمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأظن فيها اثبات صدقه ولهذا  
يكفرون من يجوره أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في  
مواضع كثيرة كما قد نبه على هذا في غير موضع فكل الطائفتين معها  
حق وباطل ولم يستوعب الحق الامن اتبع المهاجرين والاصار وآمن  
بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء  
هم أهل الرحمة الذين لا يختلفون بخلاف أوائك المختلفين قال تعالى  
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

(فصل) والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفى الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعري وأبي العباس انقلاني ومن تبعهم أثبتوا الصفات  
 لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كونه  
 فعله الاختياري يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد  
 ايمانهم ويغضب ويغضب الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال  
 العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم  
 ورسوله والمؤمنون فثبت رؤية مستقلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم  
 خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادي  
 موسى حين أتى لم يناده قبل ذلك بندا قام بذاته فان المعزلة والجهمية  
 يقولون خلق نداء في الهواء والكلالية والسالية يقولون النداء قام بذاته  
 وهو قديم لكن سمعه موسى فاستجدوا سمع موسى والا فلما زال  
 عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها يخالف هذا  
 وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه يتكلم بمشيئته في وقت بكلام معين  
 كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم  
 وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له  
 كن فيكون والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما  
 الاحاديث فلا تحصى وهذا قول ائمة السنة والسلف وجهور العقلاء  
 ولهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل  
 متكلم ادا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلهذا اتفقوا  
 على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم نعرف عن أحد من

السالف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في علمه ومنهم من يقول قديم أى متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لأنه أزل لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات تباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه ينحصر بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يذكهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك في الاستماع قال تعالى وأذنت لربها وحقت أى استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه أبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به وقال الله أشداذا الى صاحب القرآن من صاحب القينة الى قيمته فهذا تخصيص بالاذن وهو الاستماع لبعض الاصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده وقول الحليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربي سميع قريب يقتضى التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاء هو تخصيص بامر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من يحب ومحبه بالنظر والاستماع المذكور يقتضى ان هذا النوع منتف

عن غيرهم

(لكن مع ذلك هل يقال) ان نفس الرؤية والسمع الذى هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئي الا وقد تعلق به كالملم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته فيمكنه أن لا ينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لا يجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الادراك به

(والقول الثانى) ان جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لا ينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبى حاتم عن أبى عمران الجونى قال ما نظر الله الى شيء من خلقه الا رحمه ولكنه قضى أن لا ينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذكروني اذكركم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقربت اليه باعا وان أناني بمشيئته هرولة فهذا الذكر يختص بمن ذكره فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذى أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرزون بالنكرو وينهون عن المأمورين ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسر واهذا النسيان بأنه وهذا النسيان ضد ذلك الذكرو في الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال أفضلت أنك ملاقي قال لا قال فاليوم أنساك كما نسيتني فهذا يقتضى أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضاً وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ما سيعمله قبل أن يعمل ما علم ما عمل ورأى عمله فهذا النسيان لا يناقض ما علمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال والرشاد والنى وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان يجعل ما بعث الله به رساله وأنزل به كتابه هو الحق الذى يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجحلاً لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يملك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ما قام عليه الدليل) والنافع منه ما جاء به الرسول وقد يكون علم من غير الرسول لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب والملاحة والتجارة وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

ما أخذ عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوي الرسول اما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد واما أن لا يكون له ارادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه اما لرغبة واما لرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة يبين الأدلة العقلية الدالة عليها والقرآن مملوء من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الالهية والمطالب الدينية وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل اليقينية على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لا يقول عليه الا الحق وان الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما باغاه عنه والأدلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متبوعة وهي أدلة عقلية يعلم حجتها بالعقل وهي أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن القرآن اشتمل على الأدلة العقلية في المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتجون بالأدلة السمعية الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول وجب تصديقه فيما يخبر به

(والعلوم ثلاثة أقسام) منها ما لا يعلم الا بالأدلة العقلية وأحسن الأدلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغي أن يعرف

أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضاها مأخوذ عن الرسول فإن من الناس من يذهل عن هذا ففهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقاً لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من المتكلمين ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن إنما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتي يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها ما لا يعلمه غير الأنبياء إلا بخبر الأنبياء وخبرهم المجرد هو دليل سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الأمور الإلهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل ما يؤمر به وينهى عنه فاما نفس اثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيتته وحكمته ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالأدلة العقلية وإن كانت الأدلة والآيات التي يأتي بها الأنبياء هي أكمل الأدلة العقلية لكن معرفة هذه ليست مقصورة على الخبر المجرد وإن كان أخبار الأنبياء المجردة تفيد العلم اليقيني أيضاً فيعلم بالأدلة العقلية التي أرشدوا إليها ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالأدلة والآيات والبراهين التي دلت على صدقهم

﴿وقد تزع الناس في العلم بالمداد وبحسن الأفعال وقبحها﴾ فأكثر الناس يقولون أنه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بأن العقل يعلم به الحسن والقبح أكثر من القائلين بأن المعاد يعلم بالعقل قال أبو الخطاب هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول المعاد والحسن والقبح لا يعلم إلا بمجرد الخبر وهو قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم



من أتباع الأئمة كالفاضي أبي يعلى وأبي المعالى الجوينى وأبى الوائيد  
التاجى وغيرهم وكلهم متفقون على أن من العلوم ما يعلم بالعقل والسمع  
الذى هو مجرد الخبر . مثل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة  
وكون رؤيته ممكنة أو ممتنة ونحو ذلك وكتب أصول الدين بجميع  
الطوائف ملوءة بالاحتجاج بالدلة السمعية الخبرية لكن الرازى طعن  
فى ذلك فى المطالب العالية قل لان الاستدلال بالسمع مشروط بان  
لا يعارضه قاطع عقلى فاذا عارضه العقلى وجب تقديمه عليه قال والعلم  
بانتفاء المعارض العقلى متعذر وهو انما يثبت بالسمع ما علم بالاضطرار ان  
الرسول أخبر به كالمعاد وقد يظن أن هذه طريقة أئمة الواقفة فى  
الوعيد كالاشعرى والفاضى أبى بكر وغيرهما وليس كذلك فان هؤلاء  
انما وقفوا فى اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لا يفيد القطع اولانهم  
لا يقولون بصيغ العموم وقد تعارضت عندهم الادلة والا فهم يثبتون  
الصفات الخبرية لله كالوجه واليد بتجرد السمع والخبر ولم يختلف قول  
الاشعرى فى ذلك وهو قول أئمة أصحابه لكن أبو المعالى وأتباعه لا يثبتون  
الصفات الخبرية بل فيهم من ينفيها عنهم من يقف فيها كالرازى والآمدى  
فيمكن أن يقال قول الاشعرى ينزع من قول هؤلاء بأن يقال لا يعرف  
أنهم اعتمدوا فى الاصول على دليل سمعى لكن يقال المعاد يحتاجون عليه  
بالقرآن والاحاديث ولكن الرازى هو الذى سلك فيه طريق العلم  
الضرورى ان الرسول جاء به وفى الحقيقة فجميع الادلة اليقينية توجب  
علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا بأخبار

الرسول لكن منها ما تكثر أدلته كخبر الاخبار المتواترة ويحصل به علم ضروري من غير تعيين دليل وقد يعين الأدلة ويستدل بها وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن يؤخذ من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعها وعقلها وبجمل ما جاء به هو الاصول لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية على أن ما قاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاءلامها تدل على ذلك جملة وتفصيل الأدلة العقلية الموجودة في القرآن والحديث يدل على ذلك تفصيلا وأيضا فإن الانبياء والرسل انما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضا فمن جرب ما يقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفهم كما قال الرازي مع انه من أعظم الناس طعنا في الأدلة السمعية حتى ابتدع قولا منعرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لا تنفذ اليقين ومع هذا فانه يقول لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الآيات اليه يصمد الكليم الطيب الرحمن على العرش استوى واترأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به عالما قال ومن جرب مثل تجربتي صرف مثل معرفتي وأبضا ( فمن اعتبر ما عند الطوائف ) الذين لم يعتصموا بتعليم الانبياء وارشادهم واخبارهم وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين أوجاهلين جهلا مركبا فهم لا يخرجون عن المنلين للذين في القرآن والذين كفروا أعماهم كمراب بقية يحسبه الظمان ماء حتي اذا جاءه

لم يحده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو  
كظلمات في بحر لجي يفتشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب  
ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجد الله  
الله له نورا فقال له من نور

﴿ فصل ﴾ وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم  
كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع  
ومشبه في المعقل كما قال فيهم الامام أحمد قل هم مختلفون في الكتاب  
مختلفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يخرجون بالمشابهة من  
الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموفقة من أهل الضلال  
تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك  
القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفه  
فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل  
أثمهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل  
عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يحملون أقوالهم  
البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما  
جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويحملون  
كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله  
أولا يعرف معناه الا الراسخون في العلم والراسخون عندهم من كان  
موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من  
آيات الكتاب ويترك المحكم كالتصاري والحوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابهها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتب والسنة ما يوافقه ويجعلون ما جاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرها كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدريّة\* وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى يقال منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في المتشابهات قولان أحدها أنها آيات بعضها تتشابه على كل الناس\* والثاني وهو الصحيح ان التشابه أمر نسبي فقد تشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا يتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كما محكم كما قال أ- كمت آياته ثم فصلت وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لا يعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد على الزنادقة والجهمية فيما سكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذهبهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد نكسها العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التي سأل عنها نافع بن الأزرق لابن العباس قال الحسن البصري ما نزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيم أنزات وماذا عني بها ومن قال من السالف ان المنشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بهامه مثل وقت الساعة ومجيئ اشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده في الجنة لاوليائه وكان من أسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عاينهم كقوله انا ونحن وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد الم معظم الذي له أعوان لم يرد به ان الالهة ثلاثة فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه ايا وما قيل فيه بالدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده وله هذا لا يقول قاينا فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتتوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة ما دل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله اما المعلى واما الخبرى السمعى ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة فيقال لا أصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك وانمظ الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذى يريد به أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة أيضا بل هم يختصمون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعانى بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعانى بعبارات أخرى ويبطن ما دل عليه القرآن الأدلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها مافقة من مقدمات مشتركة يأخذون اللفظ المشترك فى احدى المقدمتين بمعنى وفى المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو فى صورة اللفظ دليل وفى المعنى ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لايحوز أن يقترب بها ولا يتزوجها والذى قال

\* أيها المنكح الثريا سهيلا \*

أراد امرأته اسمها الثريا ورجل اسمها سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان \* هى شامية اذا ما استقلت

\* وسهيل اذا استقل يمان \*

وهذا لفظ مشترك فجعل يعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ

المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة فى غير موضع

والاصل الذى نبى عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوه حتى صار

منهاهم الى قول فرعون الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى فى

أن الله كلمه هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها ومالم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والائمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والائمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين

«والسلف لم يذموا جنس الكلام» فان كل آدمي يتكلم ولاذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل

فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفي عليه بطلان هذا الكلام فنههم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أو لا يتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلمكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهم لم يعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطر يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق العويل والطريق الخفيف مع اعتقادهم أنه يوصل إلى المعرفة وأنه صحيح



في نفسه\* وأما الحذاق العارفون بحقيقته فعلموا أنه باطل عقلا وشرا  
وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى  
الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك  
ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته  
أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا  
مكبرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لا بد له  
من قديم ثبت وجود القديم على التقديرين

وكذلك ما ابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال  
بلممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا  
الموضع وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود  
بنفسه مع انهم جمعوا هذا طريقاً لا ثبات الواجب بنفسه كما يجعل أوائك  
هذا طريقاً لا ثبات القديم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس  
في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود  
قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن  
الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن  
لا يكون العالم رب مابين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لا بد  
مه على كل قول وفرعون ونحوه ممن أنكروا الصانع ما كان ينكر هذا  
الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود  
قديم ولا واجب لكنهم لا يعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا  
الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه

(ولكن وصفوه) بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السالبة التي تستلزم عدمه وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر ويعرف أن هذا صفة المعدم الممتنع لاصفة الوجود فدليلهم في نفس الامر يستلزم أنه مائتم قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما أثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهة ثم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات والموجود القديم والواجب هو نفس الوجود المحـدث الممكن والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والائمة وردوه وأما حقيقة قولهم فهو النفي أن لا داخل العالم ولا خارجه وامكن هذا لم تسمعه الائمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من باطنهم ولهذا كان الائمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان وبحكون عنهم وصفه بالصفات السالبة وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها \* قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف ما يعلمه كل أحد ببديهة عقله فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بانفسها ومن المعلوم ببدهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شيء من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق

(ومعرفة الفطر) أن المحدث لابد له من محدث أظهر فيها من أن كل محدث لابد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم يناع في الاول طائفة قال ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع وانما أن يقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لا يعرف عن طائفة معروفة وانما يحكي عن لا يعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد في عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفي بعض الامور ولكن أمة من الأمم كلهم سوفسطائية في كل شيء هذا لا يتصور فلهذا لا يعرف عن أمة من الأمم انهم قالوا بمحدث العالم من غير محدث وهؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ما قامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث ويمكن لزعمهم القول بمحدث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفا بما يقوم به من الصفات والامور الاختياريات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته ويخلق ما يخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ما قامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لا يخلو

من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قديم واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لا يشار اليه ولا يعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لاحقيقة له في الخارج وانما هو في الذهن فيكون مأثبته واعتقدوا أنه الصانع للعالم انما يتحقق في الازهان لا في الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم في أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بحلوله في كل شئ وقال آخرون منهم هو وجود كل شئ ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله في العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد في اللبن وكالزيت والشيرج في السمس والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذي أضلهم قولهم ما قامت به الصفات والافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لا يخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لا يخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لا يخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لا يخلو عن الاعراض والاعراض كلها احادثة وهي لا تبقى زمانين وهذه طريقة الآمدي وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم  
وامكانه وذكروا في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق  
وانهم هم بينوا فساد جميع ما استدلل به على حدوث الجسم وامكانه وبينوا  
فسادها بطريقاً آخر بآما ذكره كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد  
شاركوهم في أصل هذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا  
قالوا ان التجسم لا ينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسماً  
قديماً وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام ان  
القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام في  
الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السالف والائمة في ذم الجهمية كثير  
مشهور فان مرض تعطيل شر من مرض الجسم وانما كان السالف  
يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه واهحق  
ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كعصرى ويد كيدى  
وقدم كقدمى وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التي لا تثبت بمشيتته  
وقدرته فينفونها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثاً لان  
ما قبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هذه الحوادث لم  
يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثاً

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصره لم يكن الحجاج  
أثبت انه يوصف بالصفات الاختياريات ويتكلم بمشيتته وقدرته ولكن  
عنده يمتنع انه كان في الاول متكلماً بمشيتته وقدرته لامتناع حوادث

لا أول لها فلم يقل بقول السلف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه صار به ككلم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعد ان لم يكن كذلك وقال هو وأصحابه في المشهور عنه ان الحوادث التي تقوم به لا يخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منه وما لم يخل من الحوادث فهو حادث وانما يقبل على أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط كما يقبل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تخل منه كما لم يلزم أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم حادث لا يحدث لان المحدث يفتقر الى احداث بخلاف الالاف الحدوث وهم اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث بل يقولون السكون أمر عديم كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر وجودي بخلاف ما يقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودي كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فانما يعدم الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع وهم يقولون انه يمتنع عدم الجسم وعندهم ان الباري يقوم به احداث المخلوقات وانماؤها فالحوادث التي تقوم بهم تقوم به لو أفناها لقام به الاحداث والاقناء فكان قابلا لان يحدث فيه حادث ويفنى ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من احداث واقناء فلم يخل من الحوادث وما لم يخل منها فهو حادث وانما كان كذلك لان المقابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده كما قات الكلابية لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لا يخلو عنه

وعن الآخر وهؤلاء يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو  
عدمي وإنما الوجودي هو الاحداث والافناء فلو قبل قيام الاحداث  
والافناء به لكان قابلا لقيام الازداد الوجودية والقابل لاشيء لا يخلو  
عنه وعن ضده وهؤلاء لما أراد منازعهم ابطال قولهم كان عمدتهم بيان  
تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالي وأتباعه وكما ذكر الآمدي  
تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع وغايتها انها  
تدل على مناقضتهم لاعلى صحة مذهب المنازع

ونتم طائفة كثيرة تقول انه تقوم به الحوادث وتزول وانه كلم موسى  
بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف  
وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان وإلا فالقول بفناء الصوت  
الذي كلم به موسى من جنس القول بقدومه كما يقول ذلك من يقوله  
من أهل الكلام والحديث والفقهاء من السامية وغيرهم ومن الحنبلية  
والشافعية والمالكية يقول انه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك  
الصوت قديم وهذا القول يعرف فساد ببيدته العقل وكذلك قول  
من يقول كلمه بصوت حادث وان ذلك الصوت باق لا يزال هو وسائر  
ما يقوم به من الحوادث هي أقوال يعرف فسادها بالبيدته

وإنما أوقع هذه الطوائف في هذه الأقوال ذلك الأصل الذي  
تلقوه عن الجهمية وهو أن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث وهو  
باطل عقلا وشرعا وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه  
استطاعت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا الاسلام نصروا ولا العدو كسروا



بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وساطوا عليهم  
وعلى المسامحين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم  
في هذا الاصل الذى جعلوه أصل دينهم ولو اعصموا بما جاء به الرسول  
لوافقوا المقول والمعقول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول  
فحرموا الوصول والاصول اتباع ما جاء به الرسول

وأحدثوا أصولاً ظنوا انها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين  
مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين آمن أسس بنيانه على  
تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار  
فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلاً  
كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل  
حين بإذن ربها وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل  
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت  
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله  
الظالمين ويفعل الله ما يشاء والاصول مأخوذة من أصول الشجرة  
وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل ما يتقى عليه غيره أو ما يفرع  
عنه غيره

فالاصول الثابتة هي أصول الانبياء كما قيل

أيها المتقدم لتطلب علماً \* كل علم عبد له علم الرسول

تطلب الفرع كي تصحح حكماً \* ثم أغفلت أصل أصل الاصول

والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الأصول ينبئ عليها ما في القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هي قضية جازمة وعقيدة جامعة ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فوائح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والآخرية على أتم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهي العقيدة الإيمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فمثل أصول الإيمان ثابت في قلب المؤمن كنبات أصل الشجرة الطيبة وفرعها في السماء إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولهذا فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن منزه يقين وطمأنينة والإيمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الإيمان مستقر لا يتحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض استؤصلت واجتثت كما يقطع الشئ يجثث من فوق الأرض ما لها من قرار لا مكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى بأش القرار وقال جعل لكم الأرض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أى ثبات وقد فسر القرار فى الآية بهذا وهذا فالبطل ليس قوله ثابتاً فى قلبه، ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى فى المثل الآخر فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذى يشرك بالله فمنع الحقيقة بطل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الافعال الباطلة التى يعتقدها الانسان عند الحقيقة تخونه ولا تنفعه بل هى كالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كن له فرع فى السماء يوصله الى الله فانه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصول ولهذا تجد أهل البدع والشبهت لا يصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق ولذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال

والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على السن رساله وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه فى كتابه وما وصف به رساله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رساله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين يشكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ما قدروا الله حق قدره في ثلاث مواضع اثبت عظامته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وانه لا يستحق العبادة الا هو وليثبت ما أنزله على رساله فقل في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال في الحج ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره وقال في الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء والمواضع الثلاثة ذم الذين ماقدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقاته والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذي أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذي بينه اياكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما ما يخرج عن طاقة البشر فذلك لا يذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو \* ودات الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارضين على أصبع والحيال على أصبع والشجر والثري  
على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم تمجبا وتصديقا لقول الخبر وقرأ هذه الآية

وعن ابن عباس قال مر بهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال  
يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه والارض على ذه  
والحيال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما  
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات  
مطويات يمينه رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي الضحى عن  
ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضي ان عظمته أعظم مما وصف ذلك الخبر فان الذي في  
الآية أبان كافي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا  
الملك أين ملوك الارض وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن  
بيده اليمنى ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المشكرون ورواه  
مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبي ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن  
عبد الله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود في صفة الرب  
تبارك وتعالى فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا  
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفته التي وصفوا بها شركا  
وقال حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعني أبا معاذ عن الحسن  
قال عمدت اليهود فنظروا في خلق السموات والارض والملائكة  
فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله  
حق قدره وهذا يدل على انه أعظم مما وصفوه وانهم لم يقدروه حق قدره  
وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من  
الاشياء فأحبهه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق  
فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الاشياء فعدل بربه  
والرب تعالى لا كفؤ له ولاسمى له ولا مثل له ومن جعله مثل المعلوم  
والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معطل بمثل والمعطى شر من المشرک  
﴿ والله ثنى قصة فرعون ﴾ في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس الى  
الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلوم  
يحصل مثله لاحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر الله تعالى وليس  
لله صفة يمانه فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمسك  
ولا قياس السموك الذي يسوى افراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه  
بالمخلوق بل قياس الاولى فانه سبحانه له المثل الاعلى في السموات  
والارض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتزيه  
عن صفات النقص وقد بسط هذه الامور في غير هذا الموضع وبين  
ان من جعله الوجود المطابق والمقيد بالسلب أذاتا مجردة فهو لاء مثله  
بأنقص المعقولات الذهنية وجعلوه دون الموجودات الخارجية والنفاء

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسيم لم يثبتوا بذلك حدوث شيء كما قد بين في موضعه

ثم انهم جاءوا عمدتهم في تزيه الرب عن النقائص على نفى الجسيم ومن سلك هذا المسلك لم ينزه الله عن نقي من النقائص البتة فانه مامن صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم وتكون من صفات الاجسام الا يقال له فيما أثبتته نظير ما يقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي ينفيها كالقول فيما أثبتته فان كان هذا تجسيدا وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا أثبت هذا على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت أنا أثبتته وأنفي التجسيم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفي الصفات كالمترلة قيل له في الصفات ما يقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا عالما قادرا وهو لا يعرف من هو متصف بذلك الاجساما كان اثبات ان له علما وقدرة كما نطق به الكتاب والسنة كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قبل له فلا بد أن تثبت موجودا قائما بنفسه وأنت لا تعرف ذلك الاجساما وان قال لاسمي به باسم لا اثبات ولا نفي قيل له سكوتك لا ينفي الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأيضا فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تتكلم وان عرفته فلا بد أن تميز بينه وبين غيره بما يختص به مثل أن يقول رب العالمين أو القديم الأزلي



أو الموجود بنفسه ونحو ذلك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه وأثبتته فاعلا وأنت لا تعرف ما هو كذلك إلا الجسم وإن قدر أنه جاحد له قيل له فهذا الوجود مشهود فإن كان قديما أزليا موجودا بنفسه فقد ثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ما فررت منه وإن كان مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولا بد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت الموجود القائم بنفسه القديم الأزلي على كل تقدير وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

وهنا قد نهينا على ذلك وأنه كل من بنى تنزيهه لارب عن انتقائص والعيوب على نفى الجسم فإنه لا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا بهـ هذه الحجة وكذلك من جعل عمدته نفى التركيب

ومن تدبر مذكروه في كتبهم تبين له أنهم لم يقيموا حجة على وجوده فلا هم أثبتوه وأثبتوا له ما يستحقه ولا نزوه ونفوا عنه ما لا يجوز عليه إذ كان إثباته هو إثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك دليلا والنفي اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفى كونه جسما فكيف إذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما يتبين لك أن من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه علم لاعقلي ولا سمعي لاسيما في هذا المطلوب الأعظم لكنهم قد يكونون معتقدين لمقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ما ثبت وتنفي ما تنفي بناء على هذه الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أصلاً ولكن يستفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر  
وبيان تناقضه. ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا يردونها  
بان ذلك تجسيم كما فعل الفاضى أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره  
فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً مما يقول اليهود بأنه  
تجسيم وقد كان اليهود عند النبي صلى الله عليه و لم بالمدينة وكانوا أحياء  
يذكرون له بعض الصفات كحديث الخبر وقد ذم الله اليهود على أشياء  
كقولهم ان الله فقير وان يده مغلوله وغير ذلك ولم يقل النبي صلى الله  
عليه و لم قط انهم يجسمون ولا ان في التوراة تجسماً ولا عاهم بذلك  
ولا رد هذه الاقوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من  
النفاة فبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث  
الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهالها من جنس الذين قالوا لو  
كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير وقد بينا في غير هذا الموضع  
فساد ما ذكره الرازي من ان طريقة الوجوب والامكان من أعظم  
الطرق وبيننا فسادها وانها لا تفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلاً على اثبات  
واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها واعياها اعتماد المقلد  
قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بأنه قد تأمل الطرق  
الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدها تشفى عيلاً ولا تروى غيلاً - الا  
ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجوب والامكان لم  
يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المتكلمين الذين قسموا  
الوجود الى محاث وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن ليكنه القول

بأن الفك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغير سلفه وخالف نفسه فانه قد ذكر في المنطق ما ذكره سلفه من أن الممكن لا يكون الا محدثاً كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع

(ثم) ان هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم الى قول فرعون فان جحد الخالق وكذب موسى في أن الله كلمه وهؤلاء ينتهى قولهم الى جحد الخالق وان أنبتوه قالوا انه لا يتكلم ولا نادي أحداً ولا ناجاه وعمدتهم في نفي ذاته على نفي الجسم وفي نفي كلامه وتكليمه لموسى على أنه لانه لآخلة الحوادث فلا يبقى عندهم رب ولا مرسل حقيقة قولهم تناقض شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان الرسول هو المبالغ لرسالة مرسله والرسالة هي كلامه الذى بعث به فاذا لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الانبياء على أن الله يتكلم ومن لم يقل انه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً يقوم بذاته لم يقل انه يتكلم والنفاة منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعنى أنه مخلوق بائن عنهم ومنهم من يقول هو صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لا يتكلم بمشيئته وقدرته وكل طائفة مصيبة في ابطال باطل الاخرى

والدليل بقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب يتكلم بمشيئته وقدرته فادلة من قال انه صفة فعل كلها انما تدل على أنه يتكلم بقدرته ومشيئته وهذا حق وأدلة من قال انه صفة ذات انما تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا - قى وأما من أثبت أحدهما كمن

قال ان كلامه مخلوق أو قال انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته فهو لاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم ولا أنبتوا له كلاما ولهذا يقولون مالا يعقل هذا يقول انه معنى واحد قام بالذات وهذا يقول حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بأثر عنه

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم مافى قلوبهم من الفساد ولم يعرفوا عين هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أو بحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم أن الهدي في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ما جاء به الرسول وهو الموافق لصريح المقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسيما والقلوب تطالب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عقائدهم وفيما صنّفوه في أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنّفوا في أصول الدين ما صنّفوه ولما تكلموا في مسألة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم أو هو الحروف والاصوات أو معنى قائم بالذات نهوا عن هذه الاقوال وقالوا الواجب أن يقال ما قاله المسلمون كلهم ان القرآن كلام الله وبمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك ولهم رغبة في العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول الممتزلة والكلابية والسالمية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من الفساد ما يوجب الامتناع من قبوله ولم يلموا قولاً غير هذه  
فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب  
ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على  
حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها  
من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على إمكانها  
بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون  
جميعاً بهذه الطريقة وذلك في سنة أنه جسم بتلك الطريقة وحذاق النظار  
الذين كانوا أخبر بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالاً بها وبغيرها قد  
صرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله  
سبحانه يجزي الانسان بحسن عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف  
الرسول وعوقب بمنزل ذنبه فإن كان قد قدح فيهم ونسب ما يقولونه الى أنه  
جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلى في عقله وعلمه وظهر من جهله  
ما عوقب به ومن قل عنهم انهم تعمداً الكذب أظهر الله كذبه ومن قال  
انهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى  
انه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا  
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون اهلاكه  
بالقتل وصار ينفه بالعيوب كما قوله وقال فرعون ذروني أقتل موسى  
وايدع ربه اني أخف أن يبدل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد

وقال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين أعلمك الله  
فرعون وأظهر كذبه واقتراه على الله وعلى رسوله وأذله غاية الازلال  
وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل  
كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو  
كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جهل أعلمك به نفسه وأتباعه  
في الدنيا والآخرة

(والذين) قالوا عن الرسول انه أبتروا فموت فيقطع  
ذكره عوقبوا بابتارهم كما قال تعالى ان شأنك هو الا بتر فلا يوجد من  
شأن الرسول الا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر  
ابن عيش ان بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من  
جلس للناس جلس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم  
وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا  
فرعون في جحده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى  
تكلما كما قال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب  
السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكان فرعون جاحدا  
لارب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى  
واني لأظنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن  
السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى وقال فرعون يا أيها  
الملا ما علمت لكم من اله غيري فاقول لي يا هامان على الطير فاجعل

لي صرحاً لعلى أطاع الى الله موسى وانى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو  
وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم اليينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده  
فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون  
الى انار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة وبوم  
القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلى الله عليه وسلم لما صرح به الى ربه وفرض عليه الصلوات  
الحس ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك  
فسله الترخيف الى أمتك كما تواتر هذا فى أحاديث المعراج فموسى صدق  
محمد فى أن ربه فوق وفرعون كذب موسى فى ان ربه فوق فالمقرون  
بذلك متبعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون

وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهى مما اعتمد  
عليه أبو الحسن الاشعري فى كتابه فى الابانه وذكر عدة أدلة عقلية  
وسمعية على ان الله فوق العالم وقال فى أوله

فان قال قائل تعد أنكرتم قول الجهمية والقدرية والحوارج  
والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم  
التي بها تدينون

قليل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا  
وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وبما كان يقول به  
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون  
فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق وأوضح به



المناهج وقع به بدع المبتدعين وزينغ الزائعين وشك الشاكن فرحمه الله من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذکر جملة الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤية ومسئلة القرآن ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون في ذلك على ما جاء به الرسول اذ كان ما جاء به الرسول انما يتضمن الاثبات لا النفي لكن يعتمدون في ذلك على ما يظنونونه أدلة عقلية ويعارضون بذلك ما جاء به الرسول وحقيقة قولهم ان الرسول لم يذكر في ذلك ما يرجع اليه لامن سمع ولا عقل فلم يخبر بذلك خبرا بين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب في ذلك على زعمهم بخلاف غير هذا فانهم معترفون بان الرسول ذكر في القرآن أدلة عقلية على ثبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون أيضا انه أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ما ذكره من النفي لم يذكره الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الاثبات وليس هو في نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض فلما نسبوا ما جاء به الرسول الي انه ليس فيه لادليل سمعي ولا عقلي لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عاقيهم الله بجنس ذنوبهم فكان ما يقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجده من الشبهات الشيطانية من جنس شبهات أهل السفسطة والاحاد الذين يقدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع مع خلافهم له ظاهر لكل أحد وإنما يظن من يعظمهم ويتبعهم أنهم أحكموا العقلية فإذا حقق الأمر وجدتهم كما قال أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وكما قال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بثيمة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سيع الحساب أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه - حجاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قولهم أن القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب دليل سمعي ولا عقلي سلمهم الله في هذا الباب معرفة الأدلة السمعية والعقلية حتى كانوا من أضل البرية مع دعواهم أنهم أعلم من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون أنهم أعلم من النبيين وهذا ميراث من فرعون وحزبه اللعين

وقد قيل أن أول من عرف أنه أظلم في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله القسري وقال أيها الناس ضحوا لقبول الله ضحاياكم أني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خايلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين ما فعله كالحسن البصري وغيره وهذا الجعد إليه ينسب مروان ابن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض فكانوا خيارهم وأقربهم إلى الاسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والاحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بنى حمدان العالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بنى بويه في المشرق وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك استغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمي حينئذ بامير المؤمنين الاموى الذى كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول لا يكون للمسلمين خليفة فلما ولى المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمى بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القديح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم بخلاف الاموى والعباسى فان كلاهما نسبهما صحيح وهم مسامون كما ملهم من خلفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلط عليهم الاعداء فخرجت الروم النصرى الى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوء حال بين الكفار النصاري والمنافقين الملاحدة إلى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الإسلام والطهارة والجهاد لاعدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصاري فأنجدهم وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة

فكان الايمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا خيرا الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبدع ساطع عليهم الكفار ولما أقاموا ما أقاموه من الاسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والالحاد والفجور ساطع عليهم الكفار قال تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعمان علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم ثم وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشايخ يقول هو لا كو ملك الترك التتار الذي قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو للمسلمين بمنزلة نحت نصر لبنى اسرائيل

وكان من أ- باب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الحاد والنفاق والبدع حتى انه صنف الرازي كتابا في عبادة الكواكب والاصنام وعمل السحر مماه السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم ويقال انه صنفه لام سلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه وكان من أعظم ملوك الارض وكان لرازي به اتصال رهوى حتى انه وصى اليه على أولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستحارة التي علمها النبي

صلى الله عليه وسلم المسلمين كما قال حابر في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضى به ( وأهل النجوم ) لهم اختيارات اذا أراد احدهم أن يفعل فعلاً أخذ طالما سعيداً فعمل فيه ذلك العمل لينجح بزعمهم وقد صنف الناس كتباً في الرد عليهم وذكروا كثرة ما يقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به وبأمروهم به وكم يخبرون من خبر فيكون كذباً وكم يأمرّون باختيار فيكون شراً والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك كما ذكر في السر المكتوم في عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم والتقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفسوق والعصيان فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله ورؤيه وهذا في نفس الامر يقرب الى الشياطين الذين يأمرّونهم بذلك ويقولون لهم ان الكواكب نفسه يحب ذلك والا

قالوا كب مسخرات بأمر الله مطيعة لله لا تأمر بشرك ولا غـيره من المعاصي ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك ويسـمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هي شياطين فلما ظهر بأرض المشرق نسب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه مظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق أي ان القرآن حق وقال سأريكم آياتي فلا تستعجلون وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجهد المعطل وغيره من الاسباب التي أوجبت ادبارها وفي آخر دولتهم (ظهر الجهم بن سفوان) بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاء الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المساميين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبد الله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام في الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولم يكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوى أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وثلقى عن هؤلاء ما تلقاه

ثم لما ولي الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ودعا الى قولهم في آخر عمره



وكتب الى بغداد وهو (بالتغر بطرسوس) التي ببيلدسيس وكانت اذ  
 ذلك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهل الدين  
 من كل ناحية ويرابطون بهارابط بها الامام أحمد رضى الله عنه والسرى  
 السقطى وغيرها وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاءها أيضا صالح بن  
 أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما  
 فككتب من الثغر الى نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب  
 كتابا يدعوا الناس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم  
 كتب كتابا ثانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه واراد الله اليه فأجاب أكثرهم  
 ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا  
 الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوها اليه فمات قبل أن يصل اليه  
 ثم أوصى الى أخيه أبي اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي  
 أحمد في الحبس الى سنة عشرين فجري ماجرى من المناظرة حتى قطعهم  
 بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب الفلاة الجهمية  
 وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعوه العطاء وعزلوه من  
 الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتسكوا الاسرى يتحننون الاسير  
 فان أجابهم افتدوه والا لم يفتدوه

وكتب قاضهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة ليس كمنه شيء  
 وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير  
 ثم ولي الواثق واشتد الامر الى أن ولي المتوكل فرفع الخنة وظهرت  
 حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان أئمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية بينوه  
حتى قال عبدالله بن المبارك اننا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع  
أن نحكي كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشیطان دعا الناس جهرة \* الى النار واشتق اسمه من جهنم  
وقيل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه  
قيل له يحد قال يحد وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن  
راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من أئمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق  
وتمطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فـكان يجحد الخالق جل  
جلاله ويقول ما علمت انكم من اله غيرى ويقول موسى لئن اتخذت  
الها غيرى لاجعلنك من المسجونين ويقول أنا ربكم الاعلى وكان ينكر  
أن يكون الله كام موسى أولا يكون لموسى اله فوق السموات ويريد أن  
يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية  
المعطلة انفاة يؤول الى قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب العالمين  
وانكار عبادته وانكار كلامه حتى ظهوروا بدعوى التحقيق والتوحيد  
والعرفان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والموجود القديم  
الازلى الخالق هو الموجود المحدث الخلق والرب هو البديع ماثم  
رب وعبد وخلق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يميون  
على الانبياء وينقصونهم يميون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرها  
ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضون بأن تعبد الأصنام حتى يقولوا ان عباد الأصنام لم يعبدوا  
 الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فوجدوا  
 الرب وأبطلوا دينه وأسرء ونهيه وما أرسل به رساله وتكليمه لموسى وغيره  
 وقد ضل في هذا جماعه ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف  
 المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القنوى تلميذ ابن عربي والبلباني  
 والناماني وهو من حذاقهم علماء ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل  
 في شرب الخمر ويأتى المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي وكان يظنه  
 من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه رآه يخالف القرآن قال فقلت له  
 هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في  
 كلامنا وكان يقول ثبت عندنا في الكشف ما يخالف صريح المقول  
 وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له فقرأ على كلب أجرب ميت  
 بطريق عند دار الطعم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال  
 وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان  
 يخالف أحداً فينا فقه فلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان  
 يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب الملوك في الارض والظلم ذعاه  
 الى الجحود والانكار كما قال فلما جاتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر  
 مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان  
 عاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه ينافقون المسلمين فلا يمكنهم

اظهار جحود الصانع ومن روجه هم ضلال يحسبون أنهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الاحاد والجحود ويوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاماً أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسي يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعاني الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذاكرني بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاسد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثني بهذا فقلت له ما ظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع قرار الخصم يحتاج الى بينة قال عبد السيد فقلت له لا أدع موسى وأذهب الي فرعون فقال ولم قلت لان موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكوني فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم نفعك اليهودية يهودي خير من فرعوني وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لا يفهمون حقيقة قولهم بل يحسبون أنه تحقيق ماجاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله فيحسبون هؤلاء من جنس أوائك من جنس الفضيل بن عياض  
 وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني والسري السقطي والجنيد بن  
 محمد وسهل بن عبد الله وأمثال هؤلاء

وأما عرفهم الذين يعلمون حقيقة قولهم فيعلمون أنه ليس الأمر  
 كذلك ويقولون ما يقول ابن عربي ونحوه ان الاولياء أفضل من الانبياء  
 وان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وان جميع الانبياء يستفيدون  
 معرفة الله من مشكاة خاتم الاولياء وأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ  
 منه الملك الذي يأتي خاتم الانبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون  
 أقوال الفلسفة والجهمية في قالب الكشف وعند المتفلسفة أن جبريل  
 إنما هو خيال في نفس النبي ليس هو ملكيات من السماء والنبي عندهم  
 يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الاولياء في زعمهم فانه يأخذ من العقل  
 المجرد الذي يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه  
 الملك الذي يوحى به الى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ما قاله  
 صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت  
 وان جاز في العرف الناموسى لذلك قال أنا ربكم الاعلى أى وان كان  
 الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم  
 قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له  
 بذلك وقالوا له اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا قال فصح  
 قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق  
 وحدثني الثقة الذي كان منهم ثم رجع عنهم ان أبغض الناس اليهم

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب  
سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد  
ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجبـ لوه كسائر المظاهر وأتم  
تعظمون المظاهر كلها أو اكتبوا عنه قال فقالوا الى محمد نبغضه فانه  
أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا في مذهبهم  
الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم  
يصرحون بالامنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس  
عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا  
سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأيت ملكا واذا سمعتم  
نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأيت شيطانا فهم  
اذا سمعوا نهيق الحمار ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون  
سجودهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جليل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من  
هؤلاء الذين يسمون الانبياء وقد صنف كتابا سماه فك الازرار عن أعناق  
الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم  
قد غلبتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لي قصة أعجبت منها مع  
شيخ منكم فاني تجليت له فقلت أنا الله لا اله الا أنا فسجد لي فتعجبت  
كيف سجد لي قال هذا الشيخ فقلت له ذاك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم  
تعرف قصده مارأي في الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحد لا يميز بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذاك الذي سجد  
لابليس لا يميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من  
الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم

ولهذا عاب ابن عربى نوحاً أول رسول بعث الى أهل الارض  
وهو الذى جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة  
وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين  
عاماً وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ما عبدوا الا الله  
وان خطاياهم خبط بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادته ينتقص  
الانبياء ويمدح الكفار كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وابراهيم وموسى  
وهرون وغيرهم ومدح عباد المعجل وتنقص هرون وافترى على موسى  
فقال وكان موسى أعلم بالامر من هرون لانه علم ما عبده أصحاب المعجل  
لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد الا اياه وما قضى الله بشئ الا وقع  
فكان عتب موسى أخاه هرون لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه  
فان العارف من يرى الحق في كل شئ بل يراه عين كل شئ فذكر  
عن موسى انه عتب على هرون أنه أنكر عليهم عبادة المعجل وانه لم  
يسع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شئ بل يراه  
عين كل شئ

وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهرون وعلى الله وعلى عباد  
المعجل فان الله أخرج عن موسى أنه أنكر المعجل انكاراً أعظم من انكار  
هرون وانه أخذ بلحية هرون لما لم يدعهـم ويتبع موسى لمعرفة



قال تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى! قال هم أولاء على أرى  
وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم  
السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم  
ربكم وعدا حينما أفضال عليكم المهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب  
من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك ملكنا ولكننا حملنا  
أوزارا من زينة القوم فقد فناها فكان لك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا  
جسده خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فذبحه أفلا يرون أن لا يرجع  
اليهم قولوا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل  
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى قالوا ان  
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ  
رايتهم صلوا ألا تتبعن أفصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا  
برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى  
قلت ليهض هؤلاء هذا الكلام الذى ذكره هذا عن موسى  
وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه قلت فاختر  
انفسك اما القرآن واما كلام ابن عربى وكذا قال عن نوح قال لو  
أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أي ذكر لهم فدعاهم جهارا  
ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو  
لانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الى الله فهذا عين المكر  
على بصيرة فنبه ان الامر كله لله فاجابوه مكرًا كما دعاهم فجاء الحمدي  
وعلم أن الدعوة الى الله ما هي من حيث هويته وانما هي من حيث

أسماءه فقال يوم نحشر المنتقمين الى الرحمن وفدا فجاء بحرف الغاية  
 وقرنها بالاسم فعرفنا ان العالم كان تحت حيطه اسم الهي اوجب عليهم  
 أن يكونوا متقنين فقالوا في مكرهم لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا  
 ولا سواعا ولا يغوث ويغوث ونسرا فاتهم اذا تركوهم جهلوا من  
 الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء فان لالحق في كل معبود وجهه يعرفه  
 من يعرفه ويجهله من يجهله كما قال في الحمديين وقضى ربك  
 أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أى حكم فالعارف يعرف من  
 عبد وفي أى صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالأعضاء  
 في الصورة المحسوسة وكالتقوي المعنوية في الصورة الروحانية فما عبد غير  
 الله في كل معبود

وهو دائما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال في هذه القصة مما  
 خطاياهم فهم الق خطت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وهى الحيرة  
 فادخلوا نارا في عين الماء في الحمديين واذا البحار سمجرت سمجرت  
 اننور أو قدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم  
 فهلكوا فيه الى الابد وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه بمعنى أمر  
 وأوجب وفرض وفي القراءة الاخرى ووصى ربك أن لا تعبدوا الا  
 اياه فجعل معناه انه قدر وشاء أن لا تعبدوا الا اياه وما قدره فهو كأن  
 تجعل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ما عبد غير الله قط وهذا من  
 أظهر القرينة على الله وعلى كنهه وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله  
 في غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو  
 مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا  
 أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال يا صاحبي السجن  
 أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتم يبدون من دونه الا  
 أسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا  
 لله أمر أن لا نعبدوا الا اياه ذاك الدين القيم ولكن أكثر الناس  
 لا يعلمون وقال تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا علي قوم  
 يعكفون علي أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آله قال  
 انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال  
 أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ  
 قال لانيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت  
 اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد  
 الشيطان ان الشيطان كان لارحمنا عصيا يا أبت اني أخف أن يمسك عذاب  
 من لرحمن فتكون للشيطان وليا قال أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم  
 لئن لم تنته لارجنك واحجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه  
 كان بى حفييا وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى  
 أن لا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله  
 وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وفضلنا  
 لهم لسان صدق عليا

فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله هؤلاء

المخدون يقولون ما عبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم وروا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحننا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هي لكل مفتر الى يوم القيامة أريد الله

والجهمية النفاة كلهم مفترين كما قال الامام أحمد بن حنبل انما بقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله فان القائمين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحللول أو يقول بالاتحاد وهوان الخالق أحمد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئان متباينان ثم أحمد أحدهما بالآخر كما بقوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت وهذا انما يقال في شيء معين وهؤلاء عندهم ماثم وجود لغيره حتى يتحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون ماثم غير ولا سوى ويقول السبعينية ليس الا الله بدل قول المسلمين لا اله الا الله ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لا يرون هذا فاذا كان ماثم غير ولا سوى فمن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب وعمما حجب فقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا بمحجوبين وأمرنا ان تكشف هؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم مئتم انسان ولا وجود ان كما حدثني الثقة انه قال لتعلمساني فعلى قولكم لا فرق بين امرأة الرجل وأمه وبنته قال نعم الجميع عندنا - واء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فقليل لهم فمن المخاطب لهم محجوبين أهوهم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم ما هم غير هؤلاء انتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أى يعنى واحد كلى وهذا الكلى لا يكون كليا الا في الذهن لافي الخارج فظنوا هذا الكلى ثابتا في الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلى مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلى فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه فحيوانية الحيوان وانسانية الانسان سواء قدرت معينة أو مطلقة هي صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن العيان على رأى من أثبت المثل الانلاطونية فنثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات ويدعى انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذى جعله مجردا هو مجرد في الذهن وليس في الخارج كلى مجرد واذا قدر ثبوت كلى مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحادثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لا يكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال فلا يوصف بأنه حي عالم قدير اذ ليس وصفه بذلك باولى من

وصفه بأنه عاجز جاهل ميت والخالق لا بد أن يكون حيا عابدا قديرا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الاعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق ولا يمكن جسد وجرد الاعيان المعينة ولكن الواحد من هؤلاء قد تغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه فيظن ان ما لم يشهده قد عدم في نفسه وفي وليس كذلك فان ما عدم وفي شهوده له وعلمه به ونظره اليه فالمعدوم الفاني صفة هذا الشخص والا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس علما بالمعدوم وعدم المشهود ليس شهودا لعدم ولكن هذه الحال يعترى كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لانها في نفسها فنية ومن قال فني ما لم يكن وفي ما لم يزل فالتحقيق اذا كان صادقا انه فني شهوده لما لم يكن وفي شهوده لما لم يزل لان ما لم يكن فني في نفسه فانه باق موجود واكن يتوهمون اذا لم يشهدوه انه قد عدم في نفسه ومن هنا دخات طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقبه الا الله ويفني ذكره وشهوده لما سواه فيتوهم أن الاشياء قد فئت وان نفسه فنية حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود هو الله

ومن هذا الباب غاط أبى يزيد ونحوه حيث قال ما فى الحجة الا الله وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالغناء عن ثلاثة أمور \* أحدها أنه يغنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبمحبة وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتاب وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله فقد فى من قلبه التأله لغير الله وقى فى قلبه تأله الله وحده وفى من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل على غير الله وبقي فى قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهذا الفناء يجمع البناء فيدخل القلب عن عبادة غير الله مع تحبلى القلب بعبادة الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم لم لرجل قل أسألت الله ونخلت وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله بالنفى مع الاثبات نفى الهية غيره مع اثبات الهية وحده فانه ليس فى الوجود له لا الله ليس فيه معبود يستحق العبادة الا الله فيجب أن يكون هذا ثابتاً فى القلب فلا يكون فى القلب من يأله القلب ويعبده الا الله وحده ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ويثبت فيه تأله الله وحده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعدوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالى عن الخليل عليه السلام واذ قال ابراهيم لآبيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سميع عليم وجملة ما كلفه فى عقبه لعلهم يرجعون وقال أفرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الا قدّمون فانهم عدوى للارباب العالمين



وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا اقومهم انا برآء منكهم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض ما خاطبته من شيوخ هؤلاء قول الحليل اننى برآء مما تعبدون ممن تبرأ الحليل تبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط والحليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكهم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول إبراهيم لابيهِ لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد وقد قال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد \* ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* وهذا تصديق قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالى فذليكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ما أريد به وجهه وقد قال سبحانه ولا يصعدنك عن آيات الله بما دأنت اليك

و ادع الربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر والا له هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد الا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والجمال بمعنى المراكب والمحمول وكان الصحابة يرتجزون في جفر الحندق يقولون

هذا الجمال لاحمال خبير \* هذا أبر ربنا وأظهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذى يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى لابراهيم انى جاءك للناس اماما قال ومن ذريقتى قال لا ينال عهدى الظالمين فعنده بالامامة لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتم به فى ظلمه ولا يركن اليه كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمن ائتم بمن لا يصلح للامامة فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله الها آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقد غلط) طائفة من أهل الكلام فظنوا ان الا له بمعنى الفاعل وجعلوا الألوية هى القدرة والربوبية فالاله هو القادر وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون \* فالذين يقولون بوحدة الوجود منازعون في أمور لكن امامهم ابن عربى يقول الاعيان ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها فلهذا قال فنحن جعلناه بمألوهيتنا الها فزعم ان المخلوقات جملة الرب الها لها حيث كانوا مألوهين ومعنى مألوهين عنده مربوبين وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة في العدم وفي كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يخصي فتعالى الله عما يقرب ظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شيء والمعدوم ليس بشيء في الخارج  
ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه وقديزه فيكون  
سببا في العلم والذكر والكتاب لافي الخارج كما قال انما أمره اذا أراد  
شيئا أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو  
الذي خلق خالق الانسان من علق وهو الاكرم الذي علم بالقلم علم  
الانسان ما لم يعلم ولو قدر أن الاله بمعنى الرب فهو الذي جعل الرب  
مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله  
ربا بل ربوبيته صفة وهو الذي خلق الربوب وجعله مربوبا وهو اذا  
أمر بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبلغ ربا  
سوى الله ولم يتخذ ربا - واه كما قال تعالى قل أغير الله أبني ربا وهو  
رب كل شيء وقال تعالى أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض  
وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي أمركم  
بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله  
غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ  
الها غيره قال تعالى فلا تجعل مع الله الها آخر فتكون من الماعزين وقال  
تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر فتعبد مذموسا مخذولا وقال ابراهيم  
لابيه آزر اتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين فال محبوب  
ليس باله في نفسه لكن عبده اتخذها الها وجعله الها وسماه الها وذلك كله  
باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفق ولا يقضى وغير الله  
لا يصلح أن يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه  
لا مانع لما أعطى ولا ممتطى لما منع ولا ينفع ذا الجبد منه الجبد ومن دعا من  
لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من  
سوى الله امانه لا يسمع دعاء الداعي أو يجمع ولكن لا يستجيب له فان  
غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم  
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم  
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن  
له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل  
قد يكون له شفاعاة اذ كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن  
لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن  
للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح  
من - واه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله  
الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

(فصل) وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم  
للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال  
بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدي بين الأدلة العقلية  
ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بمقولههم وهؤلاء المنفاسفة  
يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدالاته وانما خاطب خطابا جمهوريا  
ليصلح به العامة فبمقدور في الرب وانما اعتقادا فمعهم وان كان كذبا

وباطلا وحقيقة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما نخبر به لكن كذبا  
 لاصلاحه فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن أخبارهم مطابقة  
 للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا به والمتكلمون  
 الذين يقولون انهم لا يخبرون الا بصدق ولكن يسلكون في العقليات  
 غير طريقهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على لدلة العقلية  
 فكيف هؤلاء الملاحدة المغترين ولهذا لا يمتنون بالقرآن ولا تفسيره  
 ولا بالحديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شيئا فلاجل تعلق  
 الجمهور به ليمشوا بينهم بذكره لا لاعتمادهم ، وجبه في الباطن وهذا  
 بخلاف طوائف المتكلمين فانهم يمتنون القرآن في الجملة وتفسيره مع  
 ما فيهم من البدع \* ولهذا لما استولى انتشار على بغداد وكان الطوسي  
 منجما لهولا كو استولى على كتب الناس الوقف والملا فكان كتب  
 الاسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يدمها وأخذ كتب الطب  
 والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة وكان بعض  
 من أعرافه قارئنا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية  
 سخريه حتى يستخدم الجن وكان بعض الشياطين التي اليه ان هؤلاء  
 يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يا فلان عن قليل  
 يرى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبيعي والرياضي  
 والالهى ثم يرضيه فيقول والعربية أيضا والعربية انما احتاج المسلمون  
 اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا أعرض عن الاصل كان أهل العربية  
 بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطاب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع في الاسلام بعد مقتل سيدنا عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق على ومعاوية على التحكيم أنكرت الحوارج وقالوا لا حكم الا لله وفارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس واستحلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كلنا قتله فقاتلهم علي وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب أتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم وnbsp;انصاب السمرة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبي أن يكون ظالما فلم ينفذوا لحكم النبي ولا لحكم الأئمة بعده بل قالوا ان عثمان وعلياً ومن والاها قد حكموا بغير ما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفبرهم وتكفبر سائر أهل البدع مبني على مقدمتين باطلتين احدهما ان هذا يخالف القرآن والثانية ان من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئاً أو مذنباً معتقداً للوجوب والتحريم

وبازاتهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل شيء وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ما جاءت به الرسل فلا يعرجون لآعلى القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوماً وانتهى الامر الى الاتهام بامام معدوم لاحقيقة له فكانوا أضل من الحوارج فان أولئك يرجعون الى القرآن وهو حق وان غاطوا فيه وهو لا يرجعون

الى شئ بل الى ممدوم لاحقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ولهذا كانوا أكذب الطوائف والخوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث الشيعة من أكذب الحديث ولكن الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم والشيعة تختار هذا لكنهم عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لا تقتل الا تحت راية امام معصوم والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة والباطنية وغيرهم ولهذا وصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا في البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم كانوا يستترون بالتشيع أو صوابا بان يدخل على المسلمين من باب التشيع فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا في مواضع

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فحضر على كتاب الله ثم قال وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون اليهم فانحلت الخوارج كتاب الله وانحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير متبع لما انحله فان الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم ولهذا نأول سعد بن أبي وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد



الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة للجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل البيت فكثيرة جدا قد بسطت في مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية فكانت الحوارج تنكلم في حكم الله الشرعي أمره ونهيه وما يتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهي مسائل الاسماء والاحكام وسماها محكمة لخواصهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لاحكم الله قالوا هو محكم أى خائض في حكم الله خائض أولئك في شرع الله بالباطل وأما القدرية فخاضوا في قدره بالباطل وأصل ضالهم ظنهم ان القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يماظون الشرع والامر والنهي والوعد والوعيد واتباع ما يحبه الله ويرضاه ومجر ما يبغضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الحوارج ما أمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبا يغلّب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه أو ينفي بعضه وحزبا يغلّب القدر فينفي الشرع في الباطن أو ينفي حقيقته

ويقول لافرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الامر الجميع سواء وكذلك أولياؤه وأعداؤه وكذلك ما ذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكتمه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة بأمر بهذا وينهى عن مثله فوجدوا الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الصاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجميع وأنكروا أن يكون الله على كل شئ قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شئ علما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شئ وأن يكون ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعلا لما يشاء وأثبتوا الغير الله الانفراد بالاحداث وشركاء خلقوا خلقه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لا يمكن الايمان بأمره ونهيه الا مع تعجزه أو تجهيله وانه لا يمكن أن يوصف بالاحسان والكرام ان لم يجعل عاجزا والا لزم أن يكون بخيلا كما أن القدرية المجبرة قالوا لا يمكن أن يجعل عالما قادرا الابتسافه ونجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيتته وأوقدرته ومشيتته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس فى الاشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لو شاء الله ما أشركنا الآية وهؤلاء منهى توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيد الربوبية فاما توحيد الالهية المتضمن الامر والنهى ولكون الله يحب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه فهم ينكرونه ولهذا هم أكثر اتباعا لاهوائهم وأكثر شركا

ونجوزنا من المعثرة ومنهي متكلمهم وعبادهم نجوز عبادة الاصنام  
وان العارف لا يستحق حسنه ولا يستقبح سيئه كما ذكر ذلك  
صاحب منازل السائرين وأما عبادة الاصنام فباح بها متأخروهم كالرازي  
صنف فيها مصنفاً وابن عربي وابن سبعين وأما لها يصرحون بجواز  
عبادتها وبالنكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك فالقدريّة  
أصلهم انه لا يمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادراً لفعل عين  
ما فعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا يثبت حكمته كما يثبت  
حكمه لان في ذلك بوجوب السفه والظلم وهو منزّه عنه بخلاف ما لم يقدر  
عليه فانه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقال المجبرة بل قدرته ثابتة  
بالحكمة ولا يجوز أن يفعل الحكمة لان ذلك انما يكون لمن يحتاج الى  
الفعل وهو منزّه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم بل كل ما يمكن فعله فهو  
عدل وليس في الافعال ما هو حسن ينبغي الامر به وقبيح ينبغي النهي  
عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شيء وينهي عن كل شيء  
ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكليّة وأنكر النبوات مع أنه  
مضطر الى أن يأمر بشيء وينهي عن شيء فان هذا لازم لجميع الخلق  
لا يجدون عنه محيصاً لكن من اتبع الانبياء يأمر بما ينفعه وينفع غيره  
وينهي عما يضره ويضر غيره ومن خالف الانبياء فلا بد أن يأمر بما  
يضر وينهي عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان  
منهم مقرأ بالنبوة فأنكر الشرع في الباطن وقال العارف لا يستحسن  
حسنه ولا يستقبح سيئه فصار منافقاً يظهر خلاف ما يبطن ويقول

الشرع لاجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سمو الملاحدة باطنية  
فان كلاهما يبطن خلاف ما يظهر ببطون تعطيل ما جاء به الرسول من  
الامر والنهي

فتمت الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما منافقون  
فيبطنون الشرك ولهذا يبطنون بالله ظن السوء وأنه لا ينصر محمداً وأتباعه  
كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين  
بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم  
وساءت مصير اوهم يقولون بقوله لا يئمل عما يفعل وأنه يفعل ما يشاء  
ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثير في عبادهم وعلمائهم  
من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الاسلام اما باطنياً  
وظاهراً واما باطنياً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا  
يحتجون لمن هو معظم للرسول عما يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من  
الشرك والخروج عن الشريعة والالام المشركين وأهل الكتاب والدخول  
في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتهم شياطينهم  
بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور وان الرسول أمر بقتال المسلمين  
مع الكفار ليكون المسلمين قد عصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل  
الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين برجال الغيب وان لهم خوارق  
يقتضي أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب حزب  
يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس وثبت ذلك عن عاينهم أو  
حدته الثقة بما رأوه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وحزب عرفوهم ورجعوا الى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً الى الله غير طريقة الانبياء وحزب مآمكهم أن يجعلوا أولياء الله خارجاً عن دائرة الرسول فقالوا يكون الرسول هو ممدلاً لثقتين هؤلاء وهؤلاء فهم هؤلاء معظومون للرسول جاهلون بدينه وشرعه والذين تباهم بجوزون لاتباع دين غير دينه وطريق غير طريقه

وكانت هذه الافوال الثلاثة بدمشق لما فتحت عكة ثم تبين بعد ذلك ان هؤلاء من اتباع الشياطين وان رجل الغيب هم الجن وان الذين مع الكفار شياطين وان من وافقهم من الانس فهو من جنهم شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً

وكان سبب الضلال عدم الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسعون بين المخلوقات فلا يفرقون بين المحبوب والمسخوط ثم أنه بعد ذلك جرت أمور يطول وصفها ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخرى فظهر أن اليونانية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفاراً مع الكفار

وحضر عندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الاسلام وحدثني بفصول كثيرة فقلت له لما ذكر لي احتجاجهم بما جاءهم من أمر الرسول فذهب ان المسلمين كاهل بغداد كانوا قد عصوا وكان في بغداد بضعة عشر بنى فالجيش الكفار المشركون الذين جاؤا كانوا شرأ من

هؤلاء فان هؤلاء كن يزنين اختياراً فأخذ أولئك المشركون عثرات  
 ألوف من حرائر المسلمين وسراريهم بغير اختيارهم وردوهم عن الاسلام  
 الي الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصنام ودين الصاري وتعظيم  
 الصليب حتي بقى المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل البكتاب مع  
 تضايف ما كان بفعل من المعاصي فهل يأمر محمد صلي الله عليه وسلم  
 بهذا وبرضى بهذا فتبين له وقال لا والله وأخبرني عن ردة من ارتد  
 من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة  
 في الباطن وتعذبهم ان لم يرتدوا

فقلت كال هذا اضعف ايمانهم وتوحيدهم ولمادة التي يشهدونها  
 من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين  
 وهذا وأمثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين بل انهم رجال من رجال  
 الغيب الانس وكلهم الله بتصرف الامر

فبينت لهم ان رجال اقيب هم الجن كما قال تعالي وأنه كان رجال  
 من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ومن ظن أنهم من  
 انس فمن جهله وغلطه فان الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون انما  
 يحتجب الانس أحيانا لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الانس بخلاف  
 الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وكان غير  
 هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هو لا كو  
 ملك المشركين لما دخل بغداد رأي ابن السكران شيخاً مخلوق الرأس  
 على صورة شيخ من مشايخ لدين والطريق آخذاً بفرس هو لا كو قال

فلما رأيت أنه أنكرت هذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين  
يقود فرس ملك المشركين لقتل المسلمين فقلت يا هذا أوكلة نحو هذا  
فقال تأمر بأمر أو قال له هل يفعل هذا بأمر أو فعات هذا بأمر فقلت  
نعم بأمر فسكت ابن السكران وأقنعه هذا الجواب وكان هذا القلة علمه  
بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما يؤمر به الشيوخ  
في قلوبهم هو من الله وإن قال - مدتي قلمي عن ربي فإن الله هو  
يناجيه ومن قال أخذتم علمكم متباعن ميت وأخذنا علمنا عن الحي  
الذي لا يموت هو كذلك وهذا أضل من ادعى الاستغناء عن الأنبياء  
وأنه لا يحتاج إلي واسطهم

وجواب هذا أن يقال له بأمر من تأمر فإن قال بأمر الله قيل بأمر  
الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم بأمر وقع في قلبك فإن  
قال بالاول ظهر كذبه فإنه ليس في أمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار  
المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبهم وأخذ أموالهم لأجل  
ذنوب فعلوها ويجعل الدار تعبد بها الاوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويقتل  
قراء القرآن وأهل العلم بالشرع ويعظم النجسية علماء المشركين وقساوسة  
النصارى وأمثال ذلك فإن هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم  
وهو من جنس مشركي العرب الذين قتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من  
عصاة أمته وإن كان فيهم منافقون كثيرون فلما نقون يبطنون نفاقهم وإن  
قال بأمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحمني ولم  
لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا وقد علمت أن ما يقع في قلوب



المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان فإن رجع الى توحيد الربوبية وان الجميع بمشيئته قيل له فحينئذ يكون ما يفعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالامر ولا ريب انه بالامر الكونى القدرى لجميع الخلق داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الامر لا بالامر الرسول فانما يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله فى الدنيا والآخرة وهو عابد لغير الله منبع لهواه وهو بمن قال الله فيه لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ومن قال فيه هم الشيطان فبعزت لك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عاينها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لا يأمر الله به كما لا يأمر بالفحشاء فان هذا من أخش الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل ما يعظم قبحه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة فى الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ يعلبك الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه خفير الفرنج انصارى راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه ويقول يا شيخ عثمان وكنت بحفظ خنازيرهم فيعذره عثمان وأتباعه في

ذلك ويرون ان الله أمره بهذا كما أمر الخضر أن يفعل ما فعل كما عذر  
ابن السكران وأمثاله لخرقاء المشركين التثار

والجواب لهذا كالجواب لذلك يقال له وكلك الله تعالى بهذا أنزل  
علي اسان نبية الدين أمر أن يوالى المسلمين وأن لا يتخذ اليهود وانصارى  
أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن  
تتوكل بحفظ خنازيرهم فان قال هذا ظهر كذبه ون قال بل هو أمر  
ألقى فى قلبي لم يكذب وقبل له فهذا من أمر الشيطان لامن أمر الرحمن  
الذى أنزل به كتيبه وأرسل به رسله وليكنه من الامر الذى كونه وقدره  
كشرك المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من يظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين  
وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة  
الموكلة بيدى آدم المعربات

فقات اشيوخ كان من شيوخهم محمد أرسل الى الثقلين الانس والجن  
ولم يرسل الى الملائكة فكل انسى أو حتى خرج عن الايمان به فهو  
عدو لله لاولى لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لا يماونون الكفار على المعاصى ولا على قتال  
المسلمين وانما يماونوهم على ذلك الشياطين ولكن الملائكة قد تكون  
موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان ذلك ليس بمعصية فهذا الجواب  
بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لامن جنس الملائكة وكان

هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدي نسبة الى شيطان كان يقربه يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من الانس من رجال الغيب

وحدثني الثقة عنه انه كان يقول الانبياء ضيعوا الطريق ولعمري لقد ضيعوا طريق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ الذين يحبون المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار و يظنون أنهم من أولياء الله اشتروا بهم وهم في أصل ضلالة وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهؤلاء وهؤلاء عشوا عن ذكر الرحمن الذي أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذي أوحاه الله الى نبيه الذي جعله الله نورا يهدي به من يشاء من عباده وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجعلون الله يحب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه بل يجعلون كل ما قدره وقضاه فانه يحبه وبرضاه فبقي جميع الامور عندهم سواء وانما يتميز بنوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له اما اتباعا له واما موافقة له ومحبة واما ان يساموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الايمان ما يعرفون به المعروف وينكرون به المتكفر في هذا

## الموضع

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإلم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي رواية لمسلم من جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وميت الاحياء الذين لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم ان الفتنة تعرض على القلوب كعرض الصبر عودا عودا فايما قلب أنكره انككت فيه نكته ييضاء وأيما قلب أشربها نككت فيه نكته سوداء حتى تبقى القلوب على قلوبين قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة مادامت السماء والارض وقلب أسود مر باد لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما أشرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدتهم لا بالامر والنهي منتهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لاسيما اذا كانت حقيقةهم هي قول الجهمية المجبرة فأروا أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة ولم يميز بعضها عن بعض فان الله يحب هذا ويرضاه وهذا يغيظه ويسخطه فان الله يحب المعروف ويبغض المنكر فاذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سود فساد قلوبهم فيكون المعروف مایهوونه ويحبونه ويمجدونه ويذوقونه ويكون المنكر مایهوون بغضه وتنفر عنه قلوبهم كالشركين الذين كانوا عن

التذكرة معرضين كأنهم حرم مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الأسد ولهذا يوصفون بأنهم إذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ إبراهيم بن عاصد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونانية والاحمدية يا خنازير يا أبناء الخنازير ما أرى لله ورسوله عندكم راحة بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفاً منشرة كل منهم يريد أن يحدثه قلبه عن ربه فيأخذ عن الله بلا واسطة الرسول وإذا جاءتهم آية قالوا إن نؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين لا رسل ومنهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ما عندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الامر والنافية تنفي القدرة العاوة والمشيئة التامة وزعم انها تثبت

الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمة والعدل والمشية والقدرة كما قد بسط في مواضع وأولئك يملقون بقوله لا يسأل عما يفعل والله يفعل ما يشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرة لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه ان يفعل ما يشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضه إذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل ما يشاء بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فان الله لا مكره له ولكن ليعزم المسئلة وذلك انه انما يقال اقبل كذا ان شئت ان قد يفعله مكرها فيفعل مالا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لا مكره له الا بفعل الا ما يشاء فقلوه تعالى ان الله يفعل ما يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على ما يشاء وهذا رد لقول القدورية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ كل ما كان بل لا يشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الآيات التي تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي تحتج بها النفاة التي تدل على أنه حكم عادل لا يظلم بمقال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك يدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه ما يدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ما تحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يمارون في القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكانما فقي في وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم الى هذا دئيم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد في بعض مناظرته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهيت عن هذا

فمن دفع انصوفاً يحتاج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتاج صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حل أهل الاهواء هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الاقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به \* وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم ألم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هي الاصول العقلية كالقدرة المجبرة



والنفاة فكلاهما يجمع ما أحدثوه من الكلام في الاصول وهو الذي يسمونه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع فالمعتزلة يجمعون العقليات هي الخبريات والامريات جميعا قالوا احبات الشرية لكن يقولون أيضا ان الشرع أوجبها ولكن لهم فيها تخايط ليس هذا موضعه وكذلك ما ابتدعوه في الخبريات كاثبات حدوث العلم بطريقة الاعراض واستلزامها للاجسام وهم ينفون الصفات والقدر و يسمون ذلك التوحيد والعدل

وجهم بن صفوان وأتباعه هم أعظم نفيا منهم فانهم ينفون الاسماء مع الصفات وهم رؤس المجبرة والاشعرية وافقهم في الجبر لكن نازعوه نزاعا لطيفا في اثبات الكسب والقدرة عليه وهم يرون أن هذه الاصول العقلية وهي العلم بما يجب للرب ويتمتع عليه وما يجوز عليه من الافعال هي أعظم العلوم وأشرفها وانهم برزوا بها على الصحابة وان النبي لم يعلمها الصحابة اما لكونه وكلها الى استنباط الامنة واما لكون الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد واما لكونه قال لهم في ذلك ما لم يبلغوه ولم يشغلهم بالدلة لا تتغالهم بالجهاد

وهذه هي الاصول العقلية التي يعتمدون عليها هم ومن يوفقهم كاقاضى أبي يعلى وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي تبعا للاقاضى أبي بكر وأمثاله وهو وأتباعه يناقضون عبد الحيار وأمثاله كما ناقض الاشعري وأمثاله أباعلى وأبا القاسم

وكل الاصول العقلية التي ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة في العقل

والشرع وان كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها أعظم الدين  
ويقدمونها على الأصول الشرعية فانهم في ذلك بمنزلة ما يعظمه العباد  
والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية ويقضونها على  
العبادات الشرعية والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك  
كلها باطلة وان كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا انها  
الصوفي ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء الموله وكذلك صاحب منازل  
الساثرين يذكر في كل باب ثلاث درجات فالاولى وهي أهونها عندهم  
توافق الشرع في الظاهر والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق والثالثة  
في الاغلب تخالف لاسيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا  
الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد  
يفضل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ومحبته وسلم تسليماً كثيراً والحمد

لله رب العالمين

( تمت الرسالة الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية )

( ويلها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً )

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الامام العالم تقي الدين أوحيد المجتهدين أحمد بن تيمية  
قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق متأخراً  
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور  
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا  
هادي له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً  
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين  
أصوله وفروعه، باطنه وظاهره علمه وعمله) فان هذا الاصل هو أصل  
أصول العلم والايمان وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الاصل كان أدنى  
بالحق علماً وعملاً ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملاً كالقرامطة  
والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية  
والكلية وإنما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون  
خاصة النبوة هي التخييل ويعلمون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور  
لأعند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل بشر بن  
فالك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يمتدحون بأن الرسول علم  
الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون  
التخييل في خطابه لافي علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون  
يمتدحون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لا يمكن معرفته  
من كلامهم بل يعرف بطريق آخر اما المأقول عند طائفة واما المكاشفة  
عند طائفة اما قياس فلا في واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يتوض واما أن يؤول وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتي انحلوا وان الحق بين جحود الخبايا وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خبار الفلاسفة وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا في نظير مافر وامنه نسبوه الى التلييس والتعمية واضلال الحق بل الى أن يظهر الاطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخيل وقال انه خطاب الجمهور بما يخفى اليهم مع علمه أن الحق في نفس الامر ليس كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلييس والاضلال والذين أقروا بأنهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم ولايمان فمتفقون على أن الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بأنهم أعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدوقون عاموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ما عملوا

من الخير والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصاحبة الخلق كما يحكي عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لا يفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافل كل منهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب لعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصاحبة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون لا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكنتوا عن بيانه لكان أقل الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعارض التي يعنى بها استكلام معنى صحيحاً لكن لا يفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أقل الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذباً في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهي معاريض لقوله عن سارة انها اختى اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهي (١) وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما أخبروا به عن الغيب كذب من المعارض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

(١) ذكر احدي الثلاث والثانية قوله اني سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا

دون التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم ما يدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الامراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

وبين ان أصول الدين الحق الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهي الأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون انبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالأدلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وان كان لا يحتاج اليها فان كثيراً من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الأدلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقتين السمعى والعقلى

وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحدیث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهداهم الى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا

حزب يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم - لم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الى ما هو الاصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثاني عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتباً قدموا فيها ما يدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحة بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالاته فلا يذكرون ما فيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سمو كتبهم أصول السنة والشرعية ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد اتقر فلا يحتاج أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولاً تخالف ما قاله الرسول والطائفتان يلحقهما الملام لكونهما أعرضتا عن الاصول التي بينها الله بكتابه فانها اصول الدين وأداته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهما العداوة كما قال الله تعالى فتنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم



## العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

وحزب ثالث قد عرف تفریط هؤلاء وتمدى أولئك وبدعهم فذمهم  
 وذم طالب العلم الذكى الذى اشدت نفسه الى معرفة الادلة والخروج  
 عن التقايد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها  
 ونحو ذلك بما يقتضى ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل  
 لا تبين دلالة على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه  
 بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التى ذكرها الله فى القرآن التى تبين أن ما جاء  
 به الرسول حق ويخرج الذكى بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة  
 والجهل فهؤلاء أضل بفرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات  
 الله التى بينها بكتابها كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخملوقة قال  
 الله تعالى وكم من آية فى السموات والارض يمسرون عليها وهم عنها  
 معرضون وقال تعالى وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون  
 وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا  
 بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون  
 وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب  
 وقال تعالى ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى  
 وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم  
 لا تعلمون بالبينات والزبر الآية وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من  
 قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم  
 بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لسطه مواضع أخر

والمقصود ان هؤلاء الفالطين الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لا يذكرون النظر والدليل والعلم الذي جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك وامتلكونهم يمتدحون بأن في القرآن من الأدلة العقلية الدالة على أصول الدين ما فيه لكنهم يسلكون طرقاً أخرى كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غلط والمتنلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الاقناعية التي تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني وهم أبعد عن البرهان في الالهيات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالهيات والكليات ولكن لمتنلسفة في الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلوم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم وجل غث على رأس جبل وعمر لا سهل فيرتقى ولا سدين فيبقي وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات لينات وهي الدلائل اليقينية وقد قال الله تعالى لرسوله أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن والمتنلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقول

التي خافهم وقصدتدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به  
وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه  
فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب  
من الباطل والوعظ أمر ونهى بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم  
فعلوا ما يوعدون به وقال تعالى بعضكم الله ان تعودوا لمثله أبدا فالعدوة  
بهذين الطرفين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بانتي هي أحسن  
والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل ويستفهم عن  
المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب  
بالحق ولا اعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله أم خلقوا من غير شيء أم  
هم الخالقون وقوله أفعيننا بالخلق الاول بل هم في ابس من خلق جديد  
وقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم  
وقوله أبحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى بمعنى نعم كان  
علقة تخلق فسوي فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك  
بقادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن  
الخالقون وقوله وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه أولم تأتاهم بينة ما في الصحف  
الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقوله أولم  
يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألم نجعل له عينين ولسانا  
وشفتين وهدينا للنجدتين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير  
المنضم اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب  
فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يعلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدلائل على صحتها كقوله وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدي للناس يحملونه قراطيس تبديونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من نكروها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ يبدونها كابن كثير وأبي عمرو وجعلوا قوله وعلمتم ما لم تعلموا واحتجوا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ما قد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الأكثرين بالتاء هو خطاب لأهل الكتاب وقوله علمتم ما لم تعلموا بيان لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء ما لم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما صرفوه من أخبار الانبياء وما لم يعرفوه

وفد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار انها من الله وابتاعت عصاه الجبل والعصى التي أتى بها

السحرة بعد ان جأؤا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا  
الناس ثم لما ظهر الحق وانقابوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين  
رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمنتم به قبل أن آذن ليكم انه  
لكبيركم الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف  
ولا صابنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا ان نؤثرك  
على ما جاءنا من البينات من الدلائل البينات اليقينية القطعية وعلى الذي فطرنا  
وهو خالقنا وربنا الذي لا بد لنا منه ان نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية  
وعلى خالق البرية فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آما  
بربنا ابغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقي

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة موضع من القرآن يبين في كل  
موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى  
الله ورسوله وكنابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه  
الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء  
النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفي  
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس  
في الاسم الآخر وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك  
القرآن اذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور  
ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك  
أسماء الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهتمن العزيز  
الحبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الاسماء المفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخرى وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتهما متعددة ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الآخر

وليس في القرآن تكرار أصلا وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلولم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض وأن يلقيا الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج افنصر علي هذا الجواب في قوله مثنى لما قيل لم ثبت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هي التويع والتجنيس وهي استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبندعون والملحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدت ما تشفى عيلا

ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات  
اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي لبس  
كمنه شيء ولا يحبطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي صرف  
مثل معرفتي

والخير والسعادة والكمال والصالح منحصر في نوعين في العلم  
النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى  
ودين الحق كما قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم  
واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والابصار فذكر النوعين قال الوالي  
عن ابن عباس يقول أولو القوة في العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن  
سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقناة  
وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه في  
الدين وقال مجاهد الابصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن جبير  
قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراساني أولى الأيدي  
والابصار قال أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجاهد  
وروى عن قناة قال أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين

وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان  
والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل  
الصالح هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم  
والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه



ورسله واليوم الآخر وغير ذلك قاله - لم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بأمر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثاني أن يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمننا قالت الاصراب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تمضل هذين النوعين لكن الذي جاء به الرسول هو أفضل ما فيهما كما قال ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر تارة سورة الاخلاص وقل يأياها الكافرون ففي قل يأياها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام وفي قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولي وذلك هو التوحيد العلمي

وكان تارة يقرأ فيهما في الاولى بقوله في البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفي الثانية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال أبو العالية في قوله فللمسلمين أجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجيبت المرسلين

فالأول تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والثاني تحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله

والمصوفية بنوا أمرهم على الإرادة ولا بد منها لكن بشرط أن تكون إرادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولا بد منه لكن بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الأدلة التي دل بها الرسول هي آيات الله ولا بد من هذا وهذا

ومن طلب علما بلا إرادة أو إرادة بلا علم فهو ضال ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال بل كمن قال من السلف الدين والإيمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الأعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد يتكلمون في قصد الإنسان وإرادته وأهل النظر والكلام وأهل العقائد من أهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والعرفة والتصديق الذي هو أصل الإرادة ويقولون العبادة لا بد فيها من القصد والقصد لا يصح إلا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلا بد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وإنما القصد والإرادة لنافعة هو إرادة عبادة الله وحده وهو إنما يعبد بما شرع لا بالبدع وعلى هذين الأصلين يدور دين الإسلام على أن يعبد الله وحده وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن يعرف ما أخبر به الرسول ويعرف أن ما أخبر به حق أما لعلمنا  
بأنه لا يقول إلا حقاً وهذا تصديق عام وأما لعلمنا بأن ذلك الخبر حق  
بما أظهر الله من آيات صدقه فإنه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس  
آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق

( فصل ) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقهاء  
فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فمأمر الله به أو نهي عنه أو  
حلله أو حرمه إلا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم  
دينكم وقال تعالى ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه  
وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك  
الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى  
كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل  
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله  
لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزينا لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم  
ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا  
فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه  
الكتاب إلا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب  
مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه  
من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب وقال  
تعالى وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون  
قد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال وقد فصل لكم ما حرم

عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله أو الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل منكرة في سياق الشرط فاي شئ تنازعوا فيه ردوه الى الله والرسول ولولم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنازع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمية الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وامر ازواج نبيه بذلك ذلك فقال واذا كن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فآيات الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على انه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كالك وغيره هي معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المأمور والمحذور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه في الكتب التي يذكر فيها هذا الآثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد فيما يصفونه في السنة مثل ابن بطوة واللائلكاى والطلمسجى وقبلهم المصنفون في السنة كاصحاب احمد ومثل عبد الله والاثرم وحرب

الكرمانى وغيرهم ومثل الحلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وايمان بجميع أمور الدين وأما اجماع الأمة فهو في نفسه حق لا يجتمع الأمة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسوله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفه ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهى الامثال المضروبة ما بينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق للنص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما أنزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الأمة فهو حق لا يجتمع الأمة ولله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك فى الكتاب والسنة فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك فى قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين فى قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الأمة فى الدين بما هو ضلال لمكانت لم تأمر بالمعروف فى ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الخيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فأنشأ عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بجنازة فأنشأ عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت قال هذه الجنازة أنشئتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أنشئتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الأرض

فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فإذا شهدوا إن الله أمر بشيء فقد أمر به وإذا شهدوا أن الله نهي عن شيء فقد نهي عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الأرض بل زكاهم الله في شهادتهم كما زكى الأنبياء فيما يبالغون عنه أنهم لا يقولون عايناه إلا الحق وكذلك الأمة لا تشهد على الله إلا بالحق وقال تعالى واتبع سبيل من أناب إلى والامة منيئة إلى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فرضى عن اتباع السابقين إلى يوم القيامة فدل على أن متابعتهم عامل بما يرضى الله والله لا يرضى إلا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأنرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر من بعده سننا  
الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله ومعوثة على دين  
الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع  
غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ماتولى وأصله جهنم وساءت مصيرا  
والشافعي رضى الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه  
الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن  
عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق  
للعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى مستحق للعيد  
ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرد فلو لم يكن الوصف  
الآخر يدخل في ذلك لكان لفائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثة أقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين هو بمجرد  
مخالفة الرسول المذكورة في الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم  
فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع غير سبيل  
المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآية لكن هذا لا يقتضى مفارقة  
الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو في  
نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل  
المؤمنين وهذا كما في طاعة الله والرسول فان طاعة الله واجبة وطاعة  
الرسول واجبة وكل واحد من معصية الله ومعصية الرسول موجب  
للذم وهما متلازمان فانه من بطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث  
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله



ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى  
 أميري فقد عصاني وقال إنما الطاعة في المعروف يعني إذا أمر أميري  
 بالمعروف فطاعة، من طاعني وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فإن الرسول  
 يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل  
 ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد  
 عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لأن كل رسول  
 يصدق الآخر ويقول انه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب  
 رسولا فقد كذب الذي صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته  
 ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي  
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا معاشر الانبياء ديننا واحد  
 وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ولذي أوحينا إليك  
 وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه  
 وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون  
 عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم  
 بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى فاقم وجهك للدين  
 حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين  
 القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين البه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا  
 تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما  
 لديهم فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير  
 موضع وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به

في ذلك اوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذلك واستقبال  
 بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة  
 صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين  
 الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا  
 طاعة الله واتبعوا ديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ  
 وهكذا كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لا يتبع الا ديناً مبدلاً  
 أو منسوخاً بكل ما خالف ما جاء به الرسول اذ أن يكون ذلك قد كان مشروعاً  
 لنبي ثم نسخ على لسار محمد واما أن لا يكون شرع قط فهذا كالأديان التي  
 شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم  
 من الدين ما لم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم  
 ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل  
 نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول  
 ضرورا ولو شئ ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة  
 اذا قال أحدهم براه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ  
 فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود  
 وروى عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول  
 موافقاً لقول الرسول أولا يكون واما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما  
 أن لا يكون فهذا الثالث المبدل كالأديان المشركين والنجوس وما كان شرعاً  
 لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت ونحر يوم كل ذي ظفر  
 وشحم الثرب والكائتين فان اتخاذ السبت عيداً ونحر يوم هذه الطيأت

قد كان شرعا نوحى ثم نسخ لى قد قال المسيح ولا حبل لكم بعض  
الذى حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما  
في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذى يجدونه مكتوبا عندهم في  
النوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم  
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت  
عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه  
أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط  
كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن  
آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه  
أنه لا اله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن  
كالسائبه والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر  
الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على  
الله وذكر تعالى ما حرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام  
قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة  
فقال أودما مـ فو حـ أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن  
اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا  
كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت  
ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيتهم وانا اصادقون  
وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا مقصنا عليك من قبل

فبين ان ماحرمه المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما اللذان جاء بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسى امة موراخرة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وقالت الجن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة ابن نوفل ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجنا من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي فالقرآن والتوراة هما كتابان جاء من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستنقل والذي فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لا شريك له ففيه التوحيد قولاً وعملاً كما في سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون قل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع اشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع ما فيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستنقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة

لا توجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخ الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر والانبيا كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لا يجوز أن يكذب نبي نيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته \* ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا \* وقال تعالى أفئذ منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون

ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم انهم لم يعلموا الحق أو لم يدينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذا لاغلال في أعنتهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوليد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب ببعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافر بن حقا وكثير من لا يكذب الرسل تكذيب صريحاً من الفلاسفة والباطنية وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضاهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أو انهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أو ان النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعّال من جنس ما يراه النائم ولا يقر بملائكة مفضلين ولا بالجر ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض بما أوتوه دون بعض لا يقرون بجميع ما أوتيه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شراً من اليهود والنصارى الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذي أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وأكثراذ كان هؤلاء يقولون بأن الله خالق السموات والارض في ستة أيام ويقرون بقيام القيامة ويقولون بأنه تجب عبادته وحده لا شريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وانما يقولون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين إلى الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من التناقى بحسب ما فيهم من الكفر والتناقى يتبع بعض والكفر يتبع بعض ويزيد وينقص كما ان الإيمان يتبع بعض ويزيد وينقص قال الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر وقال واذا ما نزلت سورة فهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون \* وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا \* وقال ويزيد كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا \* وقال ويزيد الله الذين هتدوا هدى \* وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا \* وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على أهل الكتاب الا ما يقولون انه يعلم بالعقل مثل تليث النصارى ومثلي تكذيب محمد



ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ما خالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ما خالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم ديناً بما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالأعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو أصول الدين ولو كان ماقالوه حقاً لكان ذلك جزءاً من الدين فكيف ان كان باطلاً

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح فخاطبهم في مقامين أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطابهم في تكذيبهم من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله واقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غاف بل طبع الله عليها بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما هم فيهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الى أن ذكر أنهم أعرضوا عن كتاب الله مطامقاً واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول

من عند الله مصدق لما معهم بنذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا مآمتلو الشياطين على ملك سليمان الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى نذمهم على الغلو والشرك الذي ابتدئوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانة التي ابتدئوها ولا نحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدئوها وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذي يمدح صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فاتته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا له ان تدخل في ديننا حتي تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى حق تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات فالعلما لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتي تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود يوجدون أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة زيادة في الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وان كان النصارى أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر  
المهتدين ولعنوا وطرّدوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة  
فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح  
في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر  
الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل  
عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد  
يفعل بعض ما امر به فيكون له أجر على اجتاده وخطؤه الذي ضل  
فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدى السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة  
ولم يعلموا انه بدعة اما لاحاديث ضمنية ظنوها صحيحة وأما لآيات  
فهموا منها ما لم يرد منها واما لرأى رأوه وفي المسئلة اصوص لم تبلغهم  
واذا اتى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لا تؤاخذنا  
ان نسئنا أو أخطأنا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له  
موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان  
الاجماع اجماع الامة حق فانها لا تجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح  
حق يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق  
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى

ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها من جميع  
الاصرين وهذا لانزاع فيه أو لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا  
مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه أو أن سبيل المؤمنين  
هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول  
من يقول لاتدل على محل انزاع وآخرون يقولون بل تدل على وجوب  
اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا ذلك ما تكلفوه كما قد صرف من كلامهم ولم  
يحييوا عن أسئلة أوامرك باجوبة شافية

والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين  
وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد  
ما تبين له الهدى وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن  
لاتنفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول حينئذ يقول الذم اما  
أن يكون لاحقا لمشاقة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو  
أن يكون الذم لا يلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا أو يالحق الذم  
بكل منهما وان انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر  
والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر  
ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لا يلحق بواحد منهما باطل قطعاً فان  
مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عن أتبعه ولحق الذم  
بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاتدل عليه الآية فان الوعيد فيها انما  
هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي  
الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

ومخالفة القرآن والاسلام فيقال من خالف القرآن والاسلام أو من  
خرج عن القرآن والاسلام فهو من أهل النار ومثله قوله ومن يكفر  
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان  
الكفر بكل من هذه الاسول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر  
بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ  
كذب رسوله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب  
والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق  
بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما  
مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا  
الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل  
فقطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين أنه باطل اذ لو بينه  
زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاقرة الرسول واتباع غير سبيل  
المؤمنين من شقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظهري ومن اتبع غير  
سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه  
وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا  
والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقرة الرسول قلنا  
لانها متلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا  
عن الرسول فالتخالف لهم مخالف للرسول كما أن التخالف للرسول  
مخالف لله ولكن هذا ينفى ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا  
هو الصواب

فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة في القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمها فان ما دل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسألة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لاسيما قریش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان أصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والمير التي كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيرهما فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراءه فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبو موسى بمال أقرضه لابنيه وانجرا فيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خضهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعل له مضاربا

لجعله مضاربة وانما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والمهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والجزارة وعلى مذاق المسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفة يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لانشرط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل الاخبار لكن استقر أننا موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتاج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون في المسئلة نص خاص وقد استدلل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات الاحمال أجلهن أن يضمن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء القصري نزلت بعد الطولي أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضمن حملهن يقتضى انحصار الاجل في ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بابعاد الاجلين لم يكن أجابها أن تضع حملها وعلى وابن عباس وغيرهما أدخلوها في عموم الآيتين وجاء النص الخاص في قصة سبيعة الاسلمية بما يوافق قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفق ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت



واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه على وزيد وغيرها فقالوا لامهر لها  
فتبت ان بعض المجتهدين قديفتى بعموم أو قياس ويكون في الحادثة  
نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا تعلم مسألة واحدة اتفقوا على انه لانص  
فيها بل عامة متنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئك يحتجوا  
بنص كالمتم في عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والاخرين  
قالوا انما يدخل في آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما  
ان آية القروء في غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا في الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم  
ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض  
الله لكم تحلة أيمانكم

وكذلك لما تنازعوا في المبتوتة هل لها نفقة أو سكتى احتج هؤلاء  
بمحدث فاطمه وبان السكتى التي في القرآن للرجعية وأولئك قالوا بل هي  
لها ودلالات النصوص قد تكون خفية فخص الله بفهمهن بعض  
الناس كما قال على الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه

وقد يكون النص بينا وبذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين  
في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال  
الحاضر مادري عبد الله ما يقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم في هذا  
لاوشك أحدهم اذا وجد المرء البردان يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة  
بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هي الرجعية بدليل قوله لا تدري  
لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأى أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأنموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الآية من منع الفسخ وآخرون يقولون إنما أمر بالاتمام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة إلى غير حج فلم يتمها أما إذا فسخها ليحج من عامه فهذا قد أتى بما تم مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع

وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه

وأما مسألة مجردة انفقوا على أنه لا يستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا ما لا أعرفه

والجد لما قال أكثرهم أنه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما أخرج أبويكم من الجنة وقال ابن عباس لو كانت الجن تظن أن الانس تسمى أباالاب جدا لما قالت وأنه تعالى جد ربنا نقول إنما هو أب لكن أب أبعد من أب

وقد روى عن علي وزيد أنهما احتجا بقياس فن ادعى اجماعهم على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعى أن من المسائل ما لم يتكلم فيها أحد منهم إلا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم فن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لاتتناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو  
ضعف أحدها على بعض العلماء.

ولاصحابه فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم  
معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين  
فانهم شهدوا التنزيل وعينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله  
وأحواله ما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين  
لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أو قياس

ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد  
أخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك وهذا  
كقوله ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الى القياس لعدم دلالة النصوص  
عليها فانما هذا قول من لا معرفة له بالكتاب والسنة ودلالاتهما على الاحكام  
وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه انه ما من مسألة الا وقد تكلم  
فيها الصحابة أو في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت  
جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم  
بالرأى في مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتج به عامةم ولا يحتاجون  
اليه اذ هم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر  
الى شريح اقض بما في كتاب الله فان لم تجز فيما في سنة رسول الله فان لم  
تجد فيما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فيما أجمع عليه الناس وعمر  
قال قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ما قال عمر  
قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتى بما في

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من أشهر الصحابة لفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولاً في الاجماع فان وجده لم يلتفت الي غيره وان وجد نصاً خالاه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع نسخ

والصواب طريقة الساف وذلك لان الاجماع اذا خالاه نص فلا بد أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذاك منسوخ فاما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المذوخ فهذا لا يوجد قط وهو نسبة الامة الي حفظ مانهيت عن اتباعه واضاعة ما أمرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تعذر كثيراً أو غالباً فمن ذا الذي يحيط بأقوال المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون بالكتاب أولاً لان السنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شيء منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة شيء منسوخ الا والسنة نسخته لا ينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لا يجد مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له ان لم يجد

في القرآن أن يطلبه في السنة وإذا كان في السنة لم يكن ما في السنة  
معارضاً لما في القرآن وكذلك الإجماع الصحيح لا يعارض كتاباً ولا سنة  
تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله

تمت الرسالة الثانية

وبلها الرسالة الثالثة البيان في نزول القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن تيمية )

( رحمه الله تعالى ورضي عنه )

الحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد

( وآله وصحبه أجمعين )

( أما بعد فهذا ) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر في كتاب الله تعالى فان كثيراً من الناس فسرُوا النزول في مواضع من القرآن بغير ما هو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان ومن السكلاية من يقول أنزله بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذي قالوه باطل في اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لابهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان أحدهما لاحذف في الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله العزيز الحكيم والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد وغيره واليه يعود أي هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن منه أي لم يخلقه في غيره فيكون مبتدأ منزلا من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لا من مخلوق فهو الذي تتكلم به خلقه

وأما النزول المقيد بالسماء بقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم جنس لكل ماعلا فإذا قيد بشيء معين لقوله في غير موضع من السماء مطلق أي في العلو ثم قد بينه في موضع آخر بقوله ءأنتم أنزلتموه من المزن وقوله فنرى الودق يخرج من خلاله أي أنه منزل من السحاب وما يشبه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذي هو كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها يناسب قوله فيها يفرق كل أمر حكيم أمر آمن عندنا أنا كنا مرسلين فهذا شبهه بقوله قل نزله روح القدس



وأما المطابق في مواضع منها ما ذكره من أنزال السكينة لقوله  
فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة  
في قلوب المؤمنين الي غير ذلك

ومن ذلك أنزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور  
المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو ما يوزن به  
ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في  
القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحى ربك الي  
الملائكة أني معكم فنبتو الذين آمنوا فذلك الثبات نزل في القلوب بواسطة  
الملائكة وهو السكينة قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء  
واسئعان عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله  
عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو  
ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضى الله عنه الذي في الصحيحين عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة في جذر قلوب الرجال  
فعلموا من القرآن وعلموا من السنة والامانة هي الايمان أنزلها في  
أصل قلوب الرجال وهو كأنزال الميزان والسكينة وفي الصحيحين عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله  
يتلون كتاب الله الحديث الى آخره فذكر أربعة عشر غشيان الرحمة  
وهي أن تغشاهم كما يغشى الالباس لابسها وكما يغشى الرجل المرأة والليل

النهار ثم قال ونزات عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحفهم الملائكة  
أى جاست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار  
وقوله فلما تغشاها سمات حملاً خفيفاً وقوله والمؤتفة أهوى فغشاها  
ماغشى وقوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا  
كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم  
ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم  
أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر إذ يغشاكم  
النعاس أمنة منه والنعاس ينزل في الرأس بسبب نزول الانجرة التي  
يدخل في الدماغ فتعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الاشعري ومن اتبعه من  
أصحاب مالك والشافعي وأحمد جعلوا النزول والاتيان والحجى حديثاً  
يحدثه منفصلاً عنه فذاك هو اتيانه واستواؤه على العرش فقالوا استواؤه  
فعل يفعله في العرش يصير به مستويا من غير فعل يقوم بالرب لكن  
أكثر الناس خالفوهـم وقالوا الماروف أنه لا يحجى شيء من الصفات  
والامراض الا بحجى شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقد جاء الهواء  
الذى يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحمى

فالحملى حر وبرد تقوم بعين قائمة بسبب أخلاط تحرك وتحول من حال الى حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذي يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لا يتقل في هذا جاء به الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر وإذا كان كذلك فانزله تعالى العدل والسكينة والنعماس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا أفضى بها اليهم فاعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحي والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل غير الملائكة كالهواء الذى نزل بالاسباب فيحدث الله منه البخار الذى يكون معه النعاس فكان قد أنزل النعاس سبحانه ما يحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد يخلق في المعادن وما يذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبان والميعة والمطرقة والابرة فهو كذب لا يثبت مثله

وكذلك الحديث الذى رواه الثعلبي عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من لسماء الى الارض فأنزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب فى اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال ابن الجوزي هو سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري يروي عن الثوري وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كذاب يضع الحديث وقال مرة ليس بشئ وقال يحيى كان كذابا خبيثا وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال الدارقطني ضعيف متروك والناس يشهدون ان هذه الامة تصنع من حديد المعادن ما يريدون فان قيل ان آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهذه مكابرة لايمان وان قيل بل نزل معه آلة واحدة وتلك لا تعرف فأى فائدة في هذا لسائر الناس ثم ما يصنع بهذه الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود بطرق بهذه الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت منه هذه الآلات مع أن المأثور ان أول من خط وخط ادريس عليه السلام و آدم عليه السلام لم يخط ثوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الاكبر بذكر الحديد هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من السماء فان قيل نزلت الآلة التي يطبع بها قيل فالله أخبر أنه أنزل الحديد لهذه المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس حتي قال قطرب رحمه الله معناه جعله نزلا كما يقال أنزل الامر على فلان نزلا حسنا أى جعله نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان النزل انما يطلق على ما يؤكل لاعلى

ما يقابل به قال الله تعالى فنزل من حميم والضيافة سميت نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا فنزل في مكان يؤتى اليه بضيافته فيه فسميت نزلا لاجل نزوله ونزل ببني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب انزلي منزلا مباركا وانت خير المنزلين لانه كان راكبا في السفينة وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرين منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة تسع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته فان الحديد انما يخلق في المعادن والمعادن انما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فمنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها تخلق من الماء فان به يكون انبات الذي ينزل أصله من السماء وهو انشاء وقال قطرب جعلائه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أسلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب انزاله وهو على جنب اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب انزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من ذلك المحل كالحديد والانعام

وقال تعالى يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ليوارى سواكم وريشا  
الآية وفيها قراءتان أحدهما بالنصب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا  
وأما قراءة الرفع فلا وكلتاها حق وقد قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه  
وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الأقوال ضعيفة فإن النبات الذي ذكرنا  
لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل ما يصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا  
الدور وأنزلنا الطيخ ونحو ذلك وهو لم يقل أنا أنزلنا كل لباس ورياش  
وقد قيل إن الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى  
واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والخشب والمعاش وارتاش  
فلان حسنت حالته

والصحيح أن الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمرو والعرب تقول  
أعطاني فلان ريشه أي كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام  
العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض  
المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد  
جمالا وهذا لأنه مأخوذ من ريش الطائر وهو ما يروش به ويدفع عنه  
الحر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك ما يبيت فيه الانسان من الفرش  
وما يبسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذي يلبس  
على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا  
الآية فامتن سبحانه بما ينفعون به من الانعام في اللباس والاثاث وهذا  
والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والاوز والاشجار وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش  
 فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب فهي  
 لدفع الحر والبرد وأعظم مما يصنع من القطن والمكثان والله تعالى  
 ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول  
 النعم التي لا يعيش بنو آدم الا بها وذكر في اثنتائها تمام النعم التي لا يطيب  
 عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ما يدفع  
 البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم  
 في اثناء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة  
 والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم  
 سكنا الآية ثم ذكر انعامه بالظلال التي تقيهم الحر والباس فقال والله  
 جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا لي قوله كذلك  
 يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لانه قد  
 ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا يقدر  
 أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى  
 لكنه لا يقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرها  
 وأهلها أيضا لا يحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه الدواب وقاية  
 كقبيهم وهم في الليل وطير في النهار ولا يتأذون به تأذيا كثيرا بل  
 لا يحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سراويل تقيكم  
 الحر وسراويل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى  
 كما يفهم من لم يحسن القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعاني



فاذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة من الاصلااب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الانعام لا ينفع به بنو آدم حتي ينزل

فقد تبين ان ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول الا فيه معني النزول المعروف هذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب منزولا الا بهذ المعني ولو أريد غير هذا المعني لكان خطا با بغير لفظها ثم هو استمال اللفظ المعروف له معني في معني آخر بلا بيان وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى انه بيانه وجعله هدي للناس وليكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الاديان عند الموت هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعاياذ بالله تعالى هل يجازى باعماله الصالحة قبل الردة أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الاديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرا عاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس من تعرض عليه الاديان ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام وذلك كله من فتنة الحما والمعات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا منها ما في الحديث الصحيح الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن

نستعيز في صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن  
فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون  
الشيطان أحرص ما يكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقد قال  
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الاعمال بنحواتيها وقال  
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه  
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل  
النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع  
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان  
أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت يقول لا عوانه دونكم هذا فانه  
ان فاتكم ان تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه  
وهو يقول لا بعد لا بعد مشهورة ولهذا يقال ان من لم يحج يخاف عليه  
من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال من ملك زاد او راحلة تباغها الى بيت الله الحرام ولم يحج فليمت  
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت  
من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة  
لما نزلت هذه الآية ومن يتبع غير الاسلام ديننا فان يقبل منه قالت  
اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم ولله على الناس حج البيت  
فقالوا لانحججه فقال الله تعالى ومن اكفر فان الله غني عن العالمين  
وأما الفتنة في القبور ففي الامتحان والاختبار لاميت حين يسأله  
الملاك فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك ويقولان له

ما كنت نقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فبقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمننا به واتبعناه فينتهرانه انتهارة شديدة وهي آخر فتنة التي يفتن بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضى الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقليل لا يفتنون لان الخنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضي أبو يعلى وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقنون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حنيفة وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره وهو مقتضىصوص الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فإنه اذا مات عنى ذلك والعياذ بالله تعالى حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه خيبت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت  
 ليحبطن عملك والمراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ولكن التنازع فيما  
 اذا ارتد ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التي عملها قبل الردة  
 ويجب عليه قضاءها أم لا تحبط الا ذمات مرتدا على قولين مشهورين  
 هما قولان في مذهب الامام أحمد والحبوط مذهب الامامين مالك  
 وأبي حنيفة وهو الراجح والوقف مذهب الشافعي وتنازع الناس  
 أيضاً في المرتد هل يقال كان له ايمان صحيح فحبط بالردة أم يقال بل بالردة  
 تسين ان ايمانه كان فاسدا وان الايمان الصحيح لا يزول البتة على قولين لطوائف  
 من الناس وعلى ذلك ينبغي قول المستثني انما مؤمن ان شاء الله

هل يعود الاستثناء الى كمال الايمان في الحال أو

يعود لي الموافاة في المال والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاء وتوفيقه

تمت الرسالة الثالثة

وبالله الرسالة الرابعة له أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبى القاسم القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي يتفضل  
سيدنا الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المبدع  
المغرب المغرب المفتح أعلم من اقيت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين  
أبو العباس أحمد بن تيمية أبى الله علينا بركته بأن يوصيني بما يكون فيه  
صلاح ديني ودنياي ويرشدني الى كتاب يكون عليه اعتمادي في علم  
الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وينبهي على أفضل الاعمال  
الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد  
الايام والاختصار والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته  
قال شيخ الاسلام بحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه  
الحمد لله رب العالمين (اما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله  
ورسوله لمن عقلها وأتبعها قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب  
من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ووصي النبي صلى الله عليه وسلم معاذ لما  
بعثه الى اليمن فقال يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها  
وخالف الناس بخلق حسن وكان معاذ رضى الله عنه من انبيى صلى الله  
عليه وسلم بمنزلة عليه فانه قال له يا معاذ والله انى لأحبك وكان يردفه  
وراءه وروي فيه أنه أعلم الامة بالحلال والحرام وأنه يحشر أمام العلماء  
برتبة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مباعاً عنه  
داعياً ومنقهاً ومفتياً وحاكماً الى أهل اليمن وكان يشبهه بآبراهيم الخليل  
عليه السلام وآبراهيم امام الناس وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول  
ان معاذ كان أمة قانتاً حنيفاً ولم يك من المشركين تشبهاً له بآبراهيم ثم

أنه وصاه هذه الوصية فعلم أنها جامعة وهي كذلك لمن عقلها مع أنها  
تفسير الوصية القرآنية

أما بيان جمعها فلان العبد عليه حق لله عز وجل وحق  
لعباده ثم الحق الذي عليه لا بد أن يخل ببعضه أحياناً ما ترك مأموراً به أو  
فعل منهى عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه  
كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوي في السر  
والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمحها فان الطيب متى تناول  
المريض شيئاً مضرراً أمره بما يصاحبه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فالعكس  
هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات وانما قدم في لفظ الحديث  
السيئة وان كانت مفعولة لان المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار  
كقوله صبوا على بوله ذنوباً من ماء

وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فانه أبلغ في المحو  
والذنوب يزول موجبها بإشياء \* أحدها التوبة \* والثاني الاستغفار من غير  
توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فاذا اجتمعت التوبة  
والاستغفار فهو السكال \* الثالث الاعمار الصالحة المكفرة أما الكفارات  
المقدرة كما يكفر الحجاج في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات  
الحلج أو تارك بعض واجباته أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي  
أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما  
قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة  
والصيام والهـدنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد دل على

ذلك القرآن والاحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له مائة - دم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصاً ما صنف من فضائل الاعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين يبلغ خصوصاً في هذه الازمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطف من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضى الله عنه لتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسرى في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلى به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزل على أحوال الناس واذا كان الامر كذلك فمن شرح الله صدره الاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية



وطرفى الامتين المغضوب عليهم والضاكين من اليهود والنصارى فيرى  
أن قد ابتلى ببعض ذاك

فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات  
وهو اتباع السيئات الحسنات والحسنات مانب الله اليه على ان خاتم  
النبيين من الاعمال والاخلاق والصفات ومما يزيل موجب الذنوب  
المصائب المكفرة وهى كل ما يؤلم من هم أو حزن أو أذى في مال أو  
عرض أو جسد أو غير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضي بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح  
الفاقد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس

وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام  
والاكرام والدعاء له ولا تغفار والتناء عليه والزياره له وتعطي من  
حرمك من اتعلم والمنفعة والمال وتعفو عن ظلمك في دم أو مال أو  
عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمد آ صلى الله عليه وسلم  
فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره  
وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن  
وحقيقة المبادرة الى امثال ما يحب الله تعالى بطيب نفس وانشرح صدر  
وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع  
فعل كل ما أمر الله به إيجاباً واستحباباً وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً وهذا  
يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية

العذاب المقضية للانكفاف عن المحارم جاء منسراً في حديث معاذ وكذلك في حديث أبي هريرة رضى الله عنهمـا الذى رواه الترمذى وصححه قيل يارسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وقيل ما أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجلون القم وانفرج وفى الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهمـا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً جفعل كل الإيمان فى كمال حسن الخلق ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فانها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما فى قوله اياك نعبد واياك نستعين وفى قوله فاعبده وتوكل عليه وفى قوله عليه توكلت واليه ائب وفى قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له بحيث يتطع العبد تعاقى قلبه من الخلقين انتفاعهم أو عملاً لاجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بالازمة الدعاء له فى كل مطلوب من فاقة وحاجة وخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك

وأما سألت عنه من أفضل الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرّون عليه وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وأمره ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل العبد به نفسه فى الجملة وعلى ذلك حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

الله ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات وفيما روى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله والدلائل القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن يلزم العبد الأذكار الماثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه وآله وسلم الأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا اله الا الله وقد تمرض أحوال يكثر بقاء الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله أفضل منه ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من استغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجاساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف وما أشبهه أسره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يمدجل  
فيقول قد دعوت فلم يستجب لى ولينحر الاوقات الفاضلة كآخر الليل  
وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

(وأما أرجح المكاسب) فالنوكل على الله والثقة بكفايته وحسن  
الظن به وذلك أنه ينبغي للمعتمدين بأمر الرزق أن يلجأوا إلى الله ويدعوه  
كما قال سبحانه فيما يأتى عنه نبيه صلى الله عليه وسلم جئكم جائعاً إلا من أطعمتمه فاستطعموني  
أطعمكم يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاتكسوني أو كسكم وفيما  
رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لم يسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله  
وقال سبحانه فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل  
الله وهذا وإن كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله أعلم  
أمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح  
لى أبواب رحمتك وإذا خرج أن يقول اللهم انى أسألك من فضلك وقد  
قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا  
له وهذا أمر والأمر يقتضى الإيجاب فلا سعة بالله واللاجأ إليه في أمر  
الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه  
باشراف وهام بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من  
غير أن يكون له في القلب مكانة والسعى فيه إذا سعى كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره من أصبح والدنيا أكبر  
 همه شئت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأت من الدنيا الا ما كتب  
 له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في  
 قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال بعض الساف أنت محتاج الى الدنيا وأنت  
 الى نصيبك من الآخرة أحوج فان بدأت بنصيبك من الآخرة مر على  
 نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس  
 الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق  
 ذو القوة المتين

فأما تعيين مكسب علي مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة  
 أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما  
 لكن اذا عن الانسان جهة فلا يستعجز الله تعالى فيها الاستعجالة المتلقاة  
 عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان فيها من البركة ما لا يحاط به ثم  
 ما تيسر له فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية

وأما ما تعتمد عليه من المكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا  
 يختلف باختلاف انشأ الانسان في البلاد فتد تيسر له في بعض البلاد من  
 العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا تيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير  
 أن يستعين بالله سبحانه في تلقى العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 فانه هو الذي يستحق أن يسمى علما وماسواه اما أن يكون علما فلا  
 يكون نافعا واما أن لا يكون علما وان سمي به ولان كان علما نافعا فلا بد  
 أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما بغنى عنه مما هو مثله وخير

منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فإذا  
اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله  
تعالى ولا مع الناس إذا أمكنه ذلك

وليجهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي  
صلى الله عليه وسلم وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع  
بمأواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل  
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين  
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت  
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه  
رسوله يا عبادي كل من ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منافي أثناء المذاكرة  
ما يسره الله سبحانه وما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح  
محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لا يقو بأصول العلم ولا  
يقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم اذ لابد من معرفة أحاديث  
آخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الأمور التي يختص بعلمها بعض  
العلماء وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم ايعابا من نور الله  
قلبه هدايا بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزد كثرة الكتب الاحيرة  
وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ين ليبد الانصارى أوليست  
التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا اتقى عنهم فاسأل الله

العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويأمننا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن  
لا يزيغ قلوبنا بعد اذهدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب  
والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين

﴿ وجدا بأصله مانصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الاثمة الاعلام شيخ الاسلام  
سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسلمين مفتي الفرق علم الهدى تقي الدين  
أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضى الله  
عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام  
العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الدبائي وعز الدين عبد  
العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين  
محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق  
الانصاري ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الرحبي  
الكنثاني وزين الدين عبادة بن عبد الغنى بن منصور بن منصور بن  
ابراهيم بن سلامة الحراني وجريز بن سعيد بن حميد الغساني وعبد المجيد  
ابن محمود بن أحمد الجيلي وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغنى بن  
العلائ الحراني وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي في ليلة  
ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وثمانمائة بدار الحديث

بالتصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على

محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

تمت الرسالة الرابعة ويلها الخامسة له أيضا



بسم الله الرحمن الرحيم

مسئلة في النية في لطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعق  
والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر  
بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت  
صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة المخافت اماما  
كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أولا أو قال أحد  
من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنية بطلت  
صلاته وان كانت غير واحة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان  
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلقاء الراشدون في ذلك واذا  
أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتدع مخالف  
لشرعية الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عليه اذا لم  
ينته أم لا

فأجاب عنها الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام  
مفتي الانام أوحـد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمد  
ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضى الله عنه وأرضاه  
في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمد لله رب العالمين محل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة  
المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج  
والعق والجهاد وغير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف ما نوى في قلبه كان  
الاعتبار بما نوى لا بما لفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يجوز ذلك باتفاق أئمة المسلمين فان النية هي من جنس القصد والعزم تقول العرب نواك الله بخير أى قصدك بخير وقول النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مراده صلى الله عليه وسلم بالنية النية التي في القاب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الائمة الاربعة وغيرهم وسبب الحديث يدل على ذلك فان سببه ان رجلا هاجر من مكة الى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فسمى مهاجرا أم قيس فخطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر وذكر هذا الحديث فهذا كانت نيته في قلبه

والجهر بالنية لا يجب ولا يستحب باتفاق المسلمين ولا تبطل صلاة من لم يجهر بها عند أحد من المسلمين بل الجاهر بالنية مبتدع مخالف للشريعة اذا فعل ذلك معتقدا انه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق للتعزير والعقوبة على ذلك اذا أصر على ذلك بعد تعزيره والبيان له لاسيما اذا آذى من الى جانبه برفع صوته أو كرر ذلك مرة بعد مرة فانه يستحق التعزير البليغ على ذلك ولم يقل أحد من المسلمين ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة المخافت بها سواء كان اماما أو مأموما أو منفردا وأما التلفظ بها سرا فلا يجب أيضا عند الائمة الاربعة وسائر أئمة المسلمين ولم يقل أحد من الائمة ان التلفظ بالنية واجب لافي طهارة ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلي

الظهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفي أن تكون نيته في قلبه والله يعلم في اقلوب وكذلك نية الغسل من الجنابة والوضوء يكفي فيه نية القلب وكذلك نية الصيام في رمضان لا يجب على أحد أن يقول بلسانه أنا صائم غدا باتفاق الائمة بل يكفي نية قلبه والنية تبليغ العلم فمن علم ما يريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فإذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو ممن يصوم رمضان فلا بد أن ينوي الصيام فإذا علم ان غدا العيد لم ينو الصيام تلك الليلة وكذلك الصلاة إذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوي تلك الصلاة لا يمكنه أن يعلم انها الفجر وينوي الظهر وكذلك إذا علم انه يصلي اماما أو مأموما فانه لا بد أن ينوي ذلك وان علم انه يصلي وحده فلا بد أن ينوي ذلك والنية يتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا إذا كان يعلم ما يريد أن يفعله فإذا كان يعلم انه يريد أن يصلي الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق فنوى الصلاة في وقتها فتبين ان الوقت قد خرج اجزائه صلاته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى الصلاة بمد الوقت فتبين انها في الوقت اجزائه الصلاة باتفاق الائمة وإذا كان قصده أن يصلي خلف الامام بعينه مثل زيد فكان الامام غيره لم يكن قد صلى خلف ذلك وانما اذا كان قصده ان يصلي خلف الامام الحاضر أي امام كان واعتقد انه زيد فظهر انه عمر لم يضره ذلك وكذلك لو كان مقصوده أن يصلي على الجنازة الحاضرة أي جنازة كانت

فظنها رجلا فكانت امرأة صحت صلاته بخلاف ما اذا كان مقصوده أن لا يصلى الا على من يعتقد أنه فلان فصلى على من يعتقد أنه فلان فتبين غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر

والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الأئمة ولكن يعض المتأخرين خرج وجهها من مذهب الشافعي لوجوب ذلك غلطه جماهير أئمة أصحاب الشافعي وكان غلطه ان الشافعي قال ان الصلاة لا بد من النطق في أولها فظن هذا الغلط ان الشافعي أراد النطق بالنية ففعله أصحاب الشافعي جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان معروفان للفقهاء منهم من استحب التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا التلفظ بها أوكد واستحبوا التلفظ بها في الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك وأحمد وغيرها وهذا هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرها من الأئمة وقال أبو داود قلت لأحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ بالنية لاني الصلاة ولا في الحج ولا غيرها من العبادات ولا خلفاؤه ولا أمر أحد أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاة اذا قامت الى الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاة كبر كما في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

بنية ولا غيرها ولا علم ذلك أحدا من المسلمين ولو كان ذلك مستحبا  
لفعله وإمامه للمسلمين وكذلك في الحج إنما كان يفتح الاحرام بالتلبية  
ويشرع للمسلمين أن يلبوا في أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حجتي  
واشترطتني فقولي إبيك اللهم ليك ومحلي حيث حبستني فأمرها أن  
تشرط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا ليقول  
اللهم اني أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره  
على وتقبل مني ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا  
ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل  
التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتمكيد في الصلاة وكان هو وأصحابه  
يقولون فلان أهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بها كما يقال كبر للصلاة  
والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تليته ليك عمرة وحج  
فيسمي ما يريد فعله بعد التلبية لاقبلها وجميع ما أحدثه الناس من التناظر  
بانية قبل التكبير وقبل التلبية وفي الطهارة وسائر العبادات فهي البدع  
التي لم يشرعها وكل ما يحدث في العبادات المشروعة من الزيادات التي  
لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم في العبادات  
على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث  
اعتقاد المعتقدان ذلك مشروعا مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع  
أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فينبغي حقيقة هذا القول  
أن ما فعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد  
سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف نايه

الفتنة فقال له السائل وأي فتنة في ذلك وإنما هي زيادة امتثال في طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن في نفل أنك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال من رغب عن سنتي فليس مني أي من ظن أن غير سنتي أفضل من سنتي فرغب عما سننته معتقدا أن ما رغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني ألا (ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال ان هدي غير محمد أفضل من هدي محمد فهو مفتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتقد وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه وأنه لأفضل من ذلك فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد هلك المنتظمون قاهلًا ثلاثًا وقال أبي بن كعب وابن مسعود اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه قال صلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أي من اعتقد أن الركعتين في السفر لا تجزئ المسافرين فقد كفر

الوجه الثاني من حيث المداومة على خلاف ما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات فإن هذا بدعة باتفاق الأئمة وإن ظن

الظان ان فيه زيادة خير كما أحدث بعض المتقدماتين الاذان والاقامة في العيدين فهني عن ذلك وكرهه أئمة الاسلام وكما لو صلى عقب السعي ركعتين قیاساً على ركعتي الطواف وقد استحب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي واستحب بعض المتأخرين من أصحاب أحمد في الحاج اذا دخل المسجد الحرام أن يفتتح بحجة المسجد بخالف الأئمة والسنة وإنما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذي يريد الصلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أكمل الله له ولامته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعل عملاً واجباً ما لم يوجبه الله ورسوله أو مستحباً ما لم يستحبه الله ورسوله فهو غلط كما أن جعل حراماً أو مكروهاً ما لم يحرمه الله ورسوله أو لم يكرهه الله ورسوله فهو غلط فجماع الدين لأحكام ما حرمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حزب من شرع من الدين ما لم يأذن به الله وحرم ما لم يحرمه الله وهذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله في سورة الانعام والاعراف وغيرها من السور حيث شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وحرّموا ما لم يحرمه الله وأحلوا ما حرمه الله فذمهم الله وعابهم علي ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله أن الأحكام الخمسة الإيجاب والاستحباب والتحليل والكراهة والتحريم لا تؤخذ إلا عن الله ورسوله فلا واجب إلا



ما أوجب الله ورسوله ولا مستحباً إلا ما أحبه الله ورسوله ولا حلال  
 إلا ما أحله الله ورسوله ولا مكروه إلا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم  
 إلا ما حرمه الله ورسوله فمن ذلك ما اتفق عليه أئمة الدين ومنه ما تنازعوا  
 فيه فما تنازعوا فيه رد إلى الله ورسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا  
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأرلى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ  
 فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير  
 وأحسن تأويلاً وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الأئمة ينهي عن  
 ذلك ويؤدب على الإصرار كما يفعل بائنه من الجهال ولا يقتدى في  
 خلاف الشريعة بأحد من أئمة الغلاة وإن كان مشهوراً بالفقه والعلم بل  
 يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض الساف لا تنظر إلى عمل الفقيه  
 ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

﴿﴾ وهذه فتوى أخرى في المسئلة السابقة ﴿﴾

سئل الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتي الانام تقي الدين  
 أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضى  
 الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبع مائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا ويعين الصلاة  
 بعينها وبعد الركعات بحيث يشوش على من إلى جانبه فأنكر عليه رجل  
 وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به  
 ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو يقرأ خلفه فهل كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يفعل أو أحد من الصحابة أو أحد من الأئمة

الأربعة وغيرهم فاذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فإذا  
يجب على من ينسب هذا اليهم ويقول كل من يعمل في دينه ما يشتهي بل  
أنت جاهل فيما تذكره انتهى

أجاب رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين \* الجهر بلفظ  
النية ليس بمشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف  
الامة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله أو أنه واجب فانه يجب تعريفه  
الشريعة والمتابته من هذا القول فإن أصر على ذلك قتل بل النية  
الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكنافة  
 وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين إذ النية هي القصد والارادة  
 والقصد والارادة محلها القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلونوى بقلبه  
خلاف ما تكلم به بلسانه كانت العبارة بما نواه لا باللفظ ومتى نوى بقلبه  
ولم ينلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من  
الاولين والآخرين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتي  
بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم أن اللفظ بالنية واجب  
ولم يقل أن الجهر بها واجب ومع هذا القول خطأ صريح مخالف  
لإجماع المسلمين إنما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلى الصحابة  
والتابعون فإن كل من يعلم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا  
أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولا علمه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت في الصحيحين وغيرها أنه قال للاعرابي المسمى في صلاته اذا  
 قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن وفي اسنن عنه  
 أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي  
 صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان  
 يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل  
 المتواتر واجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا  
 يفتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لا عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 ولا عن أحد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لاجهراً  
 ولا سراً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعي متوفرة  
 على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشراً كتمان نقل  
 ذلك فاذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن ولهذا يتنازع الفقهاء  
 المتأخرون في التلفظ بالنية هل هو مستحب مع النية التي في القلب فاستحب  
 طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد قالوا لانه أو كدواتهم  
 تحقيقاً للنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا  
 أنه بدعة مكروهة قالوا لانه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ولا أمر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كل ما يقرب الى  
 الله لاسيما الصلاة التي انما تؤخذ صفتها عنه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه  
 قال صلوا كما رأيتموني أصلي فزيادة هذا وأمثاله في صفة الصلاة  
 بمنزلة سائر الزيادات المحذرة في العبادات كمن زاد في العيد من الاذان

والإقامة ومن زاد في الصلوة ركعتين على المروءة وأمثال ذلك قالوا وأيضاً فإن التلفظ بالنية فاسد في العقل فإن قول القائل أنوى أن أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوى أنى آكل هذا الطعام لاشييع وأنى ألبس هذا الثوب لا يستتر وأمثال ذلك من النيات الموجودة في القلب التي يستتبع النطق بها وقد قال تعالى قل أنتم تعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض وقال طائفة من السلف في قوله إنما نطمعكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بألسنتهم وإنما علمه الله من قلوبهم وبأجله فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سرّاً فهل يكره أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه منهي عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الإمام والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لا يشرع لأحد منهم أن يجهر بلفظ النية ولا يكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة إذا كان فيه أذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم ينجي ربه فلا يجهر بمضكم على بعض القراءة وأما المأموم فصفته الخفاة باتفاق المسلمين لكن إذا جهر أحياناً بشيء من الذكر فلا بأس كالإمام إذا أسمعهم أحياناً الآية في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحياناً وثبت في الصحيح أن من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

ومن أصر على فعل البدع وتحسينها فانه يذبحي أن يعزرتزيرأبرده  
وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الباطل خطأ فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد أن يتكلم  
في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين  
مالمس منه

وأما قول الله تبارك وتعالى كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهي كلمة عظيمة  
يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه  
الكلمة توجب القتل فليس لاحد أن يعمل في الدين الا ما شرعه الله  
ورسوله دون ما يشتهيه ويهواه قال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير  
هدى من الله وان كثيراً يضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى  
فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل  
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى أفرايت من اتخذ آلهة  
هواه أقانئت تكون عليه وكيلاً ثم نحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان  
هم الا كالا نعم بل هم اضل سبيلاً وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون  
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت  
ويسلموا تسلماً وقد روى عنه أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن  
أحدكم حتى يكون هواء تبعاً لما جئت به وقد قال تعالى ألم تر الى الذين  
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا  
الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم  
ضلالاً بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم  
من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى المص كتاب أنزل إليك فلا يكن  
في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم  
ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وقال تعالى ولوا تتبع الحق  
أهواءهم لفسد السموات والأرض ومن فيهن وأمثال هذا في القرآن  
كثير يبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا  
يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسئلة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضي  
القضاة جمال الدين أبو الريح سليمان بن عمر الشافعي رضي الله عنه وأرضاه  
الحمد لله رب العالمين الله الموفق \* النية المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات  
علمها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه  
إلى العصر ولا يكفي النطق بها مع غفلة القلب وإنما استحب بعض  
أصحابنا مساعدة اللسان القاب من غير جهر وقد سئذ صاحب الإفصاح  
بما نقله عن بعض أصحابنا أنه لا بد من التلفظ بها في الصلاة وهو خلاف  
قول جمهور الأصحاب وأما الجهر بها وبالقراءة خلف الإمام فليس  
من السنة بل مكروه فإن حصل به تشويش على المصليين فحرام ومن  
قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره  
أن يقول في دين الله تعالى بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال في  
الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهذا قول جاهل  
يعزر على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالى الا ما شرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد اتبع هواه نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وقد تكرر في الكتاب العزيز الذم والانكار على من اتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم الي غير ذلك مما ورد في لقرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريري الانصارى عفا الله عنه \* الحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضى الله عنهم ولا أحد من الائمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة وشرط أن يعلم بقلبه أى صلاة يصلى أما الذكر باللسان فلا معتبر به ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التى عرضت له فان تاب والاقتل بذلك والجهرب بالتلاوة خلف الامام لا يجوز ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والعلماء على خلافه ويجب تعزيره على ذلك ولا يحل لاحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب تعزيره وقوله كل من يعمل فى دينه ما يشتهى فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب علينا اتباع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا



هو الدين فقد كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيبتتاب فان  
تاب والاقبل والحالة هذه والله أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله  
محمد بن أبي القاسم التواني المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق  
النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على  
الناس وكذلك الجهر بالقرآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع لسنة  
وانكاره على المنكر عليه جهل ودعوي باطلة وقوله كل من يعمل في  
دينه ما يشتهي فهذا أمر شنيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن  
يتوب منه ونحو ذلك من الجهل واتباع الهوى ونسأله الهدى والعصمة  
والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين بن العطار  
عفا الله عنه الحمد لله لا يشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية  
وأما التلفظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا  
يشترط ولا يجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا  
ومع عدمه بدعة قبيحة فان تصدبه الرياء كان حراما من وجهين كبيرة  
من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومضروب مخطيء ونسبته الى دين الله  
تعالى اعتقادا كفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ودينه  
خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا لسنة بل يجب على كل مؤمن تمكن  
في زجره من زجره ومنعه وردعه ولم ينقل هذا النقل عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام وأصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة بمعنى انها جزء العبادة أو لا يشترط ذلك ويجعلها شرط الصحة العبادة لا يضر تقدمها عليها مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ما ذكر في الاستفتاء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فيه أعلم أمتى بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذى يسبفه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه فبكل

عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح

ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل

ولا قصد بها الصبر على مقتضاه

ولا اخلاص فيها لله تعالى

والله يعلم المفسد

من المصلح

تمت الرسالة الخامسة

وبلها السادسة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام آقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فإذا كان كريا والله من ورائه محيط به بأن عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه فيقصد العلو دون التحت فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعى ومع هذا نجد قلوبنا قصدا تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلمكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات \* احدها ان القائل الذي يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعى ولا بدليل عقلي وإنما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيرها من الفلسفة فراءوا ان الافلاك تسعة وان التاسع وهو الاطلس يحيط بها مستديرا كالاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شئ اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذى يحرك الافلاك كلها فجعلوه ببدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

فيه ما يقدره في الارض أو يحدته في النفس التي زعموا انها متعلقة أو في العقل الذي زعموا انه الذي صدر عنه هذا الفلك وربما سماه بعضهم الروح وربما جعل بعضهم النفس هي الروح وربما جعل بعضهم النفس هي اللوح المحفوظ كما يجعل العقل هو القلم وتارة يحملون اللوح العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر أو النفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك بالنسبة الى الحق كالماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون الى غير ذلك من المقالات التي شرحنها وبيننا فسادها في غير هذا الموضع \* ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليدا لهم أو موافقة لهم على طريقتهن الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الفنا وأمثالهم \* وقد يتخيل في نفسه ما يقدره عن غيره فيظنه كشافا كما يتخيل النصراني التلاميذ الذي يعتقدونه \* وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشافا وانما هو تخيل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضات نفوسهم فيتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشافا وقد بسطنا الكلام على هذا في غير ما موضع

والمقصود هنا ان ماذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولا شرعي أما العقل فان أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك ولكن دلتهم الحركات والكسوفات ونحو ذلك على ماذكروه وما لم يكن لهم دليل على ثبوته

فهم لا يعمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب  
نحت هذا بان السـ فلي يكشف العلوى من غير عكس فاستدلوا بذلك  
على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة  
حتى جمعوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كدلك التدوير وغيره فاما  
ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم  
لا يعلمون نفيه ولا اثباته بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع  
مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له  
حركة تخصه بما فيه من الثوابت وتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع  
وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات  
المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية فلك الاشكال سبب  
الحوادث السفلية كانت حركة التاسع جزء السبب لحركة غيره والاشكال  
الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابلته  
له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتثليثه له اذا  
كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان  
بينهما رابعة تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك  
ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفة وكل  
حركة ليست عن الاخرى اذ حركة الثامن التي تخصه ليست عن حركة  
التاسع وان كان تابعا له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك في السفينة  
الى خلاف حركتها وكذلك حركة السامع التي تخصه ليست عن التاسع  
ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن يجمع إلى مبدأ

الحوادث كلها مجرد حركة التاسع مع كما زعمه من ظن انه العرش كيف  
والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لاختلاف فيه أصلا فكيف  
يكون سببا لامور مختلفة لبا اعتبار القوابل وأسباب آخر

ولكن هم قوم ضالون يجمعون مع هذا ثلاثمائة وستين درجة  
ويجمعون لكل درجة من الاثر ما يخالف الاخرى لاختلاف القوابل  
كمن يحىء الى ماء واحد فيجعل لبعض أجزائه من الاثر ما يخالف  
الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحدا حزائه مسحنا والآخر مبردا  
والآخر مسهدا والآخر مشقيا وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه  
باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شئ آخر  
فوق الافلاك التسعة كان الجزم بان ما أخبر به الرسل من ان العرش  
هو الفلك التاسع رجما بالغيب تهاولا بلا علم هذا كله بتقدير ثبوت  
الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع  
والاضطراب وفي أدلة ذلك ما ليس هذا موضعه وانما تتكلم على هذا  
التقدير والافلاك في أشكالها واحاطة بعضها ببعض من جنس واحد  
فدسبة السابعة الى السادسة كنسبة السادسة الى الخامسة واذا كان هناك  
فلك تاسع فنسبته الى الثامن كنسبة الثامن الى التاسع

وأما العرش فلاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه  
ليس نسبة الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالى الذين  
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به الآية  
وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامة وان حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون  
للمؤمنين ومعلوم ان قيام ذلك من الافلاك بقدره الله تعالى كقيام  
سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة وان قدر أن لبعضها  
ملائكة في نفس الامر تحملها فحكمه حكم نظيره وقال تعالى وترى  
الملائكة حافين من حول العرش الآية فذكر هناك ان الملائكة تحف  
من حول العرش وذكر في موضع آخر ان له حملة وجميع في موضع  
ثالث بين حملته ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله  
وأياها فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات  
والارض كما قال تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام  
وكان عرشه على الماء وقرئت في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن  
عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل  
شيء وخلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله  
وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر  
كل شيء وفي رواية غيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه  
على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن  
عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر  
مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة انتهى

تمت الرسالة السادسة

ويليه السابعة له أيضا



بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد ابن تيمية عفا الله عنه الي من يصل اليه هذا الكتاب من  
المسلمين المنتسبين الي السنة والجماعة المنتهين الي جماعة الشيخ العارف  
القدوة أبي البركات عدى بن مسافر الاموى رحمه الله ومن نحا نحوهم  
وفقههم الله لسلوك سبيله وأعانهم علي طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه  
وسلم وجعلهم معتمدين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم  
من النبيين والصديقين والشهداء والسالحين وجنبهم طريق أهل  
الضلال والاعوجاج الخارجين عما بهت الله به رسوله صلى الله عليه  
وسلم من الشرعة والمنهاج حتي يكونوا ممن أعظم عليهم المنه بمتابعة  
الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو وهو للحمد أهل وهو  
على كل شئ قدير ونسأله أن يصلي علي خاتم النبيين وسيد ولد آدم  
صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق علي ربه وأقربهم الي عزافي وأعظمهم  
عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم  
تسليما كثيرا

أما بعد فان الله بهت محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق  
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق  
مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه وأكمل له ولايته  
الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون  
ببعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجماعهم أمة وسطا أي عدلا

وخياراً ولذلك جعلهم شهداء على الناس هــداهم لما بعث به رسـله  
 جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما  
 ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذي جعله لهم فالاولى منزل  
 أصول الايمان وأعلامها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا اله الا  
 الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه  
 لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا  
 الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى واسأل من قد أرسلنا من قبلك  
 من رسلا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم  
 من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم  
 وموسى وعيسى وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا  
 صالحا اني بما تعملون عليم واز هذه أمثكم أمة واحدة وأنا ربكم  
 فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالى قولوا  
 آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب  
 والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق  
 بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالى قل آمنت بما أنزل  
 الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ومثل قوله تعالى آمن الرسول  
 بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله  
 لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك  
 المصير إلى آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب  
 والمقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنزل أصول الشرائع كما ذكر في سورة الانعام والاعراف وسبحان وغيرهن من السور المكية من أمره بعبادته وحده لا شريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والعدل في المقال وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير الحق وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحريم الاثم والنجس بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع ما يدخل في التوحيد من اخلاص الدين لله والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف من الله والصبر لحكم الله والقيام لامر الله وأن يكون الله ورسوله أحب الى العبد من أهله وماله والناس أجمعين الى غير ذلك من أصول الايمان التي أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدنية وأما الثاني فما أنزله الله في السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لامته فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذلك فقال وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وقال لمد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال واذ كرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هي السنة لان الذي كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى ان قرآن هو سننه

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وهذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمة مثل الوجهة والمذنب والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد وهذه القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض الزكاة ونصبتها التي فرضها في أموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جمعت له حيث يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والماملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التي حددها لهم في المنالك والوارث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التي سننها لهم من الاعياد والجمعات والجماعات في المكتوبات والجماعات في الكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة والتراويح وما سنه لهم في العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التي هي حكم الله ورسوله بينهم في الدماء والاموال والابضاع والاعراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق الى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الأمم قبلهم  
 إذ كانت كل أمة إذا أرسل الله تعالى رسولا إليهم كما قال تعالى  
 ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال  
 تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير

ومحمد صلي الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لاني بعهده فعصم الله أمته  
 أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقويم به الحجة إلى يوم القيامة  
 ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز  
 أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون  
 أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم  
 وعمما مضت عليه جماعة المسلمين

فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلي الله عليه وسلم ولزوم  
 سبيله وأمر بالجماعة والأئلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى  
 من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من  
 رسول إلا ليطاع بأذن الله وقال تعالى إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك  
 الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك  
 فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما  
 وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال تعالى إن الذين  
 فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال تعالى ولا تكونوا  
 كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم اليات وما أمروا إلا  
 ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

فأمر سببه أنه في أم الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها التي أعطيا نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش التي لا تجزئ صلاة الابها ان نسأله ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هي دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال ستفترق هذه الامة على اثنين وسبعين فرقة كلها في الارال واحدة وهي الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي

وهذه الفرقة اللاحية أهل السنة وهم وسط في النحل كما ان ملة الاسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغفلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً

لا اله الا هو - سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم - كما جفت اليهود  
فكانوا يقتلون الانبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من  
الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً  
بل المؤمنون آمنوا برسول الله وعزروه وهم ونصروه وهم ووقروهم  
وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى ما كان  
لنسر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً  
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما  
كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم  
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا  
ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقاوا على  
مريم بهتاناً عظيماً حتى جعلوه ولد غيبة كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد  
الله ورسوله وكلته ألقاها الى مريم المذراء البتول وروح منه

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان  
ينسخ ما شاء ويحرم ما شاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكي الله تعالى ذلك عنهم  
بقوله - يقول السفهاء من الناس ما ولاهم من قبلتهم التي كانوا عليها - بقوله  
واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما  
وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم ولا جوزوا لا كبر علماءهم وعبادهم  
أن يغيروا دين الله فيأمرُوا بما شاؤوا وينهوا عما شاؤوا كما يفعله النصارى  
كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون



الله قال عدى بن حاتم رضى الله عنه قلت يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والامر فكيف لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فأطاعوا كل ما أمر الله به وقالوا ان الله يحكم ما يريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيماً

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق انما قصّة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق ويفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس سمى ولا ند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثل شئ فانه رب العالمين وخالق كل شئ وكل ما واه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والابل والبطة ولا شحم الثرب والكلبتين ولا الجدى في لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً والواجب عليهم مائتان وثمانية

وأر بعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت وأما الفصاري فاستحلوا الحبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدبّون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المؤمنون فمكّما نعمهم الله به في قوله ورحمى وبعث كل شئ ففسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الحبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا باب بطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويطولون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالخلقوات

• فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف وتمثيل

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرة الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقهم لكل شيء وبين المفسدين الذين لا يؤمنون بالله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطون لأمر والنهي والنواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أنركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدى العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مرید والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهم في باب الأسماء والأحكام والوعود والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض إيمان وأعماله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة

وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من  
إيمان أو مثقال خردلة من إيمان

وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته  
وهم أيضاً في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم  
وسط بين الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي  
بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن  
الصحابه ظالموا وفسقوا وكفروا الأمة بعدهم كذلك ورعاً جعلوه  
نبياً أو الهاً وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله  
عنهما ويستحلون دماءها ودماء من تولاها ويستحبون سب علي وعثمان  
ونحوهما ويقدمون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته

وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط لأنهم متمسكون بكتب  
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون اللاحقون  
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

(فصل) وأنتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى  
الاسلام الذي هو دين الله وعاقاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الاسلام  
من المشركين وأهل الكتاب والاسلام أعظم النعم وأجلها فان الله لا يقبل  
من أحد ديناً سواه ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في  
الآخرة من الخاسرين وعاقاكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع  
المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدريه بحيث  
جعل عندكم من البنض لمن يكذب باسماء الله وصفاته وقضائه وقدره

أويسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو من طريقة أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين وما زال في عساكر المسلمين انتصورة وجمود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويمز به المؤمنين وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية وله المكاشفات والتصرفات وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدما المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف النرشي الهكاري وبعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهم فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ما عظم له به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدى قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين وله من الاحوال زكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت شهور واسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن نية من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصارى الشيرازى ثم الدمشقى كشيخ الاسلام الهكاري ونحوهما هؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول كبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب في قول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنازمة من خالفها

مع الدين والفضل والصلاح مارفع الله به أقدارهم وأعلا منارهم وغالب مايقولونه في أصولها الكبار جيد مع أنه لا بدوان يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كاحاديث لا تثبت ومقاييس لا تطرد مايعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما المتأخرون من الامة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقهاء فيهما ويميزوا بين صحيح الاحاديث وسقيمها ونتائج المقاييس وعقيمها مع ما يضم الى ذلك من غلبة الاهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الاسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم للذين نعت الله بهما الانسان في قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا من الله على الانسان بالعلم والعدل أقنذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والمصران الانسان لئني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون باصرتنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمر العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وماتركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب التفابير والمغازي وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار ما يستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم في طبقتهم ومثلها ما يوجب عليه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم وعبد الله بن أحمد وأبي بكر الحلال وأبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الآجري وأبي الحسن الدارقطني وأبي عبد الله بن منده وأبي القاسم اللالكائي وأبي عبد الله بن بطة وأبي عمر الطلمنكي وأبي نعيم الاصبهاني وأبي بكر البيهقي وأبي ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة

(وقد) يروي كثير من الناس في الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها ما يكون كلاماً باطلاً لا يجوز أن يقال فضلاً عن أن يضاف الى



النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام ما يكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقاً أو مما يسوغ فيه الاجتهاد أو مذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري وجعلها محنة يفرق فيها بين السني والبدعي وهي مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسناداً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهذا يعلمه من له أدنى معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة ففيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة بمقبتها ألم هل تسمى نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث المكذب فان السنة هي الحق دون الباطل وهي الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً

( فصل ) وقد تقدم ان دين الله وسط بين الغالي فيه والجباني عنه والله تعالى ما أمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بايهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيه واذا كان الاسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

إليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحيح وغيره من رواية أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وهيل بن حنيف وأبي ذر الغفاري وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم وغير هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم بقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لأن أدركتهم لاقتلهم قتل عاد وفي رواية شر قتلي تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه وفي رواية لو يعلم الذين يقاتلونهم مازوي لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم واتفق على قتلهم جميع أئمة الإسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الأهواء المضلة والبعد الخالفة ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضة الذين هم شر من هؤلاء وهم الذين يكفرون جواهر المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يري في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيبته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الى طلوع النجم ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقتنون في الصلوات الخمس ويحرمون النفاق وذبايح أهل الكتاب وذبايح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرقة تلهم المسلمون بامر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب الى الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك باسباب

منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته آلهها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله كيلا وقال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو في الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز  
ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب  
عليه باتفاق أهل المعرفة يسميها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة  
ظنه وهواه

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من  
ذمهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم  
الهدى وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى ماض  
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فنزهه  
عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضل هو الذي لا يعلم  
الحق والغاوى الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس  
بل هو وحي أوحاه الله اليه فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدئها طوائف ممن  
ينتسب الى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الظالمين وهي فصول

(الفصل الاول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الأحاديث  
التي في دواوين الاسلام مما نعلم باليقين القاطع انها كذب وبهتان بل كفر  
شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يروون فيه حديثا مثل حديث  
يروونه ان الله ينزل عشية عرفة على جبل أورق يصافح الركبان ويعانق  
المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم  
وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد  
من علماء المسلمين أصلا بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم كابن قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به أهل الحديث ويقولون انهم يرون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجييج وعليه حبة صوف أو ما يشبهه هذا البهتان والافتراء على الله الذي لا يقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومكذا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه وبقروا قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحجي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر الى آثار خطي الله وانما قال أثر رحمة الله ورحمته هنا النبات

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم رأى ربه في الطواف وفي بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفي بعضها انه رآه في بعض سكك المدينة الى أنواع آخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم رأى ربه بعينه في الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رضى الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم ترو عائشة رضى الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا سأله عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصادق رضى الله عنه كما يروونه ناس من الجهال ان أباهما سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لعائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره أنه اختلفت الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذى رواه أهل العلم انه قال رأيت ربي في صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفيّ حتى وجدت برداناه على صدرى هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كام الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا في كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحى لم يكن رؤيا بقظة ليلة المعراج وقد اتفق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينه في الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الى الارض  
بل الاحاديث الصحيحة ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى  
سماء الدنيا كل ليلة حين ينفي ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني  
فاستجب له من يسأني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

وثبت في الصحيح ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء  
الدنيا فيباهي الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي اتوني شعنا  
غبرا ما اراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان  
صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه اهل العلم

وكذلك ما روى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء  
تبدي له ربه على كرسى بين السماء والارض غلط باتفاق اهل العلم  
بل الذي في الصحيح ان الذي تبدي له الملك الذي جاءه بحراء في أول  
مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني  
الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ  
مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان  
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهذا  
أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه  
وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا فرفعت  
رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء اجالس على كرسى بين السماء  
والارض رواه جابر رضى الله عنه في الصحيحين فاخبر ان الملك الذي  
جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في



بعض الروايات الملك فظن القارئ انه الملك وانه الله وهذا غلط وباطل  
وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه  
بعينيه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من  
خطوات الحق وفيه انه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب  
باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل  
باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين  
لا يرى ربه بعينى رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس  
ابن - هعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا  
ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روى هذا عن النبي  
صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال وبين لهم  
ان أحدا منهم لن يرى ربه حتى يموت فلا يظن أحد ان هذا الدجل  
الذي رآه هو ربه ولكن الذى يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة  
بالله ويقين القلوب ومشاهدتها ونجلياتها هو على مرتبة كثيرة قال النبي  
صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال  
الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر ايمانه وبقيته  
فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة واذا كان في ايمانه نقص  
رأى ما يشبه ايمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها  
تعبير وتأويل لما فيها من الامثال المضروبة للاحقائق

(وقد) يحصل لبعض الناس في البقطة أيضا من الرؤيا نظير ما يحصل للأعمى في المنام فيرى بقلبه مثل ما يرى الناظر \* وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا

وربما غلب أحدهم ما يشهده بقلبه وتحممه حواسه فيظن انه رأى ذلك بعينه رأسه حتى يستيقظ فيعلم انه منام وربما علم في المنام انه منام فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين انه رأى ربه بمعنى رأسه فهو غالط في ذلك باجماع أهل العلم والايان

نعم رؤية الله بالابصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضا للناس في عرصات القيامة كما تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر سحوا ليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب آيتهما وحائتهما وما فيهما وجنتان من فضة آيتهما وحائتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا وبثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها في الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة  
بالمقبول وتفق عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها  
الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات  
الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة  
ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله صلى الله  
عليه وسلم في الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون في الدنيا  
وكلاهما باطن

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم انه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال  
كما تقدم فان ضموا الى ذلك انهم يرونه في بعض الاشخاص اما بعض  
الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم  
وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون انهم رأوه  
في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذى يكون في  
آخر الزمان ويقول للناس انا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبث  
ويقول للخربة اخرجى كنوزك فتبعه كنوزها وهذا هو الذى حذر  
منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال ما من خلق آدم الى قيام الساعة  
فتنة أعظم من الدجال وقال اذا جاس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من  
أربع ليقول اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب  
القبر وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح  
الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه  
النبي صلى الله عليه وسلم انه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحدا منكم ان يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين  
يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن من الناس من يضل  
فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين  
يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله  
النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في على رضى الله عنه ونحوه وقوم  
في أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم في بعض الصور الجميلة  
الى غير ذلك من الاقوال التي هي شر من مقالة النصارى

و- تنف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات حتى  
الكلاب والخنازير والنجا-ات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمية  
ومن تبعهم من الاتحادية كاصحاب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض  
والتلمساني والبلباني وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب  
ان الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض وما بينهما ورب  
العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فرق سمواته على عرشه بأئن من خلقه ومع هذا فهو  
مهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذي خلق السموات والارض  
وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج  
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما  
تعملون بصير

فهؤلاء الضالال الكفار الذين يزعم أحدهم انه يرى ربه بعينه  
وربما زعم انه جالسه وحادثه أو ضاحجه وربما يعين أحدهم آدميا اما  
شخصا أو صديا أو غير ذلك ويزعم انه كلم يستتابون فان تابوا والا  
ضربت أعناقهم وكانوا كيفارا اذهم أكفر من اليهود والنصارى الذين  
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فان المسيح رسول كريم وجيه عند  
الله في الانبياء والآخرة ومن المقربين فاذا كان الذين قالوا انه هو الله  
وانه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا انه  
اتخذ ولدا حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد  
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن  
ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ذولا أن كل من في السموات والارض  
الا آت الرحمن عبدا فكيف بمن يزعم في شخص من الاشخاص انه  
هو هذا كفر من الغالية الذين يزعمون ان عليا رضى الله عنه أو غيره  
من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم على رضى الله عنه بالنار وأمر  
باخايد خدت لهم عند باب كنده وقذفهم فيها بعد ان أجلهم ثلاثا  
ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقتهم بالنار واتفقت الصحابة رضى الله عنهم على  
قتلهم لكن ابن عباس رضى الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا  
تحرقيق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء

(فصل) وكذلك الغلو في بعض المشايخ اما في الشيخ عدى ويونس  
القنى أو الحلاج وغيرهم بل الغلو في علي بن أبي طالب رضى الله عنه

ونحوه بل الغلو في المسيح عايه السلام ونحوه فكل من غلا في حق  
أو في رجل صالح كمثل على رضى الله عنه أو عدى أو نحوه أو في  
من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس الفنى  
ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه  
الشيخ فلان ما أريد أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدى أو يعبد به بالسجود  
له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول ياسيدى فلان  
اغفرلى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقنى أو اغثنى أو أجرنى أو توكلت  
عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الاقوال والافعال  
التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح الا لله تعالى فكل هذا  
شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل  
الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله  
الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر  
والنواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثلاثة  
الآخرى ويغوث ويغوث ونسرا وغير ذلك لم يكونوا يعقدون انها  
تخلق الخلاق أو انها تنزل المطر أو انها تثبت النبات وانما كانوا يعبدون  
الانبياء والملائكة والنواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو  
يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى  
ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسوله تهمي أن يدعى  
أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أوائلك الذين يدعون ينتفعون الى ربهم الوسيلة أيمهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من الساف كان اقوام يدعون المسيح وعزير او الملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون الى كما تقتربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما يخافون عذابي وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فاخضر سبحانه ان ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق عون يستعين به وانه لا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض الآية

وعباد الله وحده هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتاب فقال تعالى واول من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في



كل أمة رسولاً أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن ماشاء الله ثم ماشاء محمد ونهي عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولهذا اتفق العلماء على انه ليس لاحد أن يحلف بمخلوق كالكتابة ونحوها

ونهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال لا يصاح الـ سجود الا لله وقال لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه أرايت لو مررت بقبري أكنت ساجداً له قال لا قال فلا تسجد لي

ونهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

قبل أن يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد  
ألا فلا تتخذوا بيوتى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على حبيبا كنتم فان  
صلاتكم تباركنا ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المسجد  
على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول  
الصلاة عندها باطلة

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال  
الله تعالى في كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا  
تقم على قبره فكان دليل الخطاب ان المؤمنين يصل على عيهم ويقام  
على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا  
السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم  
الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم  
لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بهمهم واغفر لنا ولهم

وذلك ان من أكبر أسباب عبادة الاوتان كان التعظيم للقبور بالعبادة  
ونحوها قال الله تعالى في كتابه وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا  
ولا - وانا ولا يغوث ويصوق ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا

عكفوا على قبورهم ثم صوروا تمثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على ان متى سلم على النبي صلى الله عليه وسلم  
عند قبره أنه لا يتمح بحجرته ولا يقبأها لان التقبيل والاستلام انما

يكون لاركان بيت الله الحرام فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخاق  
وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات انما تقصد في بيوت  
الله وهي المساجد التي اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا تقصد  
بيوت المخلوقين فتتخذ عبدا كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيوتي  
عبدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي  
لا يقبل الله عملا الا به وبغفر صاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى  
ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك  
بالله فقد افترى انما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آية في  
القرآن آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم  
وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة  
والاله الذي يأله القلب عبادة له واستماعة ورجاء له وخشية واجلالا  
واكراما

(فصل) ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة  
ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف  
الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه  
يمود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن  
عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيان قال ما زلت أسمع الناس  
يقولون ذلك

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئاً لا لمن قاله مبالغاً مؤدباً قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صفحا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنة وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه

واذا كتب المسلمون مصحفاً فان أحبوا ان لا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عرباً لا يلحنون وهكذا هي المصاحف التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الي الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحرف ثم شكلت بمنل خط الحروف فتنازع العلماء في كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لا يكره للاجاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

والتصديق بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتكلم بصوت وينادى آدم عليه السلام بصوت الى أمثال ذلك من الاحاديث فهذه الجملة كان عليها سلف الامة وأئمة السنة

وقال أئمة السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلى وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان ذلك يدخل فيه القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقة لان ذلك يدخل فيه أفعال العباد ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة بل انك واعلى من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال ان المداد قديم فهذا من اجهل الناس وابعدهم عن السنة قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف مداد وورق أو حكاية وتبارة فهو مبتدع ضال بل القرآن الذي انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس له خاصة يمتاز بها عن سائر الاشياء.

وكذلك من زاع على السنة فقال ان ألفاظ المباد واصواتهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا مبتدع متكرر للسنة

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله وأما من زد على ذلك من الجهال الذين يقولون  
ان الورق والجلد والوند وقلمة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من  
يقول ماتكم الله بالقرآن ولا هو كلامه هذا الغلو من جانب الاثبات  
يقابل التكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعة

وكذلك افراد الكلام في النقطة والمشكلة بدعة نفيًا وإثباتًا وإنما  
حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل فان من قال ان الممداد  
الذي تنقط به الحروف وينسكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان  
اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع

بل الواجب أن يقال هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل  
في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال ما بين الالوحين جميعه  
كلام الله فان كان المصحف منقوطًا مشكولًا أطلق على ما بين الالوحين  
جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوط ولا مشكول كالصاحف القديمة  
التي كتبها الصحابة كان أيضًا ما بين الالوحين هو كلام الله فلا يجوز أن  
تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر يحدث ونزاع لفظي لاحقة مهمة له ولا يجوز  
أن يحدث في الدين ما ليس منه

(فصل) وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقراءة  
رضي الله عنهم فان الله تعالى أتى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين  
والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضى عنهم ورضوا عنه وذكرهم في  
آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحما بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً  
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك منهم في التوراة ومنهم في  
الانجيل كزرع أخرج شطاء فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب  
الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم  
مغفرة وأجرًا عظيماً وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك  
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً  
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا نسبوا أصحابي  
فوالذى نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداحهم  
ولا نصيفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين على  
ابن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبينا أبو بكر ثم  
عمر رضى الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
بيعة عثمان بعد عمر رضى الله عنهما وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يصير ملكا وقل صلى الله عليه  
وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا  
بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة  
ضلالة

وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء  
الراشدين المهديين



وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والامراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك نؤمن بالامم الكريمة وما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو مثابين على عمائم الصالح مغفور لهم خطوهم وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسني فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير امة اخرجت للناس

ونعلم مع ذلك ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وعمن قتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضي الله عنه أقرب إلى الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسميد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم فاتبوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

ما يجب رعايتها فان الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا آل محمد وقد قال الله تعالى في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً وحرّم الله عليهم الصدقة لانها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس لما شكاه اليه جفوة قوم لهم قال والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتي يحبوكم من أجلي

وفي الصحيح عن أبي علي رضي الله عنه وسلم أنه قال ان الله اصطفى بنى اسماعيل واصطفى بنى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفاني من بنى هاشم وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الامة بمد صار قوم ممن يحب عثمان ويفلو فيه بخرف عن علي رضي الله عنه مثل كثير من أهل الشام ممن كان اذ ذلك يسب علياً رضي الله عنه ويبغضه وقوم ممن يحب علياً رضي الله عنه ويفلو فيه بخرف عن عثمان رضي الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضى الله عنه

ثم تغلظت بدعتهم بعد ذلك حتى - - - - - أبوا أبى بكر وعمر رضى الله  
عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلى جميعاً وتقديم أبى بكر وعمر عليهما رضى  
الله عنهما لما خصهما الله به من الفضائل التى سبقتها لهما وعائياً جميعاً  
وقد نهي الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله  
فهذا موضع يجب للائمن أن يتثبت فيه ويعصم بحبل الله فان  
السنة منهاها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلى  
الله عليه وسلم

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بمقوبة  
من يسب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا  
سكهم فيها في غير هذا الموضع

ولم يكن أحد اذذاك يتكلم في يزيد بن معاوية ولا كان الكلام  
فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد  
ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق الى امنة غيره فكره  
أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسكن  
فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الغلاة فيه  
على طرفي تقبض هؤلاء يقولون انه كافر زنديق وانه قتل ابن بنت  
رسول الله صلى الله عليه وآله وتزل الانصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بنأر  
أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جده لأمه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وغيرهما ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واظهار الفواحش  
 اشياء وأقوام يعتقدون أنه كان اماما عادلا هاديا مهديا وأنه كان من  
 الصحابة أو أكابر الصحابة وأنه كان من أولياء الله تعالى وربما اعتقد  
 بعضهم انه كان من الانبياء ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار  
 جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عدي انه كان كذا وكذا ولياً  
 وقفوا على النار لقولهم في يزيد وفي زمن الشيخ حسن زادوا اشياء  
 باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان  
 عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه فان طريقته كانت سليمة لم  
 يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً  
 وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله

وهذا الغلو في يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل

العالم بالإيمان

فان يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه  
 ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء  
 ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شيوخ بني الساميين ولا  
 كان كافراً ولا زنديقاً وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين  
 ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما  
 يحكي عنه خصومه

وجرت في امارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين رضي الله  
 عنه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب

على ثنائه رضى الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضى الله عنه الى الشام  
 لكن أمر بمنع الحسين رضى الله عنه وبدفنه عن الامر ولو كان بقتاله  
 فزاد النواب على أمره وحض الشمر رضى الجيوش على قتله لعبيد الله  
 ابن زياد فاعندى عليه عبيد الله بن زياد فطلب منهم الحسين رضى الله  
 عنه أن يجيىء الى يزيد أو يذهب الى الثغر مرابطاً أو يعود الى مكة  
 فتعوه رضى الله عنه الا أن يستأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه  
 ظلوماً له ولطائفة من أهل بيته رضى الله عنهم

وكان قتله رضى الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل  
 عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الامة وقتلها من شرار  
 الخاق عند الله ولما قدم أهلهم رضى الله عنهم على يزيد بن معاوية  
 أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زياداً على قتله وقال  
 كنت أرى من طاعة أهل المرق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا  
 لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بشاره كان هو الواجب  
 عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب مضافاً الى أمور أخرى  
 وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا  
 نوابه وأهله فبث اليهم جيشاً وأمره اذا لم يطعموه بثلاث أن يدخلها  
 بالسيف ويبيحها ثلاثاً انصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثاً يقتلون  
 وينهبون ويفتضون الخروج المحرمة ثم أرسل جيشاً الى مكة المشرفة

فحاصروا مكة وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره.

ولهذا كان الذي عليه مقتصد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسيب ولا يحب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لأبي ان قوما يقولون انهم يحبون يزيد قال ياني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت يا أباي فلماذا لا تلغنه قال ياني ومتي رأيت أباك يامن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال لا ولا كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل

فزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه بحجة الصالحين وأولياء الله ولا يحبونه فأنهم لا يحبون أئمة المسلم المعين لما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً كان يدعى حمارة وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم ضربه فقال رجل لعنه الله ما أكثر . يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجبرون لعنه لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز لعنه فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لأنه مسلم تولى على عهد الصحبة وبايعه الصحابة ويقولون لم يصح عنه ما نقل عنه وكانت له محاسن ولم يصح عنه ما نقل عنه أو كان مجتهداً فيما فعله

والصواب هو ما عليه الأئمة من أنه لم يخص بمحبة ولا يامن ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر لأفأق والظالم لاسيما إذا أتى بحسنات

عظيمة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

وقد يشبهه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر رضي الله عنه في نواح الشام ومشى أبو بكر في ركابه بوصيه مشيعاله فقال له يا خليفة رسول الله أما أن تركب وأما أن أنزل فقال است براكب ولست بنازل اني أحسب خطاي هذه في سبيل الله فلما توفي بعد فتوح الشام في خلافة عمر ولي عمر رضي الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأقام معاوية بالشام الى أن وقع ما وقع

فالواجب الافتصار في ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وانه من أكابر السابقين وأئمة امدل وهو خطأ بين

( فصل ) وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شيكيلي أو قرفندي فان هذه أسماء بطله ما أنزل الله بها من سلطان وایس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الائمة لاشكيلي ولا قرفندي والواجب



على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلى ولا قرفندى بل أنا  
مـلم متبوع الكتاب الله وسنة رسوله

وتدرونا عن معاوية بن أبى سفيان انه سأل عبد الله بن عباس  
رضى الله عنهما فقال أنت على ملة على أوملة عثمان فقال لست على ملة  
علي ولا على ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك  
كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم  
ما أبلى أي النعمتين أعظم على ان هداني الله للاسلام أو ان جنبني هذه  
الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا  
نعدل عن الاسماء التي سمانا الله بها الي اسماء أحدثها قوم وسموهاهم  
وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الي امام  
كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو الي شيخ كالغفاري والعدوي  
ونحوهم أو مثل الانتساب الي القبائل كالقيسي واليماني والي الامصار  
كاشامي والعراقي والمصري

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا  
يعادى عليها بل أكرم الخلق عند الله اتقاهم من أي طائفة كان  
وأدليا. الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد  
أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله  
تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر  
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال

على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المنقون والتقوى هى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء. فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى ولدا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل آداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالوفاء حتى أحبه فاذا أحبيته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع وبى يبصر وبى يبطش ولان سألنى لاعطينه ولان استعاذنى لا عيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدله منه

فقد ذكر فى هذا الحديث ان التقرب الى الله تعالى على درجتين \* احداها التقرب اليه بالفرائض \* والثانية هى التقرب الى الله بالوفاء بمد آداء الفرائض \* فالاولى درجة المفتصدين الابرار أصحاب اليمين \* والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالى ان الابرار انى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسعون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضى الله عنهما يمزج لأصحاب اليمين مزجا ويشربه

المقربون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله

والله سبحانه قد أوجب موالاته المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه من الله لايهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطة أعماهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله ته الى فاصالحوا بينهم ما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصالحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه وفي الصحاح أيضاً أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأكبيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسامه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم اخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله الآية .

فكيف يجوز مع هذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان تفرق

وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويمادى طائفة أخرى بلظن والهوى  
بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن  
كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين  
واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتمدون بحبل الله وأقل ما في ذلك  
أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره ألقى الله منه

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره  
الله ورسوله وبحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله  
وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله  
وأن يكون المسلمون يداً واحدة فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس  
إلى أن يضللوا غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق  
للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين  
فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله هذه  
الامة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى في كتابه في دعاء لرسول صلى  
الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وثبت في  
الصحيح أن الله قال قد فعلت

لا سيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام مثل أن  
يكون مثلكم على مذهب الشافعي أو منتسباً إلى الشيخ عدى ثم بعد

هذا قد يخالف في شيء وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه  
ودمه أو ماله مع ما قد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن  
وكيف يجوز التفريق من الامة باسماء مبتدعة لأصل لها في كتاب  
الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا التفريق الذي حصل من الامة علماء ومشايخها وأمرائها  
وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل  
بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا  
ميثاقهم ففسوا حظاً مما ذكرنا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء  
ففي ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء  
واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا واذا اجتمعوا صاحوا وملكوا فإن  
الجماعة رحمة والفرقة عذاب

وجماع ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها  
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعصموا  
بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا الى قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير  
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون  
فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف  
والفرقة ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة  
الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أو طلب منه الرزق والنصر  
والهداية وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد أن أحداً يستغنى عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فإن تاب والا ضربت عنقه.

وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب فإن تاب والا ضربت عنقه لأن الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وكان مبعوثاً الى بنى اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان انبياءهم الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين انفسهم وجنهم فمن اعتقد انه يسوع لا أحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدئها لم يست في كتاب الله ولا سنة رسوله فإنه يجنب عن ذلك وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فإنه اذا عوقب المعتقدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الاسباب التي ترضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويصالح أمر المسلمين ويجب على أولى الامر وهم علماء كل طائفة وأمرائها ومشايخها أن يقوموا عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمرونهم



بِأَمْرِ اللَّهِ بِهِ وَرَسُولِهِ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها واقامة الجمعة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعیاد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح وصلاة الجنائز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومثل سائر ما أمر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والحشية من عذابه والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الى أهلها وبر الوالدين وصلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والعدل في المقال والفعال ثم التذب الى مكارم الاخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يجب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فاعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة أو نبيا من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحدا من الجن أو تمثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فيكل هذا وأشباهه من التبرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل اما بالغصب واما بالربا أو الميسر كالبيع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وأطفيف المكيال والميزان ولائهم والبنغي بغير الحق

وكذلك ما حرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله ما لا يعلم مثله أن يروى عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا إثارة من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت من صفات النفي والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لا يري في الآخرة وانه لا يشكلم ولا يحب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو كانت من صفات الاثبات والتمثيل مثل من يزعم انه يمشي في الارض أو يجالس الخلق أو انه يرون باعينهم أو ان السموات تحويه وتحيط به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع الفرية على الله

وكذلك المبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فأحدث لهم الشيطان عبادات ضاهها بها مثل انه شرع لهم عبادة الله وحده لاشريك له فشرع لهم شركاء وهي عبادة ماسواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذي خلق أمراً في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الافعال السجود لله وحده لاشريك له وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امرؤا واحداً منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومرا النبي صلى الله عليه وسلم بابي موسى رضي الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته فقال ياأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت لحبرتك تحببياً وقال الله أشد اذناً أي استماعاً الى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته

وهذا هو سماع المؤمنين وواف الامة وأكابر المشايخ كمعروف

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سايه ان الداراني ونحوهم وهو سماع المشايخ لتأخرين الاكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدى بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وانصديّة

قال السلف الميكاء الصخير والصدية النصفق باليد فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام بصفقون وبصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها الى الله فقد ضاها هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التي أتت عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الافراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فان دين الاسلام واسع لا حرج فيه وعماد الدين الذي لا يقوم الا به هو الصلوات الخمس المكتوبات

ويجب على المسلمين من الاعتناء بها مالا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمرهم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد اضاءة

وهي أول ما أوجب به الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين فإذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمَن ذهب سقط الدين قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه بخلاف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره أضاعوها تأخيرها عن وقتها ولو تركوها كانوا كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى والمحافظة عليها فعملها في أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتى يخرج الوقت وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز تأخير صلاة النهار إلى الليل ولا تأخير صلاة الليل إلى النهار لا لمسافر ولا لمرضى ولا غيرها لكن يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتي النهار وهي الظهر والعصر في وقت أحدهما ويجمع بين صلاتي الليل وهي المغرب والعشاء في وقت أحدهما وذلك لمثل المسافر والمرضى وعند المطر ونحو ذلك من الأعذار وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فعلي الرجل أن يصلي بظهارة كاملة وقراءة كاملة وركوع وسجود كامل فإن كان عادماً للماء أو ينضرب باستعماله لمرض أو برد أو غير ذلك وهو محدث أو جنب يتيمم الصعيد الطيب وهو التراب يمسح به وجهه ويديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان مجبوساً أو مقيداً أو زمنياً أو غير ذلك صلى على حسب حاله وإذا كان بازاء عدوه صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الى قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الى قوله فإذا اطمانتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

وبجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال انبي صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة اسبيع واضربوهم على تركها لمشر وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس أوترك بهض فرائضها المتفق عاينها فانه يستتاب فان تاب ولا نكل

فمن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لا يصلى عاينه ولا يدفن بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فلها قوام الدين وعماده وأما عظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وتارة يفتح بها أعمال البر  
ويختتمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال  
أما إلى قد أفلاح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن  
المنغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون  
إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغي وراء  
ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لإماناتهم وعهدهم راعون والذين هم  
على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم  
فيها خالدون

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم من الذين يرثون الفردوس

هم فيها خالدون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً

تمت الرسالة السابعة

ويليها الرسالة الثامنة له أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضى الله عنه من الديار المصرية في شوال سنة أربع عشرة وسبعمائة في حسن ارادة الله تعالى الخالق الخلق وانشاء الانام وهل يخلق لعله أو لا فير علة فان قيل لالعله فهو عبث تعالى الله عنه وان قيل لعله فان قائم انها لم تزل لزم أن يكون المعلول لم يزل وان تلم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال

الجواب \* الحمد لله رب العالمين \* هذه المسئلة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوباً وفروعاً وأكثرها شهراً ومخارات فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسئلة فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق سبحانه وكذلك انشراح كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها وهي متعلقة بمسائل النذر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه جوامع علوم الناس فعلم الفقه هو الامر والنهي

وقد تكلم الناس في تامليل الاحكام الشرعية والامر والنهي كالامر بالتوحيد والصدق والعدل والصلاة والزكاة والصيام والحج والنهي عن الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك الحكمة ومصلحة وعله اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهل علل الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة وهل يسوغ في الحكمة أن ينهي الله عن التوحيد والصدق والعدل



ويأمر بالشرك والكذب والظلم أم لا

ونكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزّه عنه مع قدرته عليه أم الظلم ممتنع لنفسه لا يمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه هل هو بمعنى ارادته وهو الثواب والعقاب المخلوق أم

هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل يريد به ويحببه ويرضاه كما يريد ويحب سائر ما يحدث أم هو واقع بدون قدرته ومشيته وهو لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهديا أم هو واقع بقدرته ومشيته ولا يكون في ما لا يريد وله في جميع خلقه حكمة بالغة وهو يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يريد به الارادة الدينية المتضمنة لمحبهه ورضاه وان ارادة الارادة الكونية التي تتناول ما قدره وقضاه وفروع هذه المسئلة كثيرة ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى التقديرات الثلاثة المذكورة في سؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف من بني آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعل ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينسب الى السنة من أهل الكلام والنقح وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نقاة القياس

الظاهريّة كان حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء أنه لو خلق الخالق العلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها فانه إما أن يكون وجود تلك العلة وعملها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الأول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت ان وجودها أولى به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً

ومن حجّتهم ما ذكره السائل من أن العلة ان كانت قديمة وجب قهر المعلول لان العلة الغائبة وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد كما يقال أول الفكرة آخر العمل وأول البقية آخر الدرك ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلاً فلا ريب أنها متأخرة في الوجود عن العمل فمن فعل فعلاً لمطلوب يطالبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الأولى (فلوقيل) انه يفعل لعل قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل أنه فعل لعل حادث لزم محذور ان أحدهما أن يكون محلاً للحوادث فان العلة اذا كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها واذا قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثاً فيقوم به الحوادث والمحذور الثاني ان ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضاً مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغيره لزم العبث كما تقدم وان كان

لعلة عاد التقسيم فيها فإذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه  
لزم تسلسل الحوادث الثاني ان تلك العلة اما أن تكون مرادة لنفسها  
أولعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ما أراده الله  
تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر حدوثه وان كانت مرادة لغيرها  
فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج  
من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يحمل العلة الفاعلية  
قديمة كما يقول ذلك طوائف من المسلمين كما سيأتي بيانه كما يقول ذلك من  
يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهؤلاء أصل قولهم ان المبدع  
للعالم علة تامة تستلزم معلولها لا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم  
حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلان كانت موجودة  
في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها  
معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا  
لا نغنى بالعلة التامة الا ما يستلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها المعلول لم  
تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل  
وهي المقتضى التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من  
وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد  
المفعول بعد ذلك من تجدد سبب والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن  
بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في  
الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة

للمفعول يوجب اما التـسلسل واما الترجيح بلا مرجح  
ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكونهم  
متناقضين فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لنفسه العلة الغائية  
ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لفاعل بالاختيار  
وقولهم باطل من وجوه كثيرة \* منها أن يقال هذا القول يستلزم  
أن لا يحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم  
ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح  
وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلولها يقترن بها معلولها ولا يجوز أن  
يتأخر عنها شيء من معلولها فمكل ما حدث من الحوادث لا يجوز أن  
يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما يصدر عنه الممكنات سوي  
الواجب بنفسه الذي سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث  
عنه وليس هناك ما يحدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وأيضا فلو قدر  
أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالقول في الواجب  
الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة تستلزم مقارنة معلوله  
له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لا بواسطة ولا  
بغير واسطة لان تلك الواسطة ان كانت من لوازم وجود كانت قديمة  
معه فامتنع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها  
كالقول في غيرها وان قدر ان المحدث لاحداث غير واجب بنفسه كان  
ممكنا ممتعة الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث  
وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزمية له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لا يوجد هو ولا شيء من صفاته وأفعاله الا عن  
الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعل  
قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضى الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث  
سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل  
كما تقدم

الوجه الثانى الذى يبين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحجة انه  
اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح والتسلسل  
عندكم جائز فان أصل قولهم ان هذه الحوادث تسلسل شيئاً بعد شيء  
وان حركات الفلك توجب استمداد اقوابل لان تفيض عليها الصور  
الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم هي العقل الفعال أو هي الواجب الذى  
يصدر عنه بتوسط العقول أو غير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل  
جائزاً عندكم لم يمنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان  
لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك ان  
الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض في ستة أيام وهذا مما  
اتفق عليه الملل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه خالقها بسبب  
حدث قبل ذلك كان خيراً من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع  
وكان أولى في العقل لان العقل ليس فيه ما يدل على قدم هذه الافلاك  
حتى يعارض الشرع وهذه الحجة العقلية انما تقتضى أنه لا يحدث شيء  
الا بسبب حادث فاذا قيل ان السموات والارض خالقها الله تعالى بما  
حدث قبل ذلك لم يكن في حجبتكم العقلية ما يبطل هذا

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية امان أن يكون  
ممكنا في العقل أو ممتمنا فان كان ممتمنا في العقل لزم ان الحوادث جميعها لها أول كما  
يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام ويطل قولهم بقدوم حركات  
الافلاك وان كان محدثا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى  
كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما  
يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير  
ذلك فيلزم فساد حججكم على انقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم  
حكمة وغاية مطلوبة واما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم بأبواب  
العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة البارئ تعالى في خلق الحيوان  
وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة  
الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحدثه سبحانه لما  
يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت  
الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته  
وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتتم له حكمة مطلوبة وهي  
باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة  
فان القول بأن الماعل فاعل كذا الحكمة كذا بدون كونه مربدا لتلك  
الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس  
تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة  
وأمثال ذلك

وأما التفسير الثالث وهو انه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثله لكن هؤلاء على أقوال \* منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الى الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب وقالوا ان فعل الا - سان الى الغير حسن محمود في العقل بخلاف الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم الناس أنتم متناقضون في هذا القول لان لاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم بحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصد الحمد والثواب بذلك واما للرقعة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتداه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلذذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الماعل سواء لم يعلم ان مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم

علاتم أفعاله فراراً من العيث فوقتم في العيث فان العيث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الاماله في ذلك من المنفعة والمصلحة والا فامر الفاعل بفعل لا يعود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لاني العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر

ونشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسئلة التحسين والتقبيح العقلي فثبت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبي حنيفة نفسه وفي ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملاءماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى ونذب اليها هي نافعة للفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي ضارة للفاعليها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل ومفسدة له



والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لابعني حكم يعود اليه من أفعاله ومنازعوه لما اعتقدوا ان لاحسن ولا قبح الامعاد الي الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته اذ عندهم لا يقوم بذاته وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شئ قديرا ولا يقولون ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقولون بانه خالق كل شئ ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً أى لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم في حديث البطاقة الذي رواه الترمذى وغيره يجاء برجل من أهقي يوم القيامة فتشتر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيقال له هل تنكر من هذا شيئاً فيقول لا يارب فيقال له لا ظلم عليك اليوم ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت

السيجلات ونقلت البطاقة فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظلم بل يثاب على ما أتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجهور هؤلاء الذين يسمون عدلية يقولون من فعل كبيرة واحدة أحببت جميع حسناته وخلد في نار جهنم فهذا الذي سماه الله ورسوله ظلماً يصفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ويسمون تخصيصه من إ شاء برحمته وفضله وخلقه ما خلقه لما فيه من الحكمة البالغة ظلماً

والكلام في هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نهنا على مجامع أصول الناس في هذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ما هو الا صالح في دينه وتنازعوا في وجوب الا صلاح في دنياه ومذهبهم انه لا يقدر أن يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير ما فعل ولا يقدر أن يهدى ضالاً ولا يضل مهتدياً

وأما سائر الطوائف الذين يتولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم والمنفاسفة أيضاً فلا يوافقونهم على هذا بل يقولون انه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطاعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كارساله محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قالوا هو محمد صلي الله عليه وسلم

فاذا قل القائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان\* أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت مافي قلوبهم وبالجهاد والجزية التي أخافتهم وأذاتهم حتى قل نرهم ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره وكان ذلك تقليلا لشره والرسول صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكسيها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان\* والجواب الثاني ان ما حصل من الضرر أمر مغموور في جنب ما حصل من النفع كالطائر الذي نفعه اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكسبين كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصاحته عامة كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجاب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفاسفة

وقال هؤلاء جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من  
حكمة قال تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء وقال الذي أحسن كل  
شيء خلقه والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقاً  
وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم  
إضافة الشر وحده الى الله بل لا يذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة  
أما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في الموم أفاد عموم  
القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما شتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم  
وأما أن يضاف الى السبب الفاعل وأما أن يحذف فاعله فالاول كقوله  
تعالى الله خالق كل شيء ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع والضرار النافع المعز  
المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضرار عن  
قرينه لان اقترانها يدل على الموم وكل مفي الوجود من رحمة  
ونفع ومصاحبة فهو من فضله تعالى وما في الوجود من غير ذلك فمن  
عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة سبحانه  
الليل والنهار أرايت ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفض  
ما في يمينه والقسط بيده الاخرى يخفض ويرفع فاخبر ان يده اليميني فيها  
الاحسان الى الخلق ويده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض  
ويرفع يخفضه ويرفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن وأنا لا ندرى أشد أريد بمن  
في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وقوله تعالى صراط الذين أنعمت  
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

واضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فاردت أن أعيها  
مع قوله فاراد ربك أن يبلغا أشدها ويستخرجا كنزها وقوله تعالى  
ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله  
ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم  
أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأمثال ذلك

ولهذا ليس في أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر وإنما يذكر  
الشر في مفعولاته كقوله نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي  
هو المذاب الاليم وقوله ان ربك لعمر يع العقاب وانه لغفور رحيم وقوله  
اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو  
يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود فبين سبحانه ان بطشه شديد وانه  
هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله  
عليه وسلم وإنما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالى انا من المجرمين  
منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذى في عدد الاسماء  
الحسنى الذى يذكر فيه المنتقم وذكر في سياقه البر انتواب المنتقم العفو  
الرؤف ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه  
وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذي رواه من طريق الوليد  
 ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف في الاسماء وفي ترتيبها يبين انه  
 ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث  
 عن أبي هريرة ثم عن الأعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان  
 الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين  
 اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل  
 الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الاسماء من طريق  
 أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه  
 واستاده ضعيف يعلم أهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى  
 الله عليه وسلم وليس في عدد الاسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 إلا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبي هريرة وهذا  
 مبسوط في موضعه

وانقصود هنا التنبيه على أصول تقع في معرفة هذه المسئلة فان نفوس  
 بني آدم لا تزال يجول فيها من هذه المسئلة أمر عظيم  
 واذا علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة  
 عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته  
 ما يهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال سبحانه  
 آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فانه صلى الله عليه  
 وسلم قال في الحديث الصحيح لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها وفي  
 الصحيحين عنه انه قال ان الله خالق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحدة فيها يترحم الخالق حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الي تلك فرحم بها عباده او كما قال

ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين وغيرهم كأئمة المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة فلا ينفونها كما نفاهم الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشئة بلا رحمة ولا محبة ولا رضا وجمعوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لا يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ما وقع من الكفر والفسوق والعصيان قالوا انه يحب به ويرضاه كما يريد واذ قالوا لا يحب به ولا يرضاه ديناً قالوا انه لا يريد ديناً وما لم يقع من الايمان والتقوى فانه لا يحب به ولا يرضاه عندهم كما لا يريد و قد قال تعالى اذ يبيتون فلما يرضى من القول فأخبر انه لا يرضاه مع انه تدره وقضاه ولا يوافقون المعترلة على اسكار قدر الله تعالى وعموم خلقه ومشئته وقدرته ولا يشبهونه بخلقهم فيما يجب ويحرم كما فعل هؤلاء ولا يسلبونه ما وصف به نفسه من صفاته وأفعاله بل أثبتوا له ما أثبتته لنفسه من الصفات والافعال ونزهوه عما نزه نفسه من الصفات والانعال وقالوا ان الله خالق كل شئ ومليك وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شئ قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله وقالوا مع انه خالق كل شئ وربهم وما يملك فقد فرق بين المخلوقات أعيانها



وأفعالها كما قال تعالى أنجعلهم المسلمين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين  
اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم  
ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
كالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أم نجعل الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ وقال وما يستوى الْأَعْمَى  
وَالْبَصِيرُ وَلَا الظَّالِمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُ وَالْحُرُورُ وَمَا يُسْتَوَى الْأَحْيَاءُ  
وَالْأَمْوَاتُ وَأَمْثَلُ ذَلِكَ مُمَا يَبِينُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْخُلُوقَاتِ وَانْقِسَامِ الْخَلْقِ  
إِلَى شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَتَنْصَرُّونَ لَهُ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مَوْتُونَ  
وَقَالَ تَعَالَى فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ وَقَالَ تَعَالَى يَدْخُلُ  
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَقَالَ تَعَالَى وَيَوْمَ تَقُومُ  
السَّاعَةُ يُؤْمِنُ مَنْ يَتَفَرَّقُونَ فَلَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ  
يَجْرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي  
الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ وَنَظَرْتُ هَذَا فِي انْقِرَاطِ كَثِيرٍ

وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ زَلَّ فِيهِ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ  
وَالْتَّصُوفِ وَصَارُوا فِيهِ إِلَى مَا شَرُّ مِنْ قَوْلِ الْمُعْتَزَلَةِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ  
فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَنْظُمُونَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَكِنِ ضَلُّوا فِي الْقَدْرِ وَاعْتَقَدُوا  
أَنَّهُمْ إِذَا اثْبَتُوا مَشِيئَةَ عَامَّةٍ وَقُدْرَةَ شَامِلَةً وَخَلَقًا مُتَنَازِلًا لِكُلِّ شَيْءٍ لَزِمَ  
مِنْ ذَلِكَ الْقَدَحُ فِي عَدْلِ الرَّبِّ وَحُكْمَتِهِ وَغُلَاطُوا فِي ذَلِكَ فَقَابِلُ هَؤُلَاءِ  
قَوْمٌ مِنَ الْأَعْمَاءِ وَالْعِبَادِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ فَأَثْبَتُوا الْقَدْرَ وَآمَنُوا  
بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَأَنَّهُ خَالِقُ



كل شيء وهذا حين وصواب لكنهم قصرُوا في الامر والنهي والوعيد والوعيد وافراطوا حتى غلبهم الى الاتحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء فاولئك القدرة وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فاعلاما اعتقدوه شراً غير الله سبحانه فهو لاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وغيرها انهم لا يقرون بالجزية وجهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهي فهو شر ممن أثبت الامر والنهي ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحذور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل المصيبة لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وبليس سواء ونوح وقومه - واء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاوان والكافرون سواء وهذا

الضلال قد كثرت في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا  
 قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشئة من غير اثبات  
 المحبة والبغض والرضا والسيخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد  
 الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد  
 الالهية ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن  
 الله رب كل شيء لا يكون توحيداً حتى تشهد أن لا اله الا الله كما قال  
 تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة نسألهم  
 من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا  
 نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا  
 يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة

وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول  
 ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون  
 الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون  
 سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب  
 العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل  
 شيء وهو يجز ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني  
 تسحرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر  
 الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض يقولون الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون  
وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع  
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر  
الامر فيقولون الله قل أفلا تتقون فذليكم الله ربكم الحق فماذا بعد  
الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا  
أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله  
يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى  
الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من  
لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق  
السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة  
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أله مع الله بل هم قوم يدعون أم من  
جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل  
بين البحرين حاجزاً أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب  
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أله مع الله  
قل لا ما تذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل  
الرياح بشراً بين يدي رحته أله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدأ  
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أله مع الله قل هاتوا  
برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بان الله  
خالق السموات والارض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء وكانوا  
مقرين بالقدر

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في  
النظم والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له  
بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرأ من اليهود والنصارى  
فمن كان غاية توحيدِهِ ومَحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيدِهِ  
توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأى مقام ذات فيه أقدام وضلت فيه افهام وبدل  
فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن  
يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعة القدرية  
المنبتين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن  
والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمنفي الكاذب وأولياء الله  
وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الخلال  
في كتاب السنة في الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصي  
وذكر المروزي قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر  
العباد فقال هكذا لا نقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء  
ويهدى من يشاء

وذكر عن المروزي ان رجلاً قال ان الله لم يجبر العباد على المعاصي  
فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا  
عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهم جميعاً حتى قال أو أمر أن يقال  
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهيدي

قال أنكر سفيان الثوري جبر وقال ان الله جبر العباد  
قال المرزوي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شئ عبد  
القيس يعنى قوله ان فيك خلقتين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخافين  
تخلقت بهما أم خلقين حببت عليهما فقال بل خلقين حببت عليهما فقال  
الحمد لله لذى جيلنى على خلقين يحبهما

وذكر عن أبى اسحاق الفزارى قال قال الاوزاعى أتانى رجلان  
فسألانى عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتحييهم ماقت  
رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتانى الاوزاعى ومعه الرجلان فقال  
تكلمما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا فى القدر ونازعناهم  
فيه حتى بلغ بنا وبهم الى أن قلنا الله جبرنا على ما نأنا عنه وحال بيننا وبين  
ما أمرنا به ورزقنا ما حرم علينا فقلت ياهؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به  
قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا وانى أراكم قد خرجتم من البدعة الى  
مثل ما خرجوا اليه فقال أصبت وأحسن يا أبا اسحاق

وذكر عن بقية بن الوليد قال سألت الزبير بن عدى والاوزاعى عن  
الجبر فقال الزبيرى أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل  
ولكن يقضى وبقدر ويخاق ويجبل عبده على ما أحب  
وقال الاوزاعى ما أعرف لهجرا أصلا من القرآن والسنة فأهاب  
أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف فى  
القرآن والحديث \* وقال مطرف بن الشخير لم نوكل الى القدر واليه  
نصير \* وقال ضمرة بن ربيعة لم نؤمر أن نتوكل على القدر واليه نصير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكىل على الكتاب فقال لا اعملوا فيكلم ميسر لما خاق له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الحلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي \* ومعلوم انه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على إسقاط الامر والنهي اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروى في ذلك حديث مرفوع لان كلام هاتين البدعتين تفسد الامر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم والقدرى ان احتج به كان عوناً للمرجى وان كذب به كان هو والمرجى قد تقابلا هذا يبالغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا يبالغ في الناحية الأخرى

ومن المعلوم ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت وأطاع فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسنا من رسول الا ليطيع باذن الله وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهي

الذي بعث الله به رساله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن أحدهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والا فليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفسد أهله أو غير ذلك فحق لاه له أو ذمه أو طاب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذي لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العلم - قل محال في الشرع فان الجائع يفرق بين الحبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والشراب فيحب ما يشبع به ويرويه دون ما لا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحي وان كان من كان لابد أن يفرق بين ما ينفعه وينعمه ويسره وبين ما يضره ويشقيه ويؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم ﴿ والناس في الشرع والقدر على أربعة أنواع فشر الخلق ﴾ من يحتج بالقدر انفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه في الذنوب والمعائب ولا يطعن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك \* وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ليكبلا ناسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لا يحب كل مختال فخور \* وقال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله  
ومن يؤمن بالله يهد قباه \* قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة  
فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم \* قال تعالى والذين إذا فاءوا فأحشة  
أوطأهموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب  
إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام أنه لما فعل ما فعل قال  
ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن  
ابليس أنه قال فيما أغويتني لازينن لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين  
فصتاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس

(والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما  
السلام) لما قال له موسى أنت آدم أبو البشر خالقك الله بيده ونفخ فيك  
من روحه وعلمك أسماء كل شيء لما أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال  
له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك  
النورا بيده فبكتم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم  
ربه فنفوى قال بكذا وكذا سنة قال فخرج آدم موسى وهذا الحديث  
في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقد روى بالسناد جيد عن عمر  
رضي الله عنه قال إنما حج موسى لأن موسى لأمه على ما فعل لاجل  
ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لاجل حق  
الله في الذنب فإن آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى فتلقى آدم من  
ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن



هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب و آدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذا الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه \* وقد قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قباه \* وقال أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لأفعله \* وكان بعض أهله اذا عتبنى على شيء يقول دعوه فلو قضى شيء اكان \* وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا ينال منه قط شيء فانتقم لنفسه الا أن تنزهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله \* وقد قال صلى الله عليه وسلم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ففي أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقم الحدود على من تعدي حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذ به نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كل مصائب السماوية أو بفعل لاسبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لاسبيل الى لومه شرعاً لاجل التوبة ولا قدراً لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلاً فله أن يستوفي مظالمه على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لا ينظرون الى القدر لافي المعائب ولا في المصائب التي هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أياها استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذي مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر في حقهم دعوه فلو نضى شيء لكان لاسيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أو لما أصابكم مصيبة قد أصابكم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تمهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فاهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من منبى القدر ونفاته هؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلاء

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد يحبهم الاولون بقراءة مكذوبة فمن نفسك بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا أى أمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ما أصابك فيقولون تقدير الآية فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فيحرفون لفظ القرآن ومنهنا ويجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكروا الله قولهم ويضربون في القرآن مالا دليل على ثبوته بل سياق الكلام ينفيه من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي ينصره وأما القرآن فالمراد هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله تعالى ان تمسككم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصببك حسنة تسوءهم وان تصببك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون أى بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثله وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين وذلك انه اذا قال ما أصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل

غيرك بك كما قال ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وكما قال تعالى ان تصيبك حسنة تسوؤهم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم واذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لانه هو الجاني بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به وسياق الآيتين يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحز على الجهاد وذم المتخالفين عنه فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قل قد أنعم الله على ادلمأ كن معهم شهيدا وابن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فامر سبحانه بالجهاد وذم المتخالفين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم أحد فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأيده كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم انه سبحانه قال فليقال في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال تعالى وما لكم لانق تلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذه من عند الله وان أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به فان الكفار

كانوا يضيفون ما أصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر  
 نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون  
 بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا  
 هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ونظيره قوله تعالى في  
 سورة يس قالوا ربنا يعلم انا اليكم امرسلون وما علينا الا البلاغ المبين  
 قالوا انا تطيرنا بكم لننّ لم تنتهوا لترجئكم ولستم منكم مناعذاب اليم فاخبر  
 الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم بلاء جعلوه  
 بسبب أهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عز وجل فقال  
 تعالى فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن  
 الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم  
 عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون  
 سبباً للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالى ما أصابك من حسنة  
 فمن الله أى ما أصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمه أنعمها عليك  
 وان كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذى هداك وأعانك ويسرك  
 ليسري ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر  
 والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهى حديث أبى ذر  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى يا عبادى  
 انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد  
 الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه  
 وفي الصحيح سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت  
أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت  
من قالها إذا أصبح موقفاً بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها إذا  
أمسى موقفاً بها فمات من ليلته دخل الجنة ثم قال تعالى وما أصابك من  
سيدة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أى بذنوبك  
وخطاياك وإن كان ذلك مكتوباً مقدراً عليك

فإن القدر ليس حجة لاحد على الله ولا على خلقه ولو جاز  
لاحد ان يحتج بالقدر على ما فعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل  
مشارك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد فى  
الدين والدنيا المعلوم ضرورة وافـ 'ده به صريح المعقول المطابق لما جاء به  
الرسول فالقدر يؤمن به ولا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس  
ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقرب بالامر والقدر وطعن فى  
عدل الله وحكمته كان شبهها بابليس فإن الله تعالى ذكر عنه انه طعن  
فى حكمته وعارضه برأيه وهواه وأنه قال فيما اغويته لآزيتن لهم فى  
الارض

وقد ذكر طائفة من اهل الكتاب وبعض المصنفين فى المقالات  
كالشهرستاني انه ناظر الملائكة فى ذلك معارضاً لله تعالى فى خلقه وامره  
لىكن هذه المناظرة بين ابليس والملائكة التى ذكرها الشهرستاني فى  
اول المقالات ونقاهما عن بعض اهل الكتاب ليس لها اسناد يعتمد عليه  
ولو وجدناها فى كتب اهل الكتاب لم يجوز أن نصدقها لجرد ذلك فان

النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح انه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبونه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقونه ويشبه والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات والصفون في المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الاشعري وغيره مانقلا في المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأولها تصديفاً في هذا الباب ولهذا توجد المقالات منقولة بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان ابليس كما رأينا كثيراً منهم يضع كتاباً أو قصيدة على لسان بعض اليهود أو غيرهم ومقصودهم بذلك الرد على الثبوتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لا تتم لا بالكذب بالقدر كما وضعوا في مثالب ابن كلاب انه كان نصرانياً لانه أثبت الصفات عندهم من أثبت الصفات فقد أشبهه النصراني وتلقى أمثال هذه الحكايات بالقبول من المنتسبين الى السنة ممن لم يعرف حقيقة أمرها

والقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عندهم بذنوبهم فلو كانت حجبتهم مقبولة لم يذنبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين الا وقد أنعم بمنلها على الكفار فعندهم ان على بن أبي طالب رضى الله عنه وأبالب مستويان في نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل وأجبر عليه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حجب الايمان الى الكفار كإبى لخب وامثاله كما حبيه الى المؤمنين كعلی رضى الله عنه وامثاله وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان الى الطائفتين سواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن توهم منهم أو من نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء التدرية ولا يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفيله للمعصية كلنا عما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بارادة خلقها فيه تختص باحدهما فاذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم وكانت الآية حجة عليهم لا لهم لانه قال تعالى قل كل من عند الله وعندهم ليس الحسنات المنعولة ولا السيئات المنعولة من عند الله بل كلاهما من العبد وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنة المنعولة من العبد لامن الله سبحانه وتعالى



وكذلك من ا- تيج من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى قل كل من عند الله كان مخطئاً فان الله ذكر هذه الآية رداً على من يقول الحسنه من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من الناس ان الحسنه المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس فعل العبد وان قال أهل الاثبات ان الله خالق له وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لا ينكرون ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خالقها وأيضاً فان قوله بعد هذا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يمنع أن يقصر بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لا يقولون ان الله خلق احدهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خالق لجميع الافعال وكل الحوادث

(وما ينبغي أن يعلم) ان مذاهب سلف الامة مع ان قوهم الله خالق كل شيء وربهم ومليكهم وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلق العبد هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى ان شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين وقال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضع اضطرب فيه الخائفون في القدر فقالت المعتزلة ونحوهم من النفاة الكفر والفسوق والعصيان أفعال تبجيح والله منزّه عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا يكون فعلاً له وقال من رد عليهم

من المائلين الى الجبر بل هي فعله وليست أفعالا للعباد بل هي كسب للعبد وقالوا ان قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لها فيكون الفعل خلقا من الله وابداعا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته

وقالوا ان العبد ليس محدثا لفعاله ولا موجوداً لها ومع هذا فقد يقولون انا لانقول بالجبر المحض بل ثبت للعبد قدرة حادثة والجبر المحض الذي لا يثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذي أثبتوه وبين الخلق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة، وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم الناس هذا لا يوجب فرقا بين كون العبد كسبا وبين كونه فعلا أو وجد وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقدرة الحادثة وهو قائم في محل القدرة الحادثة وأيضاً فهذا فرق لا حقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أو خارجا عن محلها لا يعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبني على أصلين ان الله لا يقدر على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثاني ان قدرة العبد لا يكون مقدورها خارجا عن محلها وفي ذلك نزاع طويل ليس هذا موضعه وأيضاً فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو خارجا عن المحل وأيضاً قال لهم المنازعون من المستقر في فطر الناس ان من فعل العبد فهو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم ومن فعل الكذب فهو كاذب فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله بل الله هو فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم قالوا وهذا كما قلتم أنتم وسائر الصفاتية من المستقر في فطر الناس أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قامت به الحركة فهو متحرك ومن قام به التكلم فهو متكلم ومن قامت به الارادة فهو مرید وقلتم اذا كان الكلام مخلوقا كان كلاما للمخل الذي خلقه فيه كسائر الصفات فهذه القاعدة المطردة فيمن قامت به الصفات نظيرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بذكر اضافة هذه الافعال الى العباد كقوله تعالي جزاء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا ما شئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمثال ذلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل منفقان على أن العبد يحمّد ويذم على فعله ويكون حسنة له فلو لم يكن الا فعل غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها

وفي المسئلة كلام ليس هذا موضع بسطه ليكن نذبه على نكت نافعة

في هذا الموضع المشكل

فتقول قول القائل هذا فعل هذا وفعل هذا لفظ فيه اجمال فانه

تارة يراد بالفعل نفس الفعل وتارة يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت هذا أفعله فعلا وعملات هذا أعمله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل على

الذي هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل هنا المعمول قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين ما بمعنى الذي والمراد به ماتخونونه من الاصنام كما قال تعالى أعبدون ماتخونون والله خلقكم وما تعملون أى والله خلقكم وخلق الاصنام التي تخونونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعمته لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها فانما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها فانما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقاً لأفعالهم والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع أنواع وذلك كلفظ البناء والحياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلى المفعول وكذلك لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول يقع على نفس مسمى المصدر وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التصرفات فعل الله أو فعل

العبدان أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين  
وبصريح العقل ولكن من قال هو فعل الله أراد به أنها مفعولة مخلوقة  
لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل يقوم به فلا  
فرق عنده بين فعله ومفعوله وخالقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا يقولون هذه مخلوقة  
لله مفعولة ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً  
مفعولة له إذا أريد بالـفعل المفعول من لم يفرق في حق الرب تعالى بين  
الفعل والمفعول إذا قال أنها فعل لله تعالى وليس لمسمى فعل الله عنده  
معينان فينبذ فلا تكون فعلاً للعبد ولا مفعولة له بطريق الأولى

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب وللعبد فأثبت مفعولاً بين مفعولين  
وأكثر المستزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون  
إلا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا  
عظم النزاع وأشكلت المسئلة على الطائفتين وطاروا فيها

وأما من قال خالق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته  
قال إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر  
المفعولات ولم يقل أنها نفس فعل الرب وخالقه بل قال أنها نفس فعل  
العبد وعلى هذا نزول شبهة فانه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من  
القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له كما يفعلها العبد وتقوم به ولا يتصف  
بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه  
لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وغير ذلك فاذا كان قد خلق لون الانسان لم يكن هو المتلون به واذا خالق رائحة منتنة أو طعماً مرّاً أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً به - هذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والافعال القبيحة ومعنى قبيحها كونها ضارة لفاعليها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لآلئه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لآعلى الخالق الذى خلقها فعلاً لغيره

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الافعال القبيحة الضارة لفاعليها حكمة عظيمة كإله حكمة عظيمة فيما خلقه من الامراض والعموم ومن يقول لا تعمل أفعاله لا يعمل لاهذا ولا هذا

يوضح ذلك ان الله تعالى اذا خلق في الانسان عى ومرضاً وجوعاً وعطشاً ووصباً ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم يضرر هذه المخلوقات وما فيها من الاذى والكراهة عاد اليه ولا يعود الى الله تعالى شئ من ذلك فكذلك ما خلق فيسه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيئات وقبائح أى انها تسوّ صاحبها وتضره وقد تسوّ أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه وتنن ربحه ونحو ذلك قد يسوّ غيره ويضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق في العبد كفراً أو فسوقاً على سبيل الجزاء كما في قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وقوله فلما زاغوا

أزاع الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد وكسبا له يجزى عايبا ويستحق الذم عايبا والعقاب وهى مخلوقة لله تعالى . فالقول عند أهل الاثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما يخلقه جزاء من هذا الوجه وان افرقا من وجه آخر وهم لا يمكنهم أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الى كون هذا فعلا لله دون هذا وهما فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء العبد بما يضره وهم لا يقولون لا يحسن منه أن يضر الحيوان الابحرم سابق أو عوض لاحق وأما أهل الاثبات للقدرة فمن لم يعمل منهم لا يفرق بين مخلوق ومخلوق وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه من الحيوان حكم عظيمة كماله حكم في غير هذا ونحن لانحصر حكمته في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في الافعال معطلة في الصفات \* ومن أصولهم الفاسدة انهم يصفون الله بما يخلقه في العالم اذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه في غيره ومريد بارادة يحدتها لافي محل وقولهم ان رضاه وغضبه وجهه وبغضه هو نفس المخلوق الذى يخلقه من الثواب والعقاب وقولهم انه لو كان خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الاقوال التي اذا تدبرها العاقل علم فسادها بالضرورة



ولهذا اشتد تكبير السلف والائمة عليهم لاسيما لما اظهروا القبول بأن  
القرآن مخلوق وعلم السالف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى  
وانه لو كان كلامه هو ما خلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له  
فيكون انطاقه لاجلود يوم القيامة وانطاقه للجبال والحصى بالتسبيح  
وشهادة الايدي والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل  
شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلوية والجهمية كصاحب  
الفصوص وأمثاله ولهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه \* سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول ان الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك  
المحل فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها واذا  
خلق لونا أو ريحا في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك واذا خلق علما  
أو قدرة أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي فكذلك  
اذا خلق ارادة وحبا وبنضا في محل كان هو المرید المحب المنفض فاذا  
خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذا خلق له كذبا وظلما وكفرا  
كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحججا كان  
العبد هو المعلي الصائم الحاج والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته  
بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين  
من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس  
هو نفس السموات والارض بل الخلق غير المخلوق لاسيما مذهب  
السالف والائمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله



فان المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية القدريّة نقضوا هذا الاصل على من لم يقل ان الخلق غير المخلوق كالاشعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم ان الصفة اذا قامت بحمل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم بالعدل والاحسان وغيرهما من أفعال الله تعالى فانه يسمى عادلا بعدل خلقه في غيره محسنا باحسان خلقه في غيره فكذلك يسمى متكلمًا بكلام خلقه في غيره

والجمهور من أهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل ويقولون انما كان عادلا بالعدل الذي قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذي قام بنفسه وأما المخلوق الذي حصل للعبد فهو أثر ذلك كما انه رحن رحيم بالرحمة التي هي صفة وأما ما يخلق من الرحمة فهو أثر تلك الرحمة واسم الصفة تقع تارة على الصفة التي هي المصدر وتقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول كالفظ الخلق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق أخري والرحمة تقع على هذا وهذا وكذلك الامر يقع على أمره الذي هو مصدر أمر يأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وكذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع على المقدور ونظائر هذا متعددة

وقد استدل أحمد وغيره من أئمة السنة في جملة ما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات ونحو ذلك وقالوا الا تماذا لا تحصل للمخلوق وطرد هذا قول النبي صلى الله

عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك  
وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد أهل البدع والضلال لا يستطيعون على  
فريق منتسبين الى السنة والهدى الا بما دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى  
وضلال آخر لاسيما اذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم  
عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين ان استطاعوا  
خروج الشعرة من العجين كما فعات القراططة الباطنية والفلاسفة وأمثالهم  
بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطالوا على الاشعرية  
ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفي الافعال  
القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصاهم الذي استدلوا به عليهم من أن كلام  
الله غير مخلوق وان الكلام وغيره من الامور اذا خلق بمحل عاد حكمه  
على ذلك المحل واستطالوا عليهم بذلك في مسألة القدر واضطروهم الى  
أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من التبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد  
ثم أثبتوا كسبا لاحقيقة له فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة  
بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يستخرون بمن  
قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي  
هاشم وكسب الاشعرية اضطروهم الى أن فسروا تأثير القدرة في  
المقدور بمجرد الاقتران العادي والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم  
ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة فليس جعل هذا مؤثرا في هذا  
الباب بأولي من العكس ويقع بين المعلول وعلمته المنفصلة عنه مع أن

قدرة العباد عنده لا يتجاوز بحملها ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول  
وأبو اسحاق الاسفراہني الى قول وأبو المعالي الجويني الى قول لما رأوا  
في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود  
هنا التنبية

ومن النكت في هذا الباب ان لفظ التأثير ولفظ الجبر ولفظ الرزق  
ونحو ذلك ألفاظ مجملة فاذا قال الفائل هل قدرة العبد مؤثرة في  
مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدهما القدرة  
الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الامر والنهي والثاني القدرة  
القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها فالاولى  
هي المذكورة في قوله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع اليه  
سبيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت  
الا على من حج فلا يكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد  
وراحلة وهو قادر على الحج أو لم يكن وكذلك قول النبي صلى الله عليه  
وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي  
جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم  
اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم لو أراد استطاعة لا تكون الا مع  
الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ما تفعلون فلا يكون من لم يفعل شيئا عاصيا له  
وهذه الاستطاعة المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون  
في مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لا يثبت استطاعة الا ما قارن الفعل  
وتجد كثيرا من الفقهاء يتناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من التكاليف

المتبئين للقدرة ان الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل وافقوهم على ذلك  
واذا خاضوا في الفقه أثبتوا الاستطاعة المتقدمة التي هي مناط الامر  
والنهي وعلى هذا تنفرع مسألة تكليف مالا يطاق فان الطاقة هي  
الاستطاعة وهي لفظ مجمل فالاستطاعة الشرعية التي هي مناط الامر  
والنهي لم يكلف الله أحداً شيئاً بدونها فلا يكلف مالا يطاق بهذا التفسير  
وأما الطاقة التي لا تكون الا مقارنة للفعل فجميع الامر والنهي تكليف  
مالا يطاق بهذا الاعتبار فان هذه ليست مشروطة في شيء من الامر  
والنهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف  
المعلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي  
كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره  
الله ونهاه فهو مستطيع به هذا الاعتبار وان علم انه لا يطيعه وان أريد  
بالقدرة القدرة القدرية التي لا تكون الا مقارنة للمفعول فمن علم انه لا يفعل  
الفعل لم تكن هذه للقدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما لا يريد  
أولا يأمر الا بما يريد فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الارادة  
الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ماشاء الله كان وما لم  
يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام  
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصمد في السماء وقول  
نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان  
الله يريد أن يغويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لا يريد به هذا التفسير

والله تعالى كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع أنه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا إن شاء الله أو ليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر إن شاء الله أو ليصومن رمضان إن شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فإنه إذا لم يفعل المحلوف عليه لا يحنث مع أن الله أمره به لقوله إن شاء الله فعلم أن الله لم يشأ مع أمره به وأما الإرادة الالهيّة فهي بمعنى الحجة والرضا وهي ملازمة الأمر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيأ لا يريد الله إذا كان يفعل بهض الفواحش أى انه لا يحب ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكراه الفعل على الفعل بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتقاد ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب الترمذى الجبار الذى جبر العباد على ما أراد كما فى الدعاء المأثور عن على رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملا نهى الأئمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه الله أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى وما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تمليك فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الأئمة من اطلاق ذلك نفيّاً وإثباتاً كما تقدم عن الاوزاعي وأبي اسحاق الفزاري وغيرهما وكذا لفظ انتاثير فيه اجمال فإن القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من أسبابه وعلة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علة للفعل وسبب ومعلوم انه ليس في المخلوقات شيء هو وحده علة تامة وسبب قام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لا يكون الحادث به وحده بل لابد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الاثر فكل سبب فهو موقوف على وجود الشروط وانتفاء الموانع وليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه  
 الا واحد واعتبر ذلك بالاسباب الطبيعية كالسخن والمبرد ونحو ذلك  
 فان هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار  
 والثاني قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت  
 على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط  
 بالجسم المقابل للشمس الذي ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب  
 والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذي قدره في أنفسهم لا وجود  
 له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلي الذي  
 يشبهه الفلاسفة كالوجود المجرد من الصفات كالعقول المجردة والكلليات  
 التي يدعون تركيب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليتين وامثل ذلك  
 لا وجود لها في الخارج بل انما توجد في الازهان لافي الاعدان وهي اشد  
 بعدا عن الوجود من الجوهر الفردي الذي يشبهه من يشبهه من اهل الكلام فان  
 هذا الواحد لاحقيقة له في الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه  
 والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو بسبب  
 يتوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك  
 يخاف الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا  
 الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالآثر من غير مشارك  
 معاونه ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده  
 خالق كل شيء فلا شريك له ولا ندله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ما يفتح  
 الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قل



ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قبل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل من ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظار هذا في القرآن كثيرة فاذا صرف ما في افظ التأثير من الاجمال والاشترك ارتفعت الشبهة ورفع العدل المتوسط من الطائفتين فن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضية للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدرة ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم تحدث له معرفة من الله و ارادة لم تكن قبل الفعل فقله معلوم الفساد وقيل لهؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات فكل ما به يعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بمد أن لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدته ويرجح وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من مشكلة الاثبات القائلين بالقدر سلموا للامتنزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسألة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الي جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الترجيحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلا مرجح أو الارادة



القديمة ترجح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم بنفسه وإن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام والقائلين بقدم العالم قالوا هذا الذي قلموه معلوم الفساد بالضرورة وتجويز هذا يقتضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع

نعم إن هؤلاء المنتبين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفاة القدر وقالوا حدوث فعل العبد بعد أن لم يكن لا بد له من محدث مرجح تام غير العبد فإن ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذي قالوه حق وهو حجة قاطعة على القدرية لكنهم نقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى وادعوا هناك أن البدئية فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات فإن كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حجبتهم على المعتزلة ولم يبطل قول القدرية وإن كان باطلاً بطل قولهم في أحداث الله وفعله للعالم وهذا هو الباطل في نفس الأمر فإن القول بأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح تام أمر معلوم بالفطرة الضرورية لا يمكن القدر فيه وهو عام لا تخصيص فيه فالفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن خلق العالم هو العالم وأنه حدث بعد أن لم يكن بغير سبب حادث ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي

كاقتران الدليل بالمداول فقد جحد ما في خلق الله رشرعه من الاسباب  
والحكم ولم يجعل في العين قوة تماز بها عن الحد تبصر بها ولا في القاب  
قوة يماز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تماز بها عن التراب  
تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما في الاجسام المطبوعة من الطبائع والنراثر  
قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى  
والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لا ينبغي  
للانسان أن يقول انه شيع بالخبز وروى بلأء بل يقول شيعت عنده  
ورويت عنده فان الله يخلق الشيع والرى ونحو ذلك من الحوادث عند  
هذه المفترنات بها عادة لايها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى  
يقول وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتي اذا أقلت  
سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات  
الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد  
موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نترصدكم  
أن يصيبكم الله بعدذاب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء  
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذي أنزل من السماء ماء  
فأخرجنا به نبات كل شيء وقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه  
شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل  
والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لا يستحي أن يضرب  
مثلاً ما الي قوله يفضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وقال قد جاءكم من الله  
نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل

هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن أحد منكم الا اذ يتموني حتي أصلي عليه فان الله جاعل بصلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وان الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثلاً - هذا كثير

ونظير هؤلاء الذين أبطوا الاسباب المقدورة في خالق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون ان ما يحصل بالدعاء والاعمال الصالحة وغير ذلك من الخبرات ان كان مقدراً حصل بدون ذلك وان لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا النبي صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونشكل على الكتاب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن انه قيل يا رسول الله أرايت أدوية نبتت بها وأرقية نسترقى بها وتقاة نفعها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن نكون أسباباً تغبير في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خالق الاسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فاذا قال القائل ان كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب والالم يحصل

جوابه انه مقدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق الجنة خلقتا خلقتها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار يعملون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسيدير لعل أهل  
السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيدير لعل أهل الشقاوة  
وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في  
بطن أمه أربعين يوما ثم يكون عاقبة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل  
ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله  
وشتى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي نفسي بيده ان أحدكم يعمل  
يعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب  
فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار  
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل  
أهل الجنة فيدخلها فبين صلى الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل  
الذي يعمل به ويحتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمل به ويحتم له  
به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواصم وذلك لان جميع  
الحسنات تحبب بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة وانظروا ذلك من  
صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم  
أبطل عمله وبالجملة فلذى عليه ساف الامه وأتمها ما بعث الله به رساله  
وأنزل كتبه فيؤمنون بخاق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني  
وحكمه الدينى وارادته الكونية والدينية كما قال فى الاول فمن يرد الله  
ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا  
حرجا كأنما يبعث فى السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفذكم نصيحي

ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى في الارادة الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليمينكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خلق كل شيء وربه ومليكه وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقولون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلمون عليه وينيبون اليه ويوالون اوليائه ويمادون أعداءه ويقولون بحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبفضه لما نهى عنه ولا كافرين وسيخطه لذلك ومقتله له ويقولون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده النائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فنال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه قاله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا راحلته

فهو اللهم الذي يعبدونه وريهم الذي يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الي قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواه فانما يحبونه لاجله كما في الحديث يحيي بن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي نفسي بيده ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين صلى الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمل ويحتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمل ويحتم له به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواصم وذلك لان جميع الحسنات تحبب بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة وانظر ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله وبالجلمة فلذى عليه ساف الامه وأتمها ما بعث الله به رسله وأنزل كتبه فهو من بخاق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وارادته الكونية والدينية كما قال في الاول فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا تنفكم ناصحي

ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى في الاراده الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليمسحنكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خالق كل شئ وربهم ومليكهم وانه خالق الاشياء بقدرته ومشئته يقرون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلمون عليه ويناديون اليه ويوالون أوليائه ويعادون أعداءه ويقرون بحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبغضه لما نهى عنه ولا كافرين وسخطه لذلك ومقتله له ويقرون بما استفاد عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده النائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه قاله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا راحلته

فهو الههم الذي يعبدونه ورهبهم الذي يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الى قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان بالعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محبوب محبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواء فانما يحبونه لاجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من



كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما  
ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر  
بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفي الترمذى وغيره  
أوثق عري الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض  
لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سعيدانه يحب عباده  
المؤمنين

وكمال الحب هو الحلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليه  
وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلًا واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم  
في الصحيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلًا كما اتخذ ابراهيم  
خليلًا وقال لو كنت متخذًا خليلًا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر  
خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الامة  
وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت  
الجهمية ومن تبعهم محبة وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ  
الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط وقال  
يأيتها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه  
زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا تعالى الله عما  
يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه وهذا أصل مسألة ابراهيم الذي  
جعله الله اماما للناس قال تعالى واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات قائمهن  
قال انى جاءك للناس اماما وقال ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله  
وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلًا ومن



قال ان المراد بمحبة الله محبة التقرب اليه فقلوه متناقض فان محبة التقرب اليه تتبع لمحبة فمن أحب الله نفسه أحب التقرب اليه ومن كان لا يحب نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لا يطيعه ولا يمثل أمره الا لاجل غرض آخر فهو في الحقيقة انما يحب ذلك الغرض الذي عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيلة اليه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض وجهه وثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزينة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل ما يتمتعون فيه ومحبة النظر اليه تتبع لمحبة فانما أحبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويحبد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكركه وتنعم بمعرفته ولذة وسرورا بذكركه ومناجاته وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه أكمل كان تنعمه به - ذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره حبيب الى من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قرعة عيني في الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يقول أرحنا بالصلاة يا بلال وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمتصود هنا ان عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وحبه لهم بحسب فعلهم لما محبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشى ولئن سألتى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعينده وما ترددت عن شئ أنا فاعله تردى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

فقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب قول العبد لما يحبه الله وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تتبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لا يحرصون ثناء عليه بل هو كما أتى على نفسه كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفى الصحيح انه قال لا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع انى حمدت ربى فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويجب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بسمات

الكمال التي لا يبلغها عقول الخلائق فالمعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفي  
 الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما قدروا الله حق  
 قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه  
 قال يقبض الله الارض ويطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا  
 الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا الذي بدأت الدنيا  
 ولم تك شيئا أنا الذي أعيدها وفي رواية يحمد الرب نفسه فهو يحمد  
 نفسه ويثني عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغنى بنفسه لا يحتاج الي  
 أحد غيره بل كل ماسواه فقير اليه يسأله من في السموات والارض  
 كل يوم هو في شان وهو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له  
 كفوا أحد فاذا فرح بتوبة التائب وحب من تقرب اليه بالنوافل  
 ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره  
 ولا مستكمل بسواه فانه هو الذي خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى  
 فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به فهذه الحبوب لم تحصل الا بقدرته  
 ومشيبته وخالقه فله الملك لا شريك له وله الحمد في الاولى والاخرة  
 وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتاج به الجمهور الذين يثبتون  
 لأفعاله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لأجلها قالوا وقول القائل  
 ان هذا يقتضى انه مستكمل بنفسه فيكون ناقصا قبل ذلك

فاجوبة\* أحدها ان هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات  
 فما كان جوابا في المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لانعقل في الشاهد  
 فاعلا لا مستكملا بفعله

الثاني اهم قالوا كما له أن يكون لا يزال قادرا على الفعل بحكمة فلو  
 قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا  
 الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل  
 بقدرته ومشيتته لا شريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا الى غيره  
 واذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه الى غيره كان كماله قيل كمل  
 بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ما تجدد  
 فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه  
 يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال  
 عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال  
 كما ان وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل  
 شيء نقصا بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص كما ان وجود ما لا يصلح  
 وجوده نقص فبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة  
 عدمها هو النقص لان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا  
 بالصفات الثبوتية المتضمنة لكمالها وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة  
 لكمالها أيضا فكان عدم ما ينفي عنه هو من الكمال كما ان وجود ما يستحق  
 ثبوته من الكمال واذا عقل مثل هذا في الصفات فكذلك في الافعال  
 ونحوها وليس كل زيادة بقدرها الذهن من الكمال بل كثير من  
 الزيادات تكون نقصا في كمال المزيدي كما يفعله مثل ذلك في كثير من  
 الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء في وقت نقصا وعيبا في

حقه وفي وقت آخر كلاً ومدحاً في حقه كما يكون في وقت مضرة له وفي وقت منفعة له .

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث للحكمة ومن لا يقدر على ذلك كان معلوماً ببديهة العقل ان القادر على ذلك أكمل مع ان الحوادث لا يمكن وجودها الا حوادث لا تكون قديمة واذا كانت القدرة على ذلك أكمل وهذا المقدور لا يكون الاحداثاً كان وجوده هو الكمال وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال وعدمه الممتنع الذي هو شرط في وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون بهذا الاصل هنا ثلاث فرق فرقة تقول ارادته وحببه ورضاه ونحو هذا قديم . لم يزل راضياً عن علم أنه يموت . مؤمناً ولم يزل سائطاً على من علم أنه يموت كافرأ كما يقول ذلك من يقوله من الكلامية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لا يلزمهم التسلسل لاجل حلول الحوادث لكن يعارضهم الا كثرون الذين ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما ينازعونهم في الارادة فانهم قالوا اذا كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء فاختصاص زمان دون زمان بالحدوث ومفعول دون مفعول تخصيص بلا تخصيص قال أولئك ارادة من شأنها ان تخصص قال لهم المعارضون من شأنها جنس التخصيص وأما تخصيص هذا الممين على هذا الممين فليس من لوازم الارادة بل لابد من سبب يوجب اختصاص أحدهما بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخص بارادته وليكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا الا لسبب اقتضاء التخصيص والافلو نساوى  
ما يمكن ارادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك  
دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتي جوز هذا انسداد باب  
اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمن النظر فيه علمه حقيقة وإنما  
ينازع فيه من يقلد قولاً قاله غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول  
الجمهور اذا كان الله تعالى راضياً في أزاله ومحباً وفرحاً بما يحدثه قبل أن  
يحدثه فاذا أحدثه هل حصل باحدثه حكمة يحبها وبرضاها ويفرح بها  
أو لم يحصل الا ما كان في الازل فان قلتم لم يحصل الا ما كان في الازل  
قيل ذاك كان حاصله بدون ما أحدثه من المفعولات فامتنع أن يكون  
انفعولات فعلت لكي يحصل ذاك فقولكم كما تضمن أن المفعولات تحدث  
بلا سبب يحدثه الله تتضمن أنه يفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها قالوا  
فقولكم يتضمن نفى ارادته ابقارنة ومحبة وحكمته التي لا يحصل  
الفعل الا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به تحصل بمشيئته وقدرته كما  
يحصل الفعل بمشيئته وقدرته كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل  
الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ما أخبر به  
من صفاته وأفعاله بذاته والمعتزلة تنفي قيام الصفات والافعال به وتسمى  
الصفات أعراضاً والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به الاعراض ولا  
الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم أنهم ينزهون الله تعالى  
عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص وآفة فانه القدوس السلام الصمد السيد الكامل في كل نعمت من نعمت السكال كما لا يدرك الخلق حقيقته منزهاً عن كل نقص تنزيهاً لا يدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الصمد قال السيد الذي كمل في سوده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد كمل في حكمته والنفى الذي قد كمل في غناه والخنار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحليم الذي قد كمل في حلمه وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ايس له كفو ولا كمثل شئ سبحانه الواحد القهار وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن علي ابن أبي طلحة الوالي ليكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الصمد الكامل في صفاته وأفعاله وثبت عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنه قال الصمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الافوال وما أشبهها لا تنافي ماقاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدي والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذي لا جوف له وهذا منقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن بر بدة عن أبيه موقوفاً أو مرفوعاً فإن  
 كلا القولين حق كما بسط الكلام عليه ولفظ الاعراض في اللغة قد  
 يفهم منه ما يمرض الإنسان من الأمراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث  
 والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الإنسان من الأفعال المذمومة والبدع  
 التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالإنسان من الأمراض ونحو ذلك والله  
 تعالى يحب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن  
 هذه الأمور ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم هو منزّه عن الاعراض  
 والحوادث إلا في صفاته وأفعاله فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا  
 مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا إحسان ولا  
 عدل ولا إتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته  
 وأفعاله وجواهر المسلمين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من ينزعهم  
 في الصفات دون الأفعال ومنهم من ينزعهم في بعض الصفات دون  
 بعض ومن الناس من ينزعهم في العلم القديم ويقول إن فعله قديم وإن  
 كان المنعول محدثاً كما يقول في نظير من يقوله في الإرادة وبسط هذه  
 الأتوال وذكر قائمها وأدلتهم مذكورة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على مجامع أجوبة الناس عن السؤال المذكور  
 وهذا الفريق اثنى إذا قال لهم الناس إذا أثبتتم حكمة حدثت بعد أن لم  
 تكن لكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر  
 ما أحدثه من المفعولات ونحن نخطب من يسلم لنا أنه إذا أحدث المحدثات  
 بعد أن لم تكن فإذا قلنا أنه أحدثها بحكمة حادثة لم يكن له أن يقول



هذا يستلزم التسلسل بل يقول له القول في حدوث الحكمة كالقول في حدوث المفعول الذي ترتبت عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا كان جوابنا عن هذا

فلما خصم الفريق الثاني للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من أئمة الحديث والفقهاء والصوفية ر أهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية ولم تشفوا الغليل بهـ هذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعية ولا العقلية ما ينفي مثل هـ هذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان أ دهما التسلسل في العلل والمعلولات فهذا ممتنع وفاقا والثاني التسلسل في الشروط والآثار فهذا في جوازه قولان معروفان للمسلمين وغيرهم وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هـ هذا ومن هؤلاء الساف والائمة الذين يقولون لم يزل الله متكلماً اذا شاء وانه لم يزل يقوم به ما يملق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء ان ما هـ يدل به منازعوه هم على نفي التسلسل في الآثار امتناع وجود ما لا يتناهي في الماضي أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجماتين مع زيادة أحدهما وكزيادة اشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التي بين هؤلاء فسادها ونقضوها عليهم بالحوادث في المستقبل وبمقدور الاعداد وبمعلومات الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط في موضعه

والدور نوعان فالدور القبلي السبقي ممتنع واما الدور المعيني الاقتراني وهو أن لا يكون هذا الا مع هذا فهذا الدور في الشروط وما أشبهها من المتضايفات والمتلازمات ومثل هـ هذا جائز فهذه مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال

الاول قول من لا يعمل لا أنه له ولا أحكامه

والثاني قول من يعمل ذلك بأمر مباينة له منفصلة عنه من

جملة مفعولاته

والثالث قول من يعمل ذلك بأمر قائمة به متعلقة بقدرته وبشيئته

لمكن يقول جنسها حادث

والخامس قول من يعمل ذلك بأمر متعلقة بمشيئته وقدرته فان

كان الفعل المقتضى للحكمة حادث النوع كانت الحكمة كذلك وان قدر

أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وأنه لم يزل كذلك كانت الحكمة

كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لا ريب ان الله

عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثه يجب

أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هي غير

متناهية في الانتهاء فان وجب أن يكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث

بدون تسلسلها فاذا قال القائل لو فعل لعلة محدثة لمكان القول في حدوث

ذلك الـعلة كالتقول في حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على

هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابتداء واذا فعل الفعل

لحكمة محدثة كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون للعللة المحدثه

علة محدثة الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابتداء فاما اذا جاز أن لا يكون

لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيل يجوز أن تكون الحوادث غير منتهية في الابتداء كما انها غير منتهية في الانتهاء عند المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك الا بعض أهل البدع الذين يقولون بقاء الجنة والنار كما يقوله الجهم بن صفوان أو بقاء حركات أهل الجنة كما يقوله أبو الهذيل فان هذين أوجباً أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتداء خالفوهم في الانتهاء وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين والمقصود هنا ان الجواب يحصل على التقديرين فمن جوز أن يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل في الآثار والشروط لا تسلسل في العالِّ والمؤثرات والممتنع انما هو الثاني دون الاول وقال انه لا يقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك طوائف من متقدمي أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون لها ابتداء قال في حدوث العلة ما يقوله في حدوث المفعول اذ لا فرق بينهما في هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اماً أن يجوز تعليله أولاً فان لم يحجز تعليله كان هذا هو التقدير الاول وعلى هذا التقدير فلا يسمى هذا عبثاً واذا سماه المسمى عبثاً لم تكن تسميته عبثاً قدحاً فيما نحقق فانا نتكلم على تقدير امتناع التعليل واذا كان التعليل ممتعاً وجب القول به ولو سماه المسمى بأي شئ سماه وان جاز تعليله فلا يخلو اما ان يجوز تعليله بعلة حادثة واما أن لايجوز فان قيل لايجوز

ذلك لزم كون العلة قديمة وامتنع على هذا التقدير قدم المفعول فانا نستكمل على تقدير جواز تعليل المفعول الحادث بعلة قديمة وان قيل يجوز تعليله بعلة حادثة أمكن القول بذلك ثم اما أن يقال يجوز تعليل الحوادث بعلة منتهية للفاعل لئلا يلزم أن يقوم به شيء حادث يجب أن يقوم به الحكمة وان كانت مقصورة مرادة له فان قيل بالاول لزم كون العلة الحادثة منفصلة عنه ولزم على هذا كون الفاعل يحدث الحوادث بعد ان لم تكن لعل حادثة بغيره من غير ح و ث سبب يوجب أول الحوادث ولا قيام حادث بالحدث وان قيل بل لا يجوز أن يحدث الحوادث لغير معنى يعود اليه بل يجب أن يقوم به ماهو السبب والحكمة في حدوث الحوادث فانه يجب انقول بذلك ثم اما أن يقال هذا يستلزم التسلسل أولا يستلزمه فان قيل لا يستلزمه لم يكن التسلسل على هذا التقدير محذورا لان التقدير انه يجوز تعليل أفعاله بعلة حادثة وان ذلك يستلزم التسلسل ومن العلوم ان الامر الجائز لا يستلزم تمتعا فانه لو استلزم تمتعا لكان تمتعا بغيره وان كان جائزا بنفسه والتقدير انه جائز جوازا مطلقا لامتناع فيه وما كان جائزا جوازا مطلقا لامتناع فيه لم يلزمه ما يمتنع بثبوته فيكون التسلسل على هذا التقدير غير ممتنع فهذا جواب عن السؤال من غير التزام قول بينه بل نين انه ليس في نفس الامر محذور ولكن السؤال مبنى على ست مقدمات لزوم العبث وانه منتف ولزوم قدم المفعول وانه منتف ولزوم التسلسل وانه منتف فصاحب القول الاول يقول لأسلم انه يلزم العبث وصاحب القول الثاني يقول لأسلم انه يلزم قدم المفعول

وصاحب القول الثالث يقول لا أعلم انه يلزم التسلسل أو يقول لا أعلم ان التسلسل في الآثار ممتنع فهذه أربع ممانعات لابد منها ويمتنع أن تكون كلها فاسدة بل لابد من صحة واحد منها وأياً صح اندفع السؤال به وهو المقصود لان القسمية العقلية تحصر من الاقسام فيما ذكر فمن توجه عنده أحد الاقسام قال به ونحن قد بسطنا الكلام على أصول هذه المسئلة ولوازمها وأفواء الناس فيها في غير هذا الموضع

والمقصود هنا الذب عن مجموع المسلمين فان هذا السؤال مما أورده على الناس القائلون بقدم العالم وقد ذكرنا عنه أجوبة متعددة فيما كتبناه في جواب شبهة القائلين بقدم العالم

ومن جملة أجوبتهم أن يقال هذا السؤال ليس مختصاً بحدوث العالم بل هو وارد في كل ما يحدث في الوجود من الحوادث والحدوث مشهود محسوس متفق عليه بين العقلاء فيكل ما يورده المورد على حدوث خلق السموات والارض يورد عليه نظيره في الحوادث المشهودة

وقد نهنا على جنس ما محتج به كل طائفة من الطوائف في هذا المقام لكن استقصاء الكلام في ذلك لا تسمه هذه الاوراق ومن فهم ما كتب انفتح له الكلام في هذا الباب وأمكنه أن يحصل تمام الكلام في جنس هذه المسائل فان الكلام فيها بالتدرج مقاما بعد مقام هو الذي يحصل به المقصود والا فاذا هجم على القلب الجزم بيقالات لم يحكم أدلتها وطرقها والجواب عما يمارضها كان الي دفعها والتكذيب بها أقرب منه الى

التمهـديق بها فلهذا يجب أن يكون الخطاب في المسائل المشككة بطريق  
ذكر كل قول ومعارضة الآخر له حتى يتبين الحق بطريقه  
لمن يريد هـدايته ومن لم يحبب الله له نورا فماله  
من نور والله يقول الحق وهو يهـدى  
السـيدل والله سـبحانه  
وتعالى أعـلم

تمت الرسالة الثامنة

وياها الرسالة التاسعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله  
وكفى بالله شهيدا \* وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اقرارا به  
وتوحيدا \* وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
تسايما مزيدا

( اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام

الساعة أهل السنة والجماعة )

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان  
بالقدر خيره وشره

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به  
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير  
تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شئ وهو اسمع  
البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه  
ويأحدون في أسماء الله وآياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه  
لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه  
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله  
صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال  
سبحانه وتعالى سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على  
المرسلين والحمد لله رب العالمين فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون  
لارسل وسلام على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والاثبات فلا  
عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم  
صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين  
وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التي  
تعديل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم  
يولد ولم يكن له كفوا أحد وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب  
الله حيث يقول الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له  
ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم  
ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع  
كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما (أي لا يكرنه ولا ينقله)  
وهو العلي العظيم فلهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من  
الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل  
على الحي الذي لا يموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن  
وهو بكل شيء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم ما يلج في  
الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرج فيها وعنده مفاتيح  
الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا  
يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب  
مبين وما نحمل من شيء ولا تضع الا بعلمه وقوله ليملأوا ان الله على  
كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقوله ان الله هو الرزاق  
ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ان الله نعم



يعظاكم به ان الله كان سميعاً بصيراً وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت  
 ماشاء الله لا قوة الا بالله ولو شاء الله ما انتقل الذين من بعدهم من بعد  
 ما جاءتهم البينات ولكن اخلفوا ففهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء  
 الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد أحات لكم بهيمة الانعام الا ما تبلى  
 عليكم غير محلى الصيد وأتم حرم ان الله يحكم ما يريد فن رد الله أن  
 يهديه يشرح صدره الاسلام ومن رد أن يضله يجعل صدره ضيقاً  
 حرجاً كأنما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا  
 ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين  
 ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتي الله بقوم يحبهم  
 ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صاكأنهم بنيان مرصوص  
 قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله  
 رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وسمعت  
 كل نبي رحمة وعلما وكان المؤمنين رحباً كتب ربكم على نفسه الرحمة  
 وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين وقوله ومن  
 يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه  
 وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما  
 آسفونا انتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فبسطهم وقوله كبر مقتا عند  
 الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلال  
 من الغمام والملائكة وقضى الامر الى الله ترجع الامور هل ينظرون  
 الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك كلا اذا

دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا يوم تشقق السماء بالغمام  
ونزل الملائكة تنزيلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام  
كل نبي هالك الا وجهه وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي  
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولانوا بما قالوا بل يداه  
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا  
وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر والقيت  
عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك  
في زوجها وتشكي الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول  
الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا أم يحسبون أنا  
لا نسمع سرهم ونجواهم بلي ورسالتنا لديهم يكتبون اني معكم اسمع  
وأري وقوله ألم تعلم بان الله يري الذي يراك حين تقوم وتقلبك في  
الساجدين وتلى اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والؤمنون وقوله  
شديد المحال وتوله ومكروا مكرا ومكرا مكرا وكم لا يشعرون وقوله  
انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيرا أو تحذو أو تمفوا  
عن سوء فان الله كان عذوا قديرا وليمفوا وليصفحوا ألا تحبون أن  
يعفر الله إليكم والله غفور رحيم وقوله فله العزة ورسوله فبميزتك لاغوينهم  
أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقوله فاعبده  
واصطبر لعلك تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله  
أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم  
كحب الله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله مافي السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً وخلق كل شيء فقدره تقديراً ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولهم الا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والانتم والبغى وبغى الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى ثم استوي على العرش في ستة مواضع يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى بل رفعه الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يا هاهمان ابن لي صرحاً لعلی أبلغ الأسباب السموات فاطلع الي اله موسى واني لا ظنه كاذباً أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير وقوله هو الذي خالق السموات والارض في ستة أيام ثم استوي على العرش بعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم لا تحزن ان الله معنا اتى معكم أسـمع وأرى ان الله مع

الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا واذا قال الله يا عيسى بن مريم وتمت كملت ربك صدقا وعدلا وكلام الله موسى تكليما منهم من كلم الله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا واذا نادى ربك موسى ان ات القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم انهماكما عن تسلكا الشجرة وبوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا أنجبتم المرسلين وان احدهم المشركين استنجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل ان تدبرونا وائل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وهذا كتاب أنزلناه مبارك لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يسمعون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يمامه بشر لسان الذى يحدو اليه أعجبي وهذا لسان عربى مبين وحوه يؤئذ ناضرة الي ربها ناظرة على الاراتك ينظرون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة لهم ما يشاؤون عند ربهم لهم ما يشاؤون فيها ولدين مزيد وهذا الباب فى كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى

منه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتبرهنه وما وصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحمته الحديث متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله الى رحابن أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر اليكم أذنين قنطين يظل يضحك يعلم ان فرحكم قريب حديث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول ابيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعناً الى النار متفق عليه وقوله في رقبة المريض ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلى الله عليه وسلم الا نؤمنوني وأنا أمين من في السما رواه البخاري وغيره وقوله والمرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه رواء أبوداود والترمذى وغيرهما  
 وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا  
 قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة رواء مسلم وقوله صلى الله  
 عليه وسلم أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حينما كنت حديث حسن  
 وقوله إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله بين وجهه فلا يصبق قبل وجهه  
 ولا عن يمينه ولا يمينه عن يساره أو تحته قدمه متفق عليه وقوله صلى الله  
 عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب  
 كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك  
 من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت  
 الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن  
 فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواء مسلم وقوله  
 لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم  
 لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً أن الذين تدعون  
 أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله إنكم سترون ربكم  
 كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا  
 على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه  
 إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عن ربه بما يخبر به

(فان الفرقة الناجية) أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما  
 يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكيف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الاعم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وآله الى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدريّة والجبريّة وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين اوعيدية من القدريّة وغيرهم وفي باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه على على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجيه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه ساف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيم عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وانه مننا حق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان عن

الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى  
 واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني  
 فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقل النبي صلى الله عليه وسلم  
 ان الذى تدعونه اقرب الى اُحدكم من عنق احبته وما ذكر في الكتاب  
 والسنة من قربه ومعيته لا ينافي مذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه  
 ليس كمثله شئ في جميع نعوته وهو على في دنوه قريب في علوه

ومن الايمان به وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق  
 منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله  
 على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز  
 اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه  
 في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما  
 يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبالغاً مؤدياً وقد دخل أيضاً  
 فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه ورساله الايمان بأر المؤمنين يرون يوم القيامة  
 عياناً بابصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب وكما يرون  
 القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤية يرونه سبحانه وهم في عرصات  
 القيامة ثم يروونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى

ون الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه  
 وسلم مما يكون بعد المرات فيؤمنون بفتنة القبر وبعد ذاب القبر وبنعيمه  
 فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما  
 دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن



الله ربى والاسلام دينى ومحمد نبيى صلى الله عليه وسلم وأما المرتاب  
فيقول آه آه لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت له فيضرب  
بمرزبة من حديد يصيح صيحة يسمعها كل شئ الا الانسان ولو سمعها  
الا انسان لصق ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم واما عذاب الى يوم القيامة  
الكبرى فتعاد الارواح الى الاجساد فتقوم القيامة التي أخبر الله تعالى  
بها فى كتابه على اسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسامون  
فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم  
الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن  
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين  
خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهى صحائف الاعمال  
فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أومن وراء ظهره كما قال سبحانه  
وكل انسان أنزمناء طائر فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه  
منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبحساب الله  
الخالق ويخلو بعبد المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك فى الكتاب  
والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون حساب من توزن حسنة وسبائة  
فانهم لا حسنة لهم ولكن نعد أعمالهم وتحصر فيوقوفون عليها ويقررون  
بها ويجزون بها وفى عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه  
وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آتته عدد بخوم  
السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظم أبداً أبداً  
والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يمدو عدوا ومنهم من يمشى مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم فان الجسر عليه كلاب تحطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص ل بعضهم من بعض فاذا هذبوا وتقوا اذن لهم في دخول الجنة

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة

وله في القيامة ثلاث شفاعات اما الشفاعة الاولى فيشفع في أهل الموقف حتي يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي اليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عن دخلها من أهل الدنيا فينتهي الله له أقواما فيدخلهم الجنة وأما في ما تضمنه الدار الآخرة من الحساب والمقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم الماثورة عن الانبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك ما يشفى ويكفى فمن ابتغاه وجده  
وأؤمن بالفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره  
والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الاولى  
الإيمان بأن الله تعالى علم ما خلق عاملون بعلمه القديم الذى هو  
موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي  
والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير  
الخلق فأول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما اكتب قال اكتب  
ما هو كائن الى يوم القيامة فما اصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم  
يكن ليصيبه جنت الاقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه ألم تعلم أن  
الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير  
وقال ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل  
أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون فى مواضع جملة  
وتفصيلاً فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء فاذا خلق جسد الجنين قبل  
نفخ الروح فيه بعث اليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال لها اكتب رزقه  
وأجله وعمله وشقى أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره  
غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة  
الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم  
يشأ لم يكن وأنه ما فى السموات والارض من حركة ولا كون الا بمشيئة  
الله سبحانه لا يكون فى ملكه الا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شئ  
قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق فى الارض ولا فى السماء

الا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه وقد أمر العباد بطاعته  
وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين  
والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا و عملوا الصالحات ولا يرضى عن  
القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب  
الفساد

والعباد فاعلمون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر  
والبر والفاجر والمصلى والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة والله  
خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال لمن شاء منكم أن يستقيم وما  
تناؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين \* وهذه الدرجة من القدر يكذب بها  
عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة  
ويغلوا فيها قوم من أهل الاثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره  
ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصلحتها

ومن أصول الفرقة الناجية ان الدين والايان قول وعمل قول الذاب  
واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح \* وان الايمان يزيد بالطاعة  
وينقص بالمعصية \* وهم مع ذلك لا يكفرون أهل انقبلة بمطلق المعاصي  
والكباير كما يفعله الجوارح بل الاخوة الايمانية ثابتة مع المعاصي كما قال  
سبحانه في آية انقصاص فمن عفى له من أخيه شيء وقال وان طائفتان من  
المؤمنين اقتتلوا فأصبحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا  
التي تبغي حتى تفي الى أمر الله فان فاءت فأصبحوا بينهما بالعدل وأقسطوا  
ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة

ولا يسلبون الفاسق الى اسم الايمان بالكلية ويخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الايمان في مثل قوله فتعبر برقبة ولا يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليها فيها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطاق الاسم

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصاهم الله في قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً منكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ويقبلون ما جاء به الكتاب أو السنة أو الاجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل أنفتح وقال وهو صاحب الحديدية على من أنفق بعده وقال ويقدمون المهاجرين على الانصار

ويؤمنون بان الله قال لا هل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قدرضى عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالأميرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثنون عثمان ويربمون بهلى كما دلت عليه الآثار وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلى بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أوربموا بهلى وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على وأن كانت هذه المسئلة مسئلة عثمان وعلى ليست من الأصول التي يضال المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسئلة التي يضال المخالف فيها مسئلة الخلافة وذلك بأنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على \* ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله

وينحون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدیر خم أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمه وقد شكوا إليه أن بعض قریش تجفونى هاشم فقال والذي نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال إن الله اصطفى بنى

اسماعيل واصطفي من بني اسماعيل كنانة واصطفي من كنانة قريشا واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم  
ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين  
ويقرون بأنهم أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد  
وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلمية والصدية  
بنت الصديق التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على  
النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم  
وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل  
ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية  
في مساوهم منها ما هو كذب ومنها ما تد زيد ونقص وغير من وجهه  
والصحيح منه هم فيه معذرون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون  
مخطئون وهم مع ذلك لا يمتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن  
كبائر الاثم وصغائر بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق  
والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر حتي انه يغفر لهم من  
السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ما ليس لمن بعدهم  
وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد  
من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جيل أحد ذهباً من بعدهم ثم  
اذا كان صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات  
تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين أن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور

تم القدر الذي ينكر من فضل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم فانهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كل الماثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد



رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخبار الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والاجتماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجتماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السالف الصالح اذ بهداهم كثر الاختلاف وانتشرت الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة \* ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاياد مع الامراء ابرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات \* ويدينون بالنصيحة الامة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتماطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر \* ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء \* ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال \* ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا \* ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك \* ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامي والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وبنهون عن الفخر والحبلاء والبنى والاستطالة على الخلق بحق أو غير حق \* ويأمرهم بمعالى الاخلاق وبنهون عن سفاسفها \* وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فائما هم فيه متبعون الكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الاسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي صار المتمثلون بالاسلام المحض الخالص عن المشوب أهل السنة والجماعة \* وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب الماثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدل وفيهم الائمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه زحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تمت الرسالة التاسعة

ويليها الرسالة العاشرة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الابحاث التي جلاها جامعوها للمعترضين  
نقل الشيخ علم الدين ان الشيخ قدس سره قال في مجلس نائب  
السلطنة الافرم لما سألته عن اعتقاده وكان احضر الشيخ عقيدته  
الواسطية قال هذه كتبها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام  
فقرأت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ انه قال كان سبب كتابتها  
بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكي ما للناس فيه ببلادهم في  
دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب  
له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال  
مأحب الاعقيدة تكتبها أنت فيكتب له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد  
العصر فأشار الأمير لكتابه فقرأها علي الحاضر بن حرفا حرفا  
فاعترض بعضهم على قولي فيها

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من  
غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده ان هذا بنى  
التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما جوبا واما جوازا فقلت  
اني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم  
جاء القرآن بدمه وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة  
فنفيت ما دمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لانه لفظ له  
عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل في  
كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول

والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف

وقلت لهم ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لان التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شئ وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويظنون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك

فقلت قولي من غير تكليف ولا تمثيل ينفي كل باطل وإنما اخترت هذين الاسمين لان التكليف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السلف على ان الكيف غير معلوم لنا فنفي ذلك اتباعا لسلف الامة وهو أيضا منفي بالنص فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من التأويل الذي لا يماحه الا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على

نفيه ونفي التكليف اذ كنهه الباري غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل انه مذهب السلف وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي النكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع

فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذاك  
اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين حينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام  
فقلت له أنا وبعض الفضلاء إنما قيل أنه يوصف الله بما وصف به نفسه  
وبما وصفه به رسوله وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا  
وأول من قال أن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي وأما قولنا  
فهو فيهم الوسط في فرق الامة كما أن الامة هي الوسط في الامة فهم  
وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل  
المشبهة

فقيل لي أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع ليكون  
مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام  
أحمد اختصاص بهذا

وقلت قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء  
بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فانا أرجع عن ذلك  
وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته  
من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث  
وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسألة الحرف والصوت فقلت هذا  
الذي يحكى عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئين ومداد المصاحف  
قديم أزلى كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراسا وفيه ما ذكره أبو بكر الحلال في كتاب السنة عن  
الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد وكلام  
أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال  
غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن  
يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الي أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو  
هذا الكلام

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم  
فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا  
يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية  
المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية  
وقلت له من في أصحابنا حشوي بالمعنى الذي تريده الأثرم • أبوداود •  
المروزي • الحلال • أبو بكر بن عبدالعزيز • أبو الحسن التميمي • ابن حامد  
• الفاضل أبو يعلى • أبو الخطاب • ابن عقيل •

ورفعت صوتي وقلت سمعهم قل لي من هم  
أبكذب ابن الخطيب وافتراه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة  
وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون القرآن القديم  
هو أصوات القارئ ومداد الكتّابين وإن الصوت والمداد قديم أزلي  
من قال هذا وفي أي كتاب وجد منهم هذا قل لي وكما نقل عنهم  
إن الله لا يرى في الآخرة بالآزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسألة القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود وطابوا تفسير ذلك فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ومعنى منه بدأ أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره وأما إليه يعود فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت ياهنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فلن يتقرب إلى الله بشئ أحب إليه مما خرج منه وقلت وإن الله تكلم به حقيقة وإن هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبالغاً مؤدياً فامتنع بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة بمد تسميته أن الله تكلم به حقيقة ثم أنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وإن أقوال

المتقدمين الماثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبالغاً استحسنوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ما أجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق العرش وأنه معنى - ق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معنى قوله وهو معكم أبنا كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجيهه الله وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التي يسمي بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ فقال أحدهما هو متواطئ وقال آخر هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر نفي الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال ان وجود كل شيء عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك ومن قال ان وجوده قد زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فاخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثاني مذهب الاشعري وأهل السنة ان وجوده عين ماهيته فأنكر الاول ذلك

فقلت أما متكلموا أهل السنة فعندهم ان وجود كل شيء عين ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شيء قدر



زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضع وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس فهو من الغلط المضاف الى ابن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج فانه على ذلك تنفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء الموجودة في اللغات وهي أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهما أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة هذا آخر بعض ما علقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم قال الحافظ

الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقدا سلفي جيد

تمت الرسالة العاشرة

ويليها الرسالة الحادية عشر له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

(ما قول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله اليهم أجمعين)

في آيات الصفات كقوله تعالي الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى الى السماء الى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه في النار الى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وابسطوا القول في ذلك مأجورين ان شاء الله تعالي  
فاجاب شيخنا شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية  
رضى الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين\* قولنا في ما قاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً اليه باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ومن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج به الناس من الظلمات الى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم الى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الى الله والى

سبيله باذنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولايته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز ما يجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدر كته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً ما بعث الله من نبي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طأثر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه رواه البخاري ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بالسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من ايمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم اذا

كان قد وقع ذلك منه فمن الحال ان خير أمة وأفضل قرونها قصروا  
في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من الحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث  
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا  
غير عالمين وقائلين في هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم  
العلم والقول واما اعتقاد تقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما تمتنع  
أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة  
يكون البحث عن هذا الباب وانسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر  
مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الي شئ أشوق منها  
الي معرفة هذا الامر وهذا أمر معلوم بالفطرة لوجدية فكيف يتصور  
مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخاف عنه  
مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد  
الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم كباباً على طلب الدنيا والغفلة  
عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معقدين غير الحق أو قائلين فهذا لا يعتقده  
مسلم ولا عاقل صرف حال القوم

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه  
الفتوى أو أضاعها يعرف ذلك من طلبه وتبعه ولا يجوز أيضاً أن  
يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم  
يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم  
فإن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة  
كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من  
المتكلمين الذين كثروا في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم  
وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم  
حيث يقول

لعمري قد طفت المعاهد كلها \* وسبرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر الا واضعا كف حائر \* على ذقن أو قارعاسن نادم  
وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه  
من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية أقدام العقول عقال \* وأكثر سعى العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسومنا \* وحاصل دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا \* سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا  
ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وترك أهل الإسلام  
وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي  
برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام  
ثم إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص  
المعرفة به خبر ولا وقوم من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء  
المنقصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المنهوكون أعلم بالله

وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم  
 باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح  
 الدجى الذين هم قام الكتاب وبه قاموا وهم نطق الكتاب وبه نطقوا  
 الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء  
 واحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة  
 غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة  
 انقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله واحكام اسمائه وآياته من هؤلاء  
 الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون أفرخ المتفلسفة واتباع الهند  
 واليونان أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن ولايمان وانما قدمت  
 هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين  
 هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك انما استولى على كثير  
 من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضهم عما بعث  
 الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن  
 طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله  
 باقراره على نفسه وبشهادة الامة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضي واحداً معيناً وانما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا  
 كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه  
 وسلم من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام  
 سائر الامة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر في ان الله سبحانه وتعالى  
 فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اني متوفيك ورافعك الى ائمتكم من في السماء أن يخسف بكم الارض أم ائمتكم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى علي العرش في ستة مواضع الرحمن علي العرش استوي يا هاشماني ابن لي صرحا علي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد منزل من ربك الي أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحيح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج الرسول صلي الله عليه وسلم الي ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيمرح الذين باتوا فيكم الي ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح في حديث الحوارج ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال صلي الله عليه وسلم اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من اخوانه فليقل ربنا الله الذي في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أئتم عليه وقوله في حديث قبض الروح حتى يرجه الي السماء التي فيها الله



وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه

شهدت بأن وعد الله حق \* وإن النار مثوى الكافرينا  
وإن العرش فوق الماء طاف \* وفوق العرش رب العالمينا  
وقول أمية بن أبي الصلت الثقفى الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه  
مجدو الله فهو للمجد أهل \* ربنا في السماء أمسى كبيرا  
بالبناء الأعلى الذي سبق لنا \* من وسوى فوق السماء سريرا

شرحنا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صوراً (١)  
إلى أمثال ذلك مما لا يحصىه إلا الله مما هو من أبلغ التواترات اللفظية  
والمعنوية التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول  
المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوي  
وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في  
الجاهلية والإسلام الأمن اجتماعه الشياطين عن فطرته

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجع مبلغ مثين أو الوفا \* ثم  
ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد  
من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين ولا عن الأئمة الذين أدركوا  
زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لأنصافاً ولا ظاهراً  
ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا  
أنه في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولأنه لا داخل

(١) الشرح الطويل ٠٠ والصورة جمع أصوار المائل العنق



العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا انه لا تجوز الاشارة الحسية  
اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت في الصحيح عن جابر أن النبي صلى  
الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره  
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول ألاهل بلغت فيقولون نعم  
فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال  
ذلك كثيرة فلتن كان الحق مايقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه  
المبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة امانا واما ظاهرا  
كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما  
بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوحون  
به قط ولا يدلون عليه لانصا ولا ظاهرا حتي يحىء انباط الفرس والروم  
وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي تجب  
على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها \* ان كان مايقوله هؤلاء  
المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في  
معرفة على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه  
الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي  
لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا  
في أصل الدين فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء انكم يامعشر العباد  
لا تطالبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفيا واثباتا لامن الكتاب  
ولامن السنة ولا من طريق سالف الامة ولكن انظروا أنتم فما  
وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أولم يكن وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به \* ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون ما لم تثبت به عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ومانفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيسه مخالفون ومضطربون اختلافاً كثيراً من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه واليه عند التنازع فارجموا فانه الحق الذي تعبد بكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو ثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا اني امتحنكم بتمزيقه لالتأخذوا الهدى منه لكن اجتهدوا في تخريبه على شواذ الالة ووحشى الالفاظ وغرائب الكلام أو ان تسكنوا عنه مفوضين علمه الي

هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين وهذا الكلام قدرأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله وان الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله وان الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه الي الله والربول بل الي مثل ما كانوا عليه في الجاهلية والى مثل ما يتحاكم اليه من لا يؤمن بالانبياء كالأبراهيمه والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لا يزيد الامر الا شدة ولا يرتفع به الخلاف اذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه ألم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الي الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشیطان أن یضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قیل لهم تعالوا الی ما أنزل الله والی الرسول رأیت المنافقین یصدون عنک صدوداً فکیف اذا أصابتهم مصیبة بما قدمت الیهم ثم جاؤک یحلفون بالله ان أردنا الا احساناً وتوفیقاً فان هؤلاء اذا دعوا الی ما أنزل الله من الکتاب والی الرسول والدعاء الیه بمد وفاته الدعاء الی سنته أعرضوا عن ذلك وهم یقولون انا قصدنا الاحسان علماً وعملاً بهذه الطریق الی ملکناها والتوفیق بین الدلائل العقلیة والنقلیة

ثم عامة هذه التسلیمات الی یسمونها دلائل انما تقلدوا اکثرها عن طائفت من طوائف المشرکین والصائبین أو بعض ورثتهم الذین أمروا أن یکفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربک لا یؤمنون حتی یحکموک فیمما شجر بینهم ثم لا یجدوا فی انفسهم حرجاً مما قضیت ویسلموا تسلیماً کان الناس أمة واحدة فبعث الله النبیین مبشرین ومنذرین وأنزل معهم الکتاب بالحق لیحکم بین الناس فیمما اختلفوا فیه وما اختلف فیه الا الذین أوتوه من بعد ماجاءتهم البینات بغیا بینهم فهدى الله الذین آمنوا لما اختلفوا فیه من الحق باذنه

ولازم هذه المقالة أن لا یكون الکتاب هدی للناس ولا یبانا ولا شفاء لما فی الصدور ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار ان ما یقوله هؤلاء المتکلفون انه الحق الذی یجب اعتقاده لم یدل علیه الکتب والسنة لانصاً ولا ظاهراً وانما غایة المتخذ ان ینتجج هذا من قوله ولم یکر له کفوا أحد هل تعلم له سمياً وبلا اضطرار یعلم کل عاقل

ان من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله هل تعلم له سميا لقد أبد النجعة وهو اما ما نغز أو مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرالهم في أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم همى وضلالا ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من ساف الامة هذه الآيات والاحاديث لاتعتقدوا مادلت عليه وليكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا يوافق فثوقفوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ماسيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به ان تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال فى صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهـ لا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وانما الهـ دى رجوعكم الى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه أنه قال هـ هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وانما استوى استولى ونحو ذلك أول ما ظهرت هذه المقالة من جمع بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فتنسب مقالة الجهمية إليه والحمد أخذ مقائمه عن ابان بن سميان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجهم هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الدابة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجهم قد أخذها عن الصائبة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام أحمد وغيره من السنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يتحدثون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والصائبيين والمشركين والفلاسفة الضالون هم اما من الصائبيين وامام المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أنبيائهم ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك رضى الله عنه وسفيان بن عيينة وأبي يوسف

والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وأضليله وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس وبوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء فانما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي وعلمنا ذلك بكتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري صنف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات باعينها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام إذا طالع العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه الساف فيبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم

ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسة وأكثرهم كذروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريضي تبين الهدي لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لا تحتل البسط في هذا الباب وانما أشير إشارة الى مبادئ الامور والعاقلة يسبر فينظر وكلام الساف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر ههنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن الاالكائي والابانة لابن بطة والسنة لابي ذر الهروي والاسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني ولابي الشيخ الاصمغاني وقبل ذلك السنة للاخلال والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبي العباس بن مريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبد العزيز المكي صاحب الحميدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ماذ كروه من الشبه فانه يسير واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشرकिन والصابئين واليهود فكيف أطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن بوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث

قال الامام أحمد رضى الله عنه لا يوصف الله الابدان وصف به نفسه  
أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ونعلم ان ما وصف الله  
به من ذلك فهو حق ايس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من  
حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله  
شئ في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما يتيقن  
ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات  
حقيقة وهو ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل  
ما أوجب نقصا أو حدودا فان الله منزّه عنه حقيقة وانه سبحانه مستحق  
للكمال الذى لا غاية فوقه وممنوع عليه الحدوث لا امتناع العدم عليه  
واسـتـلزـام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث الى محدث ولوجوب  
وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله  
بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به  
نفسه أو وصفه به رسوله فيعطون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون  
الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريق  
التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ما هو اللائق  
بالخلق ثم شرعوا في نفى تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل  
والتعطيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم  
من أسماء وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما



يستحقه هو سبحانه من الاسماء والصفات الملائقة بالله سبحانه وتعالى فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا ما ثبت لاي جسم كان على أي جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم أما استواء بليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرًا أو عرضًا اذا لا يعقل موجود الاهدان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو النلك اذا لا يعلم الاستواء الا هكذا فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز أن تثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا تثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها

واعلم ان ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن

الشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وساف الامة من المتأولين هذا الباب في أمر صريح فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو واجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله

يا ليت شعري باي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أو كلا جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوم بمنزل ما خصم به الآخر وهو من وجوه

أحدهما بيان أن العقل لا يحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لا تحتل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قد علم أن الرسول جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالملوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون بان العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية واذا كان هكذا فالواجب تلتقى علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ونحن نذكر من ألفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال كننا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعي وهو أحد الأئمة الاربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثوري امام أهل العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايان بأن الله فوق العرش وبصفاته السمعية وانما قال الاوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والثاني لصفاته ليعرف الناس ان مذهب السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال سئل مكحول والزهرى عن تفسير الاحاديث فقالوا أمروها كما جاءت وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فَقَوْلُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ رَدُّ عَلَى الْمَعْطَلَةِ وَقَوْلُهُمْ بَلَا كَيْفَ  
رَدُّ عَلَى الْمَمَثَلَةِ وَالزَّهْرَى وَمَكْحُولُهَا أَعْلَمُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمُ وَالْأَرْبَعَةَ  
الْبَاقُونَ أُمَّةُ الدُّنْيَا فِي عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ وَمِنْ طَبَقَتِهِمْ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ وَحَمَادُ  
ابْنُ سَلَمَةَ وَأَمْنَاهُمَا

رَوَى أَبُو النَّاسِمِ الْأَزْجِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ مَطْرَفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ  
سَمِعْتُ مَالَكَ بْنَ أَنَسٍ إِذَا ذَكَرَ عَنْدهُ مِنْ يَدْفَعُ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ يَقُولُ  
قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلَاةُ  
الْأَمْرِ بَعْدَهُ سَنَنَا الْإِخْذَ بِهَا تَصْدِيقُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتِكْمَالُ لِقَاعَةِ اللَّهِ  
وَقُوَّةُ عَلَى دِينِ اللَّهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَغْيِيرُهَا وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْ  
خَالَفَهَا مِنْ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مُنْصُورٌ وَمَنْ  
خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ  
وَسَاءَتْ مَصِيرًا

وَرَوَى الْحُلَالُ بِإِسْنَادِ كُلِّهِمْ أُمَّةً مِنْ سَفِيَّانِ بْنِ عَمِينَةَ قَالَ سَأَلَ رَبِيعَةَ  
ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِهِ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَيْفَ اسْتَوَى قَالَ  
الْإِسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَمِنْ اللَّهِ الرَّسَالَةُ وَعَلَى  
الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَعَالِمُنَا التَّصْدِيقُ وَهَذَا الْكَلَامُ مَرْوِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ  
أَنَسٍ تَلْمِيزُ رَبِيعَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ

مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ وَأَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى  
قَالَ كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الرَّحْمَنُ عَلَى  
الْعَرْشِ اسْتَوَى كَيْفَ اسْتَوَى فَأُطْرَقَ مَالِكُ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرَّحَضَاءُ

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب  
والسؤال عنه بدعة وما أرك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج

وروى أبو عبد الله بن بطة في الابانة باسناد صحيح عن عبد العزيز  
ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الثلاث وهم  
مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل فيما جحدته الجهمية اما  
بعد فقد فهمت ماسألت فيما تابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب  
العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلت الاسن عن تفسير  
صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد  
مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق  
بالتقدير وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فاما الذي لا يحول ولا  
يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف  
قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه  
حدا ومتهمي يعرفه عارف أو يحدد قدره واصف على أنه الحق المبين  
لاحق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق  
صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغراً بحول  
ويزول ولا يري له جمع ولا بصير لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل  
وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين  
وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير أعرف  
رحمك الله غناءك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك  
عن معرفة قدر ما وصف منها اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك

علم ما لم يصف هل تسندل بذلك علي شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته

وأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه علي جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالحق بجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يميل له الشيطان حتي جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لا يراه أحد يوم القيامة بجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الي وجهه ونضرتة اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر ينضرون الي أن قال

وانما جحد رؤيته يوم القيامة اقامة للحجة المضالة المضللة لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً وقال المسلمون يا رسول الله هل نري ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمتلئ النار حتي يضع الجبار فيها قدمه فتنقول قط قط وينزوي بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من أزلكم (١) وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب ان ربنا ليضحك قل نعم قال لا نعلم من رب يضحك خيراً في أتباعه هذا مما لم نحضه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال واتصنع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظرها منهم عندهم ان ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم تنكف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لانيجاد ما وصف ولا تنكف معرفة ما لم يصف

اعلم رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهى به ولا تجاوز ما قد حدلك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة ونوارث علمه لامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه غيباً ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم نجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تنكفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما (١) هكذا بروى وفي بعض طرقه من إلكم والازل الشدة والضيق

وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف  
 منها فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف ويعرفونهم يعرف  
 وينكرون المنكر وبانكارهم ينكرون ما وصف الله به نفسه من  
 هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته  
 من الرب قاب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب  
 مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة  
 ربه فهو بمنزلة ماسي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون في  
 العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف به من  
 نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ماسي جحداً ولا  
 يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمداً لأن الحق ترك ما ترك وتسميته ما سمي  
 فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيراً وحب  
 الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام  
 وروى أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري في كتابه المشهور في  
 أصول السنة بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق  
 الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والاحاديث  
 التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز  
 وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك  
 فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم  
 يصفوا ولم يفسروا ولكن أفنوا بما في الكتاب والسنة ثم كتبوا فمن قال  
 بقول جهنم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء محمد بن الحسن



أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكى هذا الاجماع وأخبر ان الجهمية تصفه بالالاور السلبية غالباً أودائماً

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد انقاسم بن سلام قال هذه الاحاديث التي تقول فيها نحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وان جهنم لا تمتليء حتي يضع ربك قدمه فيها والكرسي موضع القدمين وهذه الاحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها النفات بعضهم عن بعض غير أنا اذا سئلنا عن تفسيرها لانفسرها وما أدركنا أحداً يفسرها

أبو عبيد أحد الأئمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد وله من المعرفة بالذقة واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والاهواء وقد أخبر انه أدرك أحداً من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك ان رجلاً قال له يا أبا عبد الرحمن اني أكره الصنعة عني صفة الرب فقال له عبدالله بن المبارك أنا أشد الناس كراهة لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك اننا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتي يجيء به الكتاب والآثار

وروي عبدالله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا تعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بأن من خلقه ولا

نقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وبإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبي امام أهل البصرة عالما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس تعالىه شيء

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة امام الأئمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم أتني على منبلة أملا يتأذى بنتن ربحه أهل القبلة وأهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي امام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال قلت بشر المريسي وأصحابه بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهنم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شيء أرى والله أن لاينا كجوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال أصحاب جهنم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شيء وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا والاقتلوا

وعن الأصمعي قال قدمت امرأة جهنم فنزلت الدباغين فقال رجل  
عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الأصمعي كافرة  
بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال  
ناظرت جهنميا فتبين من كلامه الا يؤمن أن في السماء ربا  
وروي الامام أحمد قال أنبأنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله  
ابن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله في السماء وعالمه في  
كل مكان لا يخلو من عالمه مكان

وقال الشافعي رضى الله عنه خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سماه  
وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفخر على أزواج  
النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق  
سبع سموات هذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبي  
حنيفة مشهورة في استنابة بشر المريبى حتى هرب منه لما أن أنكر أن  
يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره

وكلام الائمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن نسع هذه الفتوى  
عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي  
في رسالته المشهورة في الغنية عن الكلام وأهله قال فاما ما ألت عنه من  
الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها  
واجراؤها على ظواهرها وانفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاه قوم

فأبطلوا ما أثبتته الله وخففها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والنكيف وانما القصد في ملوك الطريقة المستقيمة بين الامرين ودين الله تعالى بين العالي فيه والمقصر عنه والاصل في هذا ان الكلام في الصفات نوع عن الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات الباري سبحانه انما هو اثبات وجوده لا اثبات تحديد ونكيف فاذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولنا نقول ان معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالأيدي وبالاسماع وبالأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول ان القول انما وجبت باثبات الصفات لان التوقف ورد بها وورد نفى التشبيه عنها لان الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات هذا كله كلام الخطابي وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوه من العلماء من لا يخصى مثل أبي بكر الاسماعيلي والامام يحيى بن عمار السنجرى شيخ شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصارى الهروى وأبى عثمان الصابونى شيخ الاسلام وأبى عمر بن عبد البر النمرى امام المغرب وغيرهم وقال أبو نعيم الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة قال في أولها طريقتنا طريقة المتبعين لا الكتاب والسنة واجماع الامة قال فما اعتقدوه ان الاحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويشبتونها من غير كيف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله  
بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو  
على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصمغاني شيخ الصوفية في  
حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من  
السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والائر  
وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله  
استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول  
والكيف فيه مجهول وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائون  
بلا حلول ولا تمازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من  
الخلق الواحد الغنى عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم  
خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم  
القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل  
من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب  
عليه حتى يطلع الفجر وتزول ارب ارب السماء بلا كيف ولا تشبيه  
ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأذى فهو مبندع ضال وسائر الصفوة  
من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن  
أبي صالح الحلي قال في كتاب الغنية له اما معرفة الصانع بالآيات والدلالات  
على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتيقن ان الله واحد الى أن قال  
وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمل هذا الموضع وذكر في سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت ما قاله العلماء في ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر روي عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والاوزاعي ومعمّر بن راشد في أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بمدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة

وقال في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طريق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجته على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر ايضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خلفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر ايضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايان بها وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز الا انهم لا يكتفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكروها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها شبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ما جاء في اثبات الدين صفتين لامن حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله يا ابايس ما منك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال بل يده مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة يا آدم أنت أبو البشر خلقتك الله بيده ومثل قوله في

الحديث المتفق عليه أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده ومثل ما في صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كآية تكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيدك الأمر والخير بيدك والذي نفس محمد بيده وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوى السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك ابن الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وقوله يمين الله لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يخفض ويرفع وكل هذه الأحاديث في الصحاح وذكر أيضا قوله إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة وحديث إن الله لما خلق آدم مسح ظهره إلى أحاديث آخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين



وقال القاضي أبو يعلى في كتاب ابطال التأويل لا يجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولا يمتد التشبيه فيها لكن على ما روى عن الامام أحمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى والاوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد ابن سامة وابن عيينة والفضيل بن عياض وو كيع وعبد الرحمن بن مهدي واد بن سالم واسحاق بن راهويه وأبي عبيد ومحمد بن جبر الطبرى وغيرهم في هذا الباب وفي حكاية ألفاظهم طول الى أن قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعري المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه في الكلام في كتابه الذى صنفه في اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخواارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل السنة الاقرار بالله ولائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا وان الله واحد أحد فرد صمد لا اله غيره لم يخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا

عبدہ ورسولہ وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يدها مبسوطتان وان له عيين بلا كيف كما قال تجري بأعيننا وان له وجهها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ووافقوا ان الله علماً كما قال أنزله بعلمه وكما قال وما تحمل من أثى ولا تضع الا بعلمه وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا الله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم في القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقولون ان الله يرى بالا بصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء الى أن قال ويقولون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار الى أن قال وينكرون الجدل والمرء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي جاءت بها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف

ولالم لان ذلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يحىء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا  
صفا وان الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من  
حبب الوريد الى أن قال ويرون مجانبه كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة  
القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن  
الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية  
وتفقد المآكل والمشارب قال فهذه جملة ما يأمرون به ويستأمنون اليه  
ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله  
وهو المستعان

وقال الاشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش فقال قال  
أهل السنة وأصحاب الحديث ليس يحسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى  
على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدي الله  
في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه  
ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدي وان له عينين كما قال تجري  
بأعيننا وانه يحىء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك  
صفاً صفا وانه ينزل الى السماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئاً  
الا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقالت المعتزلة ان الله اسنوى على العرش بمعنى استولى  
وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه الابانة في

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

(فصل) في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والتدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فمرفوف قولكم الذي به تقولون وديانتكم الذي بها تدينون قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا الذي ندين بها التماسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وبما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خلف قوله مخالفون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين فرحمه الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزاد من ذلك شيئاً وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يدها مبسوطتان وان له عينين بلا

كيف كما قال تجرى بأعيننا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالاً وذاكر نحواً مما ذكر  
في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل  
اسلام ايماناً

وندين بان الله يقاب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل  
وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت  
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول  
وعمل يزيد وينقص

ونسلم لاروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي  
رواها الثقات شذلا عن عدل حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الي أن قال

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء  
الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر  
مانقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين  
وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول عي  
الله ما لا نعلم

ونقول ان الله يحجي يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا  
وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من  
حبـل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى الى أن

قال وسنحتاج لما ذكرناه من قولنا وما بقى مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف على القرآن وقال لا أقول أنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرج اليه وقال حكاية عن فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى ابلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال أءأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أءأنتم من في السماء لانه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس اذا قال أءأنتم من في السماء يعنى جميع السماء وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا فلم يرد ان القمر يماؤهن وانه فيهن جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذي هو فوق السموات فلو لا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كالا يحيطونها اذا دعوا الى الارض ثم قال

( فصل ) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى قوله الرحمن على العرش اسنوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله علي عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان هـذا كما ذكره كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شئ والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مسئول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مسئول عليها واذا كان قادراً على الاشياء كلها لم يحز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مسئول على الحشوش والاخلية لم يحز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل ثم قال باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات في ذلك ورد على المثاولين بكلام طويل لا يتسع هـذا الموضع للحكاية مثل قوله فان سئلنا أتقولون لله يدان قبل نقول ذلك وقد دل عليه قوله يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدي

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذرية وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق جنـة عدن بيده وكتب

النوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويعنى به النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها ومعقولها في خطابها وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعنى به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عن وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفاضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصنيفه فان قال فما الدليل على أن الله وجهها ويذا قيل له ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فأثبت انفسه وجهها ويذا فان قال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة اذ كنتم لا تعقلون وجهها ويذا الا جارحة قلنا لا يجب هذا كما لا يجب اذالم نعقل حياً عالماً قادراً الاجمما أن نقضى نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وكما لا يجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهرها لانا واياكم لانجد قائماً بنفسه في شاهدنا الا كذلك وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضاً واعتلوا بالوجود

قال فان قال قائل أتقولون انه في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى



أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان وفيه الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولو جب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها ما لم يكن وينقص بنية صانها اذا بطسل منها ما كان ولصح أن يرغب اليه الي نحو الارض والى خافنا والى يميننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه ونخطئه قائمه

وقال أيضا في هذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن تطلبه وان كنا مستغنيين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل ودين حق يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا للظن بهم دون غيرهم أو متوها أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ماتبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام اسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءه

به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم وإذا قيل لهم آمنوا  
 بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق  
 مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين فإن  
 اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا قال الله لهم قل فلم تقتلوا الأنبياء من  
 قبل أن كنتم مؤمنين بما أنزل عليهم بقول سبحانه لا لما جاءكم به أنبياءكم  
 تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون ولكن إنما تتبعون أهواءكم  
 فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه  
 يتعصب لطائفه دون طائفة بآبرهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلف  
 مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في  
 آي الكتاب وما يمح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكشاف  
 عن التأويل وأجروا الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى  
 الرب قال والذي نرضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سائر  
 الأمة والدليل السمي القاطع في ذلك إجماع الأمة حجة متبعة  
 وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الاسلام والمستقلون  
 بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والنواصي  
 بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر  
 مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع  
 الشريعة وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزه البارى عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب فليجر آية الاستواء والجيء وقوله لما خلقت بيدي ويبقى وجه ربك وقوله تجري بأعيننا وماصح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه

( قلت وليعلم السائل ) ان الفرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة في هذا لباب وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع مايقوله في غير هذا ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به

كان مما ذكره بن حبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذى رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً أو قال فاجرا واحـذروا زينة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول الحق قال على الحق نور أو كلاماً هذا معناه

فأما تقرير ذلك بالدلائل واماطة مايعرض من الشبه وتحقق الامر على وجه يخلص الى القلب مايرد به من اليقين ويقف على مواقف اراء الابداد في هذه المهامه ذاتتسع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب ان شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الامر في ذلك ان الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن

تحريف التكلم عن مواضعه والاحساد في أسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب ان شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله وهو معكم أينما كنتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم انشأ على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في حديث الاوعال والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطاقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب ماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فانه يتمال مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويتمال هذا المتاع معي لجماعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خالقه حقيقة وهو فوق صرشه حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فاما قال يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع علىكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معنى قول الساف انه معهم بملهم وهذا ظاهر الخطاب

وحقيقته وكذلك في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار لا تحزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودات الحال على ان حكم المعية هنا مع الاطلاع النصر والتأييد وكذلك قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى وهرون اني معكما أسمع وأري\* هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذا الوطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لا تخف انا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال رفع المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع تقضى في كل موضع أمورا لا تقتضيها في المواضع الأخر فاما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردنا وان امتاز كل موضع بخصايته فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فانها وان اترك في أصل الربوبية والتعبد فلما قال رب العالمين رب موسى وهرون كانت ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقدربه ورباه ربوبية

وتربية أكمل من غيره وكذلك قوله عينا بشرب بها عباد الله وسبحان  
الذي أسرى بعبد ليل

(فان العبد) تارة يعني به المعبود فيعم الحاق كافي قوله ان كل من في  
السموات والارض الا آت الرحمن عبدا وتارة يعني به العابد فيخص  
نم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة  
في حقه أكمل مع انها حقيقة في جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ  
فيسميها بعض الناس مشككة لشكك المستمع فيها هل هي من قبيل  
الاسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط والمحققون يعلمون  
انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضح اللغة انما وضع  
اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس  
بتخصيصها بلفظ ومن علم ان الممية تضاف الي كل نوع من أنواع المخلوقات  
كضافة الربوبية مثلا وان الاستواء على الشيء ليس الا للعرش وان الله  
يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط  
لاحقيقة ولا مجازاً علم ان القرآن على ما هو عليه من غير تحريف

نم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه  
فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا  
يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين  
هل يفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه  
لبادر كل أحد منهم الي أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا واذا كان  
الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محلا ولا يفهمه

الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالعني ان الله في العلو لافي السفلى

وقد علم المسلمون ان كرسيه سبحانه وسع السموات والارض وان الكرسي في العرش حلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لانه نسبة له الى قدرة الله سبحانه وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولاصا بكنكم في جذوع النخل وقال فسيروا في الارض بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فرق العرش وهو قبيل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلي كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا

القمر كالكم يراه مخلصا به وهو آية من آيات الله فآله أكبر أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبّه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي مشابها للمرئي فلمؤمنون اذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلا ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والروح في العلم بالله يكون اقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد

واعلم ان من المتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا المنظر مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل ان يراد بكون الله قبل وجه المصلي انه مستقر في الحائط الذي يصلي اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلا شك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في اطلاق القول بان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممنوع صار بظهور لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار مذكورا في هذا الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الامور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو الظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطي كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر



غير مراد عندهم ان المعانى التى تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظامته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هى واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنيّاً أو جوازاً خارجيّاً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فيما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لائصالاً ولا ظاهراً انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول ان طريقة أهل التأويل هى فى الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيئ الحاجة الى ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعنون المراد بالتأويل وأولئك لا يعنون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف أما فى كثير من الصفات قطعاً مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذى لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح فى كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم انى بعد البحث النام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لائصالاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن على نفي الصفات الحسية فى نفس الامر بل الذى آتته ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً واما ظاهراً على تقرير جنس هذه الصفات ولا أثقل عن كل واحد منهم أثبات كل صفة بل الذي رأيتهم يثبتون جنسها في الجملة وما رأيت أحداً منهم نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر

وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وكانوا اذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير أثبات للصفات قالوا هذا جهمي معطل وهذا كثير جداً في كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهة كذباً منهم واقتراء حتي ان منهم من غلا ورمي الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتي قال ثمامة بن الاشرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ان هي الافتنتك وعبيي قال تعلم ما في نفسي ومحمد حيث قال ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الائمة مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه واسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة

وقد صنف أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءاً سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقاب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذه الالقاب وذكر ان أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بقلب افتراء يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بالقباب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية تسميهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغناء وغثراً الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم تارة تارة مجنوناً وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفترياً قالوا وهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة فان السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً فكما ان المنحرفين عنه يسمونه باسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في الحيا والممات باطنا وظاهراً أما الذين وافقوهم ببواطنهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الامكان لا بد للمنحرفين عن سنة أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضي من لم يبغض أبابكر وعمر فقد أبغض علياً لانه لا ولاية اعلى الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبابكر وعمرنا صيباً بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدرى من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهمي من قال ان الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وأنه

جسم محدود وانه مشابه لخلقته وكقول الجهمية المعتزلة من قال ان الله  
 علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات أعراض  
 والعرض لا يقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز مجسم أو جوهر فرد  
 ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة  
 بناء على عقيدته التي هم يخالفون له فيها فهو ورثه أعلم والله من ورثه  
 بالمرصاد ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

وجماع الامر ان الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة  
 أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة \* قسمان يقولون تجري على ظواهرها  
 \* وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها \* وقسمان يسكتون أما الاولون  
 فـ \* قسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويحمل ظاهرها من جنس صفات  
 المخلوقين فهو لاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكروه السلف واليه توجه الرد بالحق  
 والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجري اسم العلم والقدير  
 والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال  
 الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض  
 فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك  
 في حق العبد اعراض والتوجه واليد والعين في حقه أجسام فاذا كان  
 الله موصوفاً عند عامة أهل الانبيات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية  
 وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز  
 أن يكون جه الله وبداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات  
 المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباين لا يخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فن قال لأعقل عالماً وبدأً الا من جنس العلم واليد المعهودتين قيل له فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال الجهمي كيف استوى أو كيف ينزل الى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لا يعلم ما هو الا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مسبوق بالعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن ان نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفية وانما نعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبتت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص على بيان كيفيتها أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتخرج الى السماء وانها تسيل منه وقت

الانزوع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لانساني في تجريدها غلو  
 المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن  
 والانفصال عنه وتخططوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته  
 فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا أن  
 يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ  
 واني لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعني الذين يقولون ليس لها في  
 الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لا صفة له نبوتية بل صفاته  
 اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي  
 الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الاحوال دون  
 الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم  
 يؤولونها ويعينون المراد مثل قولهم اسئوى بمعنى استولى أو بمعنى علو  
 المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهى الخلق اليه  
 الي غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم ما أراد بها  
 لكننا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظواهرها  
 اللائق بالله ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة  
 كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون  
 على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتم عن  
 هذه التقديرات

فهذه الاقسام السنية لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثمانية كآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة لا تخفى على النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والايان ومن لم يجمل الله له نوراً فماله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غـيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي رواية لابي داود انه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الى الله ودعاه وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهابات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأي ان غالب ما يمتدونه يؤول الى دعوى لاحقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كلية لا تصح الاجتزائية أو دعوى اجماع لاحقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب



بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر  
ما يوهمه السراب للعطشان ازداد ايماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة  
فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد  
تعظيماً وبقدرة أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا  
يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل  
فيه هو في عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر  
فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه  
من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه  
ونصف متطبيب ونصف نحوي هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان  
وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في النال في قول  
مؤتقك يؤفك عنه من أفك بعلم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله  
على بصيرة وان حجته ليست بيينة وانما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها \* حقاً وكل كامر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ماقال الشافعي رضي  
الله عنه حيث قال حكى في أهل الكلام أن يضر بوا بالجريد والتعال  
ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب  
والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بين القدر والحيرة مستولية



عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما  
أوتوا زكاء وأعطوا فهموما وما أعطوا علوما وأعطوا سمما وأبصاراً  
وأفئدة فما أغنى عنهم سمهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا  
يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون

من كان عليا بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلومهم  
وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم  
وعلم أن من ابتغي الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزداد الا بعداً  
فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت  
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين  
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً  
مباركاً الى يوم الدين

تمت الرسالة الحادية عشر

(وبلها الرسالة الثانية عشر)

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رضى الله عنه

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وان أسندل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا وادام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك أفوتونا مأجورين \* الجواب \*

الحمد لله \* قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة وانفاق الامة ان نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع في الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم وانه يشفع لهم

نم انفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبار وانه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد

وأما الخوارج والمعتزلة فانكروا شفاعته لاهل الكبار ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة وسواء سمي هذا المعنى استغاثة أو لم يسمه وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان اذا خطبوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنينا فقبضنا وانا نتوسل

إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اصرابيا قال  
 لاني صلى الله عليه وسلم جمدت الانفس وجاع العيال وهلك المال قادع الله  
 لنا فاناستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسيبج رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم حتي عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع  
 به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر  
 قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره  
 عليه فعمل جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفي تكفيره  
 نزاع وتفصيل

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته  
 والتوسل به ونحو ذلك وليكن قال لا يدعى الا الله وان الامور التي  
 لا يقدر عليها الا الله فلا تطالب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية  
 القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك  
 بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالى ومن يغفر  
 الذنوب الا الله وقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من  
 يشاء وكما قال تعالى يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق  
 غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالى وما جعله الله الا  
 بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا  
 تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في  
 الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

فالله اني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والممانى المنفية بالكتاب

والسنة يجب فيها والعبارة الدالة على المعاني نفيا وإثباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والارجع فيه اليه وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قومهوا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو ان يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قل ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتي يجيش له ميزاب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه \* ثمال اليتامي عصمة للأرامل وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا منيئ على الإطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جملة ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز

قالوا من أسمائه تعالى المنيث والغياث وجاء ذكر المنيث في حديث أبي هريرة قالوا واجتمعت الامة على ذلك

وقال أبو عبد الله الحلي الغياث هو المغيث وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عبادته في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم أغثنا اللهم أغثنا يقال اغانة اغانة وغياثا وغوثا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا ان الاغانة أحق بالافعال والاستجابة أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين المستغيث والداعي ان المستغيث ينادى بالغوث والداعي ينادى بالمدعو والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستغانة بالله للمسلمين وقد روى عن معروف الكرخي انه كان يكثر أن يقول واغوثا ويقول اني سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور يا حي يا قيوم لا اله الا انت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني الي نفسي طرفه عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغانة برحمته استغانة به في الحقيقة كما ان الاستغانة بصفاته استعانة به في الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خاف وفيه أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعانة لانه اصح بالخلق وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذى وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذي نهى عنه والاستغانة بمعنى أن يطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر إن أنكر ما يكفر به وإما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغدير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي استغانة الخلق بالخلق كاستغانة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية استغانة الخلق بالخلق كاستغانة المسجون بالمسجون وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك الشكر والاحول ولا قوة إلا بك ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق وكان مختصاً بالله صح إطلاق نفيه عما سواه ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطابق الاستغانة بغير الله ولا أنكر على من نفي مطابق الاستغانة عن غير الله

وكذلك الاستغانة أيضاً فيها ما لا يصلح إلا لله وهي المشار إليها بقوله أياك نعبد وأياك نستعين فإنه لا يعبد على العبادة إلا عانة المخلقة إلا الله

وقد يستعان بالخلق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى  
وان استنصروكم في الدين فاعليكم انصر وانصر المطلق هو خلق مابه  
يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما  
فاسقاً واما عاصياً الا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده  
ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة  
فان الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما اذا قامت

عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها

فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل

واما بدونه والله أعلم

تمت الرسالة الثانية عشر

وبتمامها تم والله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى  
لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي  
(وبليه ان شاء الله الجزء الثاني وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة )

بالا كليل في المتشابه والتأويل





## ﴿ الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل الكبرى ﴾

---

﴿ تأليف ﴾

﴿ شيخ الاسلام آقاي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ﴾

﴿ ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفي ﴾

﴿ سنة ٧٢٨ ر. ح. الله تعالى ﴾

---

( الاولي )

﴿ رسالة الاكليل في المتشابه .. والتأويل ﴾

﴿ وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة ﴾

---

﴿ الطبعة الاولى ﴾

( سنة ١٣٢٣ )

( بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر )

---

( على نفقة شركة طببع الكتب العلمية بمصر )

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال شيخ الاسلام علم الاعلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي)

الحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فصل قوله تعالى وما أرسنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمى  
لقى الشيطان في أمنيه (الى قوله) ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين في  
قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ولا يعلم الذين  
أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله  
لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام قاسية وذات مرض ومؤمنة مخبئة وذلك لانها  
اما ان تكون يابسة جامدة لا تدلن للحق اعترافا وادعانا ولا تكون يابسة جامدة  
\* فالاول هو القاسى وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينبت عليه ولا يكتب فيه  
الايمان ولا يرتسم فيه العلم لان ذلك يستدعي محلا لنا قابلا \* والثانى  
لا يخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لا يزول عنه لقوته مع لينة أو يكون  
لينه مع ضعف وانحلال فالثانى هو الذى فيه مرض والاول هو القوى  
اللين وذلك ان القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا فاما أن يكون  
جامدة يابسة لا تدلن ولا تبطلش أو تبطلش بعنف فذلك مثل القلب  
القاسى أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك الذى

فيه مرض أو تكون باطشة بقوة وابن فهو مثل القلب العليم الرحيم  
 فبالرحمة خرج عن القسوة وبالعلم خرج عن المرض فان المرض من  
 الشكوك والشبهات ولهذا وصف من عدى هؤلاء بالعلم والايمان  
 والاخبار وفي قوله (وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به  
 فيخبت له قلوبهم) دلائل على ان العلم يدل على الايمان ليس ان أهل  
 العلم ارتفعوا عن درجة الايمان كما يتوهمه طائفة من المتكلمة بل معهم  
 العلم والايمان كما قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون  
 يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وقال تعالى (وقال الذين  
 أوتوا العلم والايمان) وعلى هذا فتوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به  
 كل من عند ربنا نظير هذه الآية فانه أخبر هنا ان الذين أوتوا العلم  
 يعلمون انه الحق من ربهم وأخبر هناك أنهم يقولون في المتشابه آمنا به  
 كل من عند ربنا وكلا الموضعين موضع شبهة لغيرهم وان الكلام  
 هناك في المتشابه وهنا فيما يلقي الشيطان مما ينسخه الله ثم يحكم الله آياته  
 وحمل المحكم هنا ضد الذي نسخ الله مما ألقى الشيطان ولهذا قال طائفة  
 من المفسرين المتقدمين المحكم هو النسخ والمتشابه المنسوخ

أرادوا والله أعلم قوله ينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته  
 والنسخ هنا رفع ما ألقى الشيطان لارفع مشرعه الله وقد أثرت الي  
 وجه ذلك فيما بعد وهو ان الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة  
 ومقابل المنسوخ أخرى والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف  
 كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق  
 فان هذا متشابه لانه يحتمل معنيين ويدخل فيه الجملة فانه متشابه

واحكامه رفع مايتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد وكذلك ما رفع حكمه فان في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه لشيطان في معانى القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فاذا عرفت للناسخ عرفت المحكم وعلى هذا فيصح أن يقال المحكم والمنسوخ كما يقال المحكم والمتشابه وقوله بعد ذلك ثم يحكم الله آياته جعل جميع الآيات محكمة ومحكمهما ومتشابههما كما قال (الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وقال (تلك آيات الكتاب الحكيم) على أحد القوانين وهناك جعل الآيات قسمين محكما ومتشابهها كما قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه المتشابهات مما أنزله الرحمن لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار المحكم في القرآن تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان

ومن الناس من يجعله مقابلا لما نسخه الله مطلقاً حتى يقول هذه الآية محكمة ايست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكما وان كان الله أنزله أولا اتباعا لظاهر من قوله فينسخ الله ويحكم الله آياته فهذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغي انتفطن لها

وجماع ذلك ان الاحكام تارة تكون في التنزيل فيكون في مقابله ما يلقيه الشيطان فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ما ليس منه فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل اتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء ممنه لاجميع معناه \* وتارة يكون في ابقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذى هو رفع ما شرع وهو

اصطلاحی أو یقل وعو أشبه بقول السلف كانوا یسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حکم أو رفع دلالة ظهرة والقاء الشیطان فی أمنيته قد یكون فی نفس لفظ المبلغ وقد یكون فی مسمع المبلغ وقد یكون فی فهمه كما قال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآیة ومعلوم ان من سمع سمع النص الذی قد رفع حکمه أو دلالة له فانه یأقی الشیطان فی تلك التلاوة اتباع ذلك المنسوخ فی حکم الله آیاته بالناسخ الذی به رفع الحکم وبان المراد وعلى هذا التقدير فیصح أن یقال المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم

وتارة یكون الاحکام فی التأویل والمعنی وهو یمیز الحقيقة المقصودة من غیرها حتی لا تشبهه بغيرها وفي مقابلة المحکمات الآیات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين ولم یقل فی المتشابه لا یعلم تفسیره ومعناه الا الله وانما قال وما یعلم تأویله الا الله وهذا هو فصل الخطاب بین المتنازعين فی هذا الموضع فان الله أخبر أنه لا یعلم تأویله الا هو والوقوف هنا على ما دل علیه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله صلى الله علیه وسلم وجمهور التابعین وجماهير الامة ولكن لم ینف علمهم بمعناه وتفسیره بل قال (كتاب أنزلناه الیک، باریک لیدبروا آیاته) وهذا یم الآیات المحکمات والآیات المتشابهات وما لا یعقل له معنی لا یتدبر وقال (أفلا یتدبرون القرآن) ولم یستثن شیئا منه نهی عن تدبره والله ورسوله انما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأویله فأما من تدبر المحکم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم یذمه الله بل أمر بذک ومدهح علیه یمین ذلک ان التأویل قد روي

أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كحي ابن أخطب وغيره من طاب من حروف الهجاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الامة كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصائبة المنجمين وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاماً لان ذلك هو عدد ماله حروف في حساب الجمل بعد اسقاط المكرر وهذا من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر

وروي ان من النصارى الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران من تأويل انا ونحن على ان الالهة ثلاثة لان هذا ضمير جمع وهذا تأويل في الايمان بالله فاولئك تأولوا في اليوم الآخر هؤلاء تأولوا في الله ومعلوم ان انا ونحن من المتشابه فانه يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذي معه أعوانه وان لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار هذا متشابهاً لان اللفظ واحد والمعنى متنوع والاسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه وبعض المتواطى أيضاً من المتشابه ويسمى أهل التفسير الوجود والنظائر وصنفوا كتب الوجود والنظائر فالوجود في الاسماء المشتركة والنظائر في الاسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك ان الوجود والنظائر جميعاً في الاسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوده باعتبار المعنى وليس الامر على مقاله بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله والذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل والهيكم اله واحد اتى انا الله لا اله الا أنا فاعبدني ما اتخذ الله من ولد



وما كان معه من اله ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويتبون المتشابه ابتغاء الفتنة ليفتتوا به الناس اذا وضعوه على غير مواضعه وحرفوا الكلم عن مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي أخبر عنها وذلك ان الكلام نوعان انشاء فيه الامر وأخبار فتأويل الامر هو نفس الفعل المأمور به كما قال من قال من السلف ان السنة هي تأويل الامر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانه اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي بتأويل القرآن تفنى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً

وأما الاخبار فتأويله عين الامر المخبر به اذا وقع ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم التأويل في القرآن في غير موضع وهذا معناه قال الله تعالى (ولقد جننناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتميزه بحيث لا يشبهه

ثم قال هل ينظرون أي ينتظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله الي آخر الآية وانما ذلك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة وأنشراطها كاللابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاء وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فحينئذ يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فتعمل غير الذي كنا

نعمل وهذا القدر الذى أخبر به القرآن من هذه الأمور لا يعلم وقته وقدره وصفته الا الله فان الله يقول فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين ويقول أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فان الله قد أخبر ان فى الجنة خمراً ولبناً وماء وحريراً وذهباً وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعاً ان تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه بل بينهما ما تبين عظيم مع التشابه كما فى قوله (وأتوا به متشابهاً) على أحد القولين ان يشبه ما فى الدنيا وليس مثله فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء هذه الحقائق كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه فنحن نعلمها اذا خوطبنا بتلك الاسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لاندركها فى الدنيا ولا سبيل الى ادراكها لاهل ادم ادراك عينها أو نظيرها من كل وجه وتلك الحقائق على ما هى عليه هى تأويل ما أخبر الله به وهذا فيه رد على اليهود والنصارى والصابئين من المتفلسفة وغيرهم فانهم يزعمون أن يكون فى الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمتعون وجود ما أخبر به القرآن ومن دخل فى الاسلام ونافق المؤمنين تأول ذلك على أن هذه أمثال مضرورية لفهم النعيم الروحاني ان كان من المتفلسفة الصائبة المنكرة لحشر الاجساد وان كان من منافقة الملتزمين المقربين بحشر الاجساد تأول ذلك على تفهيم النعيم الذى فى الجنة من الروحاني والسماع الطيب والروائح العطرة كل ضال يحرف بالكلام عن مواضعه الى ما انتقد ثبوته وكان فى هذا أيضاً



متبعاً للمتشابه اذ الاسماء تشبه الاسماء والمسميات تشبه المسميات ولكن  
تخالفاً أكثر مما تشابهها فهو لا يتبعون هذا التشابه ابتغاء الفتنة بما  
يوردونه من الشبهات على امتناع أن يكون في الجنة هذه الحقائق وابتغاء  
تأويله ليردوه الى الممهود الذي يعلمونه في الدنيا قال الله تعالى (وما يعلم  
تأويله الا الله) فان تلك الحقائق قال الله فيها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم  
من قرة أعين لا ملك مقرب ولا نبي مرسل

وقوله وما يعلم تأويله اما أن يكون الضمير عائداً على الكتاب أو  
على التشابه فان كان عائداً على الكتاب كقوله منه ومنه فيتبعون ما تشابه  
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهذا يصح فان جميع آيات الكتاب  
المحكمة والمتشابهة التي فيها اخبار عن الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به  
لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتي يقع الا الله وقد يستدل لهذا ان الله  
جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره أنه مفصل بقوله ولقد جئناهم  
بكتاب فصلناه على علم هادي ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا  
تأويله يوم يأتي تأويله فجعل التأويل الجائي الكتاب المفصل

وقد بينا ان ذلك التأويل لا يماهه وقتاً وقدرأً ونوعاً وحقيقة الا الله  
وانما نعلم نحن بعض صفاته بمبلغ علمنا لمدى نظيره عندنا وكذلك قوله  
(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله) واذا كان التأويل الكتاب  
كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله (يسألونك عن  
الساعة أيا نمرسها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت  
في السموات والارض) الى قوله (انما علمها عند الله) وكذلك قوله (يسألونك

الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) فأخبر أنه ليس علمها الا عند الله وانما هو علم وقتها المعين وحقيقتها والا فنعن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به فلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها واحوالها ما علمناه وان نفسر النصوص المبينة لاحوالها فهذا هذا وان كان الضمير عائداً الى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس فلان الخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الامر والنهي ولهذا في الآثار العمل بحكمه والايمان بتشابهه لان المقصود في الخبر الايمان وذلك لان الخبر به من الوعد والوعيد فيه من التشابه ما ذكرناه بخلاف الامر والنهي فانه متميز غير مشتبه بغيره فانه أمور نفعاها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها

ومما جاء من لفظ التأويل في القرآن قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) والكناية عائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود الى القرآن قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) فأخبر سبحانه ان هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله

وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفى كقوله (ما كان ربك ليهلك القرى  
بظلم) لان الحلق عاجزون عن الاتيان بمثله كما تحداهم وطالبهم لما قال أم  
يقولون افتراء قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطاعتم من دون الله  
ان كنتم صادقين فهذا تعجيز لجميع المخلوقين قال تعالى ولكن تصديق  
الذي بين يديه أي مصدق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب أي مفصل  
الكتاب فأخبر أنه مصدق الذي بين يديه ومفصل الكتاب والكتاب  
اسم جنس ولم تحدد القائلين افتراء ودل على أنهم هم المفترون قال بل  
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه  
وبين اتيان تأويله فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والايمان بعلمه  
ولما يأتهم تأويله وان الاحاطة بعلم القرآن ليست اتيان تأويله فان  
الاحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع  
الخبر به وفرق بين معرفة الخبر وبين الخبر به فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير  
القرآن ومعرفة الخبر به هي معرفة تأويله وهذا هو الذي بيناه فيما تقدم  
ان الله انما أنزل القرآن ليعلم ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه  
ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

وبين ذلك ان الله يقول عن الكفار (واذا قرأت القرآن جعلنا  
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم  
أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده  
ولولعني أديبارهم نفورا) فقد أخبر دما للمشركين انه اذا قرئ عليهم  
القرآن حجب بين ابصارهم وبين الرسول بحجاب مستور وجعل على

قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرأوا فلو كان أهل العلم والايمن على قلوبهم أكنة أن يفقهوا بعضه أشار كوههم في ذلك وقوله أن يفقهوه يعود الى القرآن كله

فعلم ان الله يحب أن يفقهه ولهذا قال الحسن البصري ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيماذا أنزلت وماذا عني بها وما استثنى من ذلك لا متشابها ولا غيره

وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها فهذا ابن عباس حبر الامه وهو أحد من كان يقول لا يعلم تأويله الا الله يحيب مجاهدا عن كل آية في القرآن وهذا هو الذي جعل مجاهدا ومن وافقه كابن قتيبة على ان جعلوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل لان مجاهدا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله وبيان معانيه فظن ان هذا هو التأويل المنفي عن غير الله

وأصل ذلك ان لفظ التأويل وبه أشير الى بين معناه الله في القرآن وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلمتبه أن ذلك هو المذكور في القرآن \* ومجاهد امام التفسير قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وأما التأويل فشأن آخر وبين ذلك ان الصحابة والتابعين لم يمنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله وقال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه ولا قال قط أحد

من ساف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين ان في القرآن آيات لا تعلم معناها ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أهل العلم والايمان جميعهم وانما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لا ريب فيه

وانما وضع هذه المسئلة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات وآيات القدر وغير ذلك فلقبوها هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم منناه وما بعدنا بتلاوة حروفه بلا فهم فحوز ذلك طوائف متمسكين بظاهر من هذه الآية وبأن الله يتمتحن عباده بما شاء ومنهما طوائف ليتوصلوا بذلك الى تأويلاتهم الفاسدة التي هي تحريف الكلام عن مواضعه \* والغالب على كلا الطائفتين الخطأ أولئك يقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلام عن مواضعه

ومن المتأخرين من وضع المسئلة بقب شذيع فقال لا يجوز أن يتكلم الله بكلام ولا يعنى به شيئاً خلافاً للحشوية وهذا لم يقله مسلم ان الله يتكلم بما لا معنى له

وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم معناه وبين نفي المعنى عند المتكلم ونفي الفهم عند المخاطب بون عظيم

نم احتج بما لا يجري على أصله فقال هذا عبث والعبث على الله محال وعنده ان الله لا يقبح منه شيء أصلاً بل يجوز أن يفعل كل شيء وليس له أن يقول العبث صفة نقص فهو منتف عنه لان النزاع في الحروف وهي عنده مخلوقة من جملة الافعال ويجوز أن يشتمل الفعل عنده على كل

صفة فلا نقل صحيح ولا عقل صريح

ومثار الفتنة بين الطائفتين ومحار عقولهم ان مدعى التأويل أخطأ  
 في زعمهم ان العلماء يعلمون التأويل وفي دعواهم ان التأويل هو  
 تأويلهم الذي هو تحريف الكلام عن مواضعه فان الاولين لعلمهم بالقرآن  
 والسنن وصحة عقولهم وعلمهم بكلام السلف وكلام العرب علموا يقيناً  
 ان التأويل الذي يدعيه هؤلاء ليس هو معنى القرآن فانهم حرفوا  
 الكلام عن مواضعه وصاروا مراتب ما بين قرامطة وباطنية يتأولون  
 الاخبار والاوامر وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الاخبار عن الله  
 وعن اليوم الآخر حتى عن أكثر أحوال الانبياء وما بين جهمية  
 ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر في آيات القدر ويتأولون  
 آيات الصفات وقد وافقهم بعض متأخري الاشعرية على ما جاء في بعض  
 الصفات وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر وآخرون من أصناف  
 الامة وان كان أغلب عليهم السنة فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم  
 من تحريف الكلام عن مواضعه والذين ادعوا العلم بالتأويل مثل طائفة  
 من السلف وأهل السنة وأكثر أهل الكلام والبدع رأوا أيضاً ان  
 النصوص دلت على معرفة معاني القرآن ورأوا عجراً وعيباً وقيحاً  
 أن يخاطب الله عباده بكلام يترؤنه ويتلونه وهم لا يفهمونه وهم  
 مصيبون فيما استدلوا به من سمع وعقل لكن أخطأوا في معنى التأويل  
 الذي نفاه الله وفي التأويل الذي أنبئوه وتساق بذلك مبتدعهم الى  
 تحريف الكلام عن مواضعه وصاروا الاولون أقرب الى السكوت والسلامة

بنوع من الجهل وصار الآخرون أكثر كلاماً وجرماً إلاً ولكن بفربه  
على الله وقول عليه ما لا يعلمونه والحاد في أسمائه وآياته فهذا هذا  
ومنشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل

فإن التأويل في عرف المتأخرين من المتفهمة والمتكلمة والمحدثة  
والمصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح  
للدليل يقترب به وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه  
ومسائل الخلاف فإذا قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول  
أو هو محمول علي كذا قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى  
دليل والمتأول عليه وظيفتان بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان  
الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر وهذا هو التأويل الذي  
يتنازعون فيه في مسائل الصفات إذا صنف بعضهم في إبطال التأويل  
أو ذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول وقال الآخر بل  
يجب تأويلها وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك  
عند المصلحة أو يصاح للعلماء دون غيرهم إلى غير ذلك من  
المقالات والتنازع

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان أحدهما تفسير الكلام  
وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند  
هؤلاء متقارباً أو مترادفاً وهذا والله أعلم هو الذي عناه مجاهدان العلماء  
يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره القول في تأويل  
قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده



التفسير والمعنى الثانى فى لفظ الساف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام فان الكلام ان كان طامبا كان تأويله نفس الفهم المطلوب وان كان خبراً كان تأويله نفس الشئ المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله بون فان الذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والتمرح والايضاح ويكون وجود التأويل فى القلب واللسان له الوجود الذهبى واللفظى والرسمى

وأما هذا التأويل فيه نفس الامور الموجودة فى الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلية فاذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التى نزل بها وقد قدمنا التبيين فى ذلك ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوסף (وكذلك يحبتك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك) وقوله (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبتنا بتأويله اننا نراك من المحسنين قال لا يأتىكما طعام تزرعانه الا نبأتمكما بتأويله قبل أن يأتىكما) وقول الملاك (أضغات أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر وآوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً)

فتأويل الأحاديث التى هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التى تؤول



اليه كما قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل والعالم بتأويلها الذي  
 يخبر به كما قال يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه أى في المنام الانبأكما  
 بتأويله قبل أن يأتيكما أى قبل أن يأتيكما التأويل وقال الله تعالى (فان  
 تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم  
 الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) قالوا أحسن عاقبة ومصيرافالتأويل  
 هنا تأويل فعلهم الذي هو الرد الى الكتاب والسنة والتأويل في سورة  
 يوسف تأويل أحاديث الرؤيا والتأويل في الاعراف ويونس تأويل  
 القرآن وكذلك في سورة آل عمران وقال تعالى في قصة موسى والعالم  
 (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) الى  
 قوله (وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فالتأويل  
 هنا تأويل الافعال التي فعلها العالم من خرق السفينة بغير اذن صاحبها  
 ومن قتل الفلام ومن اقامة الجدار فهو تأويل عمل لتأويل قول  
 وانما كان كذلك لان التأويل مصدر أوله يؤول تأويلا مثل حول تحويلا  
 وعول تعويلا وأول يؤول نعدية آل يؤول أولا مثل حال يحول حولا  
 وقولهم آل يؤول أى عاد الى كذا ورجع اليه ومنه آلآ وهو ما يؤول  
 اليه الشئ ويشاركه في الاشتقاق الاكبر الموءل فانه وال وهذان أول  
 والموءل المرجع قال تعالى (ولم يجدوا من دونه موئلا) ومما يوافقه في  
 اشتقاقه الاصغر الآل فان آل الشخص من يؤول اليه ولهذا لا يستعمل  
 الا في عظيم بحيث يكون المضاف اليه يصلح أن يؤول اليه الآل كال  
 ابراهيم وآل لوط وآل فرعون بخلاف الاهل والاول أفعلى لانهم قالوا في

تأنيته أولي كما قالوا جادى الاولى وفي القصص (وله الحمد في الاولى  
والآخرة) ومن الناس من يقول فوعل ويقول أوله الا أن هذا  
يحتاج الى شاهد من كلام العرب بل عدم صرفه يدل على أنه أفعل  
لا فوعل فان فوعل مثل كوثر وجوهر مصروف سمي المتقدم أول  
والله أعلم لان ما بعده يؤول اليه ويبنى عليه فهو أس لما بعده وقاعدة له  
والصيغة صيغة تفضيل مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى لان باب  
أحر وحراء ولهذا يقولون جئته أول من أمس وقال من أول يوم  
وأنا أول المسلمين ولا تكونوا أول كافر به ومثل هذا أول هؤلاء فهذا  
الذى فضل عليهم في الاول لان كل واحد يرجع الى ما قبله فيعتمد عليه  
وهذا السابق كلهم يؤول اليه فان من تقدم في فعل فاستبق به من بعده  
كان السابق الذى يؤل اليه فالاول له وصف السوود والاتباع  
ولفظ الاول مشعر بالرجوع والعود والاول مشعر بالابتداء والمبتدأ  
خلاف العائد لانه انما كان أولا لما بعده فانه يقال أول المسلمين وأول  
يوم فما فيه من معنى الرجوع والعود هو للمضاف اليه لا للمضاف واذا  
قلنا آل فلان فالعود في المضاف لان ذلك صيغة تفضيل في كونه مآلا  
ومرجعا لغيره لان كونه مفضلا دل على انه مآل ومرجع لا آيل  
راجع اذ لا فضل في كون الشيء راجعا الى غيره آيلا اليه وانما الفضل  
في كونه هو الذى يرجع اليه ويؤال فاما كانت الصيغة صيغة تفضيل  
أشعرت بأنه مفضل في كونه مآلا ومرجعا والتفضيل المطلق في ذلك  
يقضى أن يكون هو السابق المبتدئ والله أعلم

فتأويل الكلام مأوله اليه المتكلم أو ماثول اليه الكلام أو ماثأوله  
 المتكلم فإن التفعيل يجري على غير فعل كقوله وتبذل اليه تبتيلا فيجوز  
 أن يقال تأول الكلام الى هذا المعنى تأويلا والمصدر واقع موقع الصفة  
 اذ قد يحصل المصدر صفة بمعنى الفاعل كعدل وصوم وفطر وبمعنى  
 المفعول كدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله فالتأويل هو مأول اليه  
 الكلام أو يؤول اليه أو تأول هو اليه والكلام انما يرجع ويعود ويستقر  
 ويؤل ويؤول الى حقيقته التي هي عين المقصود به كما قال بعض الساف  
 في قوله لكل نبأ مستقر قال حقيقة فانه ان كان خبرا فالى الحقيقة والخبر  
 بها يؤول ويرجع والا لم تكن له حقيقة ولا مال ولا مرجع بل  
 كان كذبا وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع والا لم يكن  
 مقصوده موجودا ولا حاصل ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا فالى  
 الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 انه تلا هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عابكم عذابا من فوقكم  
 أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا) قال انها كاتنة ولم يأت تأويلها بعد  
 (فصل) وأما ادخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه  
 الذي لا يعلم تأويله الا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر  
 الله به علم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا  
 وغيرهم فأنهم وان أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع  
 فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين الاول من قال ان هذا من  
 المتشابه وانه لا يفهم من مناد فيقول أما الدليل على ذلك فاني ما علم عن

أحد من سائر الامة ولا من الائمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا ان الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وانما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النفوس على مادات عليه ونصوص أحمد والائمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقولون النصوص على مادات عليه من معناها ويفهمون منها بعض مادات عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والنضائل وغير ذلك وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعد مثل قوله من غشنا فليس منا وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك ان الحديث لا يحرف كله عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الائمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الائمة قبله فهذا اتفاق من الائمة على أنهم يعلمون معني هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر فاتفق الائمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد في أسماء الله وآياته

ومما يوضح لك ما وقع هنا من الاضطراب ان أهل السنة متفقون على ابطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المنحرفين الملحدين والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره الي ما يخالف ظاهره فلو قيل ان هذا هو التأويل المذكور في الآية وانه لا يعلمه الا الله لكان في هذا تسليم للجهمية ان الآية تأويلا يخالف دلالتها لكن ذلك لا يعلمه الا الله وليس هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم في هذه التأويلات وردها لا التوقف عنها وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتكرر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يبعد فيها

والدليل على أن هذا ليس بمتشابه لا يعلم معناه أن نقول لا ريب ان الله سمى نفسه في القرآن باسماء مثل الرحمن والودود والعزیز والجبار والعليم والقدير والرؤف ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات مثل سورة الاخلاص وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وقوله (ان الله بكل شيء عليم) وعلى كل شيء قدير • وانه يحب المتقين • والمقسطين والمحسنين • وانه يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولما آسفونا انتقمنا منهم • ذلك بأنهم تبغوا ما أسخط الله • ولكن كره الله انبعاثهم • الرحمن على العرش استوى • ثم استوى على العرش • يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها • وهو معكم أينما كنتم • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو العلي العظيم اليه يصعد الكلم الطيب • والعمل الصالح يرفعه • اني معكم أسمع وأرى • وهو الله في السموات وفي الارض • ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي • بل

يداه مبسوطتان • يتفق كيف يشاء • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام •  
يريدون وجهه (وانصنع على عيني) الى أمثال ذلك فيقال لمن ادعي  
في هذا انه متشابه لا يعلم معناه أقول هذا في جميع ماسمى الله ووصف  
به نفسه أم في البعض فان قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا  
وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل كفر صريح فانا  
نفهم من قوله (ان الله بكل شيء عليم) معنى ونفهم من قوله (ان الله على  
كل شيء قدير) معنى ايس هو الاول ونفهم من قوله (ورحمى وسعت كل  
شيء) معنى ونفهم من قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) معنى وصبيان المسلمين  
بل وكل عاقل يفهم هذا وقد رأيت بعض من ابتدع وجحد من أهل  
المغرب مع انتسابه الى الحديث لكن أثرت فيه الفلسفة الفاسدة من  
يقول انا نسمى الله الرحمن العليم القدير عاماً محضاً من غير أن نفهم منه  
معنى يدل على شيء قط وكذلك في قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه)  
يطلق هذا اللفظ من غير أن نقول له علم

وهذا الغلو في الظاهر من جنس غلو القرامطة في الباطن لكن هذا  
أيديس وذاك أكفر

ثم يقال لهذا المعاند فهل هذه الاسماء دالة على الاله المعبود  
أو على حق موجود أم لا فان قال لا كان معطلا محضاً وما أعلم مسلماً  
يقول هذا وان قال نعم قيل له فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم  
تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة  
سواء فلا بد أن يقول لان ثبوت الصفات محال في العقل لانه يلزم منه

التركيب أو الحدوث بخلاف الذات فيخاطب حينئذ بمخاطب به الفریق  
 الثانى كما سذكروه وهو من أقر بفهم بعض معنى هذه الاسماء والصفات  
 دون بعض فيقال له ما الفرق بين ما أثبتته وبين ما نفيت أوسكت عن  
 اثباته ونفيه فان الفرق اما أن يكون من جهة السمع لأن أحد النصين  
 دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر أو من جهة العقل بأن أحد  
 المعنيين يجوز أو يجب اثباته دون الآخر وكلا الوجهين باطل فى أكثر  
 المواضع \* اما الاول فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير  
 على عظيم كدلالته على أنه عالم قدير ليس بينهما فرق من جهة النص  
 وكذلك ذكره لرحمته ومحبته وعلوه مثل ذكره لمشيئته وإرادته \* وأما  
 الثانى فيقال لمن أثبت شيئاً ونفى آخر لم نفيت مثلاً حقيقة رحمته ومحبته  
 وأعدت ذلك الى إرادته فان قال لان المعنى المفهوم من الرحمة فى حقنا  
 هى رقة تمتع على الله قيل له والمعنى المفهوم من الإرادة فى حقنا هى ميل  
 يمتنع على الله فان قال إرادته ليست من جنس إرادة خلقه قبل له ورحمته  
 ليست من جنس رحمة خلقه وكذلك محبته وان قال وهو حقيقة قوله  
 لم أثبت الإرادة وغيرها بالسمع وانما أثبت العلم والقدرة والإرادة بالعقل  
 وكذلك السمع والبصر والكلام على احدى الطريقتين لان الفهم دل  
 على القدرة والاحكام دل على العلم والتخصيص دل على الإرادة  
 قيل له الجواب من ثلاثة أوجه

أحدها ان الانعام والاحسان وكشف الضر دل أيضاً على الرحمة  
 كدلالة التخصيص على الإرادة والتقريب والاداء وأنواع التخصيص



التي لا تكون الا من الحب تدل على المحبة أو مطابق التخصيص يدل على الارادة وأما التخصيص بالانعام فتخصيص خاص والتخصيص بالتقريب والاصطفاء تقريب خاص وما سلكه في مسلك الارادة يسلك في مثل هذا الثاني يقال له هب ان العقل لا يدل على هذا فانه لا ينفيه الا بمثل ما ينفي به الارادة والسمع دليل مستقل بنفسه بل الطمأنينة اليه في هذه المضايق أعظم ودلائله أتم فلا شيء نفيت مدلوله أو توقفت وأعدت هذه الصفات كلها الى الارادة مع أن النصوص تفرق فلا يذكر حجة الا عورض بمثلها في اثباته الارادة زيادة على الفعل

الثالث يقال له اذا قال لك الجهمي الارادة لا معنى لها الا عدم الاكراه أو نفس الفعل والامر به وزعم أن اثبات ارادة تقتضي محذورا ان قال بقدمها ومحذورا ان قال بحدوثها

وهنا اضطربت المعتزلة فانهم لا يقولون بارادة قديمة لامتناع صفة قديمة عندهم ولا يقولون بتجدد صفة له لامتناع حلول الحوادث عند أكثرهم مع تناقضهم

فصاروا حزبين البغداديون وهم أشد غلوا في البدعة في الصفات وفي القدر نفوا حقيقة الارادة وقال الجاحظ لا معنى لها الا عدم الاكراه وقال الكعبي لا معنى لها الا نفس الفعل اذا تعلق بفعله ونفس الامر اذا تعلق بطاعة عباده

والبصريون كأبي علي وأبي هاشم قالوا تحدث ارادة لافي محل فلا



ارادة فالترزوا حدوث حادث غير مراد وقيام صفة بغير محل وكلاهما عند العقلاء معلوم الفساد بالبديهية كان جوابه ان مادعي احالته من ثبوت الصفات ليس بمحال والنص قد دل عليها والعقل أيضاً فاذا أخذ الخصم ينازع في دلالة النص أو العقل جعله مسفوطاً أو مقرمطاً وهذا بعينه موجود في الرحمة والمحبة فان خصومه ينازعونه في دلالة السمع والعقل عليها على الوجه القطعي

ثم يقال لخصومه بم أثبتتم انه عالم قدير فما أثبتوه به من سميع وعقل فبعينه ثبتت الارادة وما عارضوا به من الشبه عورضوا بمثله في العالم والقدير واذا انتهى الامر الى ثبوت المعاني وانها تستلزم الحدوث أو التركيب والافتقار كان الجواب ماقررناه في غير هذا الموضع فان ذلك لا يستلزم حدوثاً ولا تركيباً مقتضياً حاجة الى غيره

ويعارضون أيضاً بما ينفي به أهل تعطيل الذات من الشبه الفاسدة ويلزمون بوجود الرب الخالق المعلوم بالفطرة الخلقية والضرورة العقلية والقواطع العقلية واتفاق الامم وغير ذلك من الدلائل ثم يطالبون بوجود من جنس مانعهده أو بوجود يعلمون كيفيته فلا بد أن يفروا الى اثبات ما لا تشبهه حقيقته الحقائق فالقول في سائر ماسمى ووصف به نفسه كالقول في نفسه سبحانه وتعالى ونكتة هذا الكلام ان غالب من نفي وأثبت شيئاً مما دل عليه الكتاب والسنة لا بد أن يثبت الشيء لقيام المقتضى وانتفاء المانع وينفي الشيء لوجود المانع أو لعدم المقتضى أو يتوقف اذا لم يكن له عنده مقتضى ولا مانع فيبين له أن المقتضى فيما نفاه قائم

كما أنه فيما أثبتته قائم اما من كل وجه أو من وجهه يجب به الاثبات فان كان المقتضى هناك حقاً فكذلك هنا والافدرء ذاك المقتضى من جنس درء هذا

وأما المانع فيبين ان المانع الذي تخيله فيما نفاه من جنس المانع الذي تخيله فيما أثبتته فإذا كان ذلك المانع المستحيل موجوداً على التقديرين لم ينج من محذوره باثبات أحدهما ونفى الآخر فانه ان كان حقاً نفاهما وان كان باطلا لم ينف واحداً منهما فعليه أن يسوى بين الامرين في الاثبات والنفي ولا سبيل الى النفي فتعين الاثبات

فهذه نسكئة الالتزام لمن أثبت شيئاً وما من أحد الا ولا بد أن يثبت شيئاً أو يجب عليه اثباته فهذا يعطيك من حيث الجملة ان اللوازم التي يدعى أنها موجبة النفي خيالات غير صحيحة وان لم يعرف فسادها على التفصيل واما من حيث التفصيل فيبين فساد المانع وقيام المقتضى كما قرر هذا غير مرة

فان قال من أثبت هذه الصفات التي هي فينا اعراض كالحياة والعلم والقدرة ولم يثبت ماهو فيها أبعاد كاليد والقدم هذه أجزاء وأبعاد تستلزم التركيب والتجسيم

قيل له وتلك أعراض تستلزم التجسيم والتركيب العقلي كما استلزمت هذه عندك التركيب الحسى فان أثبت تلك على وجه لا تكون أعراضاً أو تسميتها أعراضاً لا يمنع ثبوتها قيل له وأثبت هذه على وجه لا تكون تركيباً وأبعاداً أو تسميتها تركيباً وأبعاداً لا يمنع ثبوتها

فان قيل هذه لا يعقل منها الا الاجزاء قيل له وذلك لا يعقل منها الا  
الاعراض فان قال العرض مالا يبقى وصفات الرب باقية  
قيل والبعض ماجاز انفصاله عن الجملة وذلك في حق الله محال  
ففارقة الصفات القديمة مستحيلة في حق الله تعالى مطلقاً والمخلوق يجوز  
أن تفارقه أعراضه وأبعاضه

فان قال ذلك تجسيم والتجسيم منتف قبل وهذا تجسيم والتجسيم منتف  
فان قال أنا عقل صفة ليست عرضاً بغير متحيز وان لم يكن له في  
الشاهد نظير قيل له فاعقل صفة هي لنا بعض لغير متحيز وان لم يكن له  
في الشاهد نظير فان نفى عقل هذا نفى عقل ذاك وان كان بينهما نوع  
فرق لكنه فرق غير مؤثر في موضع النزاع ولهذا كانت المعطلة الهممية  
تنفي الجميع لكن ذاك أيضاً مستلزم لنفي الذات ومن أثبت هذه الصفات  
الخبرية من نظير هؤلاء صرح بأنها صفة قائمة به كالعالم والقدرة وهذا  
أيضاً ليس هو معقول النص ولا مدلول العقل وانما الضرورة الجأهم  
الي هذه المضايق وأصل ذلك انه لم أتوا بألفاظ ليست في الكتاب ولا  
في السنة وهي ألفاظ مجملة مثل متحيز ومحدود وجسم ومركب ونحو ذلك  
ونفوا مدلولها وجعلوا ذلك مقدمة بينهم مسلمة ومدلولها عليها بنوع  
قياس وذلك القياس أوقعهم فيه مسلك سلكوه في اثبات حدوث العالم  
بحدوث الاعراض أو اثبات امكان الجسم بالتركيب من الاجزاء فوجب  
طرد الدليل بالحدوث والامكان لكل ما شمله هذا الدليل اذ الدليل القطعي

لا يقبل الترك لمعارض راجح فأروا ذلك يكثر عليهم من جهة النصوص ومن جهة العقل من ناحية أخرى فصاروا أحزابا تارة يغلبون القياس الاول ويدفعون معارضه وهم المعتزلة وتارة يغلبون القياس الثاني ويدفعون الاول كهشام بن الحكم الرافضي فانه قد قيل أول ماتكم في الجسم نفيا وإثباتا من زمن هشام بن الحكم وأبي الهذيل الملاف فإن أبا الهذيل ونحوه من قدماء المعتزلة نفوا الجسم لما سلكوا من القياس وعارضهم هشام وأثبت الجسم لما سلكوه من القياس واعتقد الاولون احواله ثبوته واعتقد هذا احواله نفيه وتارة يجمعون بين النصوص والقياس بجمع يظهر فيه الاحالة والتناقض

فما أعلم أحدا من الخارجين عن الكتاب والسنة من جميع فرقان الكلام وفلسفة الاولابدأن يتناقض فيحيل مأوجب نظيره ويوجب ماأحال نظيره اذ كلامهم من عند غير الله وقد قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

والصواب ما عليه أئمة الهدى وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والايان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ولا يمرض عنها فيكون من باب الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخبروا عماها صما وعميانا ولا يترك تدبر القرآن فيكون من باب الذين لا يعلمون الكتاب الا أمانى فهذا أحد الوجهين وهو منع أن تكون هذه من المتشابهة

\* الوجه الثاني انه اذا قيل هذه من المتشابهة أو كان فيها ما هو من المتشابهة كما نقل عن بعض الأئمة انه سمي بمض ما سئل به الجهمية متشابهة فيقال الذي في القرآن انه لا يعلم تأويله الا الله اما المتشابهة واما الكتاب كله كما تقدم ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة وهذا الوجه قوى ان ثبت حديث ابن اسحاق في وفد نجران انهم احتجوا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انا ونحن ونحو ذلك ويؤيده أيضا أنه قد ثبت ان في القرآن متشابهة وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى فان نفي المتشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المتشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا وانما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولا ان نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم الملقى ونزيده تقريرًا ان الله سبحانه يقول (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يذكرون قرآنًا عربيا غير ذي عوج) وقال تعالى (الرتلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنًا عربيا لعلكم تعقلون) فأخبر انه أنزله ليعقلوه وانه طلب تذكريهم وقال أيضا (وللك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فخص على تدبره وفهمه وعقله والتذكر به والتفكير فيه ولم يستثن من ذلك شيئا بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ومعلوم ان نفي الاختلاف عنه لا يكون الا بتدبره كله والا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر

لما تدبر

وقال علي عليه السلام لما قيل له هل ترك عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهمما يؤثيه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الامة والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب مبالغ أوعى من سامع وقال باغوا عني ولو آية وأيضاً فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الامة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلائلها وروا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم أحديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبد الله بن مسعود الذي كان يقول لو أعلم اعلم بكتاب الله مني لبلغه آباط الابل لاتبته وعبد الله بن عباس الذي دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو حبر الامة وترجمان القرآن كاناها وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين اثباتاً للصفات ورواية لها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ومن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا وما في التابعين أجمل من أصحاب هذين السيدين بل وثائهما في عليّة التابعين من جنسهم أو قريب منهم جلالة أصحاب زيد بن ثابت لكن أصحابه مع جلالهم ليسوا مختصين به بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس ولو كان معاني هذه الآيات منقياً أو مسكوتاً عنه لم يكن ربانيوا الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه

ثم ان الصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط انه امتنع من تفسير آية

قال أبو عبد الرحمن السلمي حسدنا الذين كانوا يقرؤنا عثمان بن عثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فنعلمنا القرآن والعلم والعمل وكذلك الأئمة كانوا اذا سئلوا شيئاً من ذلك لم ينفوا معناه بل يشبّهون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش) استوى كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك ربيعة قبله وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره وقد بين ان الاستواء معلوم كما ان سائر ما أخبر به معلوم ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها لا يقال كيف استوى ولم يقل مالك الكيف معذور وإنما قال الكيف مجهول وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة غير ان أكثرهم يقولون لا تخطر كفيته ببال ولا تجرى ماهيته في مقال ومنهم من يقول ليس له كيفية ولا ماهية

فان قيل معنى قوله الاستواء معلوم ان ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه

قيل هذا ضعيف فان هذا من باب تحصيل الحاصل فان السائل قد علم ان هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية وأيضاً فلم يقل ذكر الاستواء في القرآن ولا اخبار الله بالاستواء وانما قال الاستواء معلوم فأخبر عن الاسم المفرد انه معلوم لم يخبر عن الجملة وأيضاً فانه قال والكيف مجهول ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم فلم ينف الا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله انني معكم أسمع وأرى كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول ولو قال كيف كلم موسى تكليماً لقلنا التكليم معلوم والكيف غير معلوم\* وأيضاً فان من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقولون بأن الله فوق العرش حقيقة وإن ذاته فوق ذات العرش لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم ارتفع على العرش علا على العرش وقال بعضهم عبارات أخرى وهذه ثابتة عن السلف قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخره في كتاب الرد على الجهمية

وأما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية وأيضاً قد ثبت ان اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات بل في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم



قال لعائشة يا عائشة اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين  
سعى الله فاحذرهم وهذا عام وقصة صديغ بن عسل مع عمر بن الخطاب  
من اشهر الفضايافانه بلغه انه يسأل عن متشابه القرآن حتي رآه عمر  
فسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال ما سمك قال عبدالله صديغ فقال  
وأنا عبدالله عمر وضربه الضرب الشديد وكان ابن عباس االح اعياه  
رجل في مسئلة من هذا الجنس يقول مأحوجك أن يصنع بك كما صنع  
عمر بصيغ وهذا لانهم رأوا ان غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد  
والاستفهام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الذين يتبعون  
ما تشابه منه وكما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه  
ابتغاء الفتنة) فما قبحهم على هذا القصد الفاسد كالذي يمارض بين آيات  
القرآن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تضربوا  
كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك في قلوبهم ومع ابتغاء الفتنة  
ابتغاء تأويله الذي لا يملكه الا الله فيكون مقصودهم مذموما ومطلوبهم  
متمذرا مثل اغلوطات المسائل التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عنها

ومما يبين الفرق بين المعنى والتأويل ان صديغا سأل عمر عن  
الذاريات وليست من الصفات وقد تكلم الصحابة في تفسيرها مثل علي  
ابن أبي طالب مع ابن الكواء لما سأله عنها كره سؤاله لما رآه من قصده  
ليكن على كانت رعيته ملتوية عليه لم يكن مطاعا فيهم طاعة عمر حتي  
يؤديه والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات فيها انتباه لان

اللفظ يحتمل الرياح والسحاب والنجوم والملائكة ويحتمل غير ذلك اذ  
ليس في اللفظ ذكر الموصوف والتأويل الذي لا يعلمه الا الله هو أعيان  
الرياح ومقاديرها وصفاتها ومتى تهب وأعيان السحاب وما تحمله من  
الامطار ومتى ينزل المطر وكذلك في الجاريات والمقسمات فهذا لا يعلمه  
الا الله وكذلك في قوله انا ونحن ونحوها من أسماء الله التي فيها معنى  
الجمع كما اتبعته النصارى فان معناه معلوم وهو الله سبحانه لكن اسم  
الجمع يدل على تعدد المعاني بمنزلة الاسماء المتعددة مثل العلم والقدير  
والسميع والبصير فان المسمى واحد ومعاني الاسماء متعددة فهكذا  
الاسم الذي لفظه الجمع

وأما التأويل الذي اختص الله به حقيقة ذاته وصفاته كما قال مالك  
والكيف مجهول فاذا قالوا ما حقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره قيل  
هذا هو التأويل الذي لا يعلمه الا الله

وما أحسن ما يعاد التأويل الى القرآن كله ( فان قيل ) فقد قال  
النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل  
( قيل ) أما تأويل الامر والنهى فذاك يعلمه واللام هنا للتأويل المعهود  
لم يقل تأويل كل القرآن فالتأويل المنفي هو تأويل الاخبار التي لا يعلم  
حقيقة مخبرها الا الله والتأويل المعلوم هو الامر الذي يعلم العباد تأويله  
وهذا كقوله ( هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله ) وقوله ( بل كذبوا  
بالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ) فان المراد تأويل الخبر الذي فيه عن

المستقبل فانه هو الذى ينتظر ويأتى ولما باتهم وأما تأويل  
الامر والنهى فذلك فى الامر وتأويل الخبر عن الله  
وعمن مضى ان أدخل فى التأويل  
لا ينتظر والله سبحانه أعلم  
وبه التوفيق

تمت الرسالة الاولى

وياها الرسالة الثانية له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسئلة سئل عنها الشيخ الامام العالم العامل شيخ الاسلام  
وقطب الائمة الاعلام ومن عمت بركاته أهل العراقين والشام تقي الدين  
أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي  
متع الله المسلمين ببركاته وكان بالديار المصرية \* في رجل نقل عن بعض السلف  
من الفقهاء انه قال أكل الحلال ممتذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان  
ف قيل له لم ذلك فذكر ان وقعة المنصورة لم تقسم الغنائم فيها واختلطت  
الاموال بالمعاملات بها ف قيل له ان الرجل يؤجر نفسه ليعمل من الاعمال  
المباحة ويأخذ أجرته حلال فذكر أن الدرهم في نفسه حرام ف قيل له  
كيف قبل الدرهم التغير أولا فصار حراما بالسبب الممنوع ولم يقبل التغير  
فيكون حلالا بالسبب المشروع فما الحكم في ذلك

فأجاب رضي الله عنه \* الحمد لله \* هذا القائل الذي قال أكل الحلال  
ممتذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان غلط مخطيء في قوله باتفاق أئمة  
الاسلام فان مثل هذه المقالة كان يقولها بعض أهل البدع وبعض أهل  
الفقه الفاسد وبعض أهل النسك الفاسد فأنكر الأئمة ذلك حتي الامام  
أحمد في ورعه المشهور كان ينكر مثل هذه المقالة وجاء رجل من  
النسك فذكر له شيئا من هذا فقال انظر الى هذا الحبيث يحرم  
أموال المسلمين

وقال بلغني أن بعض هؤلاء يقول من سرق لم تقطع يده لأن المال  
ليس بمعصوم ومثل هذا كان يقوله بعض المتسبين الى العلم من أهل

العصر بناء على هذه الشبهة الفاسدة وهو أن الحرام قد غلب على الاموال  
لكثرة الغصب والعقود الفاسدة ولم يتميز الحلال من الحرام  
ووقعت هذه الشبهة عند طائفة من مصنفى الفقهاء فأفتوا بأن  
الانسان لا يتناول الا مقدار الضرورة وطائفة لما رأت مثل هذا الحرج  
سدت باب الورع فصاروا نوعين المباحية لا يميزون بين الحلال والحرام  
بل الحلال ماحل بأيديهم والحرام ماحرموه لانهم ظنوا مثل هذا الظن  
الفاسد وهو أن الحرام قد طبق الارض ورأوا أنه لا بد للانسان من  
الطعام والكسوة فصاروا يتناولون ذلك من حيث أمكن فلينظر الماقل  
عاقبة ذلك الورع الفاسد كيف أورث الانحلال عن دين الاسلام وهوؤلاء  
يحكمون في الورع الفاسد حكايات بعضها كذب بمن نقل عنه وبعضها غلط  
كما يحكمون عن الامام أحمد ان ابنه صالحا لما تولى القضاء لم يكن يخبز في  
داره وان أهله خبزوا في تنوره فلم يأكل الخبز فألقوه في دجلة فلم يكن  
يأكل من صيد دجلة

وهذا من أعظم الكذب والفرية على مثل هذا الامام ولا يفعل  
مثل هذا الا من هو من أجهل الناس أو أعظمهم مكرآ بالناس واحتبالا  
على أموالهم وقد نزهه الله عن هذا وهذا وكل عالم يعلم أن ابنه لم يتول  
القضاء في حياته وانما تولاه بعد موته

ولكن كان الخليفة المتوكل قد أجاز أولاده وأهل بيته جوائز من  
بيت المال فأمرهم أبو عبد الله أن لا يقبلوا جوائز السلطان فاعتذروا  
اليه بالحاجة فقبلها من قبلها منهم فترك الاكل من أموالهم والانشغال

بنيرانهم في خبز أو ماء لكونهم قبلوا جوائز السلطان وسألوه عن هذا المال إخراج هو فقال لا فقالوا أنجح منه فقال نعم وبين لهم أنما امتنع منه لئلا يصير ذلك سبباً إلى أن يداخل الخليفة فيما يريد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خذ العطاء ما كان عطاء فإذا كان عوضاً عن دين أحدكم فلا يأخذه ولو ألقى في دجلة الدم والميتة ولحم الخنزير وكل حرام في الوجود لم يحرم صيدها ولم تحرم

ومن الناس من آله الإفراط في الورع إلى أمر اجتهد فيه فيثاب على حسن قصده وإن كان المشروع خلاف ما فعله مثل من امتنع من أكل ما في الأسواق ولم يأكل إلا ما ينبت في البراري ولم يأكل من أموال المسلمين وإنما يأكل من أموال أهل الحرث وأمثال ذلك مما يكون فاعله حسن القصد وله فيما فعل تأويل لكن الصواب المشروع خلاف ذلك فإن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وأمرهم بذلك وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يأأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال (يأأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك فقد بين صلى الله عليه وسلم أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين من أكل الطيبات كما أمرهم بالعمل الصالح والعمل الصالح لا يمكن إلا بأكل كل وشرب ولباس وما يحتاج إليه العبد من سكن ومركب وسلاح يقاتل به وكرع

يقاتل عليه وكتب يتعلم منها وأمثال ذلك مما لا يقوم ما أمر الله به إلا به وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فإذا كان القيام بالواجبات فرضاً على جميع العباد وهي لا تتم إلا بهذه الأموال فكيف يقال إنه قليل بل هو كثير غالب بل هو الغالب على أموال الناس ولو كان الحرام هو الأغلب والدين لا يقوم في الجمهور إلا به لازم أحد أمرين إما ترك الواجبات من أكثر الخلق وإما إباحة الحرام لأكثر الخلق وكلاهما باطل والورع من قواعد الدين ففي الصحيح عن عثمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهاً لا يعلمهن كثير من الناس فمن ترك المشابهة استبرأ لفرسه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالزاعج يرى حول الحمى يوشك أن يواقعها إلا وإن لكل ملك حمى إلا وإن حمى الله محارمه إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب

وفي الحديث الآخر دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ورأي تمر ساقطة فقال لولا أخاف أن تكون من الصدقة لا أكلتها وهذا مبسوط في غير هذا الموضع وهذا يتبين بذكر أصول

أحدها أنه ليس كل ما اعتقد فقيه معين أنه حرام كان حراماً إنما الحرام ما ثبت تحريمه بالكتاب أو السنة أو الإجماع أو قياس مرجح لذلك وما تنازع فيه العلماء رد إلى هذه الأصول ومن الناس من يكون نشأ على مذهب إمام معين أو استفتى فقيهاً معيناً أو سمع حكاية عن بعض الشيوخ فيريد أن يحمل المسلمين كلهم على ذلك وهذا غلط ولهذا انظار

منها مسألة المغانم فان السنة أن تجمع وتحس وتقسم بين الغانمين بالعدل وهل يجوز للامام أن ينفل من أربعة أخماسها في قولان فذهب فقهاء الثغور وأبى حنيفة وأحمد وأهل الحديث ان ذلك يجوز لما في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم نفل في بدأته الربع بعد الخمس ونفل في رجعته الثالث بعد الخمس

وقال سعيد بن المسيب ومالك والشافعي لا يجوز ذلك بل يجوز عند مالك التنفيل من الخمس ولا يجوز عند الشافعي الا من خمس الخمس وكان أحمد يعجب من سعيد بن المسيب ومالك كيف لم تبلغهما هذه السنة مع وفور عامهما

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قبل نجد فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ومعلوم ان السهم اذا كان اثني عشر بعيراً لم يحتل خمس الخمس أن يخرج منه لكل واحد بعير فان ذلك لا يكون الا اذا كان السهم أربعة وعشرين بعيراً وكذلك اذا فضل الامام بعض الغانمين على بعض لمصلحة راجحة كما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم سامة بن الأكوع في غزوة ذي قرد سهم راجل وفارس فان ذلك يجوز في أصح قولي العلماء ومنهم من لا يجيزه كما تقدم

وكذلك اذا قال الامام من أخذ شيئاً فهو له ولم تقسم الغنائم فهذا جائز في أحد قولي العلماء وهو ظاهر مذهب أحمد ولا يجوز في القول الآخر وهو المشهور من مذهب الشافعي وفي كل من المذهبين خلاف



وعلى مثل هذا الاصل تنبني الغنائم في الازمان المتأخرة مثل الغنائم التي كان يغنمها السلاجقة الاراك والغنائم التي غنمها المسلمون من النصاري من تغور الشام ومصر فان هذه أفق بعض الفقهاء كأبي محمد الجويني والنووي أنه لا يحل لمسلم ان يشتري منها شيئاً ولا يبطاً منها فرجاً ولا يملك منها مالا ولزم من هذا القول من الفساد ما لله به عليم فعارضهم أبو محمد بن سبع الشافعي فأفني ان الامام لا يجب عليه قسمة المغنم بحال ولا تخميد. ها وان له أن يفضل الراجل وان يحرم بعض الغانمين ويخص بعضهم وزعم أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تقتضي ذلك وهذا القول خلاف الاجماع والذي قبله باطل ومنكر أيضاً فبكلها انحراف والصواب في مثل هذه ان الامام اذا قال من أخذ شيئاً فهو له فان قيل بجواز ذلك فمن أخذ شيئاً ملكه وعليه تخميسه وان كان الامام لم يقل ذلك ولم يهبهم المغنم بل أراد منها مالا يسوغ بالاتفاق أو قيل انه يجب عليه أن يقسم بالعدل ولا يجوز له الاذن بالانتهاب فهنا المغنم مال مشترك بين الغانمين ليس لغيرهم فيها حق فمن أخذ منها مقدار حقه جاز له ذلك واذا شك في ذلك فالما أن يحتاط ويأخذ بالورع المستحب أو يبني على غالب ظنه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها وكذلك المزارعة على أن يكون البذر من العامل التي يسميها بعض الناس المخابرة وقد تنازع فيها الفقهاء لكن ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة جوازها فانه عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يمرروا من أموالهم وأمانه عن المخابرة فقد جاء مفسراً في الصحيح

فان المراد به أن يشترط للمالك زرع بقية بعينها وكذلك كراء الارض بجزء من الخارج منها فجوزه أبو حنيفة والشافعي وأحمد في المشهور عنه ونهى عنه مالك وأحمد في رواية ونظائر ذلك كثيرة فهذا يبين

الاصل الثاني ان المسلم اذا عامل معاملة يعتقد هو جوازها وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في مثل ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة فانه قد ثبت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع اليه ان بعض عماله يأخذ خمرأ من أهل الذمة عن الجزية فقال قاتل الله فلانا ما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجمعوها وباعوها وأكلوا أثمانها ثم قال عمر ولو هم بيدها وخذوا منهم أثمانها فامر عمر أن يأخذوا من أهل الذمة الدراهم التي باعوا بها الخمر لانهم يعتقدون جواز ذلك في دينهم ولهذا قال العلماء ان الكفار اذا تعاملوا بينهم بمعاملات يعتقدون جوازها وتقابضوا الاموال ثم أداموا كانت تلك الاموال لهم حلالا وان تخاموا اليها أقررنها في أيديهم سواء تحاكموا قبل الاسلام أو بعده وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) فامرهم بترك ما بقى في الذم من الربا ولم يأمرهم برد ما قبضوه لانهم كانوا يستحلون ذلك والمسلم اذا عامل معاملات يعتقد جوازها كالحيل الربوية التي يفق بها من يفق من أصحاب أبي حنيفة وأخذ ثمنه أو زارع علي ان البذر من العامل أو أكرى الارض بجزء

من الخارج منها ونحو ذلك وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة بطريق الأولى والآخرى ولو أنه تبين له فيما بعد رجحان التحريم لم يكن عليه اخراج المال الذي كسبه بتأويل سائغ فان هذا أولى بالعفو والعذر من الكافر المتأول ولما ضيق بعض الفقهاء هذا على بعض أهل الورع الجأء الى أن يعامل الكفار ويترك معاملة المسلمين ومعهم ان الله ورسوله لا يأمر المسلم ان يأكل من أموال الكفار وبدع أموال المسلمين بل المسلمون أولى بكل خير والكفار أولى بكل شر

الاصل الثالث ان الحرام نوعان \* حرام لو صفه كالميتة والدم ولحم الخنزير فهذا اذا اختلط بالماء والمائع وغيره من الاطعمة وغير طعمه أو لونه أو ريحه حرمة وان لم يغيره ففيه نزاع ليس هذا موضعه \* والثاني الحرام لكسبه كلما خوذ غصبا أو بعقد فإد فهذا اذا اختلط بالحلال لم يحرمه فلو غصب الرجل دراهم أو دنانير أو دقيقا أو حنطة أو خبزا وخلط ذلك بماله لم يحرم الجميع لاعلى هذا ولا على هذا بل ان كانا متماثلين أمكن أن يقسموه ويأخذ هذا قدر حقه وهذا قدر حقه وان كان قد وصل الى كل منهما غير مال الآخر الذي أخذ الآخر نظيره وهل يكون الخلط كالاتلاف فيه وجهان في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما \* أحدهما انه كالاتلاف فيعطيه مثل حقه من أين أحب \* والثاني ان حقه باق فيه فللمالك أن يطلب حقه من المختلط فهذا أصل نافع فان كثير آمن الناس بتوهم ان الدراهم المحرمة اذا اختلطات

بالدراهم الحلال حرم الجميع فهذا خطأ وإنما تورع بعض العلماء فيما إذا كانت قليلة وأما مع الكثرة فما أعلم فيه نزاعاً

الأصل الرابع المال إذا تمذر معرفة ملكه صرف في مصالح المسلمين عند جماهير العلماء كمالك وأحمد وغيرهما فإذا كان بيد الإنسان غصوب أو عواري أو ودائع أو رهون قد يئس من معرفته أصحابها فإنه يتصدق بها عنهم أو يصرفها في مصالح المسلمين أو يسلمها إلى قاسم عادل يصرفها في مصالح المسلمين المصالح الشرعية ومن الفقهاء من يقول يوقف أبداً حتى يتبين أصحابها وأصواب الأول فإن حبس المال دائماً لمن لا يرجي لافائدة فيه بل هو تعرض لهلاك المال واستيلاء الظلمة عليه وكان عبد الله بن مـعود قد اشترى جارية فدخل بيته ليأتي بالثمن فخرج فلم يجد البائع فجعل يطوف على المساكين ويتصدق عليهم بالثمن ويقول اللهم عن رب الجارية فإن قبل فذاك وإن لم يقبل فهو لي وعلي له مثله يوم القيامة وكذلك أفتي بعض التابعين من غل من الغنيمة وتاب بعد تفرقهم أن يتصدق بذلك عنهم ورضى بهذه الفتيا الصحابة والتابعون الذين بلغتهم كعماوية وغيره من أهل الشام وهذا يبين

الأصل الخامس وهو الذي يكشف سر المسئلة وهو أن المجهول في الشريعة كالمعدوم والممجوز عنه فإن الله سبحانه وتعالى قال (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) وقال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فإله إذا أمرنا بأمر كان

ذلك مشروطاً بالقدرة عليه والتمكن من العمل به فإما عجزنا عن معرفته أو عن العمل به سقط عنا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لم في اللقطة فإن جاء صاحبها فأدبها إليه والافهم مال الله يؤتيه من يشاء فهذه اللقطة كانت ملكاً للمالك ووقعت منه فلما أئذر معرفة مالكمها قال النبي صلى الله عليه وسلم هي مال الله يؤتيه من يشاء فدل ذلك على أن الله شاء أن يزبل عنها ملك ذلك المالك ويعطيها لهذا الملتقط الذي صرفها سنة ولا نزاع بين الأئمة أنه بعد تعريف السنة يجوز للملتقط أن يتصدق بها وكذلك له أن يملكها إن كان فقيراً أو هل له التملك مع الغنى ففيه قولان مشهوران ومذهب الشافعي وأحمد أنه يجوز ذلك وأبو حنيفة لا يجوز له ولو مات رجل ولم يعرف له وارث صرف ماله في مصالح المسلمين وإن كان في نفس الأمر له إرث غير معروف حتى لو تبين الوارث يسلم إليه ماله وإن كان قبل تبينه يكون صرفه إلى من يصرفه جائزاً وأخذه له غير حرام مع كثرة من يموت وله عصابة بعد لم تعرف وإذا تبين هذا فيقال ما في الوجود من الأموال المنصوبة والمقبوضة بمقود لا تباع بالقبض إن صرفه المسلم اجتنب فمن علمت أنه سرق مالا أو خانه في أمانته أو غصبه فأخذه من المنصوب فهذا بغير حق لم يجزى أن أخذه منه لا بطريق الهبة ولا بطريق المعاوضة ولا وفاء عن أجره ولا بمن بيع ولا وفاء عن قرض فإن هذا غير مل ذلك المظلوم وأما إن كان ذلك المال قبضه بأوّل سائغ في مذهب بعض الأئمة جازي أن أستوفيه من ثمن المبيع والأجرة والقرض وغير ذلك من الديون وإن كان مجهول الحال

فالمجهول كالمعدوم والاصل فيما يبد المسلم ان يكون ماله ان ادعى انه ملكه أو يكون وليا عليه كمنظر الوقف وولي اليتيم وولي بيت المال أو يكون وكيله فيه وما تصرف فيه المسلم أو الذي بطريق الملك أو الولاية جاز تصرفه فاذا لم أعلم حال ذلك المال الذي بيده بذيت الامر على الاصل ثم ان كان ذلك الدرهم في نفس الامر قد غصبه هو ولم أعلم أنا كنت جاهلا بذلك والمجهول كالمعدوم فليس أخذي الثمن المبيع وأجرة العمل وبذل القرض بدون أخذي اللقطة فان اللقطة أخذتها بغير عوض ثم لم أعلم مالها وهذا المال لأعلم له مالا غير هذا وقد أخذته عوضا عن حق فكيف يحرم هذا على لكن ان كان ذلك الرجل معروفا بأن في ماله حراما ترك معاملته ورعا وان كان أكثر ماله حراما ففيه نزاع بين العلماء وأما المسلم المستور فلا شبهة في معاملته أصلا ومن ترك معاملته ورعا كان قد ابتدع في الدين بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وبهذا يتبين الحكم في سائر الاموال فان هذا الغالط يقول ان هذه الاحكام والالبان التي تؤكل قد تكون في الاصل قد نهيت أو غصبت فيقال المجهول كالمعدوم فاذا لم نعلم ان ذلك في حقنا كأنه لم يكن وهذا لان الله انما حرمه من المعاملات الفاسدة لما فيها من الظلم فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ) والغصب وأنواعه والسرقة والحيانة داخل في الظلم واذا كان كذلك فهذا

المظلوم الذي أخذ ماله بغير حق لم يبيع (١) أجره وأخذ منه والمشتري لا يعلم بذلك ثم ينقل من المشتري الى غيره ثم الى غيره ويعلم أن أولئك لم يظلموه وإنما ظالمه من اعندى عليه ولكن لو علم بهم فهل له مطالبتهم بما لم ياتزموا ضمانه على قولين للعلماء أحكما أنه ليس له ذلك

مثال ذلك ان الظالم اذا أودع ماله عند من لا يعلم أنه غاصب فتلفت الوديعة فهل للمالك أن يطالب المودع على قولين أحكما أنه ليس له ذلك ولو أطمع المال لضيء لم يعلم بالظلم ثم علم المالك فهل له مطالبة الضيء على قولين أحدهما ليس له مطالبة ومن قال ان له مطالبة لا يقول انه أكله حرام بل يقول لا اثم عليه في أكله وإنما عليه أداء ثمنه بمنزلة ما اشتراه وصاحب القول الصحيح يقول لا اثم عليه في أكله ولا غرم عليه لصاحبه بحال وإنما الغرم على الغاصب الظالم الذي أخذه منه بغير حق فاذا نظرنا الى مال معين بيد انسان لا يعلم أنه مغصوب ولا مقبوض قبضاً لا يفيد معاملة المالك واستوفينا منه أو استهناه منه أو استوفينا عن أجره أو بدل قرض لا اثم علينا في ذلك بالاتفاق وان كان في نفس الامر قد سرقه أو غصبه ثم اذا علمنا فيما بعد انه مسروق فعلى أصح القولين لا يجب علينا الا ما التزمناه بالعقد أى لا يستقر علينا الا ضمان ما التزمناه بالعقد فلا يستقر علينا ضمان ما أهدي أو وهب ولا ضمان أكثر من اليدين وكذلك الاجرة وبذل القرض اذا كنا قد تصرفنا فيها لم يستقر علينا ضمان بذله لكن تنازع الفقهاء هنا في مسألة وهي انه هل للمالك تضمين هذا المغرور الذي تاف المال تحت



يده ثم يرجع الى الغارم بما غرمه بغيره أم ليس له مطالبة المغرور  
 الا بما يستقر عليه ضمانه على قولين هما روايتان عن أحمد ومثل هذا  
 لو نصب رجل جارية فاشترها منه انسان واستولدها أو وهبه اياها فقد  
 اتفق الصحابة والائمة على ان ولدها من المغرور يكونون أحرارا لان  
 الواطئ لا يعلم انها مملوكة لغيره بل اعتقد انها مملوكة مع اتفاقهم ان الولد  
 يتبع أمه في الحرية والرق ويتبع أباه في النسب والولاء ومع هذا  
 فجعلوا ابنه حرا ليكون الوالد لم يعلم والمجهول كالمدموم وأوجبوا السيد  
 الجارية بدل الولد لانه كان يستحقه لولا الغرور فاذا خرجوا عن ملكه  
 بغير حق كان له بدلهم وأوجبوا له مهرأمة وقالوا في أصح القولين  
 ان هذا يلزم الغارم الظالم الذي غصب الجارية وباعها لا يلزم المغرور  
 المشتري الا ما التزمه بالعقد وهو بالثمن فقط ثم هل لصاحبها أن يطالب  
 المغرور بفداء الولد والمهر ثم يرجع به المغرور على الغارم الظالم أم ليس  
 له الا مطالبة الغارم الظالم على قولين هما روايتان عن أحمد ولا نزاع  
 بين الامّة ان وطنه ليس بمحرام وان ولده ولد رشده لا ولد عنه فهو  
 ولد حلال لا ولد زنا وكذلك في سائر هذه الصور لم يتنازعوا انه لا يتم  
 على الآكل ولا على اللابس ولا على الواطئ الذي لم يعلم وانما تنازعوا  
 في الضمان لان الضمان من باب العدل الواجب في حقوق الآدميين  
 وهو يجب في العمد والخطأ (وما كان المؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ  
 ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبته مؤمنة ودية مسامة الى أهله الا  
 أن يصدقوا) فتأمل انفس خطأ لا يأتهم ولا يفتق بذلك ولكن عليه



الدية وكذلك من أنلف مالا مغصوبا خطأ فمليه بدله ولا اثم عليه

فقد تبين ان الاثم منتف مع عدم العلم  
وحينئذ فجميع الاموال التي بايدي المسلمين واليهود والنصارى  
التي لا يعلم بدلالة ولا أمانة أنها مغصوبة أو مقبوضة قبضا لا يجوز  
معه معاملة القابض فانه يجوز معاماتهم فيها بلا ريب ولا تنازع في ذلك  
بين الأئمة أعاهه

ومعلوم ان غالب أموال الناس كذلك والقبض الذي لا يفيد الملك  
هو الظلم المحض فاما المقبوض بعقد فاسد كالربا والميسر ونحوهما فهو ل  
يفيد الملك على ثلاثة أوال للفقهاء أحدها أنه يفيد الملك وهو مذهب  
أبي حنيفة والثاني لا يفيدده وهو مذهب الشافعي وأحمد في المبروف  
من مذهبه والثالث انه من باب أفاد الملك وان أمكن رده الى مالكه  
ولم يتغير في وصف ولا سعر لم يفد الملك وهو المحكى عن مذهب  
مالك وهذه الامور والقواعد قد بسطانها في غير هذا الجواب وليكن  
نهنما على قواعد شريفة تفتح باب الاشتباه في هذا الاصل الذي هو  
أحد أصول الاسلام كما قال الامام أحمد وغيره ان أصول الاسلام  
تدور على ثلاثة أحاديث قوله الحلال بين والحرام بين وقوله إنما  
الاعمال بالنيات وقوله من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد فان  
الاعمال اما مأمورات واما محظورات والاول فيه ذكر المحظورات  
والمأمورات اما قصد القلب وهو النية وأما العمل الظاهر وهو الم شروع  
الموافق للسنة كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليلوكم أيكم

أحسن عملاً قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وان كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة

فتبين ان ما ذكره هذا القائل الذي قال اكل الحلال متعذر ولا يمكن وجوده في هذا الزمان قوله خطأ مخالفاً للاجماع بل الحلال هو الغالب على أموال الناس وهو أكثر من الحرام وهذا القول قديقه طائفة من المتفهمة المتصوفة وأعرف من قاله من كبار المشايخ بالعراق وامله من أولئك انتقل الى بعض شيوخ مصر ثم الذي قال ذلك لم يرد أن يسد باب الاكل بل قال الورع حينئذ لا سبيل اليه ثم ذكر ما يأتي فيما يفعل ويترك لم يحضرني الآن

فليتدبر العاقل وليعلم انه من خرج عن القانون النبوي الشرعي المحمدي الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع سائر الامة وأئمتها احتاج الى أن يضع قانوناً آخر متناقضاً يرد العقل والدين لكن من كان مجتهداً امتحن بطاعة الله ورسوله فان الله يشبهه على اجتهاده ويفقر له خطاه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)

وما ذكره من ان وقعة المنصورة لما لم تقسم فيها المغانم واختلطت فيها المغانم دخلت الشبهة

الجواب عنه من كلامين\* أحدهما ان يقال الذي اختلط باموال

الناس من الحرام المحض كالغصب الذي يغصبه القادرون من الولاة والقطاع أو أهل الفتن وما يدخل في ذلك من الخيانة في المعاملات أكثر من ذلك بكثير لاسيما في هذه البلاد المصرية فانها أكثر من الشام والمغرب ظلما كظلم بعضهم بعضاً في المعاملات بالخيانة والغش وجحد الحق والكثرة ما فيها من ظلم قطاع الطريق والفساحين والاعراب ولكثرة ما فيها من الظلم الموضوع من المتولين بغير حق فاحالة التحريم على هذا الامر أولى من إحالته على المغانم

الثاني ان تلك المغانم قد ذكرنا مذهب الفقهاء فيها وبيننا ان الصحيح ان الامام اذا أذن في الاخذ من غير قسم جاز وانه اذا لم يحز فمن أخذ مقدار حقه جاز وان أخذ من أحد أكثر من حقه وفقد رده على أصحابه لعدم العلم بهم فانه يتصدق به عنهم وانه لو لم يتصدق به عنهم وتصرف فيه فمضى وصل اليه منه شيء لم يعلم بحال له لم يكن محرماً عليه ولا عايه فيه اثم وهذا الحكم جار في سائر الغنوب المذكورة وتبين بما ذكرناه ان من آجر نفسه أو دوابه أو عقاره أو مائة معلقة وأخذ الثمن والاجرة لم يجرم عايه سواء علم ذلك الثمن والاجرة حلالاً للمالك أو لم يعلم حاله بان كان مستورا وان علم انه غصب تلك الدراهم أو سرقها أو قبضها بوجه لا يبيح أخذها به لم يحز أخذها عن يده وأجرته مع ان هذا فيه نزاع بين الفقهاء نضيق هذه الورقة عن بسطه

وأما قول القائل الدرهم كيف قبل التفسير وصار حراماً بالسبب

الممنوع ولم يقبل التغير فيصير حلالاً بالسبب المشروع  
 فيقال له بل قبل التغير فيما حرم لوصفه لا بما حرم لكسبه فالاول  
 مثل الخمر فانها لما كانت عصياً لم تصر حلالاً طاهراً فلما تخمر كان  
 حراماً نجساً فاذا تحللت بفعل الله من غير قصد لتخليها كانت خل  
 خمر حلالاً طاهراً باتفاني العلماء وانما تنازعوا فيما اذا قد تخمرها  
 وتنازعوا في سائر النجاسات كالخنزير اذا صار ملحاً والنجاسة اذا  
 صارت رماداً فقل لا يطهر كقول الشافعي واحدد القولين في مذهب  
 مالك وأحمد والثاني مثل المال المغصوب هو حرام لانه قبض بالظلم فاذا  
 قبض بحق أبيح مثل أن يأذن فيه المالك للغاصب أو يهبه إياه أو يبيعه  
 منه أو يقبضه المالك أو وليه أو وكيله ثم الغاصب اذا أعطاء

لمن لا يعلم انه مغصوب كان قبضه بحق لان الله

لم يكلفه ما لا يعلم وكذلك بين قبضه من

القابض بحق وقد تقدم الكلام

في الضمان والله أعلم

تمت الرسالة الثانية

ويلها الرسالة الثالثة له أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله محمد ونسبته ونسبه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور  
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا  
هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً  
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً  
(فصل) في زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام  
والمسجد الأقصى ومسجدي هذا وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد  
وأبي هريرة وقد روي من طرق أخرى وهو حديث مستفيض متلقي  
بالقبول أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق واتفق علماء  
المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المتشروعة فيه  
كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وقد روي من  
حديث رواه الحاكم في صحيحه أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً ملكاً  
لا ينبغي لأحد من بعده وسأله حكماً يوافق حكمه وسأله أنه لا يؤم أحدهما  
البيت لا يريد إلا الصلاة فيه الا غفر له ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه  
يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد  
إلا الصلاة فيه فان هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه  
لغير ذنوب ولا بدعة

وتنازع العلماء فيمن نذر السفر اليه في الصلاة فيه أو الاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على قولين مشهورين وهما قولان للشافعي

أحدهما يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الاكثرين مثل مالك وأحمد  
ابن حنبل وغيرهما واثنان لا يجب وهو قول أبي حنيفة فان من أصله  
أنه لا يجب بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع فلهذا يوجب نذر  
الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة فان من جنسها واجب بالشرع  
وواجب نذر الاعتكاف فان الاعتكاف لا يصح عنده الا بصوم وهو  
مذهب مالك وأحمد في أحد الروايتين عنه واما الاكثرون فيحتجون  
بما رواه البخارى في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال من نذر أنه يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى  
الله فلا يعصه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر لكل من نذر  
أن يطيع الله ولم يشترط أن تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع  
وهذا القول أصح وهكذا النزاع لو نذر السفر الى مسجد النبي صلى  
الله عليه وسلم مع أنه أفضل من المسجد الأقصى واما لو نذر اتياء  
المسجد الحرام لحج أو عمرة وجب عليه الوفاء بنذره باتفاق العلماء  
والمسجد الحرام أفضل المساجد ويليه مسجد النبي صلى الله عليه  
وسلم ويليه المسجد الأقصى وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجدي هذا خير أمن ألف صلاة فيما سواه  
من المساجد الا المسجد الحرام

والذي عليه جمهور العلماء أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل  
منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي أحمد والنسائي وغيرهما  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف

صلاة وأما في المسجد الأقصى فقد روى أنها بخمسين صلاة وقيل بخمسة صلاة وهو أشبه

(ولو نذر السفر إلى قبر الحليل عليه السلام) أو قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام أو إلى جبل حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه وجاءه الوحي فيه أو الغار المذكور في القرآن أو غير ذلك من المقابر والمقامات والمشاهد المضافة إلى بعض الأنبياء والمشايخ أو إلى بعض المغارات أو الجبال لم يجب الوفاء بهذا النذر باتفاق الأئمة الأربعة فإن السفر إلى هذه المواضع منهي عنه انتهى النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد فإذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر إليها حتى مسجد قباء الذي يستحب أن كان بالمدينة أن يذهب إليه لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قباء كل سبب راكباً ومشياً وروى الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته فحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كعمرة قال الترمذي حديث حسن صحيح

فإذا كان مثل هذا ينهي عن السفر إليه وينهي عن السفر إلى الطور المذكور في القرآن وكما ذكر مالك بالمواضع التي لم تنهي للصلوات الخمس بل ينهي عن اتخاذها مساجد فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا النار

أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ولهذا لم تكن الصحابة يسافرون إلى شيء من مشاهد الأنبياء لأمشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ولا غيره والنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره وأما ما يرويه بعض الناس من حديث المعراج أنه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى عليه السلام وصلى عند قبر الخليل فكل هذه الأحاديث مكذوبة موضوعة وقد رخص بعض المتأخرين في السفر إلى المشاهد ولم ينقلوا ذلك عن أحد من الأئمة ولا احتجوا بحجة شرعية

(فصل والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى) هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر المساجد إلا المسجد الحرام فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد بالطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الأسود وأما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف فيه ولا فيها ما يتسبح به ولا ما يقبل فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغير هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها بل ليس في الأرض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة



(ومن اعتقد ان الطواف بغيرها) مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة الى غير الكعبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس فكانت قبلة المسلمين هذه المدة ثم ان الله حول القبلة الى الكعبة وأنزل الله في ذلك القرآن كما ذكر في سورة البقرة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى الكعبة وصارت هي القبلة وهي قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلى اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب والا قتل مع أنها كانت قبلة لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها مكاناً يطاف به كما يطاف بالكعبة والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله وكذلك من قصد أن يسوق اليها غنماً أو بقرأً ليدبحها هناك ويعتقد ان الاضحية فيها أفضل وان يحلق فيها شعره في العيد أو ان يسافر اليها ليعرف بها عشية عرفه فهذه الامور التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والخلق من لبدع والضلالات ومن فعل شيئاً من ذلك معتقداً ان هذا قرينة الى الله فانه يستتاب فان تاب والا قتل كما لو صلى الى الصخرة معتقداً ان استقبالتها في الصلاة قرينة لاستقبال الكعبة ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسلمين في مقدم المسجد الاقصى

(فان المسجد الاقصى) اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمى الاقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مقدمه والصلاة في هذا المصلى الذي

بناءه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المساجد فان عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة لان النصارى كانوا يقصدون اهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون اليها فأمر عمر رضى الله عنه بإزالة الذبالة عنها وقال لكعب الاحبار أين تري أن نبى مصلى لمسلمين فقال خلف الصخرة فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية بل ابنه امامها فان لنا صدور المساجد ولهذا كان أئمة الامة اذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذى بناه عمر وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه صلي في محراب داود وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضى الله عنه ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبلة بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد ومروان ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبلة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فاما قبلة منسوخة كما ان يوم السبت كان عبداً في شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الاحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى وكذلك الصخرة انما يعظمها اليهود وبعض النصارى (وما يذكروه بعض الجهال فيها) من ان هناك أثر قدم النبي صلى

الله عليه وسلم وأثر عمامته وغير ذلك فكله كذب وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى عليه السلام كذب وإنما كان موضع معمودية النصارى وكذا من زعم أن هناك الصراط والميزان أو أن السور الذي يضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد وكذلك تظيم السلسلة أو موضعها ليس مشروعا

(فصل) وليس بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى لكن إذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه فحسن فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات وأنا إن شاء الله بكم لاحقون وبرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

(فصل) وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فمنهي عنها فمن زار مكاناً من هذه الأماكن متقدماً أن زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام يستتاب فإن تاب ولا قتل وأما إذا أدخلها الإنسان لحاجة وعرضت له الصلاة فيها فللعلماء فيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره قيل تكره الصلاة فيها مطابقةً لآثاره ابن عقيل وهو منقول عن مالك وقيل تباح مطلقاً وقيل

إن كان فيها صور تنهي عن الصلاة والا فلا وهذا منصوص عن أحمد وغيره وهو مروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تدخل ملائكة بيت فيه صورة ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور والله أعلم

(فصل) وليس بيت المقدس مكانا يسمى حرما ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع الثلاثة أما كن أحدها هو حرم باتفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى والثاني حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي صلى الله عليه وسلم من غير إلى ثور يريد فيريد فإن هذا حرم عند جمهور العلماء كلاك والشافعي وأحمد وفيه أحاديث صحيحة مستنبضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والثالث وج وهو واد بالطائف فإن هذا روى فيه أحاديث رواه أحمد في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرما عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروى فيه فلم يأخذ به وأما ما روى هذه الأما كن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين فإن الحرم ما حرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيده مكان ونباته خارجا عن هذه الأما كن الثلاثة

(فصل) وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لا ينبغي أن يولي في الاوقات التي تقصدها الضلال مثل وقت عيد النحر فإن كثيرا من الضلال يسافرون إليه ليقفوا هناك والسفر

اليه لاجل التعريف به معتقدا ان هذا قربة محرم بلا ريب وينبغي أن لا يتشبه به ولا يكثر سوادهم وليس السفر اليه مع الحج قربة وقول القائل قدس الله حجتك قول باطل لا أصل له كما يروى من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له الجنة فان هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث بل وكذلك كل حديث يروى في زيادة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه ضعيف بل موضوع ولم يرواه أهل الصحاح والسنن والمسائيد كما سنده أحمد وغيره من ذلك شيئا ولكن الذي في السنن مارواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن رجل يسلم على الا رد الله على روعي حتى أ. د عليه السلام فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ - سلام من سلم عليه من البعيد كما في النسائي عنه انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغون عن أمتي السلام وفي السنن عنه أنه قال أكتروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف صلاتنا تعرض عليك وقد أرممت فقال ان الله قد حرم علي الارض أن تأكل لحوم الانبياء فين صلى الله عليه وسلم ان الصلاة والسلام توصل اليه من البعيد والله قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم وثبت في الصحيح انه قال من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرة صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

(فصل) وأما السفر الى عسقلان في هذه الاوقات فليس مشروعا لا واجبا ولا مستحبا ولكن عسقلان كان اسكنها وقصدها فضيلة لما كانت ثغرا للمسلمين يقيم بها المرابطون في سبيل الله فانه قد

ثبت في صحيح مسلم عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
 رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات  
 عمداً مات مجاهداً وأجزى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة  
 وأمن الفتان وقال أبو هريرة لأن أرباط في سبيل الله أحب إلي من  
 أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود وكان أهل الخير والدين  
 يتصدون ثغور المسلمين للرباط فيها ثغور الشام كعسقلان وعكة  
 وطرسوس وجبل لبنان وغيرها وثغور مصر كالاسكندرية وغيرها  
 وثغور العراق كبدان وغيرها فما خرب من هذه البقاع ولم يبق بيوتا  
 كعسقلان لم يكن ثغوراً ولا في السفر إليه فضيلة وليس فيه أحد من الصالحين  
 المتبعين لشريعة الإسلام ولكن فيه كثير من الجن وهم رجال الغيب  
 الذين يرون أحياناً في هذه البقاع قال تعالى (وإنه كان رجال من الإنس  
 يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) وكذلك الذين يرون الحضر  
 أحياناً هو جني رآه وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقال أنني الحضر  
 وكان ذلك جنياً لبس على المسلمين الذين رأوه والافالحضر الذي  
 كان مع موسى عليه السلام مات ولو كان حياً علي عهد رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لم لوجب عليه أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
 ويؤمن به ويجاهد معه فإن الله فرض على كل نبي أدرك محمداً ولو كان  
 من الأنبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه كما قال الله تعالى (واذا أخذ  
 الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق  
 لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكنم إصري

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق ان يبعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولنصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ان يبعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولنصرنه ولم يذكروا أحد من الصحابة انه رأى الخضر ولا انه أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فان الصحابة كانوا أعلم وأجل قدرا من أن يلبس الشيطان عليهم ولكن لبس على كثير من بعدهم فصار يتمثل لاحدهم في صورة النبي ويقول أنا الخضر وانما هو شيطان كما ان كثيرا من الناس يرى ميتة خرج وجاء اليه وكله في أمور وقضاء حوائج فيظنه الميت نفسه وانما هو شيطان تصور بصورته وكثير من الناس يستغيث بمخلوق اما نصراني كجرجس أو غير نصراني فيراه قد جاءه وربما يكلمه وانما هو شيطان تصور بصورة ذلك المستغاث به لما أشرك به المستغيث تصور له كما كانت الشياطين تدخل في الاصنام وتكلم الناس ومثل هذا موجود كثير في هذه الازمان في كثير من البلاد ومن هؤلاء من نحمله الشياطين فتطير به في الهواء الى مكان بعيد ومنهم من نحمله الى عرفة فلا يحج حجا شرعيا ولا يحرم ولا ياي ولا يطوف ولا يسعى ولكن يقف بثيابه مع الناس ثم يحملونه الي بلده وهذا من تلعب الشياطين بكثير من الناس كما قد بسط الكلام في غير هذا الموضع والله أعلم بالصواب وصلى الله على

نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت الرسالة الثالثة

وبالله الرسالة الرابعة له أيضا



بسم الله الرحمن الرحيم

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين فى قوله تعالى (انما أمرنا نأمر اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) قال كان الخطاب موجود فتحصيل الحاصل محال وان كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم

وقوله تعالى (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فان كانت اللام لصيرورة فى عاقبة الامر فما صار ذلك وان كانت اللام للعرض فلزم أن لا يتخلف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس كذلك فكيف التخلص من هذا المضيق

وفى ورد من الاخبار والآيات بالرضا بقضاء الله تعالى فكراحتها وبغضاها كراهة وبغض لقضاء الله تعالى

وفى قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن فى معنى قوله تعالى دعونى أستجب لكم فان كان الدعاء أيضا بما هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه

وفى قوله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلف المفسرين فى آية واحدة ان كان بالرأى فكيف النجاة وان لم يكن بالرأى فكيف وقع الاختلاف والحق لا يكون فى طرفى نقيض افتونا مأجورين أنا بكم الجنة

قال شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

الحمد لله رب العالمين \* أما المسئلة الاولى فهى مبنية على أصلين



أحدهما الفرق بين خطاب النكوتين الذي لا يطلب به سبحانه فعلا من المخاطب بل هو الذي يكون المخاطب به ويخلقه بدون فعل من المخاطب أو قدرة أو ارادة أو وجود له وبين خطاب التكليف الذي يطلب به من المأمور فعلا أو تركا يفعله بقدرة و ارادة وان كان ذلك جحيمه بحول الله وقوته اذ لا حول ولا قوة الا بالله وهذا الخطاب قد تنازع فيه الناس هل يصح أن يخاطب به المعدوم بشرط وجوده أم لا يصح أن يخاطب به الا بحد وجوده لانزاع بينهم انه لا يتعلق به حكم الخطاب الا بعد وجوده وكذلك تنازعوا في الاول هل هو خطاب حقيقي أم هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة والاول هو المشهور عند المنتسبين الى السنة والاصل اثنائي أن المعدوم في حال عدمه هل هو شيء أم لا فانه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة الى انه شيء في الخارج وذات وعين وزعموا ان الماهيات غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجودها زائد على حقيقتها وكذلك ذهب الى هذا طوائف من المتفلسفة والاشهادية وغيرهم من الملاحدة والذي عاينه جماهير الناس وهو قول متكلمة أهل الاثبات والمنتسبين الى السنة والجماعة انه في الخارج عن الذهن قبل وجوده ليس بشيء أصلا ولا ذات ولا عين وانه ليس في الخارج شيئا أحدهما حقيقة والآخر وجوده الزائد على حقيقته فان الله أبدع الذات التي هي الماهيات فكل ما سواه سبحانه فهو مخلوق ومجهول ومبدع ومبدوله سبحانه وتعالى لكن في هؤلاء من يقول المعدوم ليس بشيء أصلا وانما سمي شيئا باعتبار ثبوته في العلم كان مجازا

ومنه من يقول لارباب ان له ثبوتاً في العلم ووجوداً فيه فهو باعتبار هذا الثبوت والوجود هو شيء وذات وهؤلاء لا يفرقون بين الوجود والثبوت كما فرق من قال المعدم شيء ولا يفرقون في كون المعدم ليس بشيء بين الممكن والممتنع كما فرق أولئك اذ قد تفقوا على أن الممتنع ليس بشيء وانما النزاع في الممكن وعمدة من جعله شيئاً انما هو لانه ثابت في العلم وباعتبار ذلك صح ان يخص بالقصد والخلق والحير عنه والامر به وانتهى عنه وغير ذلك قالوا وهذه التخصيصات تمتنع أن تتعاق بالعدم والمحض فان خص الفرق بين الوجود الذي هو الثبوت العملي وبين الوجود الذي هو الثبوت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب وقوله تعالي انما أمرنا شيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وذلك الشيء هو معلوم قبل ابداءه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه وبذلك كان مقدرامقضية فان الله سبحانه وتعالى يقول ويكتب من ما يعلمه ما شاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء معه وكان صرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال لها اكتب فقالت ما اكتب قال ما هو كائن الى يوم القيامة الى أمثال ذلك من النصوص

التي تبين ان المخلوق قبل أن يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهمي  
 شيء باعتبار وجوده العلمى الكلامى الكتابى وان كانت حقيقته التي  
 هي وجوده العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفى صرف  
 وهذه المراتب الاربعة المشهورة موجودات وقد ذكرها الله سبحانه  
 في أول سورة أنزلها على نبيه في قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق  
 الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم  
 يعلم) وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع واذا كان كذلك  
 كان الخطاب موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة  
 وخلق وكون كما قال (انما قولنا شيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)  
 فالذى يقال له كن هو الذى يراد وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت  
 وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا  
 يحصل الجواب عن "تقسيم" فان قول السائل ان كان المخاطب موجودا  
 فتحصيل الحاصل محال \* يقال له هذا اذا كان موجودا في الخارج وجوده  
 الذى هو وجوده ولا ريب ان الممدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه  
 ثابت واما ما علم وأريد وكان شيئا في العلم والارادة و"تقدير فليس  
 وجوده في الخارج محالا بل جميع المخلوقات لا توجد الا بعد وجودها  
 في العلم والارادة وهو قول السائل ان كان ممدوما فكيف يتصور خطاب  
 الممدوم ويقال له اما اذا قصد أن يخاطب الممدوم في الخطاب بخاطب  
 بينهم ويمثله فهذا محال اذ من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم  
 والفعل والممدوم لا يتصور أن يفهم ويفعل فيمتنع خطاب التكلين

له حال عدمه بمعنى انه يطلب منه حين عدمه أن يفهم ويفعل وكذلك أيضا يتمتع أن يخاطب المعلوم في الخارج خطاب تكويني بمعنى أن يتمتع أنه شيء ثابت في الخارج وأنه يخاطب بأن يكون وأما الشيء المعلوم المذكور المكتوب اذا كان توجيهه خطاب التكوين اليه مثل توجيهه الارادة اليه فليس ذلك محال بل هو امر يمكن بل مثل ذلك بحججه الانسان في نفسه فيقدر أمرا في نفسه يريد أن يفعله ويوجه ارادته وطلبه الى ذلك المراد المطلوب الذي قدره في نفسه ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فان كان قادرا على حصوله حصل مع الارادة والطلب الجازم وان كان عاجزا لم يحصل وقد يقول الانسان ليكن كذا ونحو ذلك من صيغ الطلب فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه والله سبحانه على كل شيء قدير وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فان أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

(فصل) وأما المسئلة الثمانية فقول السائل قوله تعالى (وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون) ان كانت هذه اللام للصبرورة في عاقبة الامر فما صار ذلك وان كانت اللام للعرض لزم أن لا يخاف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس الامر كذلك فما التلخص من هذا المضيق

فيقال هذه اللام ليست هي اللام التي يسميها النحاة لام العاقبة والصبرورة ولم يقل ذلك أحد هنا كما ذكره السائل من أن ذلك لم يصح الا على قول من يفسره ويعبدون بمعنى يعرفون يعني الامر فالتى أمر بها المؤمن والكافر لكن هذا قول ضعيف وانما زعم بعض الناس

ذلك كله قوله ( ولذلك خالقهم ) التي في آخر سورة هود فان بعض  
 القدرية زعم ان تلك اللام لام العاقبة والصيرورة أى صارت عاقبتهم  
 الى الرحمة والى الاختلاف وان لم يقصد ذلك الخالق وجعلوا ذلك  
 كقوله ( فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ) وقول الشاعر  
 لدواللموت وابنوا للخراب

وهذا أيضا ضعيف هذا الالام العاقبة انما تنجيء في حق من لا يكون عالما  
 بعواقب الامور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يماحها كآل فرعون  
 فاما من يكون عالما بعواقب الافعال ومصايرها فلا يتصور منهم أن يفعل  
 فعلا له عاقبة لا يعلم عاقبته واذا علم أن فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم  
 انه لا يكون فان ذلك تمفي وليس بارادة

وأما اللام فهي اللام المعرونة وهي لام كي ولام التعليل التي اذا  
 حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية  
 وهي متقدمة في العلم والارادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه  
 العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي أن يعرف ان  
 الارادة في كتاب الله على نوعين

أحدهما الارادة الكونية وهي الارادة المستلزمة لوقوع المراد  
 التي يقال فيها شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وهذه الارادة في مثل  
 قوله ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن  
 يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ) وقوله ( ولا ينفعكم نصحي ان أردت  
 أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم ) وقال تعالى ( ولو شاء

الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله) وأمثال ذلك وهذه الارادة في مدلول اللام في قوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خاقهم) قال الساف خلق فريقا الاختلاف وفريقا للرحمة ولما كانت الرحمة هنا الارادة وهناك كونيّة وقع المراد بها فقوم اختلفوا وقوم رحموا

وأما النوع الثاني فهو الارادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي قوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) والله عليم حكيم \* والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما \* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) فهذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد الا أن يتعلق به لنوع الاول من الارادة ولهذا كانت الاقسام أربعة

أحدها ما تعلقت به الارادتان وهو ما وقع في الوجود من الاعمال الصالحة فان الله أراد به ارادة دين وشرع فامر به وأحبه ورضيه وأراد به ارادة كون فوقه ولولا ذلك لما كان

والثاني ما تعلقت به الارادة الدينية فقط وهو ما أمر الله به من الاعمال الصالحة فمضى ذلك الامر الكفار والفجار فتلك كلها ارادة

دين وهو بحبها ورضاها لو وقعت ولو لم تقع  
والثالث ما تعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من  
الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فانه لم يأمر بها ولم يرخصها  
ولم يجبرها اذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته  
وقدرته وخلقها لما كانت ولما وجدت فانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن  
ولرابع ما لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه فهذا ما لم يكن من  
أنواع المباحات والمعاصي واذا كان كذلك فمقتضى الام في قوله (وما  
خالقت الجن والانس الا ليعبدون) هذه الارادة الدينية الشرعية وهذه  
تدقيق مرادها وقد لا يقع والمعنى ان الغاية التي تجب لهم وترضى لهم  
والتي أمروا بفعلها هي العباداة فهو العمل الذي خلق العباد له أى هو  
الذى يحصل كمالهم وصلاحهم الذى به يكونون مرضيين محبوبين فمن لم  
تحصل منه هذه الغاية كان عادما لما يحب ويرضى ويرادله الارادة الدينية  
التي فيها سعادته ونجاته وعادما لاكماله وصلاحه العدم المستلزم فساد  
وعذابه وقول من قال العباداة هي العزيمة القطرية فقولان ضايفان  
فاسدان يظهر فسادهما من وجوه متعددة

( فصل ) وأما المسئلة الثالثة فقوله فيما ورد من الاخبار والآيات

في الرضا بقضاء الله فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وقدح في  
التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها وبغضها كراهة وبغض  
لقضاء الله تعالى

فيقال ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آية ولا حديث يأمر



العباد أن يرضوا بكل مقضى مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها فهذا أصل يجب أن يعنى ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به فليس لاحد أن يسخط ما أمر الله به قال تعالى افلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما سخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) وذكر الرسول هنا يبين أن الإتياء هو الإتياء الدينى الشرعى لا أن يكونى القدرى وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وينفى للإنسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التى ليست ذنوباً مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذل وأذى الخاق له فإن الصبر على المصائب واجب وأما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب أو مستحب على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم أحصهما أنه مستحب ليس بواجب ومن المعلوم أن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله وقد أمرنا الله أن نأمر بالمعروف ونهيه ونرضاه ونحب أهله ونهيه عن المنكر ونبغضه ونسخطه ونبغض أهله ونجاهدهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا فكيف نتوهم أنه ليس فى الخلوقات ما نبغضه ونكرهه وقد قل تعالى لما ذكر ما ذكر من المنهيات كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فإذا كان الله يكرهها وهو المقدر لها فكيف لا يكرهها من أمر الله أن يكرهها ويبغضها وهو القائل وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان



أولئك هم الراشدون وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقد قال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال تعالى (وغضب الله عليهم ولعنهم) وقال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) فأخبر أن من القول الواقع ما لا يرضاه وقال تعالى (وعدا الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وقال (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال (وان تشكروا يرضه ليكم) فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به فهو كان يرضى كل شيء ما كان له خصيصة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته وقال ان الله يغفار المؤمن يغفر وغيره الله أن يأتي العبد ما حرم عليه ولا بد من الغيرة من كراهة ما يغار منه وبغضه وهذا باب واسع

(فصل) وأما المسئلة الرابعة فقوله اذا جف القلم بما هو كائن فما معنى قوله ادعوني أستجب لكم وان كان الدعاء أيضاً مما هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه

فيقال الدعاء في اقتضائه الاجابة كسائر الاعمال الصالحة في اقتضاءها الانابة وكسائر الاسباب في اقتضاءها المسببات ومن قال ان الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول ليس بسبب أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجوداً ولا عدماً بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فان الله علق الاجابة به تعليق المسبب

بالسبب فقلوه وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه بها احدى خصال ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له من الخير مثلها واما أن يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يارسول الله اذا تكبر قال الله أكثر فعلى العطايا بالدعاء تعلبى الوعد والجزاء بالعمل المأمور به وقال عمر بن الخطاب انى لأحمل هم الاجابة وانما أحمل هم الدعاء فاذا ألهمت الدعاء فان الاجابة معه وأمثال ذلك كثير وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك وبينه كما يدل على ذلك مثله في سائر الاسباب وقد أخبر سبحانه من ذلك ما أخبر به في مثل قوله (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) وقوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت - سبحانه انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين) وقوله (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويحيى الاموات) وقوله تعالى عن زكريا (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارئين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصبحنا له زوجة) وقال تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم الى البر اذا هم يشركون) وقال تعالى (ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يؤبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) فأخبر أنه ان شاء أو بقهن فاجتمع أخذهم بذنوبهم

وعفوه عن كثير منها مع علم المجادلين في آياته انه ماله من محيص لآيته في مثل هذا الحال يعلم المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب وقدرته ومشيئته ورحمته انه لا يخاص له مما وقع فيه كقوله في الآية الاخرى ( وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ) فان المعارف التي تحصل في النفس بالاسباب الاضطرارية أثبت وأرسخ من المعارف التي ينتجها مجرد النظر انقياسي ينزاح عن النفوس في مثل هذه الحال هل الرب موجب في ذاته فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ولا يمكنه أن يحدث شيئاً ولا يغير العالم حتى يدعى ويسأل وهل هو عالم بالتفصيل والاجمال وقادر على تصريف الاحوال حتى يسأل التحويل من حال الي حال ليس كذلك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة وغيرهم من الضلال فيجتمع مع العقوبة والعفو من ذى الجلال علم أهل المراء والجدال أنه لا محيص لهم عما أوقع بينهم من جادلوا في آياته وهو شديد المحال وقد تكلمنا على هذا وأشباهه وما يتعلق به من المقالات والديانات في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن يعلم أن الدعاء والسؤال هو سبب لنيل المطلوب المسؤل ليس وجوده كعدمه في ذلك ولا هو علامة محضة كما دل عليه الكتاب والسنة وان كان قد نازع في ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم مع أن ذلك يقربه جماهير بنى آدم من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين لكن طوائف من المشركين والصابئين من المتفلسفة المشائين اتباع ارسطو ومن تبعه من متفلسفة أهل الملل

كالفارابي وابن سينا ومن سلك بهما معن خلط ذلك بالكلام والنصوف والفقه ونحو هؤلاء يزعمون ان تأثير الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمونه في تأثير سائر الممكنات المخلوقات من القوى الفلكية والطبيعية والقوى النفسانية والعقلية فيجعلون ما يترتب على الدعاء هو من تأثير النفوس البشرية من غير أن يثبتوا للخالق سبحانه بذلك علماً مفصلاً أو قدرة على تغيير العالم أو ان يثبتوا أنه لو شاء أن يفعل غير ما فعل لا يمكنه ذلك فليس هو عندهم قادراً على أن يجمع عظام الانسان ويسوي بنيانه وهو سبحانه هو الخالق لها ولقواها فلا حول ولا قوة الا بالله

وأما قوله وان كان الدعاء مما هو كائن فافائدة الامر به ولا بد من وقوعه فيقال الدعاء المأمور به لا يجب كونا بل اذا أمر الله العباد بالدعاء فمنهم من يطيعه فيستجاب له دعاؤه وينال طلبه ويدل ذلك على أن المعلوم المقدور هو الدعاء والاجابة ومنهم من يعصيه فلا يدعو فلا يحصل ما عاق بالدعاء فيدل ذلك على أنه ليس في المعلوم المقدور الدعاء ولا الاجابة فالدعاء الكائن هو الذي تقدم العلم بأنه كائن لا يكون فان قيل فما فائدة الامر فيما علم أنه يكون من الدعاء قيل الامر هو سبب أيضاً في امتثال المأمور به كسائر الاسباب فالدعاء سبب يدفع البلاء فاذا كان أقوى منه دفعه وان كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه لكن يخففه ويضعفه ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعق

(فصل) وأما المسئلة الخامسة في قوله صلى الله عليه وسلم من

فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأى فكيف النجاة وان لم يكن بالرأى فكيف وقع الاختلاف والحق لا يكون في طرفي نقيض

فيقال ينبغي أن يعلم ان الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن أن يكون كل منهما حقاً وانما هو اختلاف تنوع أو اختلاف في الصفات أو العبادات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر في القرآن اسماً مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فكل من المفسرين يبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة ما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ويقول الآخر الصراط المستقيم هو الاسلام أو دين الاسلام ويقول الآخر الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ويقول الآخر الصراط المستقيم طريق اليهودية أو طريق الخوف والرضاء والحب وامتنال الأمور واجتناب المحظور أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الاسماء والعبارات ومعلوم ان المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعدت أسماؤه وعباراته كما اذا قيل محمد وأحمد وهو الحاشم وهو الماحي وهو العاقب وهو خاتم المرسلين وهو نبي الرحمة وهو نبي الملحمة وكذلك اذا قيل القرآن هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذي

أحكمت آياته ثم فصلت وكذلك أسماء الله الحسنى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وهو الذى خالق فسوى والذى قدر فهمدى والذى أخرج المرعى فجعله غناء أحوى وهو الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك لقدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر هو الله الخالق البارئ المصور وأمثال ذلك فهو سبحانه واحد صمد وأسماءه الحسنى تدل كلها على ذاته ويدل هذا من صفاته على ما لا يدل عليه الآخر فهى متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في دلالة على الصفات فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة وبدل على أحدهما بطريق النظم وكل اسم يدل على الصفة التى دل عليها بالالتزام لانه يدل على الذات المتكفى به جميع الصفات فكثير من التفسير والترجمة تكون من هذا الوجه

ومنه قسم آخر وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى اللفظ على سبيل التعيين والتمثيل لا على سبيل الجدل والحصر مثل أن يقول قائل من العجم ما معنى الحبز فيشار له الى رغيف وليس المقصود مجرد عينه وإنما الإشارة الى تعيين هذا الشخص وهذا كما اذا سئلوا عن قوله (فهم ظالم لنفسه) ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) أو عن قوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أو عن الصالحين أو الظالمين ونحو ذلك من الاسماء الجامعة التى قد يتعسر أو يتعذر على المستمع أو المتكلم ضبط مجموع معناه اذا لا يكون محتاجا الى ذلك فيذكر

له من أنواعه وأخصاؤه فيحصل به فرضه وقد يستدل به على نظائره  
فإن الظالم لنفسه هو تارك المأمور فاعل المحذور والمقتصد هو فاعل  
الواجب وتارك المحرم والسابق هو فاعل الواجب والمستحب وتارك  
المحرم والمكروه فيقول المجيب بحسب حاجة السائل الظالم الذي ينوت  
الصلاة أو الذي لا يبالغ في الوضوء أو الذي لا يتم الأركان ونحو ذلك  
والمقتصد الذي يصلي في الوقت كما أمر ولسابق بالخيرات الذي يصلي  
الصلاة بواجباتها ومستحباتها ويأتي بالنوافل المستحبة معها وكذلك  
يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات وقد روى  
عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير  
تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يذكر أحد بجهالة وتفسير يعلمه  
العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب والصحابة  
أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة وإن كان  
من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معاني القرآن إذ لم  
يتمكن من تغيير لفظه وأيضا فقد يخفى على بعض العلماء بعض معاني  
القرآن كما خفى عليه بعض السنة فيقع خطأ  
المجتهدين من هذا الباب والله أعلم

تمت الرسالة الرابعة

ويلها الرسالة الخامسة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام حـ سنة الايام أوحده المجتهدين قانع المبتدئين  
 أتى الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي رضى الله  
 عنه \* عن قوم يحتجون بالقدر ويقولون قد قضى الامر من الذر فالسعيد  
 سعيد والشقي شقي من الذر ويحتجون بقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم  
 منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ويقولون مالتنا في جميع الانفال قدرة  
 وانما القدرة لله تعالى قدر الخير والشر وكتبه علينا والمراد بيان خطأ  
 هؤلاء بالدلة القاطعة ويقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة  
 ويحتجون بالحديث الذي فيه قوله صلى الله عليه وسلم وان زنا وان سرق  
 وبغير ذلك فما الجواب عن هذا جميعه أفتونا مأجورين

فاجاب نعمنا الله بعلمه \* الحمد لله رب العالمين \* هؤلاء القوم اذا صبروا  
 على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى فان النصارى  
 واليهود يؤمنون بالامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن  
 حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين  
 يكفرون بالله ورسوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن  
 ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم  
 الكافرون حقا) وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسوله  
 ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله  
 غفورا رحيمًا) فاذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا  
 فكيف بمن كفر بالجميع ومن لم يقر بامر الله ونهيه ووعدده وعيده



بل ترك ذلك محتجاً بالقدر فهو أكفر من آمن ببعض وكفر ببعض  
وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه

أحدها ان الواحد من هؤلاء اما ان يرى القدر حجة للعبد واما  
أن لا يراه حجة للعبد فان كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس  
فإنهم كلهم مشتركون في القدر وحينئذ يلزمه أن لا ينكر على من يظلمه  
ويشتهه وبأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل  
وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون فان أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض  
هذا ويخالف هذا حتي ان الذي ينكر عليه يبغضونه ويعادونه  
وينكرون عليه فاذا كن القدر حجة ان فعل المحرمات وترك الواجبات  
لزمهم أن لا يدموا أحداً ولا يبنضوا أحداً ولا يقولوا عن أحد انه  
ظالم ولو فعل ما فعل ومعلوم ان هذا لا يمكن أحداً فله ولو فعل الناس  
هذا هلك العالم فتبين ان توهم فاسد في العقل كما انه كفر في الشرع  
وانهم كذابون مفترون في قوهم ان القدر حجة للعبد

الوجه الثاني ان هذا يلزم منه أن يكون ابليس وفرعون وقوم  
نوح وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورين وهذا من الكفر  
الذي اتفق عليه أرباب الملل

الوجه الثالث ان هذا يلزم منه أن لا يفرق بين أولياء الله وأعداء  
الله ولا بين المؤمنين والكفار ولا أهل الجنة وأهل النار وقد قال  
تعالى ( وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل  
ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ) وقال تعالى ( أم نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كلهم سيدين في الارض أم نجعل المتقين  
كالفجار) وقال تعالى (أم حسب الذين اجترأوا السيئات أن نجعلهم  
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)  
وذلك ان هؤلاء جميعهم سبقت لهم من الله تعالى السوابق وكتب الله  
تمامي مقاديرهم قبل أن يخلقهم وهم مع هذا قد انقسموا الى سعيدين  
بالايمان والعمل الصالح والى شقي بالكفر والفسوق والعصيان فعلم بذلك  
ان القضاء والقدر ليس بحجة لاحد على معاصي الله تعالى

الوجه الرابع ان القدر يؤمن به ولا نحتج به فمن احتج بالقدر  
فحجته داحضة ومن اعتذر بالقدر فعدوه غير مقبول ولو كان الاحتجاج  
بالقدر مقبول لقبول من ابليس وغيره من العصاة ولو كان القدر حجة  
للامباد لم يعذب الله أحدا من الخلق لافي الدنيا ولا في الآخرة ولو كان  
القدر حجة لم يقطع سارق ولا قتل قاتل ولا أقيم حد على ذى جريمة  
ولا جوهده في سبيل الله ولا أمر بمروء ولا نهى عن منكر

الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا فانه  
قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة  
فقيل يا رسول الله أفلا ندع العمل ونشكل على الكناب فقال لا اعملوا  
فكل ميسر لما خاق له رواه البخارى ومسلم وفي حديث آخر في  
الصحيح انه قيل له يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس فيه ويكدحون  
أفيا جفت به الاقلام وطويت به الصحف فقل فقيم العمل (١) فقال اعملوا  
فكل ميسر لما خاق له (١) هذه الرواية لم تعلم فلتجرر

الوجه السادس أن يقال ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ما هي عليه فهو سبحانه قد كتب ان فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة فلانا يفسق ويمسى فيدخل النار كما علم وكتب أن فلانا يتزوج امرأة ويعطوها فيأتيه ولد وان فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروي وان فلانا يبذر البذر فينبت الزرع فمن قال ان كنت من أهل الجنة فانا أدخلها ملا عمل صالح كان قوله قولاً باطلاً منقاداً لما علمه الله وقدره ومثل من يقول أنا لأطأ امرأة فان كان الله قضي لي بولد فهو بولد فهذا جاهل فان الله تعالى اذا قضى بالولد قضى ان أباه يطاء امرأة فتجبل وتلد فاما الولد بلا حبل ولا وطاء فان الله لم يقدره ولم يكتبه كذلك الجنة انما أعدها الله تعالى للمؤمنين فمن ظن انه يدخل الجنة بلا ايمان كان ظنه باطلاً واذا اعتقد أن الاعمال التي أمر الله بها لا يحتاج اليها ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافراً والله قد حرم الجنة الاعلى أصحابها

(فصل) وأما قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الآية فمن سبقت له من الله الحسنى فلا بد أن يصير مؤمناً تقياً فمن لم يكن من المؤمنين لم تسبق له من الله الحسنى لكن الله اذا سبقت للعبد منه سابقة استعمله بالعمل الذي يصل به الى تلك السابقة كن سبق له من الله تعالى أن يولد له ولد فلا بد أن يطاء امرأة يحبلها فان الله سبحانه وتعالى قدر الاسباب والمسببات فسبق منه هذا وهذا فمن ظن ان أحداً سبق له من الله الحسنى بلا سبب فقد ضل بل هو سبحانه ميسر

الاسباب والمسببات وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا

(فصل) ومن قال ان آدم عليه الصلاة والسلام ماعصى فهو مكذب للقرآن يستتاب فان تاب ولا قتل فان الله تعالى (قال وعصى آدم ربه فغوى ثم اجاب ادر به فتاب عليا وهدى الوالمعصية هي مخالفة الامر الشرعي فمن خالف امر الله الذي أرسل فيه رسله وأنزل به كتبه فقد عصاه وان كان داخلاً فيما قدره الله وقضاه وهؤلاء ظنوا ان المعصية هي الخروج عن قدر الله فان لم تكن المعصية الا هذا فلا يكون ابليس وفرعون وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضاً لانهم داخلون في قدر الله تعالى ثم قائل هذا يضرب ويهان فاذا تظلم ممن فعل ذلك به قيل له هذا الذي فعل هذا ليس هو بعاص لله تعالى فانه داخل في قدر الله عز وجل كسائر الخلق وقائل هذا القول متناقض لا يثبت على حال (فصل) وأما قول القائل مالنا في جميع أفعالنا قدرة فقد كذب فان الله تعالى فرق بين المستطيع القادر وغير المستطيع وقال (فتقوا الله ما استطعتم) وقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً) وقال تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) والله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة وفعلاً كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (جزاء بما كنتم تعملون) لكن الله سبحانه خلقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل فانه لا رب غيره ولا اله سواه وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه

(فصل) وأما قول القائل الزنا من المعاصي مكتوب فهو كلام صحيح لكن هذا لا ينفعه الاحتجاج به فان الله تعالى كتب أفعال العباد خيرها وشرها وكتب ما يصيرون اليه من السعادة والشقاوة وجعل الاعمال سبباً للأواب والعقاب وكتب ذلك كما كتب الامراض وجعلها سبباً للمرض والموت فنأكل السم فانه يمرض أو يموت والله تعالى تدر وكتب هذا وهذا كذلك من فعل ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان فانه فعل ما كتب عليه وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك وحجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله تعالى عنهم ( وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم ) وقال تعالى ( سيقول الذين أنشركوا ما أنشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذقوا بأسنا نأكل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبصرون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فتمه الحجة بالغة فلو شاء هذا كم أجمعين )

(فصل) وأما قول القائل من قال لا اله الا الله دخل الجنة واحتججه بالحديث المذكور فيقال لا ريب ان الكتاب والسنة فهما وعد ووعد وقد قال تعالى ( ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظالماً انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ) وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظاماً فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيراً ) ومثل هذا كثير في

الكتاب والسنة والعبد عليه أن يصدق بهذا وهذا لا يؤمن ببعض ويكفر  
ببعض فهو لاء انشركية أرادوا أن يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعيد  
والحرورية والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعد يدون لوعد وكلاهما خطأ  
والذي عليه أهل السنة والجماعة الايمان بالوعد والوعيد وكما ان ماتوعد  
الله به العبد من العقاب قد بين سـ بجمانه انه مشروط بأن لا يتوب فان  
تاب تاب الله عليه وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه فان الحسنات  
يذهبن السيآت وبأن لا يشاء الله أن يغفر له فان الله لا يغفر أن يشرك  
به ولا يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهكذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال  
بلسانه لا اله الا الله وكذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر باتفاق  
المسلمين وكذلك ان جحد شيئاً مما أنزل الله تعالى فلا بد من الايمان  
بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ان كان من أهل الكتاب  
فأمره الى الله تعالى ان شاء غفر له وان شاء عذبه وان ارتد عن  
الاسلام ومات مرتداً كان في النار فالسيآت تحبطها التوبة والحسنات  
تحبطها الرد ومن كان له حسنات وسيآت فان الله تعالى لا يظلمه بل  
من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والله  
تعالى يتفضل عليه ويحسن اليه بمغفرته ورحمته ومن مات على الايمان  
فانه لا يخلد في النار فالزاني والسارق لا يخلد في النار بل لابد أن يدخل  
الجنة فالنار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهؤلاء  
المؤول عنهم يسمون القدرية المباحية انشركية وقد جاء في ذمهم

من الآثار ما يضيق عنه هذا الجواب

تمت الرسالة الخامسة وبها السادسة له أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الامام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل) في قوله صلى الله عليه وسلم فخج آدم موسى لما احتج عايه بالقدر وبيان ذلك في المصائب لافي الذنوب وان الله أمر بالصبر والتقوى فهذا في الصبر لافي التقوى وقال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) فأمر بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب وذلك ان بني آدم اضطربوا في هذا المقام مقام تعارض الامر والتدر وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع

والمقصود هنا انه قد ثبت في الصحيحين حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأوجد لك ملائكته فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي كلمك الله تكليماً وكتب لك التوراة فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى قيل أن أخاق قال بأربعين سنة قال فخج آدم موسى وهو مروى أيضاً من طريق عمر بن الخطاب بأ-ناد حسن وقد ظن كثير من الناس أن آدم احتج بالقدر السابق على نفي

الملام على الذنب ثم صاروا لاجل هذا الظن ثلاثة أحزاب  
فريق كذبوا بهذا الحديث كاذبي على الجبائي وغيره لانه من المعلوم  
بالاضطرار ان هذا خلاف ما جاءت به الرسل ولا ريب أنه يمتنع أن  
يكون هذا مراد الحديث ويجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم بل  
وجميع الانبياء واتباع الانبياء أن يجعلوا القدر حجة لمن عصى الله ورسوله  
وفريق تأولوه بتأويلات معلومة الفساد كقول بعضهم انما حجة  
لانه كان أباه والابن لا يلوم أباه وقول بعضهم لان الذنب كان في شريعة  
والملام في أخرى وقول بعضهم لان الملام كان بعد التوبة وقول بعضهم  
لان هذا يختلف فيه دار الدنيا ودار الآخرة

وفريق ثالث جعلوه عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لامر الله  
ورسوله ثم لم يمكنهم طرد ذلك فلا بد في نفس معاشهم في الدنيا ان يلام  
من فعل ما يضر نفسه وغيره لكن منهم من صار يحتج بهذا عند أهوائه  
وأغراضه لا عند أهواء غيره كما قيل في مثل هؤلاء أنت عند الطاعة  
قدرى وعند الماصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به قالوا حر  
من هؤلاء اذا أذنب أخذ يحتج بالقدر ولو أذنب غيره أو ظلمه لم  
يؤذره وهؤلاء الظالمون معتدون

ومنهم من يقول هذا في حق أهل الحقيقة الذين شهدوا توحيد  
الربوبية وفنوا عما سواه فيرون ان لا فاعل الا الله فهو لا يستحسنون  
حسنة ولا ياتقبحون سيئة فانهم لا يرون الخلق فاعلا بل لا يرون فاعلا  
الا الله بخلاف من شهد لنفسه فاعلا فانه يذم ويماقب وهذا قول كثير



من متأخرى الصوفية المدعين للحقيقة وقد يعملون هذا نهاية التحقيق  
وغاية العرفان والتوحيد وهذا قول طائفة من أهل العلم قال ابن المظفر  
السماني وأما الكلام فيما جرى بين آدم وموسى من المحاجة في هذا  
الشان فانما ساع لهما الحجاج في ذلك لانهم انيان جليان خسا بعلم  
الحقائق وأذن لهما في استكشاف السرائر وليس سبيل الخلق الذين  
أمروا بالوقوف عند ما حد لهم والسكوت عما طوى عنهم سبلهما وليس  
قوله فحج آدم موسى ابطال حكم الطاعة ولا اسقاط العمل الواجب  
ولكن معناه ترجيح أحد الامرين وتقديم رتبة العلة على السبب فقد  
تقع الحكمة بترجيح معنى أحد الامرين فسبيل قوله فحج آدم موسى  
هذا السبيل وقد ظهر هذا في قضية آدم قال الله تعالى (اني جاعل في  
الارض خليفة) الى أن قال فاء من هذا ان آدم لم يهبأ له أن يستبدم  
سكنى الجنة بأن لا يقرب الشجرة اسابق القضاء المكتوب عليه في الخروج  
منها وهذا صال على موسى عند المحاجة وبهذا المعنى قضى له على موسى  
فقال فحج آدم موسى قات ولهذا يقول الشيخ عبد القادر قدس الله  
روحه كثير من الرجال اذا وصلوا الى القضاء والقدر امسكوا وانا انفتحت  
لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ولرجل من يكون  
منازعا للقدر لا موافق له وهو رضى الله عنه كان يظم الامر والنهى  
ويوصى باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر وكذلك شيخه حماد  
الدباس وذلك لما رأوه في كثير من السالكين من الوقوف عند القدر  
للمعارض الامر والنهى والعبد مأمور بأن يجاهد في سبيل الله ويدفع

ماقدر من المعاصي بما قدر من الطاعة فهو منازع للمقدور والمحذور  
بالمقدور الأمور لله تعالى وهذا هو دين الله الذي يثبت به الأولين  
والآخرين من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

ومن يشبه هؤلاء كثير من الفلاسفة كقول ابن سينا بأنه يشهد  
سر القدر والرازي يقرر ذلك لأنه كان جبرياً محضاً

وفي الجملة فهذا المعنى دائر في نفوس كثير من الخاصة من أهل العلم  
والعبادة فضلاً عن العامة وهو مناقض لدين الإسلام

ومن هؤلاء من يقول الحضر انما سقط عنه الملام لأنه كان مشاهداً  
لحقيقة القدر ومن شبه هؤلاء من كان يقول لو قتلت سبعين نبياً لما  
كنت مخفئاً

وممن من يقول بطرد قوله بحسب الامكان فيقول كل من قدر  
على فعل شيء وفعله فلا ملام عليه فان قدر أنه خالف غرض غيره فذاك  
ينازعه والاقوى منهما يقهر الآخر فأيهما أعانه القدر فهو المنصيب باعتبار  
انه غالب والافثم خطأ

ومن هؤلاء الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد ثم يقولون  
بعضه أفضل من بعض والافضل يستحق أن يكون رباً للمفضول  
ويقولون ان فرعون كان صادقاً في قوله انا ربكم الاعلى وهذا قول  
طائفة من ملاحدة المتصوفة المتفاسدة الاتحادية كالنعماني والقول  
بالاتحاد المسمى وحدة الوجود وهو قول ابن عربي الطائفي وصاحبه  
التونوي وابن سبين وابن الفارض وأمثلهم لكن لهم في المعاد والجزاء

نزاع كأن لهم نزاعاً في أن الوجود هل هو شيء غير الذوات أم لا  
وهؤلاء ضلوا من وجوه من جهة عدم الفرق بين الوجود والخالق  
والنحو لموق وأما شهود القدر فيقال لا ريب أن الله تعالى خالق كل  
شيء ومليكه

والقدر هو قدرة الله كما قل الامام أحمد وهو المقدر لكل ما هو  
كائن لكن حقيقة الامر والنهي والوعد والوعيد أى من الافعال ما ينفع  
صاحبه فيحصل له به نعيم ومنها ما يضر صاحبه فيحصل له به عذاب  
فتجن لانكرا اشتراك الجميع من جهة المشيئة والربوبية وابتداء الامور  
لكن ثبت فرقا آخر من جهة الحكمة والاوامر الالهية ونهاية الامور  
فان العاقبة لا تقوى لا لغير المتقين وقد قال تعالى (أفجعل الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال  
تعالى (أفجعل المسلمين كالمجرمين) واذا كان كذلك لحقيقة الفرق أن  
من الامور ما هو ملائم للانسان نافع له فيحصل له به اللذة ومنها ما هو  
مضاد له ضار له يحصل له به الالم فرجع الفرق الى الفرق بين اللذة  
والالم وأسباب هذا وهذا وهذا الفرق معلوم بالحس والعقل والشرع  
يجمع عليه بين الاولين والآخرين بل هو معلوم عند البهائم بل هذا  
موجود في جميع المخلوقات واذا أثبتنا الفرق بين الحسنات والسيئات  
وهو الفرق بين الحسن والتبحيح فالفرق يرجع الى هذا والعقلاء  
متفقون على ان كون بعض الافعال ملائماً للانسان وبعضها منافياً له  
اذا قيل هذا حسن وهذا قبيح فهذا الحسن والتبجح مما يعلم بالعقل

بإتفاق العقلاء وتنازعوا في الحسن والقبيح بمعنى كون الفعل سبباً للذم والعقاب هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالشرع وكان من أسباب النزاع أنهم ظنوا أن هذا القسم مغاير للأول وليس هذا خارجاً عنه فليس في الوجود حسن إلا بمعنى الملائم ولا قبيح إلا بمعنى المنافي والمدح والثواب بالملائم والذم والعقاب منافي فهذانوع من الملائم والمنافي

يبقى الكلام في بعض أنواع الحسن والقبيح لا في جميعه ولا ريب من أنواعه ما لا يعلم إلا بالشرع ولكن النزاع فيما قبحه مـلوم لعموم الخلق كإظلم والكذب ونحو ذلك

والنزع في أمور منها هل لفعل صفة صار بها حسناً وقبيحاً وإن الحسن العقلي هو كونه موافقاً لمصاحبة لالم والقبيح العقلي بخلافه فهل في الشرع زيادة على ذلك وفي أن العقاب في الدنيا والآخرة هل يعلم بمجرد العقل وبسط هذا موضع آخر

ومن الناس من أثبت قسماً ثالثاً للحسن والقبيح وادعى الاتفاق عاينه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسئلة ولكن ذكره بعض المتأخرين كإرازي وأخذه عن الفلاسفة

والتحقيق أن هذا القسم لا يخالف الأول فإن الكمال الذي يحصل للإنسان ببعض الأفعال هو يعود إلى الموافقة والمخالفة وهو الذمة والالم فالنفس لذلك بما هو كمال لها وتتألم بالنقص فيعود الكمال والنقص إلى الملائم والمنافي وهذا مبسوط في موضع آخر

والمقصود هنا ان الفرق بين الافعال الحسنة التي يحصل لصاحبها بها لذة وبين السيئة التي يحصل له بها ألم أمر حتى يعرفه جميع الجاهلون فن قال من المدعين للحقيقة القدرية والفناء في توحيد الربوبية والاصطلاح انه يبقى في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلم وما يلهو كان هذا مما يعلم كذبه فيه ان كان يفهم ما يقول والا كان ضالا ينكلم بما لا يعرف حقيقة وهو الغالب على من ينكلم في هذا فان القوم قد يحصل لاحدهم هذا المشهد .شهد الفناء في توحيد الربوبية فلا يشهد فرقا مادام في هذا المشهد وقد يغيب عنه الاحساس بما يوجب الفرق مدة من الزمان فيظن هذا الفناء مقاما محمودا ويجعله غاية ولما لازم الكين وهذا غلط فان عدم الفرق بين ما ينعم ويعذب أحيانا هو مثل عدم الفرق للنوم والنسيان والغفلة والاشتغال بشيء عن آخر وهو لا يزيد الفرق الثابت في نفس الامر ولا يزيل الاحساس به اذا وجد سببه والواحد من هؤلاء لا بد أن يجوع أو يعطش فلا يسوى بين الخبز والشراب وبين الملح الاجاج والعذب اقترات بل لا بد أن يفرق بينهما ويقول هذا طيب وهذا ليس بطيب وهذا هو الفرق بين كل ما أمر الله ورسوله به ونهى عنه فانه أمر بالطيب من القول والعمل ونهى عن الخبيث واذا عرف أن المراد بالفرق هو أن من الامور ينفع ويوجب اللذة والنعيم ومنها ما يضر ويوجب الألم والعذاب فبعض هذه الامور تدرك بالحس وبعضها يدركه اناس بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضرة

وهذا من العقل الذى ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال  
 ما لا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة  
 وما يدفع به المضرة والله تعالى بعث الرسل بتكميل الفطرة فدلوهم  
 على ما ينالون به النعيم في الآخرة ويخجون من عذاب الآخرة فالفرق بين  
 المأمور والمحذور هو كالفرق بين الجنة والنار والاذة والالم والنعيم  
 والمذاب ومن لم يدرك هذا الفرق فان كان لسبب أزال عقله هو به  
 معذور والا كان مطالبا بما فعله من الشر وتركه من الخير ولا ريب  
 ان في الناس من قد يذول عقله في بعض الاحوال ومن الناس من  
 يتعاطى ما يزيل العقل كالخمر وسماع الاصوات المطربة فان ذلك قد  
 يقوى حتى يسكر أصحابها ويقترب بهم شياطين فيقتل بعضهم بعضا في  
 السماع المسكر كما يقتل شراب الخمر بعضهم بعضا اذا سكروا وهذا مما  
 يعرفه كثير من أهل الاحوال لكن منهم من يقول المقتول شهيد  
 والتحقيق أن المقتول يشبه المتول في شرب الخمر فانهم سكروا سكرًا  
 غير مشروع لكن غالبهم يظن ان هذا من حال أولياء الله المتقين فبقي  
 القتل فيهم كالقتل في الفتنه وليس هو كالذى تعمد قتله ولا هو  
 كالمتقول ظلما من كل وجه فان قيل فهل هذا الفناء يزول به التكليف  
 قيل ان حصل للانسان سبب يعذر فيه زال به عقله الذى يميز  
 به كان بمنزلة النائم والمنمى عليه والسكران سكرًا لا يأنم به كمن سكر  
 قبل التحريم أو أوجر الخمر أو أكره على شربها عند الجمهور وأما ان

كان السكر لسبب محرم فهذا فيه نزاع معروف بين العلماء والذين يذكرون عن أبي يزيد وغيره كلمات من الاعتماد الخاص ونفى الفرق ويمذرونه في ذلك يقولون انه غاب عقله حتي قال أنا الحق وسبحاني وما في الحية الا الله ويقولون انه اذا نوي على صاحبه وكان قلبه ضعيفاً يغيب بمحبوبه عن حبه وبوجوده عن وجده وبمذكوره عن ذكره حتى يفتي من لم يكن ويأتي من لم يزل

ويحكون ان شخصاً أتى نفسه في الماء فالتى محبه نفسه خلته فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت فقال غبت بك عنى فظننت أنك انى فمثل هذه الحال التي يزول فيها تمييزه بين الرب والعبد وبين المأثور والمحذور ليست علماً ولا حقال غاية انه نقص عقله الذي يفرق بين هذا وهذا وغايته أن يعذر لان يكون قوله تحقيقاً وتوحيداً كما فعله صاحب منازل السائرين وابن العريف وغيرهما كما ان الاتحاد الامام جملة طائفة تحقيقاً وتوحيداً كبن عربي الطائي وطائفة من الصوفية المدعين للتحقيق يعملون هذا تحقيقاً

وتد ظن طائفة ان الحلاج كان من هؤلاء ثم صاروا حزبيين حزب يقول وقع في ذلك الفناء فكان معذورا في الباطن واكن قتله وجب في الظاهر ويقولون انه تل مجاهد والمتبول شهيد

ويحكون عن بعض الشيوخ انه قال عثر عثرة لو كنت في زمنه لآخذت بيده ويحملون حاله من جنس حال أهل الاصطلام والفناء وحزب ثان وهم الذين يصوبون حال أهل الفناء في توحيد

الربوبية ويقولون هو الغاية يقولون بل الحلاج كان في غاية التحقيق والتوحيد

ثم هؤلاء في قتله فريقان فريق يقول قتل مظلوما وما كان يجوز قتله ويمادون الشرع وأهل الشرع اقتلهم الحلاج ومنهم من يعادى جنس الفقهاء وأهل العلم ويقولون هم قتلوا الحلاج وهؤلاء من جنس الذين يقولون لنا شريعة وأنا حقيقة نخاف الشريعة والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يميزون ما المراد بلفظ الشريعة في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس ولا المراد بلفظ الحقيقة أو الحق أو الذوق أو الوجود أو التوحيد في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس بل فهم من يظن الشرع عبارة عما يحكم به الناذي ومن هؤلاء من لا يميز بين القاضي العالم العادل والقاضي الجاهل والظالم بل ما حكم به حاكم سماه شريعة ولا ريب انه قد تكون الحقيقة في نفس الامر التي يحكمها الله ورسوله خلاف ما حكم به الحاكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقتضي بخوفا أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنه أقطع له قطعة من النار فالحاكم يحكم بما يسمعه من البيعة والاقرار وقد يكون الآخر حجيجه لم يبينها ومثل هذا فالشريعة في نفس الامر هو الامر الباطن وما قضى به القاضي ينفذ ظاهراً وكثير من الامور قد يكون باطنها بخلاف ما يظهر لبعض الناس ومن هذا قصة موسى والحضر فانه كان الذي فعله له مصلحة وهو شريعة أمره الله بها ولم يكن ذلك مخالفاً



انشرع الله لكن لمسلم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده ان هذا لا يجوز فلما بين له الخضر الامور وافقه فلم يكن ذلك مخالفا للشرع وهذا الباب يقال فيه قد يكون الامر في الباطن بخلاف ما يظهر فهذا صحيح لكن تسمية الباطن حقيقة والظاهر شريعة أمر اصطلاحي

ومن الناس من يجهل الحقيقة هي الامر الباطن مطلقا والشريعة في الامور الظاهرة وهذا كما ان لفظ الاسلام اذا قرئ بالايمان اريد به الاعمال الظاهرة ولفظ الايمان يراد به الايمان الذي في القلب كما في حديث جبرائيل فاذا جمع بينهما فقل شرائع الاسلام وحقائق الايمان كان هذا كلاما صحيحا لكن متى أفرد أحدهما فكل شريعة ليس لها حقيقة باطنة ناليس صاحبها من المؤمنين حقاً وكل حقيقة لاتوافق الشريعة التي بعث الله بها تمجدا صلى الله عليه وسلم فصاحبها ليس بمسلم فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين وقد يراد بالفظ الشريعة ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم وبالحقيقة ما يذوقه ويجده الصوفية بقلوبهم ولا ريب ان كلا من هؤلاء مجتهدون تارة مصيدون وتارة مخطئون وليس لواحد منهما ما تعتمد عليه الرسالة ثم ان اتفق اجتهاد الطائفتين والافايس على واحدة أن تقلد الاخرى الا أن تأتي بحجة شرعية توجب موافقتها

فمن الناس من يظن ان الحلاج قتل باجتهاد فقهى يخالف الحقيقة الذوقية التي عليها هؤلاء وهذا ظن كثير من الناس وليس كذلك بل الذي قتل عليه انما هو الكفر وقتل باتفاق الطائفتين مثل دعواه

أنه يقدر أن يارض القرآن بخير منه ودعواه أن من قاله الحج أنه يني  
بيتا يطوف به ويتصدق بشئ قدره وذلك يسقط الحج عنه الي  
أمر أخرى توجب الكفر بانفق المسلمين الذين يشهدون أن محمداً  
رسول الله وكذا علمائهم وعبادهم وفقهائهم وفقراءهم وصوفيتهم  
وفريق يقولون قتل لأنه باح بسر التوحيد والتحقيق الذي ماكن  
ينبغي أن يباح به فان هذا من الاسرار التي لا يسكلم بها الامع خواص  
الناس وهي مما تطوى ولا تروى وينشدون .

من باح بالسر كان القتل شيمته \* بين الرجال ولم يؤخذ له نار  
وأيا

باحوا بالسر تباح دماؤهم (١) \* وكذا دماء البائحين تباح  
وحقيقة قول هؤلاء يشبه قول قائل ان مقاله النصارى في المسيح  
حق وهو موجود لغيره من الانبياء والاولياء لكن ما يمكن ان تصرح  
به لان صاحب الشرع لم يأذن في ذلك وكلام صاحب منازل السائرين  
وأمثاله يشير الى هذا وتوحيده لذي قال فيه

ما وحد الواحد من واحد \* اذ كل من وحده جاحد  
توحيد من يخبر عن نية \* عارية أبداً لها الواحد  
توحيد — دة اياه توحيد — دة \* وامت من ينعمه لا حد

فان حقيقة قول هؤلاء ان الموحّد هو الموحّد وان الناطق بالتوحيد  
على لسان العبد هو الحق وانه لا يوحده الانفس فلا يكون الموحّد الا  
الموحد ويفرقون بين قول فرعون أنا ربكم الاعلى وبين قول الخلاج

أنا الحق أوسبحاني فان فرعون قال ذلك وهو يشهد نفسه فقال عن نفسه  
وأما أهل الفناء فغابوا عن نفوسهم وكان الناطق على لسانهم غيرهم  
وهذا مما وقع فيه كثير من المتصوفة المتأخرين ولهذا رد الجنيد رحمه  
الله على هؤلاء السائل عن التوحيد فقال هو الفرق بين القديم والمحدث  
فبين الجنيد سيد الطائفة ان التوحيد لا يتم الا بأن يفرق بين الرب  
القديم والمحدث لا كما يقوله هؤلاء الذين يحلون هذا هو هذا  
وهؤلاء أهل الاتحاد والحلول الخاص والمقيد

وأما القائلون بالحلول والاتحاد الامام المطلق فاولئك هم الذين يقولون  
انه بذاته في كل مكان أو انه وجود المخلوقات وقد بسط الكلام على  
هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الحلاج لم يكن مقيداً بصنف من هذه الاصناف  
بل كان قد قال من الاقوال التي توجب الكفر والقتل باتفاق طوائف  
المسلمين ما قد ذكر في غير هذا الموضع

وكذلك أنكره أكثر المشايخ وذمروه كالجنيد وعمر بن عثمان المكي  
وأبي يعقوب النهر جوري ومن التمس عليه حله منهم فلم يعرف حقيقة  
مقاله الا من كان يقول بالحلول والاتحاد مطاقاً أو معيناً فانه يظن ان هذا  
كان قول الحلاج وينصر ذلك ولهذا كانت خرقه ابن سبعين فيها من  
رجال الظلم جماعة منهم الحلاج وجماهير المشايخ الصوفية وأهل العلم  
الحلاج عندهم لم يكن من المشايخ الصالحين بل كان زنديقاً لاسباب متعددة  
يطول عندهم وصفها ولم يكن من أهل الفناء في توحيد الربوبية بل

كان قد تعلم السحر وكان له شياطين تخدمه الى امور اخرى مبسوطه في غير هذا الموضع وبكل حال آدم لما اكل هو وحواء من الشجرة لم يكن زائل العقل ولا فانيا في شهود القدر العام ولا احتيج على موسى بذلك بل قال لم تلومني على امر كتبته الله علي قبل أن اخلق فاحتج بالقدر السابق لا يعدم تمييزه بين المأور والمحظوك

(فصل) اذا عرف هذا فنقول الصواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم الا من جهة المصيبة التي اصابته وذريته بما فعل لا لاجل ان تارك الامر مذنب عاص ولهذا قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة لم يقل لماذا خالفت الامر ولماذا عصيت والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال الله تعالى (ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال ابن مسعود وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أحرص على ما ينفعك واستمس بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعمل فان لو تفتح عمل الشيطان فامر به بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس لامباد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره اذا اصابه مصيبة مقدرة أن ينظر الى القدر ولا يخسر بتقدير لا يفيد ويقول قدر الله وما شاء الله فعل ولا يقول لو اني فعلت كذا لكان كذا فيقدر ما لم يقع يتنى ان لو كان وقع فان ذلك انما يورث حيرة وحزنا لا يفيد والتسليم

فلقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الامور امر ان امر فيه حيلة فلا  
 تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وما زال أئمة الهدى من  
 الشيوخ وغيرهم يوصون الانسان بأن يفعل المأمور ويترك المحذور  
 ويصر على المقدور وان كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو كان  
 رجل أفق مله في المعاصي حتى مات ولم يخف لولده مالا أو ظلم الناس  
 بظلم صاروا لاجله يبغيضون أولاده ويحرمونهم ما يعطونه لامثالهم لكان  
 هذا مصيبة في حق الاولاد حصلت بسبب فعل الاب فاذا قال أحدهم  
 لابيّه أنت قلت بنا هذا قبل الابن هذا كان مقدوراً عليكم وأنتم مأمورون  
 بالصبر على ما يصيبكم والاب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير ملوم على  
 ذلك لا يرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق فان كان الاب قد تاب  
 توبة نصوحا وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومه بحال لا من  
 جهة حق الله فان الله قد غفر له ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره  
 ففعله اذا لم يكن هو ظالماً لا واثك فان تلك كانت مقدرة عليهم وهذا  
 مثل قصة آدم فان آدم لم يظلم أولاده بل انما ولدوا بعد هبوطه من  
 الجنة وانما هبط آدم وحواء ولم يكن معهما ولد حتى يقال ان ذنبهما  
 تعدي الى ولدهما ثم بعد هبوطهما الى الارض جاءت الاولاد فلم يكن  
 آدم قد ظلم أولاده ظالماً يستحقون به ملامة وكونهم صاروا في الدنيا  
 دون الجنة أمر كان مقدراً عليهم لا يستحقون به لوم آدم وذنب آدم  
 كان قد تاب منه قال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجاباه ربه  
 فتاب عليه وهدي) وقال (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فلم يبق

مستحقاً لدم ولا عقاب وموسى كان أعلم من أن يلومه بحق الله على ذنب قد علم أنه تاب منه فوسى أيضاً قد تاب من ذنب عمله وقد قال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وآدم أعلم من أن يحتاج بالقدر على أن المذنب لا ملام عليه فكيف وقد علم أن إبليس لعنه الله بسبب ذنبه وهو أيضاً كان مقدراً عليه وآدم قد تاب من الذنب واستغفر فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعا له عند ربه لاحتج به ولم يتب ويستغفر

وقد روى في الاسرائيليات انه احتج به وهذا مما لا يصدق به لو كان محتما فكيف اذا خالف أصول الاسلام بل أصول الشرع والعقل نعم ان كان ذكر القدر مع التوبة فهذا ممكن لكن ليس فيما أخبر الله به عن آدم شيء من هذا ولا يجوز الاحتجاج في الدين بالاسرائيليات الامثبت نقله بكتاب الله أو سنة رسوله فان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وأيضاً فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعا له فلماذا أخرج من الجنة وأهبط الى الارض فان قيل وهو قد تاب فلماذا بعد التوبة أهبط الى الارض

قيل التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله فيبتلى بمد التوبة لينظر دوام طاعته لله قال تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) في التائب من الردة وقال في كاتم العلم (الا الذين تابوا وأصلحوا وينبوا فإوائك أتوب عليهم وأنا اتوب الرحيم) وقال (انه من عمل منكم سواء بحالة تم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وقال

في الذنوب (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم)  
وقال (الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم  
حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى  
الله متاباً) وقال (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)

ولم تاب كعب بن مالك وصاحبه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المسلمين بهجرهم حتى نسأهم ثمانين ليلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم  
في العامدية لما رجعها لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وهل  
وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله

وقد أخبر الله عن توبته على بني اسرائيل حيث قال لهم موسى (يا قوم  
انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا انفسكم  
ذلكم خير لكم عند بارئكم)

واذا كان الله تعالى قد يتلى العبد من الحسنات والسيئات والسراء  
والضراء بما يحصل معه شكره وصبره أم كفره وجزعه وطاعته أم  
معصيته فالتائب أحق بالابتلاء قادم اهبط الى الارض ابتلاء له ووقفه  
الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوط خيراً من حاله قبل الهبوط  
وهذا بخلاف ما لو كان الاحججاج بالقدر نافعاً له فإنه لا يكون عليه ملام  
البتة ولا هناك توبة تقتضي أن يتلى صاحبها بلاء

وأيضاً فان الله قد أخبر في كتابه بعتوبات الكفار مثل قوم نوح  
وهود وصالح وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون وقومه ما يعرف بكل  
واحدة من هذه الوقائع أن لا حجة لاحد في القدر

وأيسا فقد شرع الله من عقوبة المحاريين من الكفار وأهل  
 القبله وقتل المرتد وعقوبة لزانى والسارق والشارب ما يبين ذلك  
 (فصل) فتدتين أن آدم - حج موسى لمقصد موسى أن يلم من  
 كان سببا في مصيبتهم وبهذا جاء الكتاب والسنة قال الله تعالى (ما أصاب  
 من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وقال تعالى (ما أصاب من  
 مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك  
 على الله يسير) وسواء في ذلك المصائب السماوية والمصائب التي تحصل  
 بأفعال الآدميين قال تعالى (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرة  
 جيلا) وقال (وانتدأرسلنا رسلا من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا  
 حتى أتاهم نصرنا) وقال في سورة الطور بعد قوله (فذكر فما أنت بنعمة  
 ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون قل  
 ترصدوا فاني مكم من المرء بصين) الى قوله (أم يقولون تقوله بل  
 لا يؤمنون) الى قوله (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم  
 الغيب فهم يكتبون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك  
 حين تقوم) وقال تعالى في سورة نون (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون  
 أم عندهم الغيب فهم يكتبون) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح  
 بحمد ربك حين تقوم) وقال تعالى في سورة ن (فاصبر لحكم ربك ولا تكن  
 كصاحب الخوت اذ نادى وهو مكظوم)

وقد قيل في معناه اصبر لما يحكم به عليك وقيل اصبر على أذاهم لقضاء

ربك الذي هو آت والاول أصح



وحكم الله نوعان خالق وأمر فلاول ما يقرره من المصائب والثاني ما بأمر به وينهى عنه والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا أن يصبر لما أمر به ولما نهى عنه فيفعل المأمور ويترك المحذور وعليه أن يصبر لما قدره الله عليه وبعض المفسرين بقول هذه الآية منسوخة بآية السيف وهذا يتوجه إذا كان في الآية النهي عن القتال فيكون هذا النهي منسوخا ليس بجميع أنواع الصبر منسوخة كيف والآية لم تتعرض لذلك هنا لا بنفي ولا اثبات بل الصبر واجب لحكم الله ومارال واجباً وإذا أمر بالجهاد فمليه أيضاً أن يصبر لحكم الله فانه يتبلى من قتالهم بما هو أعظم من كلامهم كما ابتلى به يوم أخذوا الخندق وعليه حينئذ أن يصبر ويفعل ما أمر به من الجهاد

والمقصود هنا قوله واصبر لحكم ربك فان ما فعلوه من الاذى هرما حكم به عليك قدرا فاصبر لحكمه وان كانوا ظالمين في ذلك وهذا الصبر أعظم من الصبر على ما جرى وفعل بالانبياء وقوله (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) وقال (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظان أن ان تقدر عليه فنادى في الظلمات) وسواء كان مغاضبا لقومه أو لربه فكانت مغاضبته من أمر قدر عليه وصبره صبر لحكم ربه الذي قدره وقضاه وان كان انما تأذى من تكذيب الناس له وقالت الرسل لقومهم ومالما أن لا تتوكل على الله وقد هدانا سبانا ولنصبرن على ما آذيتعونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال موسى لقومه لما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانافقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده  
والعاقبة للمتقين) وقال (فاصبروا وعد الله - حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى  
(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظالموا لئن لم يكن لهم نصرة من الله لكانوا  
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون لئن صبروا وعلى ربهم يتوكلون)  
فهؤلاء ظالموا فصبروا على ظلم الظالم لهم وسبب نزولها المهاجرون الى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عامة في كل من اتصف بهذه الصفة

وأصل المهاجر من هجر ما نهى الله عنه كما ثبت ذلك عن النبي صلى  
الله عليه وسلم فكل من هجر السوء فظلمه الناس على ترك الكفر  
والتفسيق والعصيان حتى أخرجوه الى هجر بعض أموره في الدنيا فصبر  
على ظلمهم فان الله يبوؤهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر كيوسف  
الصديق فانه هجر الفاحشة حتى ألجأه ذلك الى هجر منزله والبيت في  
السجن بعد ما ظلم فيكنه الله حتى تبوأ من الارض حيث يشاء وقال  
الذين اتقوا الكفار (ربنا أفرغ علينا صبرا) وقال (ان يكن منكم عشرون  
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين  
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا  
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا  
ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وقال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة  
باذن الله والله مع الصابرين)

فهذا كله صبر على ما قدر من أفعال الخلق والله سبحانه مدح في  
كتابه الصبار الشكور كما قال (ان في ذلك آيات لكل صبار شكور) في

غير موضع فالصبر والشكر على ما يقدره الرب بعبد من السراء والضراء من النعم والمصائب من الحسنات التي يبلو بها والسيئات فعليه أن يتلقى المصائب بالصبر والنعم بالشكر ومن النعم ما يسره له من أفعال الخير ومنها ما هي خارجة عن أفعاله فيشهد القدر عند فعله للطاعات وعند انعام الله عليه فيشكره ويشهده عند المصائب فيصبر وأما عند ذنوبه فيكون مستغفراً تائباً كما قال (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك) وأما من عكس هذا فشهد القدر عند ذنوبه وشهد فعله عند الحسنات فهو من أعظم المجرمين ومن شهد فعلهما فيهما فهو قدرى ومن شهد القدر فيهما ولم يعترف بالذنب ويستغفر فهو من جنس المشركين

وأما المؤمن فيقول أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي كما في الحديث الصحيح لا اله الا الله بعبادى انما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم منبأ ما أمر به من الصبر على أذى الحاق في الصحيحين عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له ولا دابة ولا شيئاً قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا ينيل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يقم انضبه شيء حتى ينتقم لله وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعاتبه لم فعلته ولا شيء لم أنعله لم لافعه وكان بعض أهله إذا عتبنى على شيء يقول دمهوه دمهوه

فلو قضى شيء لكان

وفي المتن عن ابن مسعود رضي الله عنه انه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قول بعض من آذاه فقال دعنا منك فتدأوى موسى بأكثر من هذا فصبر فكان يصبر على أذى الناس له من الكفار والمنافقين وأذى بعض المؤمنين كما قال (ان ذلك كان يؤذى النبي فيستحي منكم) وكان يذكر ان هذا مقدر والمؤمن مأثور بأن يصبر على المقدور وكذلك قال (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فالتقوى فعل المأثور وترك المحذور والصبر الصبر على أذاهم

ثم انه حيث أباح المأقبة قال (وان عاقبتم فعاقبوا بمنزل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خبير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا لك في ضيق مما يمكرون) فاخبر ان صبره بالله فالله هو الذي يعينه عليه فان الصبر على المكروه بترك الانتقام من الظالم ثقيل على النفس لكن صبره بالله كما أمره أن يكون لله في قوله (ولربك فاصبر) لكن هناك ذكره في الجملة الطالبة الامرية لانه مأثور أن يصبر لله لا لغيره وهنا ذكره في الخبرية فقال وما صبرك الا بالله فان الصبر وسائر الحوادث لا تقع الا بالله ثم قد يكون ذلك وقد لا يكون فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم ولا يقال واصبر بالله فان الصبر لا يكون بالله لكن يقال استعينوا بالله واصبروا فاستعين بالله على الصبر وكما ان الانسان مأثور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب فهو مأثور بذنك عند ما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها

حاجته ونقره الى اعانة الله له وتحقق قوله اياك نعبد واياك نستعين وبدعو  
بالادعية التي فيها طاب اعانة الله له على فعل الطاعات كقوله أعني على  
ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقوله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على  
دينك ويا مصرف القلوب اصرف قلبي الى طاعتك وطاعة رسولاك  
وقوله (ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك  
أنت الوهاب) وقوله (وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا)  
ومثل قوله اللهم الهمني رشدي واكفني شر نفسي ورأس هذه الادعية  
وأفضلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير  
المغضوب عليهم ولا الضالين)

فهذا الدعاء أنضل الادعية وأوجبها على الحق فانه يجمع صلاح العبد في  
الدين والدنيا والآخرة وكذلك الدعاء بالتوبة فانه يتضمن الدعاء بان يلهيهم  
العبد التوبة وكذلك دعاء الاستحارة فانه طلب تعاليم العبد ما لم يعلمه  
وتيسيره له

وكذلك الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به اذا قام  
من الليل وهو في الصحيح اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر  
السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا  
فيه يخلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من  
تشاء الى صراط مستقيم

وكذلك الدعاء الذي فيه أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين  
معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا

مصائب الدنيا وكذلك الدعاء باليقين والعافية كما في حديث أبي بكر  
وكذلك قوله اللهم أصلح لى قلبى ونيتى ومثل قول الخليل واسماعيل  
(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذه أدعية  
كثيرة تتضمن افتقار العبد الى الله في أن يعطيه الايمان والعمل الصالح  
فهذا افتقار واستعانة بالله قبل حصول المطلوب فاذا حصل بالدعاء أو  
غير الدعاء شهد انعام الله فيه وكان في مقام الشكر والعبودية لله وان  
هذا حصل بفضلله واحسانه لاجل العبد وقوته

فشهود القدر في الطاعات من أنفع الامور للعبد وغيبته عن ذلك  
من أضر الامور به فانه يكون قدريا منكرا للنعمة الله عليه بالايمان  
والعمل الصالح وان لم يكن قدرى الاعتقاد كان قدرى الحال وذلك  
يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق  
الجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف  
بها لامع الاحتجاج بالقدر عليها خيرا من هذا الذى يشهد الطاعة  
منه لامن احسان الله اليه ويكون أوائك المذنبون بما مغفهم من الايمان  
أفضل من طاعة بدون هذا الايمان وأما من أذنب وشهد أن لا ذنب له  
أصلا ليكون الله هو الفاعل وعند الطاعة يشهد أنه الفاعل فهذا شر  
الحاق وأما الذى يشهد نفسه فاعلا للامرين والذى يشهد ربه فاعلا  
للامرين ولا يرى له ذنباً فهذا أسوأ عاقبة من القدرى والقدرى أسوأ  
بداية منه كما هو مبسوط في موضع آخر

والناس في هذا المقام أربعة أقسام من بغضب لربه لالنفسه وعكسه

ومن يغضب لهما ومن لا يغضب لهما كما أنهم في شهود القدر أربعة  
أقسام من يشهد الحسنة من فعل الله والسيئة من فعل نفسه وعكسه  
ومن يشهد الاثنين من فعل ربه ومن يشهد الاثنين من فعل نفسه  
فهذه الأقسام الأربعة في شهود الربوبية نظير تلك الأقسام الأربعة في  
شهود الألوية فهذا تقسيم العباد فيما لله ولهم وذلك تقسيمهم فيما هو بالله  
وبهم والقسم المحض أن يعمل لله بالله فلا يعمل لنفسه ولا بنفسه

والمقصود هنا تقسيمهم فيما لله فاعلام حال النبي صلى الله عليه  
وسلم ومن اتبعه وهو أن يصبروا على أذى الناس لهم باليد واللسان  
ويجاهدوا في سبيل الله فيما يقبضون ويغضبون وينتقمون لله لأنفسهم  
يعاقبون لأن الله يأمر بمقوبة ذلك الشخص ويجب الانتقام منه كما في  
جهاد الكفار وإقامة الحدود وأدنانهم عكس هؤلاء يبغضون وينتقمون  
ويعاقبون لأنفسهم لا لربهم فاذا أذى أحدهم أو خولف هواه غضب  
وانتقم وعاقب ولو انتهكت محارم الله أو ضيعت حقوقه لم يرجعه ذلك  
وهذا حال الكفار والمنافقين وبين هذين وهذين قسم يغضبون  
لربهم وأنفسهم وقسم يميلون إلى العفو في حق الله وحقوقهم فوسى  
في غضبه على قومه لما عبدوا المجل كان غضبه لله وقد مثل النبي صلى  
الله عليه وسلم في حقوق الله أبا بكر وعمر إبراهيم وعيسى ونوح وموسى  
فقال إن الله يلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ويشدد  
قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجر ومثلك يا أبا بكر كمثل  
إبراهيم وعيسى ومثلك يا عمر كمثل نوح وموسى وأما عفو الإنسان

عن حقوقه فهذا أفضل وإن كان الاقتصاص جازاً وكذلك غضبه لنفسه تركه أفضل وإن كان الاقتصاص جازاً وأما ما كان من باب المصائب الخاصة بقدر الله ولم يبق فيها مذنب بإقرب فليس فيها إلا الصبر والتسليم المقدر

وقصة آدم وموسى كانت من هذا الباب فإن موسى لا اله لاجل ما أصابه والذرية وآدم كان قد تاب من الذنب وغفر له والمصيبة كانت مقدرة فنجح آدم وموسى وهكذا قد يصيب الناس مصائب بفعل أقوام مذنبين وتابوا مثل كافر يقتل مسلماً ثم يسلم ويتوب الله عليه أو يكون متأولاً لبدعة ثم يتوب من البدعة أو يكون مجتهداً أو مقلداً مخطئاً فهو لاء إذا أصاب العبد أذى بفعلهم فهو من جنس المصائب السماوية التي لا يطالب فيها قصاص من آدمي

ومن هذا الباب القتال في الفتنة قال الزهري وقت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فاجمعوا إن كل دم أو مال أو جرح أصيب بأوّل القرآن فهو هدر وكذلك قتال البغاة المتأولين حيث أمر الله بقتالهم إذا قاتلهم أهل العدل فاصابوا من أهل العدل نفوساً وأموالاً لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء كابي حنيفة ومالك والشافعي في أحد قوليه وهذا ظاهر مذهب أحمد

وكذلك المرتدون إذا صار لهم شوكة فقاتلوا المسلمين وأصابوا من دماءهم وأموالهم كما اتفق الصحابة في قتال أهل الردة أنهم لا يضمنون بعد إسلامهم ما أتلفوه من النفوس والأموال فانهم كانوا متأولين وإن



كان تأويلهم باطلا

كما ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه مضت بان الكفار اذا قتلوا بض المسلمين وأتلفوا أموالهم ثم أسلموا لم يضمنوا ما أصابوه من النفوس والاموال وأصحاب تلك النفوس والاموال كانوا يجاهدون قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فبوض ما أخذ منهم على الله لاعلى أولئك الظالمين الذين قاتلهم المؤمنون واذا كان هذا في الدماء والاموال فهو أولى

فمن كان مجاهداً في سبيل الله باللسان بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الدين وتبليغ ما في الكتاب والسنة من الامر والنهي والخير والخبير وبيان الاقوال المخالفة لذلك والرد على من خالف الكتاب والسنة أو باليد كقتال الكفار فاذا أودى على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطالب من هذا الظالم عوض مظلمته بل هذا الظالم ان تاب وقبل الحق الذي جوهده عليه فالتوبة تجب ما قبلها (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وان لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة فهو مخالف لله ورسوله والحق في ذنوبه لله ولرسوله وان كان أيضاً للمؤمنين حق تبعاً لحق الله وهذا اذا عوقب عوقب لحق الله ولتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لا لاجل الفصاص فقط

والكفار اذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يمثلوا بهم فلامسلمين أن يمثلوا بهم كما مثلوا والصبر أفضل واذا مثلوا كان ذلك من تمام الجهاد

والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين وأما الدعاء على معينين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم يلعن فلانا وفلانا فهذا قد روى أنه منسوخ بقوله ليس لك من الأمر شيء كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع فيما كتبت به بقامة مصر

وذلك لأن المعين لا يعلم أن رضا الله منه أن يهلكه بل قد يكون ممن يتوب الله عليه بخلاف الجنس فإنه إذا دعا عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلموا أهل الإيمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحبه الله وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله يرضاه فمهم مأمور به وقد كان يفعل ثم نهى عنه لأن الله قد يتوب عليه أو يعذبه ودعاء نوح على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمه الله أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول اني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أؤمر بها فإنه وإن لم ينه عنها فلم يؤمر بها فكان الأولى أنه لا يدعو إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب فإن الدعاء من العبادات فلا يعبد الله إلا بمأمور به واجب أو مستحب وهذا لو كان مأمورا به لكان شرعا لنوح ثم ننظر في شرعنا هل نسخه أم لا

وكذلك دعاء موسى بقوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الاليم) إذا كان دعاء مأمورا به بقي

النظر في موافقة شرعنا له

والقاء عدة الكلية في شرعنا ان الدعاء ان كان واحباً أو مستحباً فهو حسن يثاب عليه الداعي وان كان محرماً كالدعاء في الدعاء فهو ذنب ومعصية وان كان مكروهاً فهو ينقص مرتبة صاحبه وان كان مباحاً مستوى الطرفين فلا له ولا عليه فهذا هذا والله سبحانه أعلم

(فصل) وكلا الطائفتين الذين يسلكون الى الله محض الارادة والمحبة والدنو أو القرب منه من غير اعتبار بالامر والنهي المنزلين من عند الله وهم الذين ينتهون الى الفناء في توحيد الربوبية وهم يقولون بالجمع والاصطلام في توحيد الربوبية ولا يصلون الى الفرق الثاني ويقولون ان صاحب الفناء لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ويحبون هذه غاية السلوك والذين يفرقون بين ما يستحسنونه ويستقبحونه ويحبونه ويكرهونه ويأمرون به وينهون عنه لكن بارادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله كلا الطائفتين متبع لهواهم بغير هدى من الله وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمداً رسول الله فان تحقق الشهادة بالتوحيد يقتضى أن لا يجب الا لله ولا يبغيض الا لله ولا يوالى الا لله ولا يعادى الا الله وان يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه وانك لا ترجو الا الله ولا تخاف الا الله ولا تسأل الا الله وهذا ملة ابراهيم وهذا الاسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين

(والمفناء في هذا هو الفناء المأمور به) الذي جاء به الرسل وهو

المتنابيين بلا مرجح وكلاهما يقول لافرق بين الارادة والمحبة والرضا  
ثم قالت الفدرية وقد علم بالكتاب والسنة واجماع الصاف ان الله  
يحب الايمان والعمل الصالح ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر  
بل يكره الكفر والفسوق والعصيان قلوا فيلزم من ذلك أن يكون كل  
ما في الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته وارادته كما هو واقع على  
خلاف أمره وخلاف محبته ورضاه وقلوا ان محبته ورضاه لاعمال  
عباده هو بمعنى أمره لها فكذلك ارادته لها هو بمعنى أمره لها فلا يكون  
قط عندهم مريدا لغير ما أمر به وأخذ هؤلاء يتأولون ما في القرآن من  
ارادته لكل ما يحدث ومن خاقه لأفعال العباد بتأويلات محرفة

وقالت الجهمية ومن اتبها من الاشعرية وأمثالهم قد علم بالكتاب  
والسنة والاجماع ان الله خالق كل شيء وربهم ومليكه ولا يكون خاقا الا  
بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو  
بمشيئته وقدرته وهو خالقه سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها

ثم قلوا واذا كان مريدا لكل حادث والارادة هي المحبة والرضا فهو  
محب راض بكل حادث وقالوا كل ما في الوجود من كفر وفسوق  
وعصيان فان الله راض به محبه له كما هو مريد له

ف قيل لهم فقد قال تعالى لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر  
فقالوا هذا بمنزلة ان يقال لا يريد الفساد ولا يريد لعباده الكفر وهذا  
يصح على وجهين اما أن يكون خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفساد ولا  
ريب ان الله لا يريد ولا يحب ما لم يقع عندهم فقالوا معناه لا يحب الفساد

العبادة المؤمنين ولا يرضاه لهم

وحقيقة قولهم ان الله لا يحب الايمان ولا يرضاه من الكفار فالمحبة والرضا عندهم كالارادة عندهم متعلقة بما وقع دون ما لم يقع سواء كان مأمورا به أو منهيًا عنه وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو نقاوتهم وعندهم ان الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان ولا يحب ما لم يوجد من الايمان والطاعة كما أراد هذا دون هذا

والوجه الثاني قالوا لا يحب الفساد دينًا ولا يرضاه دينًا وحقيقة هذا القول انه لا يريد دينًا فانه اذا أراد وقوع الشيء على صفة لم يكن مراد له على خلاف تلك الصفة وهو اذا أراد وقوع شيء مع شيء لم يرد وقوعه وحده فاذا أراد أن يخلق زيدًا من عمر ولم يرد أن يخلق من غيره واذا أراد أن ينزل مطر افتتحت الارض به فانه أراد انزاله على تلك الصفة واذا أراد أن يركب البحر قوم فيغرق بعضهم ويسلم بعضهم ويرج بعضهم فانما اراده على تلك الصفة فكذلك الايمان والكفر قرن بالايمان نفيم لاصحابه وبالكفر عذاب لاصحابه وان لم يكن عندهم جمل شيء لشيء سببا ولا خاق شيئًا لحكمة لكن جمل هذا مع هذا

وعندهم جعل السعادة مع الايمان لانه كما يقولون انه خلق الشيع عند الاكل لانه قال الذين الذي أمر به هو ما قرن به سعادة صاحبه في الآخرة و لكفر والفسوق والعصيان عندهم أحبه ورضيه كما أراد له لكن لم يحبه مع سعادة صاحبه فلم يحبه دينًا كما انه لم يرد مع سعادة صاحبه

فلم يحبه ديننا كما انه لم يردده مع سعادة صاحبه فلم يردده ديننا وهذا المشهد الذي شهده أهل الفناء في توحيد الربوبية فانهم رأوا الرب تهلى خالق كل شئ بإرادته وعلم أن سيكون ما أراد ولا سبب عندهم لشيء ولا حكمة بل كل الحوادث تحدث بالإرادة

ثم الجهم بن صفوان ونفات لصفات من العزلة ونحوهم لا يثبتون ارادة قائمة بذاته بل اما أن ينفوها راما أن يحملوها بمعنى الخلق والامر أن يقولوا أحدث ارادة لافي محمل واما مثبتة الصفات كإن كلاب والاعمى وغيرها ممن يثبت الصفات ولا يثبت الاواحدة معنا فلا يثبت الا ارادة واحدة تتعاقب بكل حادث وسعنا واحدا معنا متعلقا بكل مسموع وبصرا واحدا معنا متعلقا بكل مرئي وكلاما واحدا بالعين يجمع جميع أنواع الكلام كما قد عرف من مذهب هؤلاء

فهؤلاء يقولون جميع الحوادث صادرة عن تلك الارادة لواحدة العين المفردة التي ترجح أحد المتماثلين لا بمرجح وهي المحبة والرضا وغير ذلك وهؤلاء اذا شهدوا هذا لم يبق عندهم فرق بين جميع الحوادث في الحسن والتبجح الا من حيث موافقتها للانسان ومخالفة بعضها له فمما رائق مراده ومحجوبه كان حسنا عنده وما خالف ذلك كان قبيحا عنده فلا يكون في نفس الامر حسنة يحبها الله ولا سيئة يكرهاها الا بمعنى ان الحسنه هي ما قرن بها لذة صاحبها والسيئة ما قرن بها ألم صاحبها من غير فرق يعود اليه ولا الى الافعال أصلا ولهذا كان هؤلاء لا يثبتون حسنا ولا قبيحا لا بمعنى اننا لم نلطبع والمنافي له والحسن والقبح النعري هو ما دل صاحبه على أنه

قد يحصل لمن فله لذة أو حصول ألم له ولهذا يجوز عندهم ان يأمر الله بكل شيء حتى الكفر والفسوق والمصيان وينهى عن كل شيء حتى عن الايمان والتوحيد ويجوز نسخ كل ما أمر به بكل ما نهى عنه ولم يبق عندهم في الوجود خير ولا شر ولا حسن ولا قبيح الا بهذا الاعتبار فما في لوجود ضر ولا نفع والنفع والضر أمران اضافيان فربما نفع هذا مضر هذا كما يقال \* مصائب قوم عند قوم فوائد \*

فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يستقدونه ويشهدونه صاروا حزبين حزبا من أهل الكلام والرأى أقروا بالفرق الطبعي وقالوا ما من فرق الا الفرق الطبعي ليس هنا فرق يرجع الى الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا

ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد اما لقوله بالارجاء واما لظنه ان ذلك لمصلحة الناس في الدنيا اقامة للعادل كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل الا ما يحبه هو ويبغضه فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه

وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأى الذين يرون رأى جهما والاشعري ونحوهما في القدر تجددهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والمواودة والمعاداة الا الى محض أهوائهم وارادتهم وهو الفرق الطبعي ومن كان منهم مؤمناً بالوعد فانه قد يفعل الواجبات ويترك المحرمات لكن لاجل ما قرن بهما من الامور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ونكاح

وهؤلاء ينكرون محبة الله ولتليذ بالنظر اليه وعندهم اذا قيل ان العباد ينلذذون بالنظر اليه فعنده انهم عند النظر يخلق لهم من اللذات بالمخلوقات ما ينلذذون به لا ان نفس النظر الي الله يوجب لذة

وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية وجعل هذا من أسرار التوحيد وهو من انوار التوحيد لذى يسميه هؤلاء النفات توحيداً ليس من أسرار التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتاب فان المحبة لا تكون الا ما في في المحبوب بحبه المحب وليس عندهم في الموجودات شئ يحبه الرب الا بمعنى يريده وهو مريد لكل الحوادث ولا في الرب عندهم معنى يحبه العبد وانما يحب العبد ما يشتهي وانما يشتهي الامور الطبيعية الموافقة لطبعه ولا يوافق طبعه عندهم الا اللذات البدنية كالأكل والشرب والتمتع

والحزب الثاني من الصوفية الذى كان هذا المشهد منتهى سلوكهم صرفوا الفرق الطيبى وهم قد سلكوا على ترك هذا الفرق الطيبى وانهم يزهدون في حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئاً لأنفسهم وعندهم ان من طلب شيئاً للكل والشرب في الجنة قائماً طاب هواه وحظه وهذا كله نقص عندهم ينافي حقيقة الفناء في توحيد الربوبية وهو بقاء مع النفس وحظوظها والمقامات كلها عندهم التوكل والمحبة وغير ذلك انما هي منازل أهل النزع السائرين الى عين الحقيقة فاذا نهضوا توحيد الربوبية كان ذلك عندهم عالماً في الحقيقة اما لنقص المعرفة والله ود اما لأنه ذنب عن النفس وطلب حظوظها فانه من شهد ان كل ما في



الوجود فالرب يحبه ويرضاه ويريد له لافرق عنده بين شيء وشيء الا أن من الامور مامعه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها ومنها مامعه ألم لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فانه قطعاً يرى أن كل من فرق بين شيء وشيء لم يفرق الا لنقص معرفته وشهوده ان الله رب كل شيء ومريد لكل شيء ومحب على قولهم لكل شيء

واما لفرق برجع الى حظه وهواه فيكون طالبا لحظه ذابا عن نفسه وهذا علة وعيب عندهم فعصار عندهم كل من فرق اما ناقص المعرفة والشهادة واما ناقص القصد والارادة وكلاهما علة بخلاف صاحب الفناء في مشهد الربوبية فانه يشهد كل ما في الوجود بباراته ومحبته ورضاه عندهم لافرق بين شيء وشيء فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما قاله صاحب منازل السائرين

ولهذا في الكلام المنقول عن الذبيلى وأبى يزيد انه قال اذا رأيت أهل الجنة يتمتعون في الجنة وأهل النار يعذبون في النار وقع في قلبك فرق خرجت عن حقيقة التوكل أو قال التوحيد الذي هو أصل التوكل ومعلوم ان هذا الفرق لا يمد من الحيوان دائماً بل لا بد له منه يتل الى ما لا بد له منه من أكل وشرب لكنه في حال الفناء قد يكون مستغرقا في ذلك المشهد ولكن لا بد أن يميل الى أمور يحتاج اليها فيريدها وأمور تضره فيكرهها وهذا فرق طبعي لا يخلو منه بشر لكن قد يقولون بلافرق في الامور الضرورية التي لا يقوم الانسان الا بها من طعام ولباس ونحو ذلك فيكتفون في الدنيا والآخرة لا بد

منه من طعام ولباس ويرون هذا الزهد هو الغاية فيزهـدون في كل شيء بـمـنـي انـهم لا يريدونه ولا يكرهونه ولا يحبونه ولا يبغضونه ويكون زهـدـهم في المساجد كزهـدـهم في الحانات ولهـذا اذا قدم الشيخ الكبير منـهم بلداً يبدؤ بالبغايا في الحانات ويقول كيف أنتم في قدر الله فانه لا فرق عنده في هذا المشهد بين المساجد والكنائس والحانات وبين أهل الصلاة والاحرام وقراءة القرآن وأهل الكفر وقطاع الطريق والمشركين بالرحمن ولا ريب ان فسادهم وغيبتهم عن شهود الالهية والنبوة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وما تضمنه من الفرق يرجع الي تنص العلم و"شهود والايمان والتوحيد فشهدوا امتان نعمت الرب وغابوا عن آخر وهذا نقص وقد يرون أن شهود الذات مجردة عن الصفات أكمل ويقولون بشهود الافعال ثم شهود الصفات ثم شهود الذات المجردة

وربما جعلوا الاول للنفس والثاني للقلب والثالث للروح ويحملون هذا النقص من ايمانهم ومعرفةهم وشهودهم هو الغاية فيكونون مضاهين للجهمية نفاة الصفات حيث أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات وقالوا هـذا هو الكمال لكن أولئك يقولون بانتفاءها في الخارج فيقولون انهم يشهدون انها منتفية بانتفاءها في الخارج فيقولون انهم يشهدون انها منتفية وهؤلاء يشبثونها في الخارج علما واعتقاداً ولكن يقولون الكمال في أن يغيب عن شهودها ولا يشهدون فيها الكمال لا يشهدوا ثبوتها وهـذا نقص عظيم وجهل عظيم اما أولاً فلانهم شهدوا الامر على خلاف ما هو

عليه فذات مجردة عن الصفات لاحقيقة لها في الخارج وأما الثاني فهو  
مطلوب الشيطان من التجهيم ونفي الصفات فان عدم العلم والشهود  
اثبتوها يوافق فيه الجهمي المعتقد لاستغنائها

ومن قال أعني أن محمداً ليس برسول وقال الآخر وان كنت  
أعلم رسالته فانا فني عنها فلا أذكرها ولا أشهد بها فهذا كافر كالاول  
فالكفر عدمه - يدق الرسول سواء كان معه اعتقاد تكذيب أم لا بل  
وعدم الاقرار بما جاء به والمحبة فمن ألزم قلبه أن يغيب عن صفات الله  
كما يعرف ذاته وألزم قلبه أن يشهد ذاتا مجردة عن الصفات فقد ألزم  
قلبه أن لا يحصل له مقصود الايمان بالصفات وهذا من أعظم الضلال  
وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم انه اذا لم يشهد  
الا فعمل الرب فيه فلا اثم عليه وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم  
القاتلة وقال أنا أشهد أن الله هو الذي أطمعني ولا يضرنى وهذا جهل  
عظيم فان الذنوب والسيئات تضر الانسان أعظم مما تضره السموم  
وشهوده ان الله فاعل ذلك لا يدفع ضررها ولو كان هذا دافعا لضررها  
ليكان أنبياء الله وأوليائوه المنتقون أقدر على هذا الشهود الذي يدفعون  
به عن أنفسهم ضرر الذنوب

ومن هؤلاء من يظن ان الحق اذا وهبه حالا يتصرف به وكشفه  
لم يحاسبه على تصرفه به وهذا بمنزلة من يظن اذا أعطاه ملكا لم يحاسبه  
على تصرفه به وقد قل النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت  
ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجبد منك الجبد فيبين انه مع انه

المعطي المانع فلا ينفع المجدود جده انما ينفعه الايمان والعمل الصالح  
فهذا أصل عظيم ضل بالخطأ فيه خالق كثير حتى آل الامر بكثير  
من هؤلاء الى أن جعلوا أولياء الله المتقين يقاتلون أنبياءه وبماونون  
أعداءه وانهم مأمورون بذلك وهو أمر شيطاني قدرى

ولهذا يقول من يقول منهم ان الكفار لهم خفراء من أولياء الله  
ويظن كثير منهم ان أهل الصفاء قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعض  
الغزى فقال يا أصحابي تخجلوني وتذنبون عني فقالوا نحن مع الله من  
كان مع الله كنا معه

ويجوزون قتال الانبياء وقتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان  
بالشام لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا فانه ليس في مشيئتهم لله محبوب  
مريض مراد الا ما يقع فما وقع فالله يحبه ويرضاه وما لم يقع فالله لا يحبه  
ولا يرضاه والواقع هو تتبع القدر لمشيئة الله وقدرته فما شاء كان وما لم  
يشأ لم يكن فهم من غلب كانوا معه لان من غلب كان القدر معه والمقدور  
عندهم هو محبوب الحق فاذا غلب الكفار كانوا معهم واذا غلب  
المسلمون كانوا معهم واذا كان الرسول منصورا كانوا معه واذا غلب  
أصحابه كانوا مع الكفار الذين غابوهم وهؤلاء الذين يصلون الى هذا  
الحلد غالهم لا يعرف وعيد الآخرة فان من أقر بوعيد الآخرة وانه  
للكفار لم يمكنه أن يكون معاونا للكفار مواليا لهم على ما يوجب  
وعيد الآخرة

لكن قد يقولون بسقوطه مطلقا وقد يقولون بسقوطه عن شهد

توحيد الربوبية وكان في هذه الحقيقة القدرية وهذا بقوله طائفة من  
 شيوخهم كالشيخ المذكور وغيره فلهذا يوجد هؤلاء الذين يشهدون  
 القدر المحض وليس عندهم غيره الا ما هو قدر أيضا من نعم أهل  
 الطاعة وعقوبة أهل المعصية لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر  
 ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار  
 بل اذا رأى أحدهم من يدعو قال الفقير والمحقق أو العارف ماله  
 ولهذا يفعل الله ما يشاء وينصر من يريد فان عنده ان الجميع واحد  
 بالنسبة الى الله وبالنسبة اليه أيضا فانه ليس له غرض في نصر احدى  
 الطائفتين لامن جهة ربه فانه لا فرق على رأيه عند الله تعالى بينهما  
 ولا من جهة نفسه فان حظوظه لا تنقص باستيلاء الكفار بل كثير منهم  
 تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين والظلمة أعظم  
 وعامة من معهم من الخفراء هم من هذا الضرب فان لهم حظوظا  
 ينالونها باستيلائهم لا تحصل لهم باستيلاء المؤمنين وشياطينهم نحب تلك  
 الحظوظ المذمومة ونفريهم بطاعتهم وتخطيهم الشياطين بأمرهم وكشف  
 يظنونه من جهة الله وان الله هو أمرهم ونهاهم وانه حصل لهم من  
 المكاشفة ما حصل لاولياء الله المتقين ويكون ذلك كله من الشياطين وهم  
 لا يفرقون بين الاحوال الرحمانية والشيطنانية لان الفرق مبنى على  
 شهود الفرق من جهة الرب تعالى وعندهم لا فرق بين الامور الحادثة  
 كلها من جهة الله تعالى انما هو مشيئة محضة تناولت الاشياء تناولا  
 واحدا فلا يحب شيئا ولا يبغض شيئا ولهذا يشترك هؤلاء في جنس

السمع الذي ينير في النفوس من الحب والوجد والذوق فيثير من قاب كل أحد حبه وهواه وأهواؤهم منفردة فانهم لم يجتمعوا على محبة ما يحبه الله ورسوله اذ كان محبوب الحق على أصل قلوبهم هو ما قدره فوقع واذا اختلفت أهواؤهم في الوجد اختلفت أهواء شياطينهم فقد يقتل بعضهم بعضاً بشياطينه لانها أقوى من شياطين ذلك

وقد يساهبه مامعه من الحال الذي هو التصرف والمكاشفة الحاصلة له بسبب شياطينهم فتكون شياطينه هربت من شياطين دالك فيضعف أمره ويسلب حله كمن كان ملكاً له أعوان فاخذت أعوانه فيبقى ذليلاً لا ملك له

فكثير من هؤلاء كالمالك الظالمة الذين يعادى بعضهم بعضاً اما مقتول وامام أسور وامام هزوم فان منهم من بأسر غيره فيبقى تحت تصرفه ومنهم من يساهبه غيره فيبقى لاحال له كالمالك المهزوم فهذا كله من تفريع أصل الجهمية الغلاة في الجبر في القدر

فانما يخاف من هذا كله من أثبت لله محبة لبعض الابرار وبعضاً لبعضها ورضا لبعضها وغضباً من بعضها وفرحاً ببعضها وسخطاً لبعضها كما أخبرت به الرسل وانطقت به الكتب وهذا هو الذي يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويعلم ان التوحيد الذي بعثت به الرسل أن يعبد الله وحده لا شريك له فيعبد الله دون ما سواه

وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) فينيب قلبه الى الله ويسلم له ويتبع ملة ابراهيم خفيلاً

ومن أحسن ديننا من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ لله إبراهيم خايلاً) وعلم أن ما أمر الله ورسوله به فإن الله يحبه وبرضاه وما نهى عنه فإنه يبغضه وينهى عنه ويمقت عليه ويستخط على فاعله فصار يشهد الفرق من جهة الحق تعالى ويعلم أن الله تعالى يحب أن يعبد وحده لا شريك له ويبغض من يجده لهُ أنداداً يحبونهم كحب الله وإن كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كمشركي العرب وغيرهم وإن هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية أهل الفناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تحرصون قلى فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فإن هؤلاء المشركين لما أنكروا ما ثبت به الرسل من الأمر والنهي وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهم يقرون بتوحيد الربوبية وإن الله خالق كل شيء مابقي عندهم من فرق من جهة الله تعالى بين أمور ومحظور

فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء وهذا حق فإن الله لو شاء أن لا يكون هذا لم يكن لـكن أي فائدة لهم في هذا هذا غايته إن هذا الشرك والتحريم بقدر ولا يلزم إذا كان مقدراً أن يكون محبوباً مرضياً لله ولا علم عندهم بأن الله أمر به ولا أحبه ولا رضى به بل ليسوا في ذلك إلا على ظن وخرص

فان احتجوا بالقدر فالقدر عام لا يختص بحالهم وان قالوا نحن نحب هذا ونسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبيعي لانتفاء الفرق من جهة الحق تعالى ولا علم عندكم بانتفاء الفرق من جهة الله تعالى والجهمية المثبتة لا شرع تقول بان الفرق الثابت هو أن التوحيد قرن به النعيم والشرك قرن به العذاب وهو الفرق الذي جاء به لرسول وهو عندهم يرجع الى علم الله بما سيكون واخباره بل هؤلاء لا يرجع الفرق عندهم الى محبة منه لهذا وبنقض لهذا وهؤلاء يوافقون المشركين في بعض قولهم لافي كله كما ان القدرية من الامة الذين هم مجوس الامة يوافقون المجوس المحضة في بعض قولهم لافي كله والا فالرسول قد دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له والى محبة الله دون ما سواه والى أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواها والمحبة تتبع الحقيقة فان لم يكن المحبوب في نفسه مستحقا لان يحب لم يجز الاسر بمحبته فضلا عن ان يكون أحب إلينا من كل ما سواه واذا قيل محبته محبة عبادته وطاعته قيل محبته لعباده والطاعة فرع على محبة المعبود المطاع وكل من لم يحب في نفسه لم تحب عبادته وطاعته

ولهذا كان الناس يبعضون طاعة الشخص الذي يبعضونه ولا يمكنهم مع بفضه محبة طاعته الا لغرض آخر محبوب مثل عوض بمطعم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض فلا يكون الله ورسوله أحب اليهم مما سواها الا بمعنى أن العوض الذي يحصل على



ذاك من المخلوقات أحب اليهم من كل شئ ومحبة ذلك العوض مشروط بالشعور به فـ لا يشعر به يتمتع محبته  
واذا قيل هم قد وعدوا على محبة الله ورسوله بأن يعطوا أفضل محبو باتهم المخلوقة

قيل لا معنى لمحبة الله ورسوله عندهم الا محبة ذلك العوض والعوض غير مشهور به حتي يحب واذا قيل بل اذا قال من لا يحب ذاته لغيره المني فأنك اذا أطعني أعطيتك أعظم ما تحببه صار محباً لذلك الأمر له قيل ليس الأمر كذلك بل يكون قلبه فارغاً من محبة ذلك الأمر وانما هو معلق بما وعده من العوض على عمله كالفعلية الذين يعملون من البناء والحياطة والنساجة وغير ذلك ما يطالبون به أجورهم فهم قد لا يعرفون صاحب العمل أولاً ولا يحبونه ولا لهم غرض فيه انما غرضهم في العوض الذي يحبونه -

وهذا أصل قول الجهمية القدريّة والمعتزلة الذين ينكرون محبة الله تعالى ولهذا قالت المعتزلة ومن أتبعها من الشيعة ان معرفة الله وجبت لكونها لطفاً في أداء الواجبات العقلية فعملوا أعظم المعارف تبعاً لما ظنوه واجباً بالعقل وهم ينكرون محبة الله والنظر اليه فضلاً عن لذة النظر

وابن عقيل لما كان في كثير من كلامه طائفة من كلام المعتزلة - جمع رجلاً يقول اللهم اني أسألك لذة النظر الى وجهك فقال يا هذا هب أن تله وجهاً فتلتذ بالنظر اليه وهذا اللفظ مأثور عن النبي صلى الله عليه

وسلم في الحديث الذي رواه النسائي وغيره عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدعاء اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نبيها لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك من غير ضراء مضره ولا فتنه مضلة اللهم زينا بزيينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

وقد روي هذا اللفظ من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أظنه من رواية زيد بن ثابت ومعناه في الصحيح من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة يعني قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقد أخبر أنه ليس فيما أعطوه من النعيم أحب اليهم من النظر اليه واذا كان النظر اليه أحب الاشياء اليهم علم أنه نفسه أحب الاشياء اليهم والا لم يكن النظر أحب انواع النعيم اليهم فان محبة الرؤية تتبع محبة المرئي وما لا يحب ولا يبغيض في نفسه لا تكون رؤيته أحب الى الانسان من جميع أنواع النعيم وفي الجملة فانكار الرؤية والمحبة والكلام أيضاً معروف من كلام

الحمية والمعتزلة ومن وافقهم وا شعرية ومن تابعهم يوافقونهم على نفي المحبة ويخالفونهم في اثبات الرؤية ولكن الرؤية التي يثبتونها لا حقيقة لها وأول من عرف عنه في الاسلام انه أنكر ان الله يتكلم وان الله يحب عباده الجعد بن درهم ولهذا أنكر ان يكون اتخذ الله ابراهيم خليلاً أو كلم موسى تكليماً فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال فحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه يزعم ان الله لم يخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبجه

وأما الصوفية فهم يثبتون المحبة بل هذا أظهر عندهم من جميع الامور وأصل طريقهم انما هي الارادة والمحبة واثبات محبة الله مشهور في كلام أولاهم وأخراهم كما هو ثابت بالكتاب والسنة واتفق المذاهب والمحبة جنس تحتها أنواع كثيرة فبكل عابد فهو محب للمعبود فالمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) وفيه قولان أحدهما يحبونهم كحب المؤمنين الله واثماني يحبونهم كما يحبون الله لانه قد قال (والذين آمنوا أشد حباً لله) فلم يمكن أن يقل ان المشركين يمدون آلهتهم كما يعبد الموحدون لله بل كما يحبونهم لله فانهم يمدلون آلهتهم برب العالمين كما قال (ثم الذين كفروا بربهم يمدلون) وقال (تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) وقد قال بعض من نصر القول الاول في الجواب عن حجة القول الثاني قال المفسرون قوله (والذين آمنوا

أشد حباً لله ) أى أشد حباً لله من المشركين لآلهم فيقال له ما قاله هؤلاء  
المفسرون مناقض لقولك فانك تقول انهم يحبون الانداد كحب المؤمنين  
لله وهذا يناقض أن يكون المؤمنون أشد حباً لله من المشركين لآلهم  
فتبين ضعف هذا القول وثبت ان المؤمنين يحبونهم أكثر من محبة  
المشركين لله ولآلهم لان أولئك أشركوا في المحبة والمؤمنون أخلصوها  
كلها لله وأيضاً فقوله كحب الله أضيف فيه المصدر الى المحبوب المنعول  
وحذف فاعل الحب فاما أن يراد كما يحب الله من غير تعيين فاعل فيبقى  
عاما في حق الطائفتين وهذا يناقض قوله ( والذين آمنوا أشد حباً لله  
واما أن يراد كحبهم لله ولا يجوز أن يراد كما يحب غيرهم لله اذ ليس في  
الكلام ما يدل على هذا بخلاف جهنم فانه قد دل عليه قوله ومن الناس  
من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله فأضاف الحب المشبه  
اليهم فكذلك الحب المنزبه بهم اذ كان سياق الكلام يدل عليه اذا قال  
يحب زيدا كحب عمرو أو يحب علياً كحب أبي بكر أو يحب الصالحين  
من غير أهل كحب الصالحين من أهل أو قيل يحب الباطل كحب الحق أو  
يحب سماع الميكاء والنصدي كحب سماع القرآن وأمثال ذلك لم يكن  
المفهوم الا أنه هو المحب للمشبه والمشبه به فانه يحب هذا كما يحب هذا  
لاينهم . نه انه يحب هذا كما يحب غيره هذا اذ ليس في الكلام ما يدل على  
محبة غيره أصلاً

والمقصود ان المحبة تكون لما يتخذ إلهاً من دون الله وقد قال  
تعالى ( أفرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ) فمن كان يعبد

مايهواه فقد اتخذاه هواه فها هو به الهه فهو لا يتأله من يعلم أن يستحق التأله بل يتأله مايهواه وهذا المأخذ الهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم ومحبة عباد العجل له وهذه محبة مع الله لمحبة الله وهذه محبة أهل الشرك والنفوس قد تدعى محبة الله ويكون في نفس الامر محبة شرك تحب ماتهواه وقد أنكرته في الحب مع الله وقد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمى ويصم

وهكذا الاعمال التي يظن الانسان انه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه وهو يعملها اما لب رياسة واما لب مال واما لب صورة ولهذا قالوا يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء فأي ذلك في سبيل الله فقال من قال لتكون كلمة الله هي المايا فهو في سبيل الله

فلما صار كثير من الصوفية الذسالك المتأخرين يدعون لمحبة ولم يزنها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك واتباع الاهواء والله تعالى قد جعل محبته موحية لاتباع رسوله فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذا لان الرسول هو الذي يدعوا الى ما يحبه الله واما شئ يحبه الله الا والرسول يدعو اليه وليس شئ يدعو اليه الرسول الا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته وان تنوعت الصفات فكل من ادعى انه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله وحده بل ان كان يحبه فهي محبة شرك فانما يتبع مايهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فانهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا الا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول

فلما أحبوا ما بغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين وهكذا أهل البدع فمن قال انه من المرادين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبتهم فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة فان البدع التي ليست مشروعة وليست بمادعا اليه الرسول لا يحبها الله فان الرسول دعى الي كل ما يحبه الله فأمر بكل معرووف ونهى عن كل منكر

وأيا من تمام محبة الله ورسوله بغض من حاداه ورسوله والجهاد في سبيله لقوله تعالى (لا تجدد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الآيما وأيدهم بروح منه) وقال تعالى أيضا (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء و لكن كثيرا منهم فاسقون) وقال تعالى (قد كانت لكم آية حسنة في إراهيم والذين معه إذ قالوا اقومهم إنا برآء منكم وما عبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

فأمر المؤمنين أن يتأوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده فأين هذا من حل من لا يحسن حسنة ولا يستقبح سيئة وهؤلاء سلكوا طريق الإرادة والمحبة بحسب ما

غير اعتصام بالكتاب والسنة كما ملك أهل الكلام والرأى طريق النظر والبحث من غير اعتصام بالكتاب والسنة فوقع هؤلاء في ضلالات وهؤلاء في ضلالات كما قال تعالى (فأما أئذ نذكركم من هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وقال (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ومثل هذا كثير في القرآن وقد بسط الكلام على هذا الأصل في غير هذا الموضع

فان قيل صاحب الفناء في توحيد الربوبية قد شهد أن الرب خالق كل شيء وقد يكون ممن يثبت الحكمة فيقول انما خالق المخلوقات الحكمة وهو يحب تلك الحكمة ويرضاها وانما خلق ما يكرهه لم يحببه والذين فرقوا بين المحبة والارادة قالوا ان المريض يريد الدواء ولا يحببه وانما يحب يحصل به وهو العافية وزوال المرض فالرب تعالى خالق الاشياء كلها بمشيئته فهو مريد لكل ما خلق ولما أحبه من الحكمة وان كان لا يحب بعض المخلوقات من الاعيان والافعال لكنه يحب الحكمة التي خالق لاجلها فالعارف اذا شهد هذا أحب أيضاً أن يخلق لتلك الحكمة وتكون الاشياء مرادة محبوبة له كما هي للحق فهو وان كره الكافر والفسوق والمصيان لكن ما خلقه الله منه خلقه الحكمة وارادة فهو

مراد محبوب باعتبار غايته لا باعتباره في نفسه

قيل من شهد هذا المشهد فهو يستحسن ما حسنه الله وأحبه ورضيه  
ويستقبح ما كرهه الله وسخطه ولكن اذا كان الله خالق هذا المكون  
لحكمة يحبها فالعارف هو أيضاً يكرهه ويبغضه كما كرهه الله ولكن  
يحب الحكمة التي خلق لاجلها فيكون حبه وتعلمه موافقاً له لم الله  
وحبه لا يخالفه والله عليم حكيم

فهو يعلم الاشياء على ما هي عليه وهو حكيم فيما يحبه ويريده ويتكلم  
به وما يأمر به ويفعله فاذا كان يعلم أن الفعل الفلاني والشئ الفلاني  
منصف بما هو مذموم لاجله مستحق للبغض والكراهة كان من حكمته  
أن يبغضه ويكرهه واذا كان يعلم أن في وجوده حصول حكمة محبوبة  
محمودة كان من حكمته أنه يخلفه ويريده لاجل تلك الحكمة المحبوبة  
التي هي وسيلة الى حصوله واذا قيل ان هذا الوسط يجب باعتبار  
ما انصف به من الصفات المذمومة كان هذا حسناً كما تقول ان الانسان  
قد يبغض الدواء من وجه ويحبه من وجه وكذلك أمور كثيرة تحب  
من وجه وتبغض من وجه

وأيضاً يجب الفرق بين أن يكون مضرًا بالشخص مكرهًا له بكل  
اعتبار وبين أن يكون الله خلقه لحكمة في ذلك واذا كان الله خالق كل  
شئ لحكمة له في ذلك فاذا شهد العبد أن له حكمة ورأى هذا مع  
الجمع الذي يشترك فيه المخلوقات فلا يتمه ذلك أن يشهد ما بينهما من  
الفرق الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار بل لا بد من شهود



الفرق في ذلك الجمع وهذا الشهود مطابق لعلم الله وحكمته والله أعلم.  
وقد قال الله تعالى ( قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم  
وأزواجكم وعشـيرتكم وأموال اقترفتكموها وتجارة نخشون كسادها  
ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا  
حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين )

فاخبر أن من كان محبوباته أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في  
سبيله فهو من أهل الوعيد وقال في الذين يحبهم ويحبونه ( فسوف يأتي  
الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون  
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ) فلا بد لمحـب الله من متابعة الرسول  
والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى ( انما المؤمنون  
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في  
سبيل الله أولئك هم الصادقون ) فهذا حب المؤمن لله

وأما المحبة الشركية فليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه  
ومجاهدة له كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله  
ولا يتابعون الرسول ولا يجاهدون عدوه

وكذلك أهل البدع المدعون للمحبة فهم من الاعراض من اتباع  
الرسول بحسب بدعتهم وهذا من حبيهم لغير الله وتجدهم من أبعاد الناس  
عن موالاة أولياء الرسول ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم  
من البدع التي هي شعبة من الشرك والذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان  
قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة هم في آخر الامر

لا يشهدون للرب محبوباً الا ما وقع وقدر وكل ما وقع من كفر وفسوق وعصيان فهو محبوبه عندهم فلا يبقى في هذا الشهود فرق بين موسى وفرعون ولا بين محمد وأبي جهل ولا بين أولياء الله وأعدائه ولا بين عبادة الله وحده وعبادة الاوثان بل هذا كله عند الفاني في توحيد الربوبية سواء ولا يفرق بين حادث وحادث الا من جهة ما يهواه هو فانما يأله ويحب ما يهواه وهو وان كان عنده محبة الله فقد اتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله وهم من يهواه هذا مادام فيه محبة الله وقد يذبح منها حتى يصير الى التعطيل كفرعون وأمثاله الذي هو أسوأ حالا من مشركي العرب

ولهذا هؤلاء يحبون بلا علم ويبغضون بلا علم والعلم ما جاء به الرسول كما قال (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) وهو الشرع المنزل

ولهذا كان الشيوخ العارفون كثيراً ما يوصون المریدین باتباع العلم والشرع كما قد ذكرنا قطعة من كلامهم في غير هذا الموضع لان الارادة والمحبة اذا كانت بغير علم وشرع كانت من جنس محبة الكفار وارانهم فهو هؤلاء السالكون المریدون الصوفية والفقراء الزاهدون العابدون الذين سلكوا طريق المحبة والارادة اذ لم يتبعوا الشرع المنزل والعلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحبون ما حبه الله ورسوله ويبغضون ما أبغض الله ورسوله والا أفضى بهم الامر الى شعب من شعب الكفر والنفاق

ولا يتم الايمان والمحبة لله الا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته  
فيما أمر ومن الايمان بما أخبر الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به  
رسوله فمن نفى الصفات فقد كذب خبره

ومن الايمان بما أمر فعلى ما أمر وترك ما حذر ومحبة الحسنات  
وبنص السيئات ولزوم هذا الفرق الى المات

فمن لم يستحسن الحسن المأمور ولم يستقبح الشيء المنهى عنه لم  
يكن معه من الايمان شيء كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح  
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع  
فبقلبه وذلك أضعف الايمان

وكما قال في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في أمته قبلى الا كان له من  
أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انما تخلف  
من بعدهم خلوف يقولون ملا يفعلون ويفعلون ملا يؤمرون فمن  
جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهددهم بلسانه فهو مؤمن ومن  
جاهدهم تقابه فهو مؤمن ايس وراء ذلك من الايمان حبة خردل  
رواه مسلم

فأضعف الايمان انكار ما يبغضه الله ورسوله بالقلب فمن لم يكن في  
قلبه بعض المنكر الذى يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الايمان شيء  
ولهذا يوجد المبتدعون الذين يدعون المحبة الجميلة المشتركة التي  
تضاهى محبة المشركين يكرهون من يشكر عليهم شيء من أحوالهم

ويقولون فلان ينكر وفلان ينكر

وقد يتلون كثيرا بمن ينكر مامعهم من حق وباطل فيصير هذا يشبه النصراني الذي يصدق بالحق والباطل ويحب الحق والباطل كالمشرك الذي يحب الله ويحب الانداد وهذا كاليهودي الذي يكذب بالحق والباطل ويغض الحق والباطل فلا يحب الله ولا يحب الانداد بل يستكبر عن عبادة الله كما استكبر فرعون وأمثاله وهذا موجود كثيرا في أهل البدع من أهل الارادة والبدع من أهل الكلام هؤلاء يقولون بالحق والباطل مضاهاة للنصارى وهؤلاء يكذبون بالحق والباطل مضاهاة لليهود وانما دين الاسلام وطريق أهل القرآن والايمان انكار ما يغضه الله ورسوله رحمة ما يحبه الله ورسوله والتصديق بالحق والتكذيب بالباطل فهم في تصديقهم ومحبتهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل ويحبون الحق ويغضون الباطل يصدقون بالحق الموجود ويكذبون بالباطل المفقود ويحبون الحق الذي يحبه الله ورسوله وهو المعروف الذي أمر الله ورسوله به ويغضون المنكر الذي نهى الله ورسوله عنه وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق فلا يصدقون به ولا يحبونه ولا الضالين الذين يصدقون ويحبون ما لم ينزل الله به سلطانا

والقصود هنا ان الحجة الشريكة البدعية هي التي اوقعت هؤلاء في ان آل أمرهم الى أن لا يستحسنوا حسنة ولا يستقبحوا سيئة لظنهم

ان الله لا يحب ما موروا ولا يفيض محظورا فصاروا في هذا من جنس من أنكر ان الله يحب شيئا ويفيض شيئا كما هو قول الجهمية نفاة الصفات وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتا لمحبة الله ورضاء في أصل اعني اده اثبات الصفات لكن اذا جاء الي القدر لم يثبت شيئا غير الارادة الشاملة وهذا وقع فيه طوائف من مثبتة الصفات تكلموا في القدر بما يوافق رأى جههم والاشعري فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات كحال صاحب منازل السائرين وغيره

وأما أئمة الصوفية والشافخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه ومثل الشيخ عبد القادر وأمناله فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للامر والنهي وتوصية باتباع ذلك وتحذيرا من المشى مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك وهذا هو الفرق الثاني الذى تكلم فيه الجنيد مع أصحابه والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور ورك المحذور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لاهو ولا عامة المشافخ المقبولين عند المسلمين ويحذر عن ملاحظة القدر الخض بدون اتباع الامر أو النهى كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية وغابوا عن الفرق الالهى الدينى الشرعى المحمدي الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه ويثبت أنه لا اله الا هو وهذا من أعظم ما يجب رعايته على أهل الارادة والسلوك فانه كثير من المتأخرين من زاغ عن فضل سواء السبيل وانما يعرف هذا من توجه بقلبه وانكشف له حقائق الامور وصار يشهد الربوبية

العامّة والقيومية الشاملة فإن لم يكن معه نور الايمان والقرآن الذي يحصل به الفرقان حتى يشهد الالهية التي تميز بين أهل التوحيد والشرك وبين ما يحبه الله وبين ما يبغضه وبين ما أمر به الرسول وبين ما نهى عنه والا خرج عن دين الاسلام بحسب خروجه عن هذا فان الربوبية العامة قد أقر بها المشركون الذين قال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم يشركون) وانما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً اذا شهد أن لا اله الا الله فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحداً في تأله ومحبه له وعبوديته وانابته اليه واسلامه له ودعائه له ونوكه عليه وهو الاته فيه ومعاداته فيه ومحبه ما يحب وبغضه ما يبغض وبني بحق التوحيد عين باطل الشرك

وهذا فناء يقارنه البقاء فيفنى عن تأله ماسوى الله بتأله الله تحقيقاً لقوله لا اله الا الله فينقى ويفنى من قابسه تأله ما سواه ويثبت ويبقى في قلبه تأله الله وحده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة

وفي الحديث الآخر من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال في الصحيح لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها حقيقة دين الاسلام فمن مات عليها مات مسلماً والله تعالى قد أمرنا ان لانموت الا على الاسلام في غير موضع كقوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال ابراهيم ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال الصديق توفي مسلماً

والحَقُّىِّ بالصالحين

والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت ولم يتمنه وإنما سأل أنه  
إذا مات يموت على الاسلام فسأل الصفة لا المِصروف كما أمر الله بذلك  
وأمر به خليله ابراهيم وامرائيل وهكذا قال

غير واحد من العلماء منهم ابن

عقيل وغيره والله

أعلم بالصواب

تمت الرسالة السادسة

وبابها الرسالة السابعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

في قوله تعالى حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين فما معنى كل مقام منها وأى مقام أعلى (الجواب)

\* الحمد لله رب العالمين \* للناس في هذه الاسماء مقالات معروفة

منها ان يقل علم اليقين ما علمه بالسمع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ما شاهده وعينه بالبصر وحق اليقين ما بشره ووجده وذاقه وصرفه بالاعتبار \* فالاول مثل من أخبر ان هناك عسلا وصدق الخبر أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده \* والثاني مثل من رأى العسل وشاهده وعينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعين \* والثالث مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم ان هذا أعلى مما قبله ولهذا يشير أهل المعرفة الى ما عندهم من الذوق والوجد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا

فالناس فيما يجده أهل الايمان ويذوقونه من حلاوة الايمان وطعمه

على ثلاث درجات

الاولى من علم ذلك مثل من يخبره به شيخ له يصدق أو يبلغه



مأخبر به لعارفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم ما يدل على ذلك  
والثانية من شاهد ذلك وعينه مثل أن يبين من أحوال أهل  
المعرفة والصدق واليقين ما يعرف به مواجيدهم وأذواقهم وان كان  
هذا في الحقيقة لم يشاهد مذاقوه ووجدوه ولكن شاهد ما دل عليه  
لمكن هو أبلغ من الخبر والمستدل بآثارهم

والثالثة ان يحصل له من الذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه كما  
قال بعض الشيوخ لقد كنت في حال أقول فيها ان كان أهل الجنة في  
الجنة في مثل هذا الحال انهم انى عيش طيب وقال آخر انه لير على  
القلب أوقات يرقص منها طربا وقال الآخر لأهل الليل في ليهم ألد  
من أهل الالهو في لهوهم

والناس فيما أخبروا به من أمر الآخرة على ثلاث درجات  
أحدها العلم بذلك لما أخبرتهم الرسل وما قام من الأدلة على  
وجود ذلك

الثانية اذا عاينوا ما وعدوا به من الثواب والعقاب والجنة والنار  
والثالثة اذا باشروا ذلك فدخل أهل الجنة الجنة وذاقوا ما كانوا  
يوعدون ودخل أهل النار النار وذاقوا ما كانوا يوعدون فالناس فيما  
يوجد في القلوب وفيما يوجد خارج القلوب على هذه الدرجات الثلاث  
وكذلك في أمور الدنيا فان من أخبر بالشق أو النكاح ولم يره ولم يذقه  
له علم به فان شاعده ولم يذقه كان له معاينة له فان ذاقه بنفسه كان له ذوق  
وخبرة به ومن لم يذق الشيء لم يعرف حقيقة فان العبارة إنما تفيد لتمثيل

والقريب وأمام معرفة الحقيقة فلا تحصل بمجرد العبارة إلا لمن يكون قد ذاق ذلك الشيء المعبر عنه وعرفه وخبره ولهذا يسمون أهل المعرفة لانهم عرفوا بالخبرة والذوق ما يعاينه غيرهم بالخبر والنظر

وفي الحديث الصحيح أن هرقل ملك الروم سأل أبا-فيان بن حرب فيما سأله عنه من أمور النبي صلى الله عليه وسلم قال فهل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه قال لا قال وكذلك الايمان اذا خلطت بشاشته القاب لا يسخطه أحد

فالايان اذا باشر القاب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب بل يحبه ويرضاه فان له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذوقه

والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القاب له من البشاشة والبر ما هو بحسبه واذا خالطت القلب لم يسخطه قال تعالى (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وقال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه) وقال تعالى (واذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن والاستبشار هو الفرح والسرور وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله واللذة أبداً تتبع الحبة فمن أحب شيئاً ونال ما أحبه وجد اللذة به فالذوق هو ادراك المحبوب فاللذة الظاهرة كالاكل مثلاً حل الانسان

فيما أنه يشتهي الطعام ويحببه ثم يذوقه ويتناوله فيجد حينئذ لذته وحلاوته وكذلك النكاح وأمثال ذلك

وليس للعاق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبة تتبع حبه فان الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وفي الحديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقال تعالى (قل ان كان آبائكم) الى قوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتر بعضوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين

وفي حديث لترمذى وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فالذين آمنوا أشد حباً لله ومن كل محب لمحبه وقد بسطنا الكلام على هذا في مواضع متعددة

والمقصود هنا أن أهل الايمان يجدون بسبب محبتهم لله ولرسوله من حلاوة لايمان ما يناسب هذه المحبة وهذه علق النبي صلى الله عليه

وسلم ما يجدونه بالحجة فقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان  
أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواها وأن يحب المرء  
لا يحبه الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف  
في النار

ومن ذلك ما يجدونه من ثمرة التوحيد والاخلاص والتوكل والدعاء  
لله وحده فان الناس في هذا الباب علي ثلاث درجات منهم من علم  
ذلك سمعا واستدلالاً ومنهم من شاهد وعين ما يحصل لهم  
ومنهم من وجد حقيقة الاخلاص والتوكل على الله والالتجاء اليه  
والاستعانة به وقطع التعاقب بما سواه وجرب نفسه انه اذا تعاقب بالخلقين  
ورجاهم وطمع منهم أن يجابوا له منفعة أو يدفعوا عنه مضرة فانه يخذل  
من جهتهم ولم يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والاموال  
وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته اليهم فلا ينفعونه اما  
لمعجزهم واما لانصرف قلوبهم عنه واذا توجه الي الله بصدق الافتقار  
اليه واستغاث به مخاضا له الدين أجاب دعاءه وأزال ضرره وفتح له  
أبواب الرحمة فنل هذا قد ذاق حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره  
وكذلك من ذاق طعم اخلاص الدين لله وارادة وجهه دون  
ما سواه يجد من الاحوال والنتائج والفوائد ما لا يجد من لم يكن كذلك  
بل من اتبع هواه في مثل طلب الرياسة والعلو واملقه بالصور الجميلة  
أوجعه للامال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والا-زان والآلام  
وضيق الصدر ما لا يعبر عنه وربما يطاوعه قابه على ترك الهوى ولا يحصل

له ما يضره بل هو في خوف وحزن دائماً كان طالباً لما يهواه فهو قبل  
ادراكه حزين متألم حيث لم يحصل - فاذا أدركه كان خائفاً من زواله  
وفراقه

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا ذاق هذا أو غيره  
حلاوة الاخلاص لله والعبادة له وحلاوة ذكره ومناجاة وفهم كتابه  
وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحاً ويكون لوجه الله  
خالصاً فإنه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم من الداعي  
المثوكل الذي نال بدعائه وتوكله ما ينفعه من الدنيا أو يدفع عنه ما يضره  
فإن حلاوة ذلك هي بحسب ما حصل له من المنفعة أو يدفع عنه من المضره  
ولا أنفع للقلب من التوحيد واخلاص الدين لله ولا أضر

عائيه من الاشرار فاذا وجد حقيقة الاخلاص

التي هي حقيقة إياك نستعين كان هذا

فوق ما يجده كل أحد لم يجد

مثل هذا والله أعلم

تمت الرسالة السابعة

وبابها الرسالة الثامنة له أيضاً

(كتاب بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال)

(للشيخ الامام العامل العالم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب \* وجعله تبانا لكل شئ  
 وذكرى لاولى الالباب \* وأمرنا بالاعتصام به إذ هو حبله الذي هو  
 أثبت الاسباب \* وهدانا به الى سبيل الهدى ومناهج الصواب \* وأخبر فيه  
 أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين  
 والحساب \* وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارباب  
 \* وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم والحكمة  
 وفصل الخطاب \* صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة باقية بمديوم المآب  
 (وبعد) فان الله قد أكمل لنا ديننا وأتمم علينا نعمته ورضى لنا  
 الاسلام ديننا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق  
 بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية خاتمة وصاياه العشر التي هي جوامع  
 الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزلها على موسى في التوراة  
 وان كانت الكلمات التي أنزلت علينا أكمل وأبغ ولهذا قال الربيع  
 ابن خثيم من سره أن يقرأ كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ  
 آخر سورة الانعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات وأمرنا  
 أن لانكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر  
 رسوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ وذكر أنه  
 جعله على شريعة من الامر أمره أن يتبعها ولا يتبع سبيل الذين  
 لا يعلمون وقال تعالى (وأزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم  
 عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجمعناكم  
 أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها آنا كم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم  
 جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا  
 تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فأمره  
 أن لا يتبع أهواءهم عما جاء به من الحق وإن كان ذلك شرعا أو طريقا  
 لغيره من الأنبياء فإنه قد جعل لكل سنة وسبيلا وحذره أن يصرفوه  
 عن بعض ما أنزل الله إليه فإذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره  
 فكيف بما لا يعلم أنها جاءت به شريعة غيره بل هو طريقة من لا كتاب له  
 وأمره وإيانا في غير موضع أن نتبع ما أنزل إلينا دون ما خالفه فقال  
 (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتذر به وذكرى  
 للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا  
 ما تذكرون) وبين حال الذين رثوا الكتاب خالفوه والذين استمسكوا  
 به فقال (خفاف من بعدهم خالف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا  
 الأدنى ويقولون سيغفر لنا) إلى قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا  
 الصلاة أنا لا نضيع أجر المصلحين) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك  
 فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين  
 من قبلنا) الآيات وقال (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين  
 إن الله كان عليما حكيمًا واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون  
 خبيرا) وقال (واعصوا ما يوحى إليكم من ربكم لعلكم تتقون) وحبل الله كتابه كما فسر النبي

صلى الله عليه وسلم وقار ( واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله )  
الى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التى أجمع المسلمون على  
اتباعها وهذا مما لم يختلف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع التنازع  
فى تفصيله فتارة يكون بين العلماء المتبرين فى مسائل الاجتهاد وتارة  
ينازع فى قوم جهال بالدين أو منافقون أو سماعون للمنافقين فقد أخبر  
الله سبحانه أن فىنا قوما سماعين للمنافقين يقبلون منهم كما قال (لو خرجوا  
فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضوا خلائكم يبتغونكم الفتنة وفيكم  
سماعون لهم) وانما عدا باللام لانه متضمن معنى القبول والطاعة كما قال  
الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده أى استجاب لمن حمده وكذلك  
سماعون لهم أى مطيعون لهم فاذا كان فى الصحابة قوم مطيعون للمنافقين  
فكيف بغيرهم وكذلك أخبر عن يظهر الانقياد لحكم الرول حيث  
يقول (لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قلوا آمنا  
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون  
لقوم آخرين لم يأتوك) الى قوله (سماعون للكذب أكلون للسحت) فان  
الصواب أن هذه اللام لام التمدية كفى قوله أكلون للسحت أى قائلون  
للكذب يريدون له وسماعون مطيعون لقوم آخرين غيرك فليسوا  
مفردين للطاعة لله ورسوله ومن قال ان اللام لام كي أى يسمعون  
فيكذبوا لاجل أولئك فلم يصب فان السياق يدل على ان الاول هو المراد  
وكثيرا ما يضيع الحق بين الجهال الأميين وبين المحرفين للكلم الذين فيهم  
شعبة نفاق كما أخبر سبحانه عن أهل الكتاب حيث قل (أفطمعون أن



يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ( الى قوله ) (وممنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني) الآية ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر ان هذه الامة تتبع سنن من قبلها - ذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه - وجب أن يكون فيهم - من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به وفيهم أميون لا يفقهون معاني الكتاب والسنة بل ربما يظنون ان ما هم عليه من الاماني الذي هو مجرد التلاوة ومعرفة ظاهر من القول هو غاية الدين ثم قد ينظرون المحرفين وغيبرهم من المنافقين أو الكفار مع علم أولئك بمالم يعلمه الاميون فاما أن يضل الطائفتان و يصير كلام هؤلاء فتنة على أولئك حيث يعتقدون ان ما يقوله الأميون هو غاية علم الدين و يصيروا في طرفي النقيض واما أن يتبع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم وهذيان بعض أ - باب تغيير الملل الا أن هذا الدين محفوظ كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولا يزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق فلم ينله مانال غيره من الاديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقا لما ينطق الله به القائلين بحجة الله وبيناته الذين يحيون بكتاب الله الموتي وتنوره أهل العمى فان الارض ان تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته كان مقتضى تقدم هذه المقدمة اني رأيت الناس في شهر صومهم - وفي غيره أيضاً منهم من يصنى الى ما يقوله بعض جهال أهل الحساب

من ان الملال يرى أو لا يرى ويبنى على ذلك اما في باطنه واما في باطنه وظاهره حتى بلغني ان من القضاة من كان يرد شهادة المدد من المدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب انه يرى أو لا يرى فيكون ممن كذب بالحق لما جاءه وربما أجاز شهادة غير المرضى لقوله فيكون هذا الحاك من السماعين للكذب فان الآية تتناول أحكام السوء كما يدل عليه السياق حيث يقول سماون للكذب أكلون السحت وحكام السوء يقبلون الكذب ممن لا يجوز قبول قوله من مخبر أو شاهد وبأكلون السحت من الرشا وغيرها وما أكثر ما يقتزن هذان وفيهم من لا يقبل قوله في المنجم لاني الباطن ولا في الظاهر لكن في قلبه حسيكة من ذلك وشبهة قوية لثقته به من جهة ان الشريعة لم تلتفت الي ذلك لاسيما ان كان قد عرف شيئا من حساب النيرين واجتماع القرصين ومفارقة أحدهما الآخر بعدة درجات وسبب الاللال والابدار والاستتار والكسوف والحسوف فاجرى حكم الحاسب الكاذب الجاهل بالرؤية هذا المجري ثم هؤلاء الذين يجيزون من الحساب وصورة الافلاك وحركاتها أمرا صحيحا قد يعارضهم بعض الجاهل من المؤمنين المنتسبين الى الايمان أو الي العلم أيضا فيراهم قد خالفوا الدين في العمل بالحساب في الرؤية أو في اتباع أحكام النجوم في تأثيراتها الحمودة والمذمومة فيراهم لما تماطوا هذا وهو من المحرمات في الدين صار كل ما يقولونه من هذا الضرب حق ولا يميز بين الحق الذي دل عليه السمع والعقل والباطل الخائف للسمع والعقل مع ان هذا أحسن

حالا في الدين من القسم الاول لان هذا كذب بشئ من الحق متأولا جاهلا من غير تبديل لبعض أصول الاسلام والضرب الاول قديد خلون في تبديل الاسلام فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الايلاء أو غير ذلك من الاحكام المتعلقة بالهلال بنجر الحاسب انه يرى أو لا يرى لا يجوز والنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون عاياه ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلا ولا خلاف حديث الا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الخادئين بعد المائة الثالثة زعم انه اذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب فان كان الحساب دل على الرؤية صام والا فلا وهذا القول وان كان مقيدا بالاغمام ومختصا بالحاسب فهو شاذ مسبق بالاجماع على خلافه فاما اتباع ذلك في الصحيح أو تمليق عموم الحكم العام به فما قايله مسلم وقد يقارب هذا قول من يقول من الاسماعيلية بالعدد دون الهلال وبعضهم يروى عن جعفر الصادق جدولا يعمل عليه وهو الذي افتراه عاياه عبد الله ابن معاوية وهذه الاقوال خارجة عن دين الاسلام وقد برأ الله منها جعفرا وغيره ولا ريب أن أحدا ما يمكنه مع ظهور دين الاسلام أن يظهر الاستناد الى ذلك الا انه قد يكون له عمدة في الباطن في قبول الشهادة وردها وقد يكون عنده شبهة في كون الشريعة علم الحكم به وانا ان شاء الله أبين ذلك وأوضح ما جاءت به الشريعة دليلا وتعليلًا شرعا وعقلا قال الله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس

والحج) فاخبر انها مواقيت للناس وهذا عام في جميع أمورهم وخص  
الحج بالذكر تمييزا له ولان الحج تشهد الملائكة وغيرهم ولانه يكون  
في آخر شهر رجب الحول فيكون علما على الحول كما أن الهلال علم على  
الشهر ولهذا يسمون الحول حجة فيقولون له سبعمون حجة وأقمنا  
خمس حجج فجعل الله الالهة مواقيت للناس في الاحكام الثابتة بالشرع  
ابتداء أو سببا من العباد وللحكام التي تثبت بشروط العبد فثبتت من  
المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له وهذا يدخل فيه الصيام  
والحج ومدة الايلاء والعدة وصوم الكفارة وهذه الخمسة في القرآن قال  
الله تعالى (شهر رمضان) وقال تعالى (الحج أشهر معلومات) وقال تعالى  
(للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) وقال تعالى (فصيام شهرين  
متتابعين) وكذلك قوله (فسبحوا في الارض أربعة أشهر) وكذلك صوم النذر  
 وغيره وكذلك الشروط من الاعمال المتعاقبة بالثمن ودين السلم والزكاة  
والجزية والعقل والخيار والايمان وأجل الصداق ونجوم الكتابة والصالح  
عن القصاص وسائر ما يؤثر في دين وعقد وغيرها وقال تعالى ( والقمر  
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ) وقال تعالى ( هو الذي جعل  
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب  
ما خلق الله ذلك الا بالحق ) فقلوه لتعلموا متعاقبا والله أعلم بقوله وقدره  
للايجعل لان كون هذا ضياء وهذا نورا لاثابر له في معرفة عدد السنين  
والحساب وانما يؤثر في ذلك اتقاهما من برج الي برج ولان الشمس

لم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة وانما علق ذلك بالهلال كما دلت عليه تلك الآية ولانه قد قال ( ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ) فاخبر ان الشهور معدودة اثنا عشر والشهر هلالى بالاضطرار فلم ان كل واحد منها معروف بالهلال وقد بلغنى ان الشرائع قبلنا أيضاً انما علق الاحكام بالاهلة وانما بدل من اتباعهم كما يفعله اليهود في اجتماع القرصين وفي جعل بعض أعيادها بحسب السنة الشمسية وكما تفعله النصارى في صومها حيث يراعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التي كانت للمسيح وكما يفعله الصابئة والمجوس وغيرهم من المشركين في اصطلاحات لهم فان منهم من يعتبر بالسنة الشمسية فقط ولهم اصطلاحات في عدد شهورها لانها وان كانت طبيعية فشهورها عددى وضى ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين وما جاءت به الشريعة هو أكمل الامور وأحسنها وأينها وأصحها وأبدىها من الاضطراب وذلك ان الهلال أمر مشهود مرئى بالابصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالابصار وهذا سموه هلالا لان هذه المادة تدل على الظهور والبيان اما سمها واما بصرا كما يقال أهل بالعمرة وأهل بالذبيحة لغير الله اذا رفع صوته ويقال تهال وجهه اذا استنار وأضاء وقيل ان أصله رفع الصوت ثم لما كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته سموه هلالا ومنه قوله يهل بالفرقد ركبها \* كما يهل الراكب المعتمر

وتهمال الوجه مأخوذ من استنارة الهلال

فالمرصود ان المواقيت حددت بامر ظاهر بين يشترك فيه الناس ولا يشترك الهلال في ذلك شئ فان اجتماع الشمس والقمر الذي هو نماذجهما الكائن قبل الا هلال أمر خفي لا يعرف الا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير واشتغال عما يعني الناس وما لا بدله منه وربما وقع فيه الغلط والاختلاف

وكذلك كون الشمس حاذت البرج الفلاني أو الفلاني هذا أمر لا يدرك بالابصار وانما يدرك بالحساب الخفي الخاص المشكل الذي قد يغلط وانما يعلم ذلك بالاحساس تقريبا فانه اذا انصرم الشتاء ودخل الفصل الذي تسميه العرب الصيف وتسميه الناس الربيع كان وقت حصول الشمس في نقطة الاعتدال الذي هو أول الحمل وكذلك مثله في الخريف فالذي يدرك بالاحساس الشتاء والصيف وما بينهما من الاعتدالين تقريبا فأما حصولها في برج بعد برج فلا يحسب الا بحساب فيه كلفة وشغل عن غيره مع قلة جدواه

فظهر انه ليس للمواقيت حد ظاهر عام المعرفة الا الهلال

وتد انقسمت عادات الامم في شهرهم وسنتهم القسمة العقلية وذلك أن كل واحد من الشهر والسنة اما أن يكونا عدديين أو طبعيين أو الشهر طبعيا والسنة عددية أو بالعكس فالذين يعدونهما مثل من يجعل الشهر ثلاثين يوما والسنة اثني عشر شهرا والذين يجمعونهما طبعيين مثل من يجعل الشهر قريبا والسنة شمسية ويلحق في آخر الشهور

الايام المتفاوتة بين السنتين فان السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وبعض يوم خمس وسدس وانما يقال فيها ثلاثمائة وستون يوماً جبراً للكسر في العادة عادة العرب في تكميل ما ينقص من التاريخ في اليوم والشهر والحول وأما الشمسية فتلاثمائة وخمسة وستون يوماً وبعض يوم ربع يوم ولهذا كان التفاوت بينهما أحد عشر يوماً إلا قليلاً تكون سنة في كل ثلاثة وثلاثين سنة وثلاث سنة ولهذا قل تعالى (ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) قيل معاه ثلاثمائة سنة شمسية وازدادوا تسعاً بحساب السنة القمرية ومراعاة هذين عادة كثير من الأمم من أهل الكتابين بسبب تحريفهم وأظنه كان عادة المجوس أيضاً وأما من يحمل السنة الطبيعية والشهر عددياً فهذا حساب الروم والبريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين ممن يمد شهر كانون ونحوه عدداً ويعتبر السنة بسير الشمس فاما القسم الرابع فبأن يكون الشهر طبيعياً والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم ثم الذين يجعلون السنة طبيعية لا يعتمدون على أمر ظاهر كما تقدم بل لا بد من الحساب والعدد وكذلك الذين يجعلون الشهر طبيعياً ويعتمدون على الاجتماع لا بد من العدد والحساب ثم ما يحسبونه أمر خفي ينفرد به القليل من الناس مع كلفة ومشقة وتعرض للخطأ

فالذي جاءت به شريعتنا أكمل كل الأمور لأنه وقت الشهر بأمر طبيعي ظاهر عام يدرك بالابصار فلا يضل أحد عن دينه ولا يشغل مراعاته عن شيء من مصالحه ولا يدخل بسببه فيما لا يمينه ولا يكون لأحد طريق

إلى التابيس في دين الله كما يفعل بعض علماء أهل الملل بملهم  
وأما الحول فلم يكن له حد ظاهر في السماء فكان لا بد فيه من  
الحساب والعدد فكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأهم من أن يحسب  
سير الشمس وتكون السنة مطابقة للشهر ولأن السنين إذا اجتمعت  
فلا بد من عددها في عادة جميع الأمم إذ ليس للسنين إذا تعددت حد  
سماوى يعرف به عددها فكان عدد الشهور موافقاً لعدد الشهور ثم  
جعلت السنة إثني عشر شهراً بعدد البروج التي تكمل بدور الشمس  
فيها شمسية فاذا دار القمر فيها كمل دورته السنوية وبهذا كله يتبين  
معنى قوله (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فإن عدد شهور  
السنة وعدد السنة بعد السنة إنما أصله تقدير القمر منازل وكذلك معرفة  
الحساب فإن حساب بعض الشهر لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون  
بالهلال وكذلك قوله تعالى (قل هي مواعيت للناس والحج)

ظهر بما ذكرنا أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة وأنه ليس شئ  
يقوم مقام الهلال البتة لظهوره وظهور العدد المبني عليه وتيسر ذلك  
وعمومه وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد

ومن عرف ما دخل على أهل الكتابين والصائبين والمجوس وغيرهم  
في أعيادهم وعباداتهم وتواريخهم وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب  
والحرج وغير ذلك من المفاسد ازداد شكره على نعمة الإسلام مع  
اتفاقهم أن الأنبياء لم بشرعوا شيئاً من ذلك وإنما دخل عليهم ذلك من  
جهة المفلسفة الصائبة الذين دخلوا في ملتهم وشرعوا لهم من الدين ما لم



يأذن به الله فلهذا ذكرنا ما ذكرنا حفظاً لهذا الدين عن ادخال المفسدين  
فان هذا مما يخاف تغييره فانه قد كانت العرب في جاهليتها قد غيرت  
ملة ابراهيم بالنسبة الى الذي ابتدئته فزادت به في السنة شهر اجملتها كبيداً  
لاغراض لهم وغيروا به ميقات الحج والاشهر الحرم حتى كانوا يحجون  
تارة في المحرم وتارة في صفر حتى يعود الحج الى ذى الحجة حتى بعث  
الله المقيم لملة ابراهيم فوافي حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد  
استدار الزمان كما كان ووقعت حجته في ذى الحجة فقال في خطبته المشهورة  
في الصحيحين وغيرهما ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات  
والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة  
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وكان قبل  
ذلك الحج لا يقع في ذى الحجة حتى حجة أبى بكر سنة تسع كانت في  
ذى القعدة وهذا من أسباب تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الحج وأنزل  
الله تعالى ( ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم  
خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ) فأخبر الله  
أن هذا هو الدين القيم ليبين أن ما سواه من أمر النسب وغيره من  
عادات الامم ليس قيماً لما يدخله من الانحراف والاضطراب ونظير الشهر  
والسنة اليوم والاسبوع فان اليوم طبعى من طلوع الشمس وغروبها وأما  
الاسبوع فهو عددي من أجل الايام الستة التي خلق الله فيها السموات  
والارض ثم استوى على العرش فوقع التمديد بين الشمس والقمر  
باليوم والاسبوع بسبب الشمس والشهر والسنة بسبب القمر وبهما يتم

الحساب وبهذا قد توجه قوله لتعلموا الى جعل فيكون جعل الشمس والقمر لهذا كله فاما قوله نعمالي ( وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ) فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحسبان الرحا وهو دوران الملك فان هذا مما لا خلاف فيه فقد دل الكتاب والسنة واجمع علماء الامة على مثل ما عليه أهل المعرفة من أهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة

( فصل ) لما ظهر بما ذكرناه عود المواقيت الى الأهلة وجب أن تكون المواقيت كلها معلقة بها فلا خلاف بين المسلمين انه اذا كان مبدأ الحكم في الهلال حسبت الشهور كلها هلالية مثل أن يصوم للكفارة في هلال المحرم أو يتوفى زوج المرأة في هلال المحرم أو يولى من امرأته في هلال المحرم أو يبيعه في الهلال الى شهرين أو ثلاثة فان جميع الشهور تحسب بالاهلة وان كان بعضها أو جميعها ناقصا فاما ان وقع مبدأ الحكم في أثناء الشهر فقد قيل الشهور كلها بالعدد بحيث لو باعه الى سنة في أثناء المحرم عدد ثلاثمائة وستين يوما وان كان الى ستة أشهر عدد مائة وثمانين يوما فاذا كان المبدأ منتصف المحرم كان المنتهى العشرين من المحرم وقيل بل يكمل الشهر بالعدد والباقي بالاهلة وهذا القولان روايتان عن أحمد وغيره وبعض الفقهاء يفرق في بعض الاحكام ثم لهذا القول تفسيران أحدهما أنه يجعل الشهر الاول ثلاثين يوما وباقي الشهور هلالية فاذا كان الايلاء في منتصف المحرم حسب باقيه فان كان الشهر ناقصاً أخذ منه أربعة عشر يوما وكله بستة عشر يوما من جمادى الاولى وهذا يقوله

طائفة من أصحابنا وغيرهم والتفسير الثاني وهو الصواب الذي عليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً أن الشهر الاول ان كان كاملاً كمل ثلاثين يوماً وان كان ناقصاً جعل تسعة وعشرين يوماً فتى كان الابلاء في منتصف المحرم كملت الاشهر الاربعه في منتصف جمادى الاولى وهكذا سائر الحجاب وعلى هذا القول فالجميع بالهلال ولا حاجة الى أن يقول بالعدد بل ينظر اليوم الذي هو المبدأ من الشهر الاول فيكون النهاية مثله من الشهر الآخر فان كان في أول ليلة من الشهر الاول كانت النهاية في مثل تلك الساعة بعد كمال الشهور وهو أول ليلة بعد انسلاخ الشهور وان كان في اليوم العاشر من المحرم أو غيره على قدر الشهور المحسوبة وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ودل عليه قوله قل هي مواقيت للناس فجماها مواقيت لجميع الناس مع عامه سبحانه ان الذي يقع في أثناء الشهور أضعاف أضعاف ما يقع في أوائلها فلو لم يكن ميقاتاً الا لما يقع في أولها لما كانت ميقاتاً الا لاقبل من ثلث عشر أمور الناس ولأن الشهر اذا كان ما بين الهلالين فما بين الهلالين مثل ما بين هذا وبين هذا سواء والتسوية معلومة بالاضطرار والفرق تحكم محض وأيضاً فمن الذي جعل الشهر العددي ثلاثين وانبي صلى الله عليه وسلم قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا وخمس ايامه في الثلاثة ونحن نعلم أن نصف شهر السنة يكون ثلاثين ونصفها تسعة وعشرين وأيضاً فعامة المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم اذا أجل الحق الى سنة فان كان مبدؤه هلال المحرم كان منتهاه هلال المحرم سلخ ذى الحجة عندهم وان كان مبدؤه طائر المحرم أيضاً لا يعرف

المسلمون غير ذلك ولا يبنون الا عليه ومن أخذ ليزيد يوما لنقصان الشهر  
 الاول كان قد غير عليهم ما فطروا عليه من المعروف وأتاهم بمنكر  
 لا يعرفونه فعلم أن هذا غلط ممن توهمه من الفقهاء ونهنا عليه ليحذر  
 الوقوع فيه وليعلم به حقيقة قوله ( قل هي مواقيت للناس ) وان هذا العموم  
 محفوظ عظيم القدر لا يستثنى عنه شيء وكذلك قوله ( هو الذي جعل  
 الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب )  
 وكذلك قوله ( وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل

وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عدد السنين

والحساب ) يبين بذلك ان جميع عدد السنين

والحساب تابع لتقديره منازل

والله أعلم وأحكم

تمت الرسالة الثامنة

ويلها الرسالة التاسعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن الصلاة بعد الاذان الاول يوم الجمعة هل فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة أو التابعين أو الأئمة أم لا وهل هو منصوص في مذهب من مذاهب الأئمة المتفق عليهم وقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة هل هو مخصوص بيوم الجمعة أم هو عام في جميع الاوقات

أجاب رضي الله عنه \* أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن يصلي قبل الجمعة بعد الاذان شيئاً ولا نقل هذا عنه أحد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يؤذن على عهده الا اذا قعد على المنبر ويؤذن بلال ثم يخطب النبي صلى الله عليه وسلم الخطبتين ثم يقم بلال فيصلي بالناس فما كان يمكن أن يصلي بعد الاذان لا هو ولا أحد من المسلمين الذين يصلون معه صلى الله عليه وسلم ولا نقل عنه أحد انه صلى في بيته قبل الخروج يوم الجمعة ولا وقت بقوله صلاة مقدرة قبل الجمعة بل ألفاظه صلى الله عليه وسلم فيها الترغيب في الصلاة اذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيت كقوله من بكر وابتكر ومشى ولم يركب وصلى ما كتب له وهذا هو المأثور عن الصحابة كانوا اذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر فمنهم من يصلي عشر ركعات ومنهم من يصلي ثنتي عشرة ركعة ومنهم من يصلي ثمان ركعات ومنهم من يصلي أقل من ذلك ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على انه ليس قبل الجمعة سنة موقفة بوقت مقدرة بعد ذلك إنما يثبت بقول النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم أو فعله وهو لم يبين في ذلك شيئاً لا بقوله ولا فعله وهذا مذهب مالك ومذهب الشافعي وأكثر أصحابه وهو المشهور من مذهب أحمد وذهب طائفة من العلماء إلى أن قبائلاً سنة فمنهم من جعلها ركعتين كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ومنهم من جعلها أربعاً كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد وقد نقل عن الإمام أحمد ما استدل به على ذلك وهؤلاء منهم من يحتاج بحديث ضعيف ومنهم من يقول هي ظهر مقصورة وتكون سنة الظهر سنتها وهذا خطأ من وجهين \* أحدهما أن الجمعة مخصوصة بأحكام تفارق بها ظهر كل يوم باتفاق المسلمين وأن سميت ظهرًا مقصورة فإن الجمعة يشترط لها الوقت فلا تقضى والظهر تقضى والجمعة يشترط لها العدد والاستيطان والإمام وغير ذلك والظهر لا يشترط لها شيء من ذلك فلا يجوز أن تتأقي أحكام الجمعة من أحكام الظهر مع اختصاص الجمعة بأحكام تفارق بها الظهر فإنه إذا كانت الظهر تشارك الجمعة في حكم وتفارقها في حكم لم يمكن إلحاق مورد النزاع أحدهما بالإدليل فليس جعل السنة من موارد الاشتراك بأولى من جعلها من موارد الافتراق \* الوجه الثاني أن يقال هب أنها ظهر مقصورة فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في -فره- سنة للظهر المقصورة لاقبائها ولا بعدها وإنما كان يصليها إذا أتم الظهر فصلى أربعاً فإذا كانت سنته التي قبائلاً في الظهر المقصورة خلاف التامة كان مذكروه حجة عليهم لاهم وكان السبب المقتضى لحذف بعض الفريضة أولى بخلاف السنة الراتبة كما قال بعض الصحابة لو كنت متطوعاً لانتمت

الفريضة فانه لو استحب للمسافر أن يصلي أربعاً لكان صلاته للظاهر أربعاً أولى من أن يصلي ركعتين فرضاً وركعتين سنة وهذا لانه قد ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة انه كان لا يصلي في السفر الا ركعتين الظهر والعصر والعشاء وكذلك لما حج بالناس عام حجة الوداع لم يصل بهم في منى وغيرها الا ركعتين وكذلك أبو بكر بعده لم يصل الا ركعتين وكذلك عمر بعده لم يصل الا ركعتين ومن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الظهر أو العصر أو العشاء أربعاً فقد أخطأ والحديث المروى في ذلك عن عائشة حديث ضعيف في الاصل مع ما وقع فيه من التحريف فان لفظ الحديث أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال أصبت يا عائشة فهذا مع ضمه وقيام الأدلة على انه باطل روى ان عائشة روت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر ويصوم ويقصر ويتم فظن بعض الائمة أن الحديث فيه أنها روت الأمرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا أن السنة للمسافر أن يصلي ركعتين والائمة متفقون على ان هذا هو الأفضل الاقوال مرجوحا للشافعي وأكثر الائمة يكرهون التربع للمسافر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في أنصر الروايتين عنه

ثم من هؤلاء من يقول لا يجوز التربع كقول أبي حنيفة ومنهم من يقول بجوازه مع الكراهة كقول مالك وأحمد فيقال لو كان الله

يجب للمصلي في السفر أن يصلي ركعتين ثم ركعتين لئلا يستحب له أن يصلي الفرض أربعاً فإن التقرب إليه ببعض الظهر أفضل من التقرب إليه بالتطوع مع الظهر ولهذا وجب فلو أراد المقيم أن يصلي ركعتين فرضاً وركعتين تطوعاً لم يجز له ذلك والله تعالى لا يوجب عليه وينهاه عن شيء إلا والذي أمره به خير من الذي نهاه عنه فلم أن صلاة الظهر أربعاً خير عند الله من أن يصليها ركعتين وركعتين تطوعاً فلما كان سبحانه لم يستحب للمسافر التربع بخير الأمرين عنده فلا أن لا يستحب التربع بالأمر المرجوح عنده أولى

ثبت بهذا الاعتبار الصحيح أن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أكمل الأمور وإن هديه خير الهدى وإن المسافر إذا اقتصر على ركعتي الفرض كان أفضل له من أن يقرن بهما ركعتي السنة وبهذا يظهر أن الجمعة إذا كانت ظهراً مقصورة لم يكن من السنة أن يقرن بها سنة ظهر المقيم بل يجعل كظهر المسافر المقصورة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في السفر ركعتي الفجر والوتر ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت به ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة هذا لأن الفجر لم تقصر في السفر فبقيت سنتها على حالها بخلاف المقصورات في السفر والوتر مستقل بنفسه كسائر قيام الليل وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة وسنة الفجر تدخل في صلاة الليل من بعض الوجوه فلماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في السفر سنة لئلا له وقيام المقتضى له



والصواب أن لا يقال ان قبل الجمعة سنة راتبة مقدرة ولو كان  
الاذان على عهد فانه قد ثبت عنه في الصحيح انه قال بين كل أذانين صلاة  
بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء كراهة  
أن يتخذها الناس سنة فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الصلاة  
مشروعة قبل العصر وقبل العشاء الآخرة وقبل المغرب وان ذلك  
ليس بسنة راتبة وكذلك قد ثبت ان أصحابه كانوا يصلون بين أذان  
المغرب وهو يراهم فلا ينههم ولا يأمرهم ولا يفعل هو ذلك فدل على  
ان ذلك فعل جائز وقد احتج بعض الناس على الصلاة قبل الجمعة بقوله  
بين كل أذانين صلاة وعارضه غيره فقال الاذان الذي على المنابر لم يكن  
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عثمان أمر به لما كثر  
الناس على عهد و لم يكن يبلغهم الاذان حين خروج الامام وقعوده  
على المنبر ويتوجه عليه أن يقال هذا الاذان الثالث لما سنه عثمان واتفق عليه  
المسلمون صار أذانا شرعيا وحينئذ فتكون الصلاة بينه وبين الأذان  
الثاني جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب وحينئذ  
فمن فعل ذلك لم ينكر عليه ومن ترك ذلك لم ينكر عليه وهذا أعدل  
الاقوال وكلام الامام أحمد يدل عليه وحينئذ فقد يكون تركها أفضل  
اذا كان الجهال يمتدحون أن هذه سنة راتبة ولا واجبة لاسيما اذا داوم  
الناس عليها فينبغي تركها أحيانا حتى لا تشبه به الفرض كما استحب أكثر  
العلماء أن لا يداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع أنه قد ثبت في  
الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها فاذا كان يكره المداومة

على ذلك فترك المداومة على ما لم يسنه النبي صلى الله عليه وسلم أولى  
وان صلاحها الرجل بين الاذنين أحيانا لأنها تطوع مطلق أو صلاة  
بين أذنين كما يصلى قبل العصر والعشاء لأنها سنة راتبة فهذا جائز  
وإذا كان رجل مع قوم يصلونها فإن كان مطاعا إذا تركها وبين لهم  
السنة لم يشكروا عليه بل عرفوا السنة فتركها حسن وإن لم يكن مطاعا  
ورأى أن في صلاحها تأليفا لقلوبهم إلى ما هو أنفع أو دفعا للخصام  
والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقولهم له ونحو ذلك فهذا  
أيضاً حسن فالعمل الواحد يكون مستحباً فعله تارة وتركه تارة باعتبار  
ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية والمسلم قد  
يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النبي  
صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد إبراهيم وقال لعائشة لو أن  
قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولاصقتها بالأرض ولجعات  
لها بابين باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه والحديث في الصحيحين  
فترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر الذي كان عنده أفضل  
الأمير للمعارض الراجح وهو حدثان عهد قريش بالإسلام لما في  
ذلك من التنفير لهم فكانت المفسدة راجحة على المصلحة ولذلك استحسب  
الائمة أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف  
المؤمنين مثل أن يكون عنده فصل القنوت أفضل بان يسلم في الشفع  
ثم يصلى ركعة الوتر وهو يؤم قوما لا يرون الا وصل الوتر فإذا لم  
يمكنه أن ينقلهم إلى الأفضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقة لهم بوصل

الوتر أرجح من مصلحة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه وكذلك لو كان ممن يرى المخافة بالبسملة أفضل أو الجهر بها وكان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضل عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان هذا جائزاً حيناً وكذلك لو فعل خلاف الأفضل لأجل بيان السنة وتعليمها لمن لم يعلمها كان حيناً مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعمد أو البسملة ليعرف الناس أن فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة كما ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح فكان يكبر ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك قال الأسود بن يزيد صليت خلف عمر أكثر من سبعين صلاة فكان يكبر ثم يقول ذلك رواه مسلم في صحيحه ولهذا شاع هذا الاستفتاح حتى عمل به أكثر الناس وكذلك كان ابن عمرو ابن عباس رضي الله عنهم يجهروا بالاستعاذة وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة وهذا عند الأئمة الجمهور الذين لا يرون الجهر بها سنة راتبة كان لتعليم الناس أن قراءتها في الصلاة سنة كما ثبت في الصحيح أن ابن عباس صلى على جنازة فقرأ بأم القرآن جهراً وذكراً أنه فعل ذلك ليعلم الناس أنها سنة وذلك أن الناس في صلاة الجنازة على قولين منهم من لا يرى فيها قراءة بحال كما قاله كثير من السلف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ومنهم من يرى القراءة فيها سنة كقول الشافعي وأحمد لحديث ابن عباس هذا وغيره ثم من هؤلاء من يقول القراءة فيها واجبة كالصلاة ومنهم من يقول بل هي سنة

مستحبة ليست واجبة وهذا أعدل الانواع الثلاثة فان السلف فعلوا  
هذا وهذا وكان كلا الفعلين مشهورا بينهم كانوا يصلون على الجنابة  
بقراءة وبغير قراءة كما كانوا يصلون تارة بالجهر بالسهملة وتارة بغير  
جهر وتارة باستفتاح وتارة بغير استفتاح وتارة برفع اليدين في المواطن  
الثلاثة وتارة بغير رفع وتارة يسلمون تسليمتين وتارة تسليمة واحدة  
وتارة يقرؤون خلف الامام بالسمر وتارة لا يقرؤون وتارة يكبرون  
على الجنابة سبعا وتارة خمسا وتارة اربعا كان فيهم من يفعل هذا وفيهم  
من يفعل هذا كل هذا ثابت عن الصحابة كما ثبت عنهم أن فيهم من كان  
يرجع في الاذان وفيهم من لم يرجع فيه وفيهم من يوتر الإقامة وفيهم  
من كان يشفعها وكلاهما ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم

فهذه لامور وان كان أحدها أرجح من الآخر فمن فعل المرجوح  
فقد فعل جازا وقد يكون فعل المرجوع أرجح للمصلحة الراجحة  
كما يكون ترك الراجح أرجح أحيانا لمصلحة ترجحة

وهذا واقع في عامة الاعمال فان العمل الذي هو في جنسه أفضل  
قد يكون في موطن غيره أفضل منه كما ان جنس الصلاة أفضل من  
جنس القراءة وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر وجنس الذكر  
أفضل من جنس الدعاء ثم الصلاة بعد الفجر والعصر مني عنها والقراءة  
والدعاء والذكر أفضل منها في تلك الاوقات وكذلك القراءة في الركوع  
والسجود مني عنها والذكر هناك أفضل منها والدعاء في آخر الصلاة  
بعد التشهد أفضل من الذكر

وقد يكون العمل المفضل أفضل بحسب حال الشخص المعين  
ليكونه عاجزا عن الأفضل أو لكون محبته ورغبته واهتمامه وانتفاعه  
بالمفضل أكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترب به من مزيد علمه  
وحبه وارادته وانتفاعه كما ان المريض ينتفع بالدواء الذي يشتهي مالا  
ينتفع بما لا يشتهي وان كان جنس ذلك أفضل ومن هذا الباب صار  
الذكر لبعض الناس في بعض الاوقات خيرا من القراءة والقراءة  
لبعضهم في بعض الاوقات خيرا من الصلاة وأمثال ذلك لكما انتفاعه  
به لآلته في جنسه أفضل

وهذا الباب باب تفضيل بعض الاعمال على بعض ان لم يعرف فيه  
التفضيل وان ذلك يتنوع بتنوع الاحوال في كثير من الاعمال والا  
وقع فيه اضطراب كثير فان من الناس من اذا اعتقد استحباب فعل  
ورجحانه يحافظ عليه مالا يحافظ على الواجبات حتى يخرج به الامر  
الى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يختار بعض هذه  
الامور فيراها شعار لمذهبه ومنهم من اذا رأى ترك ذلك هو الأفضل  
يحافظ أيضا على هذا الترك أعظم من محافظته على ترك المحرمات حتى  
يخرج به الأمر الى اتباع الهوى والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يري  
الترك شعار المذهبه وأمثال ذلك وهذا كله خطأ

والواجب أن يعطى كل ذي حق حقه ويوسع ماوسع الله ورسوله  
ويؤلف ماألف الله بينه ورسوله وبراعى في ذلك مايجبه الله ورسوله  
من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ويعلم أن خير الكلام كلام الله

وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وان الله بعثه رحمة للعالمين بعثه بسعادة الدنيا والآخرة في كل أمر من الأمور وان يكون مع الانسان ما يحفظ به هذا الاجال والا فكثير من الناس بمقد هذا مجالا ويدعه عند التفصيل اما جهلا واما ظلما واما ظنا واما اتباعا لاهوى فندأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

(فصل) وأما السنة بعد الجمعة فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين كما ثبت عنه في الصحيحين أنه كان يصلي قبل الفجر ركعتين وبعد الظهر ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وأما الظهر ففي حديث ابن عمر أنه كان يصلي قبلها ركعتين وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يصلي قبلها أربعاً وفي الصحيح عن أم حبيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة نبي الله له بيتا في الجنة وجاء مفسراً في السنن أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر فهذه هي السنن الراتبة التي ثبتت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله مدارها على هذه الأحاديث الثلاثة حديث ابن عمر وحديث عائشة وأم حبيبة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل اما إحدى عشرة واما

ثلاث عشرة ركعة فكان مجموع صلاته بالليل والماء فرضه ونفله نحو  
من أربعين ركعة

والناس في هذه السنن الرواتب على ثلاثة أقوال منهم من لا يؤت  
في ذلك شيئاً كقول مالك فإنه لا يرى سنة الا الوتر وركعتي الفجر وكان  
يقول انما تؤت أهل العراق ومنهم من يقدر في ذلك أشياء باحاديث  
ضعيفة بل باطلة كما يوجد في مذاهب أهل العراق وبعض من وافقهم  
من أصحاب الشافعي وأحمد فان هؤلاء يوجد في كتبهم من الصلوات  
المقدرة والاحاديث في ذلك ما يعلم أهل المعرفة بالسنة انه مكذوب على  
النبي صلى الله عليه وسلم كمن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى  
قبل العصر أربعاً أو انه قضى سنة العصر أو انه صلى قبل الظهر ستاً  
أو بعدها أربعاً أو انه كان يحافظ على الضحى وأمثال ذلك من الاحاديث  
المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأشد من ذلك ما يذكره طائفة من المصنفين في الرقائق والفضائل  
في الصلوات الاسبوعية والحولية كصلاة يوم الاحد والاثنين والثلاثاء  
والاربعاء والخميس والجمعة المذكورة في كتاب أبي طالب وأبي حامد  
وعبد القادر وغيرهم وكصلاة الالفية التي في أول رجب ونصف شعبان  
والصلاة الاثني عشرية التي في أول ليلة جمعة من رجب والصلاة التي في  
أول ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الاشهر  
الثلاثة وصلاة ليالي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من  
الصلوات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاق أهل المعرفة

بجديته على ان ذلك كذب عليه لكن باغ ذلك أقواما من أهل العلم  
والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم  
واجتهادهم لا على مخالفة السنة

وأما من تبينت له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال بل كافر  
والقول الوسط العدل هو ما وافق سنته الصحيحة الثابتة عنه صلى  
الله عليه وسلم وقد ثبت عنه أنه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وفي صحيح  
مسلم عنه أنه قال من كان منكم مصاليا بعد الجمعة فليصل أربعاً  
وقد روى الست عن طائفة من الصحابة جمعاً بين هذا وهذا  
والسنة أن يفصل بين الفرض والنفل في الجمعة وغيرها كما ثبت  
في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن توصل صلاة حتى  
يفصل بينهما بقيام أو كلام فلا تفعل ما يفعله كثير من الناس يصل  
السلام بركعتي السنة فان في هذا ارتكاباً لنهي النبي صلى الله عليه وسلم  
وفي هذا من الحكمة التمييز بين الفرض وغير الفرض كما يميز بين  
العبادة وغير العبادة ولهذا استحب تعجيل الفطور وتأخير السحور  
والاكل يوم الفطر قبل الصلاة ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو  
يومين فهذا كله لفصل بين المأمور به من الصيام وغير المأمور به  
والفصل بين العبادة وغيرها وهكذا تميز الجمعة التي أوجبها الله من  
غيرها وأيضاً كثيراً من أهل البدع كالرافضة وغيرهم لا ينوون الجمعة  
بل ينوون الظهور ويظهرون أنهم سلموا وما سلموا فيصليون ظهراً



ويظن الظان أنهم يصلون السنة فإذا حصل

تميز بين الفرض والفل كان في هذا

منها لهذه البدعة وهذا له

نظار كثيرة والله

سبحانه أعلم

تمت الرسالة التاسعة

ويليها الرسالة العاشرة له أيضا

تفسير المعوذتين الشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام ناصر السنة قانع البدعة تقي الدين أحمد بن تيمية  
نفعنا المولى بعلومه وهو ما كتبه في القلعة

(فصل) في قل أعوذ برب الفلق قال تعالى فلق الحب والنوى

وقال تعالى فلق الاصباح وجاءل الابل سكنا والفلق فعل بمعنى

مفعول كالقبض بمعنى المقبوض فيكل ما فلقه الرب فهو فلق قال

الحسن الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى قال الزجاج

واذا تأملت الحلق بان لك ان أكثره عن انفلاق كالارض بالنبات

والسحاب بالمطر \* وقد قال كثير من المفسرين الفلق الصبح فانه

يقال هذا بين من فلق الصبح و فرق الصبح \* وقال بعضهم الفلق الحلق

كله وأما من قال انه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو انه اسم من

أسماء جهنم فهذا أمر لا نعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن

النبي صلى الله عليه وسلم ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف

ما اذا قال رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذي يظهره

على المباد بالنهار فان في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب

المستعاذ به واذا قيل الفلق يعم ويخص فبعمومه للخلق أستيذ من شر

ما خلق وبخصوصه للنور النهاري أستيذ من شر غاسق اذا وقب

فان الغاسق قد فسر بالليل كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى

غسق الليل وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة \* قالوا ومعنى

وقب دخل في كل شيء قال الزجاج الفاسق البارد وقيل الليل غاسق  
لانه أبرد من النهار وقد روى الترمذى والنسائى عن عائشة ان النبي  
صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة تعوذى بالله من شره  
فانه الغاسق اذا قرب وروى من حديث أبي هريرة مرفوعاً أن الغاسق  
النجم وقال ابن زيد هو الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند  
وقوعها وترفع عند طلوعها وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته  
لمن فسره بالليل فجملوه قولاً آخر ثم فسروا وقوبه بسكونه قال ابن  
قتيبة ويقال الغاسق القمر اذا كسف وأسود ومعنى وقب دخل في  
الكسوف وهذا ضعيف فان ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا يمرض بقول غيره وهو لا يقول الا الحق وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة  
منه عند كسوفه بل مع ظهوره وقد قال الله تعالى (وجعلنا الليل والنهار  
آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالقمر آية الليل  
وكذلك النجوم انما تطالع فترى بالليل فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر  
بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل من تلزم للمدلول فاذا  
كان شر القمر موجوداً فشر الليل موجود وللقمر من التأثير ما ليس  
لغيره فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى ويكون هذا كقوله عن  
المسجد المؤسس على التقوى هو مسجدى هذا مع ان الآية تتناول  
مسجد قباء قطعاً وكذلك قوله عن أهل الكساء هؤلاء أهل بيتى مع ان  
القرآن يتناول نساءه فالتخصيص ليكون المخصوص أولى بالتوصف فالقمر  
حق ما يكون بائيل بالاستعاذة والليل مظلم منتشر فيه شياطين الالس

والجن مالا تنتشر بالتهار ويجرى فيه من أنواع الشر مالا يجرى بالتهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والحيانة والفواحش وغير ذلك فالشر دائماً مقرر بالظلمة ولهذا انما جعله الله اسكون الآدميين وراحتهم لكن شياطين الانس والجن تفعل فيه من الشر مالا يمكنها فعله بالتهار وبتوسلون بالقمر وبدعوته والقمر وعبادته وأبو مئشر الباغى له مصحف القمر يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه

فذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخلق عموماً ثم خص الامر بالاستعاذة من شر الفاسق اذا وقب وهو الزمان الذي يم شره ثم خص بالذكر السحر والحسد\* فالسحر يكون من الانفس الخبيثة لكن بالاستعاذة بالاشياء كالنفت في العقد\* والحسد يكون من الانفس الخبيثة أيضاً اما باليمن واما بالظلم باللسان واليد وخص من السحر النفقات في العقد وهن النساء والحاسدات رجال في العادة ويكون من الرجال ومن النساء للنساء والشر الذي يكون من الانفس الخبيثة من الرجال والنساء وهو شر منفصل عن الانسان ليس هو في قابله كالوسواس الخناس (١) وفي سورة الناس ذكر الوسواس الخناس فانه مبدأ الافعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان ففيها الاستعاذة من شر ما يدخل الانسان من الافعال التي تضره من الكفر والفسوق والعصيان وقد تضمن ذلك الاستعاذة من شر نفسه وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات

(١) من قوله وهن النساء الى قوله الخناس تشويش في العبارة وقد أثبتناه كما صله فليحرر

عموماً وخصوصاً ولهذا قيل فيها برب الفاق وقيل في هذه برب الناس فان قالق الاصباح بالنور يزيل بما في نوره من الحير مافي لظلمة من الشر وقالق الحب والنوى بعد انعقادها يزيل مافي عقد النفائات فان قالق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفائات وكذلك الحسد هو من ضيق الانسان وشحه لا ينشرح صدره لانعام الله عليه قرب الفاق يزيل مايحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لا يفلق شيئاً الا بخير فهو قالق الاصباح بالنور الهادي والسراج الوهاج الذي به صلاح العباد وقالق الحب والنوى بأنواع الفواكه والاقوات التي هي رزق اناس ودوابهم والانسان محتاج الى جلب المنفعة من الهدى والرزق وهذا حاصل بالفاق والرب الذي فلق لانس مايحصل به منافعهم يستعاذ به مما يضر الناس فيطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأ بانعامه عليه وفق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة واخراج الشيء من ضده كما يخرج الحى من الميت والميت من الحى وهذا من نوع الفاق فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذى بال ضد انتافع

(فصل) في قل أعوذ برب الناس الى آخرها قوله من شر لوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فيها أقوال ولم يذكر ابن الجوزي الاقوالين ولم يذكر الثالث وهو الصحيح وهو أن قوله من الجنة والناس لبيان الوسواس أى الذى يوسوس من الجنة ومن الناس فى صدور الناس فان الله تعالى قد أخبر انه جعل لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف لقول غروراً وايحاذهم هو وسوستهم وليس من شرط الموسوس أن يكون

مستتراً عن البصر بل قد يشاهد قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ما وورى عنهما من سوء آتهما وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) وهذا كلام من يعرف قائله ايس شيئاً باقى فى القلب لا يدرى ممن هو وابليس قد أمر بالوجود لآدم فابى واستكبر فلم يكن ممن لا يعرفه آدم وهو ونسله يرون بنى آدم من حيث لا يرونهم وأما آدم فقد رآه

وقد يرى الشياطين والجن كثير من الانس لكن لهم من الاجتنان والاستتار ما ليس للانس وقد قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وقال (لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم) وفى التفسير والسيرة ان الشيطان جاءهم فى صورة بعض الناس وكذلك قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فاما كافر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين)

وفى حديث أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذ بالله من شياطين الانس والجن قلت أو للانس شياطين قال نعم شر من شياطين الجن

وأيضاً فانفس لها وسوسة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فهذا توسوس به نفسه لنفسه كما يقال حديث النفس قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم

تسلكم به أو تعمل به أخرجه في الصحيحين

فالذي يوسوس في صدور الناس نفسه وشياطين الجن وشياطين

الانس

والوسواس الجناس يتناول وسوسة الجنة وسوسة الانس والا  
 أى معنى الاستمالة من وسوسة الجن فقط مع أن وسوسة نفسه  
 وشياطين الانس هى مما تضره وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن  
 وأما قول الفراء المراد من شر الوسواس الذى يوسوس في صدور  
 الناس الطائفتين من الجن والانس وانه سمي الجن ناسا كما سماهم رجالا  
 وسماهم نفرا فهذا ضعيف فان لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من  
 أن يحتاج الى تنويمه الى الجن والانس وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس  
 في غير موضع وأبضا فيكونه يوسوس في صدور الطائفتين صفة توضيح  
 وبيان وليس وسوسة للجن معروفة عند الناس وانما يعرف هذا بخبر  
 ولا خبر هنا ثم قد قال من الجنة والناس فكيف يكون لفظ الناس عاما  
 للجنة والناس وكيف يكون قسيم الشيء قسما منه فهو يجعل الناس قسيم  
 الجن ويجعل الجن نوعا من الناس وهذا كما يقول أكرم العرب من  
 المعجم والعرب فهل يقول هذا أحد واذا سماهم الله تعالى رجالا لم يكن  
 في هذا دليل على أنهم يسمون ناسا وان قدر أنه يقال جاء ناس من الجن  
 فذاك مع التقييد كما يقال انسان من طين وماء دافق ولا يلزم من هذا  
 أن يدخلوا في لفظ الناس وقد قال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى  
 خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) فالناس كلهم مخلوقون من

آدم وحواء مع أنه سبحانه يخاطب الجن والانس  
والرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجنسين لكن لفظ الناس  
لم يتناول الجن ولكن يقول يا معشر الجن والانس  
وكذلك قول الزجاج ان المعنى من شر الوسواس الذى هو الجنة  
وهو شر الناس فيه ضعف وان كان أرجح من الاول لان شر الجن  
أعظم من شر الانس فكيف يطابق الاستعاذة من جميع الناس ولا يستعين  
الا من بعض الجن وأبضا فالوسواس الحاس ان لم يكن الا من الجنة  
فلا حاجة الى قوله من الجنة ومن الناس فلماذا يخص الاستعاذة من  
وسواس الجنة دون وسواس الناس

وأبضا فانه اذا تقدم المعطوف اسما كان عطفه على القريب أولى  
كما ان عود الضمير الى الاقرب أولى الا اذا كان هناك دليل يقتضى  
المعطف على البعيد فمعطف الناس هنا على الجنة المقرون به أولى من  
عطفه على الوسواس

ويكفى ان المسلمين كاهم يقرؤن هذه السورة من زمن نبهم ولم  
ينقل هذان القولان الا عن بعض النحاة والاقوال المأثورة عن الصحابة  
والتابعين لهم باحسان ليس فيها شئ من هذا بل انما فيها القول الذى  
نصرناه كما فى تفسير معمر عن قتادة من الجنة والناس قال ان فى الجن  
شياطينا وان فى الانس شياطينا نتعوذ بالله من شياطين الانس والجن  
فبين قتادة ان المعنى الاستعاذة من شياطين الانس والجن

وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله



الوسواس الحناس قال الحناس الذى يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والانس فبين ابن زيد ان الوسواس الحناس من الصنفين وكان يقال شياطين الانس أشد على الناس من شياطين الجن شيطان الجن يوسوس ولا تراهم وهذا يعاينك معاينة

وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة فهو الحناس ووسواس من نفس الانسان فهو قوله والناس وهذا القول امثالث وان كان يشبه قول الزجاج فهذا أحسن منه فانه جعل من الناس من الوسواس الذى نفس الانسان فمعناه أحسن ذكر الثلاثة ابن أبي حاتم في تفسيره

وأيضاً فانه ذكر في الآية رب الناس ملاك الناس اله الناس فان كان المقصود ان يستعبد الناس بربهم وملكهم والههم من شر ما يوسوس في صدورهم فانه هو الذى يطالب منه الخير الذى ينفعهم ويطلب منه دفع الشر الذى يضرهم والوسواس أصل كل شر يضرهم لانه مبدء للكفر والفسوق والعصيان وعقوبات الرب انما تكون على ذنوبهم واذا لم يكن لاحد منهم ذنب فكل ما يصيبه نعمة في حقه واذا ابتلى بما يؤلمه فان الله يرفع درجته ويأجره اذا قدر عدم الذنوب مطلقاً لكن هذا ليس بواقع منهم فان كل نبي آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وقد قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المة فقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) فغاية المؤمنين الانبياء

فمن دونهم هي التوبة قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه  
انه هو التواب الرحيم) وقال (نوح رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس  
لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) وقال ابراهيم واسماعيل  
(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مننا مكةنا  
وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) وقال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا  
وارحمنا وأنت خير الغافرين) ودعاء نبينا بمنزل ذلك كثير معروف فيمكن  
الوسواس مبدء كل شر فان كانوا قد استعاذوا بربههم وملئهم والهمهم من  
شره فمدخل فى ذلك وسواس الجن والانس وسائر شر الانس انما  
يقع بذنوبهم فهو جزاء على أعمالهم كالشر الذى يقع من الجن بغير  
الوسواس وكما يحصل من العقوبات السماوية وهم لم يستعينوا هنا من  
شر المخلوقات مطلقاً كما استعاذوا فى سورة الفلق بل من الشر الذى  
يكون مبدءه فى نفوسهم وان كان ذكر رب الناس ملك الناس الى الناس  
يستعينوا به ليعيذهم وليعيذ منهم وهذا أعم المغيبي فذلك يحصل باعاذته  
من شر الوسواس الموسوس فى صدور الناس فانه هو الذى يوسوس  
بظلم الناس بعضهم بعضاً وباغواء بعضهم بعضاً وباعانة بعضهم بعضاً على  
الاشتم والعدوان

فما حصل لانسى شر من أنسى الا كان مبدءه من الوسواس الخناس  
والا فما يحصل من أذى بعضهم لبعض اذا لم يكن من الوسواس بل  
كان من الوحي الذى بعث الله به ملائكته كان عدلاً كاقامة الحدود  
وجهاد الكفار والاقتصاص من الظالمين فهذه الامور فيها ضرر وأذى

للمظالمين من الانس لكن هي بوحى الله لامن الوسواس وهي نعمة من الله في حق عباده حتى في حق المعاقب فانه اذا عوقب كان ذلك كفارة له ان كان مؤمناً والا كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة الى عذاب من لم يعاقب في الدنيا

ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم لم رحمة في حق المالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة وباعتبار أنه في نفسه رحمة فمن قبلها والا كان هو الظالم لنفسه وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم وعجزوا عما كانوا يفعلونه بدونه وقتل من قتل منهم فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له وللناس فكان محمد صلى الله عليه وسلم لم رحمة للمالمين بكل اعتبار فلا يستعاذ منه ومن أمثاله من الانبياء وأتباعهم المؤمنين وهم من الناس وان كانوا يفعلون باعدائهم ما هو اذى وعقوبة وألم لهم فلم تبق الاستعاذة من الناس الا بما يأتي به الوسواس اليهم فيستعاذ برب الناس ملك اناس الى الناس على هذا التقدير من شر الوسواس الذي يوسوس للمستعيز ومن شر الوسواس الذي يوسوس لاسائر الناس حتى لا يحصل منهم شر للمستعيز فاذا لم يكن للناس شر الا من الوسواس كان الاستعاذة من شر الذي يوسوس لهم تحصيلاً للمقصود وكان حسماً للمادة وأقرب الى العدل وكان مخرجاً لانياء الله وأوليائه أن يستعاذ من شرهم وأن يقرنوا بالوسواس الخناس ويكون ذلك تفضيلاً للجن على الانس وهذا لا يقوله عاقل

فان قيل فان كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس فانه تابع لوسواس الجن قيل بل اوسوسة نوعان نوع من الجن ونوع من نفوس الانس كما قال (واقعد خاقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) فالشر من الجهتين جميعاً والانس لهم شياطين كما للجن شياطين والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة يقال فلان يوسوس فلانا وقد وشوشه اذا حذثه مرأ في أذنه وكذلك الوسوسة ومنه وسوسة الحلي لكن هو بالسين المهملة أخص

ورب الناس الذي ير بهم بقدرته ومشيتته وتدبيره وهورب العالمين كلهم فهو الخالق للجميع ولاعمالهم وملك الناس الذي يأمرهم وينهاهم فان الملك يتصرف بالكلام والجماد لا ملك له فانه لا يعقل الخطاب لكن له مالا وانما يكون الملك لمن يفهم عنه والحيوان يفهم بعضه عن بعض كما قال علمنا منطق الطير وقالت نملة يأبها النمل فلهذا كان له ملك من جنسه ومن غير جنسه كما كان سليمان مابكمهم والاله هو المعبود الذي هو المقصود بالارادات والاعمال كلها كما قد بسط الكلام على ذلك

وقد قيل انما خص الناس بالذكر لانهم مستعيذون اولانهم المستعاذ من شرهم ذكرهما أبو الفرج وائس لهما وجه فان وسواس الجن أعظم ولم يذكره بل ذكر الناس لانهم المستعيذون فبستعيذون برهم الذي يصونهم وبماكمهم الذي أمرهم ونهاهم وبألهم الذي يعبدونه من شر الذي يحول

بينهم وبين عبادته ويستعينون أيضاً من شر الوسواس الذى يحصل  
في نفوس الناس منهم ومن الجنة فانه أصل الشر الذى يصدر منهم  
والذى يرد عليهم

(فصل) وبهذا يتبين بعض هذه الاستعاذة والى قبلها كما جاءت  
بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يستعذ المستعينون  
بمذلهما فان الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان فهو أصل الشر  
كله ففى وقى الانسان شره ووقى عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا  
والممات وفتنة المسيح الدجال فان جميع هذه انما تحصل بطريق  
الوسواس ووقى عذاب الله فى الدنيا والآخرة فانه انما يعذب على الذنوب  
وأصلها من الوسواس ثم ان دخل فى الآية وسواس غيره بحيث يكون  
قوله من شر الوسواس استعاذة من الوسواس الذى يعرض له والذى  
يعرض للناس بسببه فقد وقى ظلمهم وان كان انما يريد وسواسه فهم انما  
يساطون عليه بذنوبه وهى من وسواسه قال تعالى (أو لما أصابكم مصيبة  
قد أصبتم مثايلها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (وما أصابكم  
من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (فما أصابك من حسنة فمن الله وما  
أصابك من سيئة فمن نفسك)

والوسواس من جنس الحديث والكلام ولهذا قال المفسرون فى  
قوله ما توسوس به نفسه قالوا ما تحدث به نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم  
ان الله تجاوز لامتى ما تحدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به  
وهو نوعان خبر وانشاء فالخبر اما عن ماض واما عن مستقبل

فالماضي يذكره به والمستقبل يحمدنه بأن يفعل هو أموراً أو أن أموراً ستكون بقدر الله أو فعل غيره فهذه الاماني والمواعيد الكاذبة والانشاء أمر ونهى وإباحة

والشيطان تارة يحدث رسواس الشمر وتارة ينشيء الخير وكان ذلك بما يشغله به من حديث النفس قال تعالى في النسيان (واما ينسينك الشيطان فلا تقم بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقال في موسى (فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان) وقال تعالى (فأنساهم الشيطان ذكر ربه) وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فاذا قضى التأذين أقبل فاذا ثوب بالصلاة أدبر فاذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذ كر كذا اذ كر كذا لما لم يذكر حتى يظل لرجل لم يدركم صلى الله عليه وسلم الشيطان اذ ذكره بأمور ماضية حدث بها نفسه مما كانت في نفسه من أفعاله ومن غير أفعاله فبتلك الامور نسي المصلى كم صلى ولم يدركم صلى الله عليه وسلم فان النسيان أزل ما في النفس من الذكر وشغلها بأمر آخر حتى تنسى الاول واما اخباره بما يكون في المستقبل من المواعيد والاماني فيكتموله وقال الشيطان لما قضى الامر (ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) وفي هذه الآية أمره ووعدته وقال تعالى (ومن يخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً يعدمهم وبنيهم وما يعدم الشيطان الا غروراً أولئك أوامهم ولا يجدون

عنها محيصاً وقال تعالى (الشیطان يعدكم الفقر وبأمركم بالنحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم) ففي هذه أيضاً أمره ووعدہ وقال موسى لما قتل القبطي (هذامن عمل الشیطان انه عدو مضل مبين) وقد قال غیر واحد من الصحابة کابی بکر وابن مسعود فيما يتولونه باجتهادهم ان كان صواباً فمن الله وان كان خطأً ففی ومن الشیطان فجعلوا ما باقى فی النفس من الاعتقادات التي ليست بمطابقة من الشیطان وان لم يكن صاحبها آمناً لانه استفرغ وسمه كما لا يائتم بالوسواس الذي يكون فی الصلاة من الشیطان ولا بما يحدث به نفسه وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد قال الله قد فعلت

والنسيان لا يحق لمن الشیطان والخطأ من الشیطان قال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث) غیره وأما ينسينك الشیطان فلا تقعد به - الذکری مع القوم الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها ولما نام هو وأصحابه عن الصلاة في غزوة خيبر قال لأصحابه ارتحلوا فان هذا مكان حضرنا فيه شیطان وقال ان الشیطان أتى بلالا فجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام وكان النبي صلى الله عليه وسلم وكل بلالا أن يوقظهم عند الفجر والنوم الذي يشغل عما أمر به والناس من الشیطان وان كان معفوا عنه ولهذا قيل للناس فی مجلس الذکر من الشیطان وكذلك الاحتلام فی المنام من الشیطان والنائم لا قلم عليه وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا

ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا ما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم وقد قيل ان هذا من كلام ابن سيرين لكن تقسيم الرؤيا الى نوعين نوع من الله ونوع من الشيطان صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب فهذان النوعان من وسواس النفس ومن وسواس الشيطان وكلاهما مفعوف منه فان النائم قد رفع القلم عنه ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال فينسيه ما كان منه من الایمان حتى يعمى عن الحق فيقع في الباطل فاذا كان من المتقين كما قال الله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاداهم مبصرون فان الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب وقد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً الا أنه غشاوة على القلب تمنعه ابصار الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب هذا جزاء على الذنب والغين الطاف من ذلك كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال انه ليعان على قلمي واني لاسئفر الله في اليوم سبعين مرة فالشيطان يلتقي في النفس الشر والملك يلتقي الخير وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قاوا واياك يا رسول الله قال واياي الا أن الله أعانني عليه فأسلم وفي رواية فلا بأسني الا بنخير أي استسلم وانقاد



وكان ابن عيينة يرويه فاسلم بالضم ويقول ان الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية الاخرى فلا يأمرني الا بخير دل على انه لم يبق يأمره بالشر وهذا السلامه وان كان ذلك كناية عن خضوعه وذلكه لانه لا عن ايمانه بالله كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره وقد عرف العدو المقهور ان ذلك الظاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله بل يعاقبه على ذلك فيحتاج لانتهازه معه الى انه لا يشير عليه الا بخير لذاته وعجزه لا اصلاحه ودينه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا ان الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير وقال ابن مسعود ان للملك لمة وان للشيطان لمة فامة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وقد قال تعالى ( انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ) أى يخوفكم أولياءه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المريبة كشيطان الانس الذى يخوف من العدو فيرجف ويخذل وعكس هذا قوله تعالى ( اذ يوحى ربك الى الانلائكة انى معكم فنبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا ) (الرعب) وقال تعالى ( ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) وقال تعالى ( ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ) والثبت جعل الانسان ثابتا لامر تبابا وذلك بالقاء ما يشته من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود لمة الملك وعد بالخير وتصديق بالحق فتى علم القلب ان ما أخبر به الرسول حق صدقه واذا علم ان الله قد وعده بالتصديق وثق بوعد الله ثبت فهذا ثبت بالكلام كما ثبت الانسان الانسان في أمر قد اضطرب فيه بان يخبره

بصدقه ويخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت وقد يكون التثبت بالفعل بان يمسك القلب حتى يثبت كما يمسك الانسان الانسان حتى يثبت وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقى في قلبه من التصديق بالحق والوعد بالخير وقد قال تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) فدل ذلك على أن هذه الصلاة سبب لخروجهم من الظلمات الى النور وقد ذكر اخراجه للمؤمنين من الظلمات الى النور في غير آية كقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وقال (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقال (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على معامى الناس الخير وذلك ان هذا بتعليمه الخير يخرج الناس من الظلمات الى النور والجزاء من جنس العمل ولهذا كان الرسول أحق الناس بكمال هذه الصلاة كما قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) والصلاة هي الدعاء اما بخير يتضمن الدعاء واما بصيغة الدعاء فالملائكة يدعون للمؤمنين كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث فين ان صلاتهم قو لهم

اللهم اغفر له اللهم ارحمه

وفي الاثر ان الرب يصلى فيقول سبقت أو غلبت رحمتي غضبي  
وهذا كلامه سبحانه هو خبر وانشاء يتضمن ان الرحمة تسبق الغضب  
وتغلبه وهو سبحانه لا يدعو غيره ان يفعل كما يدعو الملائكة وغيرهم  
من الخلق بل طلبه بامرهم وقوله وقسمه كقوله لافعلن كذا وقوله  
كن فيكون وقوله لافعلن كذا قسم منه كقوله (لأملأن جهنم منك  
وممن تبعك) وقوله (ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس  
أجمعين) وقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس يخلفهم  
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وابعث لهم دينهم الذي ارتضى  
لهم وليدلتهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (كتب الله لاغبين أنا ورسلي  
ان الله قوى عزيز) وهذا وعد مؤكد بالقسم بخلاف قوله (انا  
لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) فان هذا وعد وخبر ليس فيه  
قسم لكنه مؤكد باللام التي يمكن أن تكون جواب قسم وقوله (وعدكم  
الله مغنم كثيرة تأخذونها) وقوله (واذ يعدكم الله احدي الطائفتين)  
ونحو ذلك وعد مجرد

وقد قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء  
حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) فاخبر انه يوحى الى  
البشر تارة وحيا منه وتارة يرسل رسولا فيوحى الى الرسول باذنه  
ما يشاء

والملائكة رسل الله ولفظ الملك يتضمن معنى الرسالة فان أصل

الكلمة . ملاك علي . وزن مفعول لكن لكثرة الاستعمال خففت بأن  
ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذقت الهمزة وملاك مأخوذ  
من المالك والملاك بتقديم الهمزة على اللام واللام على الهمزة وهو الرسالة  
وكذلك الالوكة بتقديم الهمزة على اللام قال الشاعر

أبلغ النعمان عني مألوكا \* انه قد طال حبسى وانتظاري  
وهذا بتقديم الهمزة لكن الملك هو بتقديم اللام على الهمزة وهذا  
أجود فان نظيره في الاشتقاق الاكبر لاك يلوك اذالك الكلام والاجام  
والهمزة أقوى من الواو ويليه في الاشتقاق الاوسط أكل يأكل  
فان الاكل يلوك ما يدخله في جوفه من الغذاء والكلام والعلم ما يدخل  
في الباطن ويغذى به صاحبه قال عبد الله بن مسعود ان كل آدب يحب  
أن تؤتى مأدبته وان مأدبة الله القرآن والآدب المضيف والآدبة الضيافة  
وهو ما يحمل من الطعام المضيف فيمن ان الله ضيف تباداه بالكلام الذي  
أنزله اليهم فهو غذاء قلوبهم وقوتها وهو أشد انتفاعا به واحتياجا اليه  
من الجسد بغذائه

وقال علي رضي الله عنه الربانيون هم الذين ينفذون الناس  
بالحكمة ويربونهم عايها وقد قال صلى الله عليه وسلم اني أيت عند ربي  
يطعمني ويسقيني وقد أخبر الله تعالى ان القرآن شفاء لسائر الصدور  
والناس الى الغذاء أحوج منهم الى الشفاء في القلوب والابدان وفي  
الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى  
والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة أمسكت الماء فانبثت الكلأ

والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كالأفلاك مثل من فقه في دين الله ونفع ما بعني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

فأخبر ان ما بعث به للقلوب كالماء للارض تارة تشربه فتنبت وتارة تحفظه وتارة لا هذا ولا هذا والارض تشرب الماء وتغتذى به حتى يعمل الخير وقد أخبر الله تعالى انه روح تحيا به القلوب فقال (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم) واذا كان ما يوجهه الى عباده تارة يكون بوساطة ملك وتارة بغير وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطاقا لا يختص به الانبياء قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) وقال تعالى (واذ أوحيت الى الخواصين أن آمنوا بربهم ورسولي قالوا آمنا واثقوا بهد باننا مسلمون) واذا كان قد قال وأوحى ربك الى النحل الآية فذكر أنه يوحى اليهم فالي الانسان أولى وقال تعالى (وأوحى في كل سماء أمرها) وقد قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس والفجور يكون بوساطة الشيطان وهو الها وسواس والتقوى بوساطة ملك وهو الهام وحى هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى والامر لابد أن يقترن به خبر

وقد صار في العرف لفظ الهام اذا أطلق لا يراد به الوسوسة

وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين الهام الوحي وبين الوسوسة فالأمور به ان كان تقوى الله فهو من الهام الوحي وان كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان

فيكون الفرق بين الالهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة فان كان مما ألقى في النفس مما دل الكتاب والسنة على انه تقوى لله فهو من الالهام المحمود وان كان مما دل على انه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا الفرق مطرد لا يتقضى وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان قال تعالى الله منه وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانها عنه

وقد تكلم المفسر في العلم الحاصل في القلب عقب النظر والاستدلال فذكروا فيه ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو حامد في مستصفاء وغيره قول الجهمية وقول القدرية وقول الملاحقة وكثير من أهل الكلام لا يذكرون الا القولين قول الجهمية وقول القدرية

وذلك انهم يذكرون في كتبهم ما يعرفونه من أقوال من يعرفونه تكلم في هذا وهم لا يعرفون الا هؤلاء والمسئلة هي من فروع القدر فان الحاصل في نفس حادث فيها فالتقول فيه كالأقوال في أمثاله

ومذهب جهم ومن وافقه كأبي الحسن الأشعري وكثير من المتأخرين المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة ان الله خالق كل شيء وان الله خالق أفعال العباد لكنه لا يثبت سيئاً ولا قدرة مؤثرة ولا حكمة

الفعل الرب فانكر الطباع والقوى التي في الالعيان وأنكر الاسباب والحكم فلم هذا لم يجعل لشيء سبباً بل يقول هذا حاصل بخلاق الله وقدرته ولم يذكروا له سبباً وهم صادقون في اضافته الي قدره وانه خالقه خلافاً للقدريّة لكن من تمام المعرفة اثبات الاسباب ومعرفة \* وأما القدريّة من المتزلة وغيرهم فبنوه على أصلهم وهو ان كل ما تولد عن فعل العبد فهو فعله لا يضاف الى غيره كالشبع والري وزهوق الروح ونحو ذلك فقالوا هذا العلم متولد عن نظر العبد أو تذكر النظر والمتفاسفة بنوه على أصلهم في أن يحدث من الصور هو من فيض العقل الفعال عند الله - تعداد المواد اقلية فنالوا يحصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند الله - تعداد انفس بالبحار المقدمتين وهذا القول خطأ والذي قبله أقرب منه والاول أقرب وليس في شيء منها تحقيق الامر في ذلك

وحقيقته ان الله وكل بالانس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر قاله الصادق من الخير والمقائد الباطلة من الشر كما قال ابن مسعود لمة الملك اصدق بالحق ولمة الشيطان تكذيب بالحق وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في القاضى أنزل الله عليه ملكاً يسدده وكما أخبر الله ان الملائكة توحى الى البشر ما توحى به وان كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس لكن الله أخبر انه يكلم البشر وحياً ويكلمه بملك يوحى باذنه ما يشاء والثالث التكليم من وراء حجاب وقد قال بعض المفسرين المراد بالوحى هنا الوحى في المنام ولم

يذكر أبو الفرج غيره وليس الامر كذلك فان المنام تارة يكون من الله وتارة يكون من النفس وتارة يكون من الشيطان وهكذا ما باقى في اليقظة والانباء معومون في اليقظة والمنام ولهذا كانت رؤيا الانبياء وحيا كما قال ذلك ابن عباس وعبيد بن عمير وقرأ قوله اني أرى في المنام اني أذبحك وايس كل من رأى رؤيا كانت وحيا فكم ذلك ليس كل من ألقى في قلبه شيء يكون وحيا والانسان قد تكون نفسه في يقظته أكل منها في نومه كالمصلي الذي يتأجج به فاذا جاز أن يوحى اليه في حال النوم فله اذا لا يوحى اليه في حال اليقظة كما أوحى الى أم موسى

والحواريين والى النحل لكن ايس لاحد أن يطابق

القول على ما يقع في نفسه انه وحى لافي

يقظة ولا في المنام الا بدليل يدل

على ذلك فان الوساوس

غالب على الناس

والله أعلم

تمت الرسالة العاشرة

وبلها الرسالة الحادية عشر



بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام علامة الانام أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية  
رضي الله عنه

﴿ فصل فيمن أوقع العقود المحرمة ثم تاب قال الله تعالى في الربا  
(وان تبتم فليكن رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون) وقد بسط الكلام  
على هذا في موضعه وقد قال تعالى لما ذكر الخلع والطلاق فقال في  
الخلع (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا أن يخافا أن لا يقيما  
حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اتدت به  
تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فلاوائك هم الظالمون)  
الى قوله (واذا طلقتم النساء فباغن أجلهن فأمسكنوهن بمعروف أو  
سرحوهن بمعروف ولا تمسكنوهن ضرراً تعتدوا ومن يفعل ذلك فقد  
ظلم نفسه) وقال تعالى (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة  
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين  
بفاحشة مينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى  
لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فإذا باغن أجلهن فأمسكنوهن بمعروف  
أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله  
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل  
له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه  
ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

فالطلاق المحرم كالطلاق في الحيض وفي طهر قد أصابها فيه حرام

بالنص والاجماع والاطلاق الثلاث عند الجمهور وهو تمد حدود الله وقاعله ظالم لنفسه كما ذكر الله تعالى انه من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والظالم لنفسه اذا تاب تاب الله عليه لقوله (ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) فهو اذا استغفره غفر له ورحمه وحينئذ يكون من المتقين فيدخل في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)

والذين ألزمهم عمر ومن وافقه بالطلاق المحرم كانوا عاقلين بالتحريم وقد نهوا عنه فلم ينتهوا فلم يكونوا من المتقين فهم ظالمون لأنفسهم مستحقون للعقوبة وكذلك قال ابن عباس لبعض المستفتين ان عمك لم يتق الله فلم يجعل له مخرجاً ومخرجاً ولو اتقى الله لجعل له مخرجاً ومخرجاً وهذا انما يقال لمن علم ان ذلك محرم وفعله ممن لم يعلم بالتحريم لا يستحق العقوبة ولا يكون متعدياً اذا عرف أن ذلك محرم وتاب من عوده اليه والزم أن لا يفعله والذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل ثلاثهم واحدة في حياته كانوا يتوبون فيصيرون متقين ومن لم يتب فهو الظالم كما قال (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) فصر الظلم فيمن لم يتب فمن تاب فليس بظالم فلا يجعل متعدياً لحدود الله بل وجود قوله كعده ومن لم يتب فهو محل اجتهاد فعمد عاقبهم بالالزام ولم يكن هناك تحليل فيكونوا لاعتقادهم ان النساء يحرم من عليهم لا يقومون في الملاق المحرم فاستكفوا بذلك عن تمدد حدود الله فاذا صاروا يوقعون الطلاق المحرم ثم يردون النساء بالتحليل المحرم صاروا يفعلون

المحرم مرتين ويتمدون حدود الله مرتين بل ثلاثاً بل أربعاً لار الطلاق الاول كان تعدياً حدود الله وكذلك نكاح الحمل لها ووطؤه لها قد صار بذلك ملعوناً هو والزوج الاول فقد تعدياً حدود الله هذا مرة أخرى وذلك مرة والمرأة وولها لما علموا بذلك وفعلوه كانوا متعدين لحدود الله فلم يحصل بالالزام في هذه الحال انكشاف عن تعدي حدود الله بل زاد التعدي لحدود الله فترك الزامهم بذلك وان كانوا ظالمين غير تأيين خير من الزامهم فذلك الزنا يعود الى تعدي حدود الله مرة بعد مرة واذا قيل فالذي استفتى ابن عباس ونحوه لو قيل له تب لآب ولهذا كان ابن عباس يفتي احياناً بترك الازوم كما نقله عنه عكرمة وغيره

وعمر ما كان يجعل الخلية والبرية الا واحدة رجعية ولما قال عمر (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً) واداً كان الالزام عاماً ظاهراً كان تخصيص البهض بالاعانة نقضاً لذلك ولم يوثق بتوبة فالمراتب أربعة أما اذا كانوا يتقون الله ويتوبون فلا ريب ان ترك الالزام كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر خير وان كانوا لا يتقون الا بالالزام فينتفون حينئذ ولا يوقعون المحرم ولا يحتاجون الى تحليل فهذه هو الدرجة الثانية التي فعلها فيهم عمر والثالثة ان يحتاجوا الى التحليل المحرم فهنا ترك الالزام خير والرابعة أنهم لا يتقون بل يوقعون المحرم ويلزمونه بلا تحليل فهنا ليس في الزامهم به فائدة الا اصرؤا غلال لم يوجب لهم تقوى الله وحفظ حدوده بل حرمت عايهم نساؤهم وخربت ديارهم فقط والشارع لم يشرع ما يوجب حرمة

النساء وتخريب الديار بل ترك الزامهم بذلك أقل فساداً وإن كانوا اذنبوا فهم مذنبون على التقديرين لكن تخريب الديار أكثر فساداً والله لا يحب الفساد وأما ترك الالزام فليس فيه إلا أنه أذنب ذنباً بقوله فلم يبق منه وهذا أقل فساداً من الفساد الذي قصد الشارع دفعه ومنعه بكل طريق وأصل المسألة أن النهي يدل على أن المنهي عنه فإداه راجح على صلاحه فلا يشرع التزام الفساد من يشرع دفعه ومنعه

وأصل هذا أن كل ما نهى الله عنه وحرمه في بعض الأحوال وأباحه في حال أخرى فإن الحرام لا يكون صحيحاً نافذاً كالحلّال يترتب عليه الحكم كما يترتب على الحلّال ويحصل به المقصود كما يحصل وهذا معنى قولهم النهي يقتضي الفساد وهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وجهورهم وكثير من المتكلمين من المعتزلة والاشعرية يخالف في هذا لما ظن أن بعض ما نهى عنه ليس بناسد كالطلاق المحرم والصلاة في الدار المغصوبة ونحو ذلك

قالوا لو كان النهي موجباً للفساد لزم انتفاض هذه الملة فردل على أن الفساد حصل بسبب آخر غير مطلق النهي وهؤلاء لم يكونوا من أئمة الفقه المارفين بتفصيل أدلة الشرع فقل لهم بأي شيء يعرف أن العبادة فاسدة والمقد فاسد قايلاً بأن يقول الشارع هذا صحيح وهذا فاسد وأما هذا فنشرطه في صحته كذا وكذا قالوا وجدنا منع انتفت الصحة

وهؤلاء وأمثالهم لا يتكلمون في الأدلة الشرعية الواقعة وهي الأدلة التي

جعلها الله ورسوله أدلة على الأحكام الشرعية بل يشككون في أمور  
يقدر، نهافي أذهانهم انها اذا وقعت هل يستدل بها أم لا يستدل والكلام  
فيضاك لا فائدة فيه

ولهذا لا يمكنهم أن ينتفعوا بما يقدرونه من أصول الفقه في  
الاستدلال بالأدلة المفضلة على الأحكام فانهم لم يعرفوا نفس أدلة الشرع  
الواقعة بل قدروا أشياء قد لا تقع وأشياء ظنوا انها من جنس كلام  
الشارع وهذا من هذا الباب

فان الشارع لم يدل الناس قط بهذه الاماظ التي ذكروها ولا يوجد في  
كلامه شرط البيع أو النكاح كذا وكذا ولا هذه العبادة أو العقد  
صحيح أو ليس بصحيح ونحو ذلك مما جملوه دليلا على الصحة والفساد  
بل هذه كلها عبارات أحدثها من أحدثها من أهل الرأي والكلام

وانما الشارع دل الناس بالامر والنهي والتحليل والتحريم وبقوله  
في عقود هذا لا يصلح فيقال الصلاح المضاد للفساد فاذا قال لا يصلح  
علم انه فاسد كما قال في بيع مدين بمد تمرا لا يصلح والصحابة والتابعون  
و-ائر أئمة المسلمين كانوا يحتجون على فساد العقود بمجرد النهي كما  
احتجوا على فساد نكاح ذوات المحارم بالنهي المذكور في القرآن وكذلك  
على فساد عقد الجمع بين الاختين ومنهم من توهّم ان التحريم فيها  
تعارض فيها نصان فتوقف وقيل ان بعضهم أباح الجمع

وكذا نكاح المطلقة ثلاثا استدلوا على فساد بقوله (فارطقها فلا  
تحمل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)

وكذلك الصحابة استدلوا على فساد زكاح الشغار بالمنهى عنه وكذلك عتود الربا وغيرها

وانهم قد علموا ان ما نهى الله عنه فهو من الفساد ليس من الصلاح فان الله لا يحب الفساد ويحب الصلاح فلا ينهي عما يحبه وانما ينهي عما لا يحبه

فعلموا ان المنهى عنه فاسد ليس بصلاح وان كانت فيه مصادقة فصاحته مرسوخة بمفسدته

وقد علموا ان مقصود شرع رفع الفساد ومنعه لا إيقاعه والالزام به فلو ألزموا بموجب القود المحرمة لكانوا مفسدين غير مصلحين والله لا يصلح عمل المفسدين وقوله (واذ قيل لهم لا تفسدوا في الارض) أى لا تعملوا بمعصية الله فيكل من عمل بمعصية الله فهو مفسد والمحرّمات معصية الله فالشارع ينهى عنها ليمنع الفساد ويدفعه

ولا يوجد رقط في شيء من صور النهى صورة ثبتت فيها الصحة بنص ولا اجماع فالطلاق المحرم والصلاة في الدار المغصوبة فيها نزاع ولايس على الصحة نص يجب انباءه فلم يبق مع المحتج بهما حجة لكن في من البيوع ما نهى عنها لما فيها من ظلم احدهما للآخر كبيع المصرا والمعيب وتلقى السلع وانتجش ونحو ذلك وليكن هذه البيوع لم يجعلها الشارع لازمة كالبيوع الحلال بل جعلها غير لازمة والخيرة فيها الى المظلوم ان شاء أبطلها وان شاء أجازها فان الحق في ذلك له والشارع لم ينه عنها لحق مختص بالله كما نهى عن الفواحش بل هذه اذا علم المظلوم

بالحال في ابتداء العقد مثل أن يعلم بالعيب والتدليس والتصرية ويعلم  
 المراد إذا كان قادما بالساعة ويرضى بأن يفنيه المتأق جاز ذلك فكذلك  
 إذا علم بعد العقد أن رضى أجاز وأن لم يرض كان له الفسخ وهذا يدل  
 على أن العقد يقع غير لازم بل موقوفا على الإجازة ان شاء أجازة  
 صاحب الحق وإن شاء رده وهذا متفق عليه في مثل بيع العيب مما  
 فيه الرضا بشرط السلامة من العيب فإذا فقد الشرط بقى موقوفا على  
 الإجازة فهو لازم ان كان على صفة وغير لازم ان كان على صفة وأما إذا  
 كان غير لازم مطلقا بل هو موقوف على رضا المجيز فهذا فيه نزاع وأكثر  
 العلماء يقولون بوقف العقود وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وغيرهما  
 وعليه أكثر نصوص أحمد وهو اختيار القدماء من أصحابه كالخرفي  
 وغيره كما هو مبسوط في موضعه

اذ المقصود هنا ان هذا النوع يحسب طائفة من الناس انه من جملة  
 ما نهى عنه ثم نقول طائفة وليس بفساد فالنهي لا يجب أن يتنقض الفساد  
 وتقول طائفة بل هذا فاسد فهم من أفسد بيع النجش اذا نجش البائع  
 أو واطأ ومنهم من أفسد نكاح الخاطب على خطابة أخيه وبيعه على بيع  
 أخيه ومنهم من أفسد بيع العيب المدلس فلما عورض بالمصراة توقف  
 ومنهم من صحح نكاح الخاطب على خطابة أخيه مطلقا وبيع النجش  
 بلا خيار

والتحقيق ان هذا النوع لم يكن النهى فيه لحق الله كنكاح المحرمات  
 والمطلقة ثلاثا وبيع الربا بل لحق الانسان بحيث لو علم المشتري ان



صاحب السلعة ينجش ورضى بذلك جاز وكذلك اذا علم ان غيره ينجش وكذلك المخطوبة متى أذن الخاطب الاول فيها جاز ولما كان النهي هنا لحق الآدمي لم يجبه له الشارع صحيحاً لازماً كاللحل بل أثبت حق المظلوم وسلطه على الخيار فان شاء أمضى وان شاء فسخ قلمشترى مع النجش ان شاء رد المبيع فحصل بهذا مقصوده وان شاء رضى به اذا علم بالنجش فاما كونه فاسداً مردوداً وان رضى به فهذا لا وجه له وكذلك الرد بالميب والمدلس والمصرأة وغير ذلك وكذلك المخطوبة ان شاء الخاطب أن يفسخ نكاح هذا المتعدي عليه ويتزوجها برضاها فله ذلك وان شاء أن يمضي نكاحه فله ذلك وهو اذا اختار فسخ نكاحه عاد الامر الى ما كان فان شئت نكحته وان شئت لم تنكحه اذ مقصوده حصل بفسخ نكاح الخاطب واذا قيل هو غير قلب المرأة على قيل ان شئت عاقبتها على هذا بان نكحه من نكاحها فيكون هذا قصاصاً اظلمه اياك وان شئت عفوت عنه فانفذنا نكاحه

وكذلك الصلاة في الدار المغصوبة والذبح بآلة مغصوبة وطبخ الطعام بحطب مغصوب وتسخين الماء بحطب مغصوب كل هذا انما حرم لما فيه من ظلم الانسان وذلك يزول باعطاء المظلوم حقه فاذا أعطاه بدل مأخذه من منفعة ماله أو من أعيان ماله فاعطاه كراء الدار ومن الخطب وتاب هو الى الله من فعل ما نهى عنه فقد برئ من حق الله وحق العبد وصارت صلاته كالصلاة في مكان مباح والطعام كالطعام بوقود مباح والذبح بسكين مباحة وان لم يفعل ذلك كان لصاحب السكين



أجرة ذبحه، لا تحرم الشاة كلها وكان لصاحب الدار أجرة داره لا تحبط  
صلاته كلها لأجل هذه الشبهة وهذا إذا أكل الطعام ولم يوفه ثمنه كان بمنزلة  
من أخذ طعاما لغيره فيه شركه ليس فعله حراما ولا هو حلالا محضا  
فإن نضج الطعام لصاحب النوقود فيه شركه وكذلك الصلاة يبقى عليه  
اسم الظلم ينقص من صلاته بقدره فلا تبرأ ذمته كبراءة من صلى صلاة  
تامة ولا يعاقب كعقوبة من لم يصل بل يعاقب على قدر ذنبه

وكذلك أكل الطعام يعاقب على قدر ذنبه والله تعالى يقول (من  
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وإنما قيل  
في الصلاة في الثوب النجس وبالمكان البعيد بخلاف هذا لأنه هناك  
لا سبيل له إلى براءة ذمته إلا بالاعادة وهنا يمكنه ذلك بارتضاء المظلوم  
ولكن الصلاة في الثوب الحرير هي من ذلك القسم الحق فيها لله ولكن  
نهى عن ذلك في الصلاة وغير الصلاة لم ينه عنه في الصلاة فقط

فقد تنازع الفقهاء في مثل هذا فمنهم من يقول النهى هنا لمعنى في  
غير المنهى عنه وكذلك يقولون في الصلاة في لدار المغصوبة والثوب  
المغصوب والعلاق في الحيض والبيع وقت النداء ونحو ذلك وهذا الذي  
قالوه لاحقيقة له فانه ان عني بذلك أن نفس الفعل المنهى عنه ليس فيه  
معنى يوجب النهى فهذا باطل فإن نفس البيع اشتمل على تعطيل الصلاة  
ونفس الصلاة اشتملت على الظلم والفخر والخيلاء ونحو ذلك مما أوجب  
النهى كما اشتملت الصلاة في الثوب النجس على ملابسة الخبيث

وإن أرادوا بذلك ان ذلك المعنى لا يختص بالصلاة بل هو مشترك

بين الصلاة وغيرها فهذا صحيح فان البيع وقت النداء لم يمتعه عنه الا  
 لكونه شاغلا عن الصلاة وهذا وجود في غير البيع لا يختص بالبيع  
 لكن هذا الفرق لا يجيء في طلاق الحائض فانه ليس هناك معنى مشترك  
 وهم يقولون انما نهى عنه لاطالة العدة وذلك خارج عن الطلاق فيقل  
 وغير ذلك من المحرمات كذلك انما نهى عنها لافضائه الى فساد خارج  
 عنها فالجمع بين الاختين نهى عنه لافضائه الى قطيعة الرحم والقطيعة  
 أمر خارج عن النكاح والخمر والميسر حرما وجعلا رجسا من عمل  
 الشيطان لان ذلك يفضى الى الصد عن الصلاة وايقاع المداوة والبقضاء  
 وهو أمر خارج عن الخمر ولربا والميسر حرما لان ذلك يفضى الى أكل  
 المال بالباطل وذلك خارج عن نفس عقد الربا والميسر

فكل منهي الله عنه لا بد أن يشتمل على معنى فيه يوجب النهي  
 ولا يجوز أن ينهى عن شيء لا معنى فيه أصلا بل لمعنى أجنبي عنه فان  
 هذا من جنس عقوبة الانسان بذنب غيره والشرع منزه عن ذلك  
 فكما لا تزر وازرة وزر أخرى في العمال فكذلك في الاعمال لكن في  
 الاشياء ما ينهي عنه لسد الذريعة فهو مجرد عن الذريعة لم يكن فيه مفسدة  
 كالنهي عن الصلاة في أوقات النهي قبل طلوع الشمس وغروبها ونحو  
 ذلك وذلك لان هذا الفعل اشتمل على مفسدة الافضاء الى التشبه  
 بالمشركين وهذا معنى فيه

ثم من هؤلاء الذين قالوا ان النهي قد يكون لمعنى في المنهي عنه وقد  
 يكون لمعنى في غيره من قال انه قد يكون لوصف في الفعل لاني أصـ

فـدل علي صحته كالنهي عن صوم يومي العيدين قالوا هو منهي عنه  
لوصف العيدين لجنس الصوم فاذا صام صبح لانه سماه صوما فيقال  
لهم وكذلك الصوم في أيام الحيض وكذلك الصلاة بلا طهارة والى غير  
القبلة جنسه مشروع وانما النهى الوصف خاص وهو الحيض والمحدث  
واستقبال غير القبلة ولا يعرف بين هذا وهذا فرق معقول له تأثير في  
الشرع \* فانه اذا قيل الحيض والحديث صفة في الحائض والمحدث وذلك  
صفة في الزمان \* قيل والصفة في محل الفعل زمانه ومكانه كالصفة في فاعله  
فنه لو وقف في عرفة في غير وقتها أو في غير عرفة لم يصح وهو صفة في  
الزمان والمكان وكذلك لورمي الجمار في غير أيام أو في غير موى  
وهو صفة في الزمان والمكان واستقبال غير القبلة هو الصفة في الجهة  
لا فيه ولا يجوز ولو صام بالليل لم يصح وان كان هذا زمانا فاذا قيل الليل  
ليس بمحل للصوم شرعا \* قيل ويوم العيد ليس بمحل للصوم شرعا كما ان  
زمان الحيض ليس بمحل للصوم شرعا

فالفرق بين فعاين لا بد أن يكون فرقا شرعيا فيكون معقولا  
ويكون الشارع قد جعله مؤثرا في الحكم فثبت علق به الحل أو الحرمة  
الذى يختص بأحد الفعاين

وكثير من الناس يتكلم بفروق لاحقيقة لها ولا تأثير له في الشرع  
ولهذا يقولون في القياس انه قد يمنع في الوصف لافي الاصل أو الشرع  
أو يمنع تأثيره في الاصل وذلك انه قد يذكر وصفا يجمع به بين الاصل  
والفرع ولا يكون ذلك الوصف مشتركا بينهما بل قد يكون منفيا عنهما

أو عن أحدهما وكذلك الفرق قد يفرق بوصف يدعى انتقاؤه باحدى  
 الصورتين ايس هو مختصا بها بل هو مشترك بينهما وبين الاخرى  
 كقولهم النهى لمعنى فى المنهى عنه وذلك لمعنى فى غيره أو ذاك لمعنى فى  
 وصفه دون أصله ولكن قد يكون النهى لمعنى يختص بالعبادة والعقد وقد  
 يكون لمعنى مشترك بينهما وبين غيرها كما ينهى المحرم عما يختص بالاحرام  
 مثل حلق الرأس ولبس العمامة وغير ذلك من الثياب المنهى عنها وينهى  
 عن نكاح امرأته وينهى عن صيد البر وينهى مع ذلك عن الربا وعن  
 ظلم الناس فيما ملكوه من الصيد وحينئذ فالنهي لمعنى مشترك أعظم  
 ولهذا لو قتل المحرم صيدا مملوكا وجب عليه الجزاء لحق الله ووجب  
 عليه بدله لحق المالك ولو زنا لافسد احرامه كما يفسده بنكاح امرأته  
 ولا يستحق حد الزنا مع ذلك وعلى هذا فمن لبس فى الصلاة ما يحرم  
 فيها وفي غيرها كالثياب التى فيها خيلاء ونخر كالمسبلة والحرير كان أحق  
 ببطلان الصلاة من الثوب انجس وفى الحديث لذى فى السنن ان الله  
 لا يقبل صلاة مسبل

والثوب النجس فيه نزع وفي قدر النجاسة نزاع والصلاة فى الحرير  
 للرجال من غير حاجة حرام بالنسب والاجماع وكذلك البيع بعد انتهاء  
 اذا كان قد نهى عنه وغيره يشغل عن الجمعة كان ذلك أوكد فى النهي  
 وكل مشغل عنها فهو شر وفساد لا خير فيه والمالك الحاصل بذلك كالمالك  
 الذى لم يحصل الا بمعصية الله وغضبه ومخالفته كالذى لا يحصل الا بغير  
 ذلك من المعاصى مثل الكفر والسحر والكهانة والفا حشة وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم حلوان الكاهن خبيث ومهر البغي خبيث  
 فاذا كنت لأملك الساعة ان لم أترك الصلاة المفروضة كان حصول الملك  
 سبب ترك الصلاة كما ان حصول الحلوان والمهر بالكهانة والبغاء وكما لو  
 قبل له ان ترك الصلاة اليوم أعطيتك عشرة دراهم فان ما يأخذه على  
 ترك الصلاة خبيث كذلك ما يملكه بالمعاوضة على ترك الصلاة خبيث ولو  
 استأجر أجيرا بشرط أن لا يصلي كان هذا الشرط باطلا وكان  
 ما يأخذه عن العمل الذي يعمل به بمقدار الصلاة خبيث مع ان جنس  
 العمل بالاجرة جائز كذلك جنس المعاوضة جائز لكن بشرط أن  
 لا يتعدى عن فرائض الله واذا حصل البيع في هذا الوقت وتعدى الرد  
 فله نظيره الذي آداه ويتصدق بالربح والبائع له نظير ساعته ويتصدق  
 بربح ان كان ربح ولو تراضيا بذلك بعد الصلاة لم ينفع فان النهي هنا لحق  
 الله فهو كما لو تراضيا بمهر البغي وهناك ينصدق به على أصح القولين  
 لا يعطي لازاني وكذلك في الخمر ونحو ذلك مما أخذ صاحبه منفعة  
 محرمة فلا يجمع له العوض والمموض فان ذلك أعظم اثما من بيعه فاذا  
 كان لا يحل أن يباع الخمر بالثمن فكيف اذا أعطى الخمر وأعطى الثمن  
 واذا كان لا يحل لازاني أن يزني وان أعطى فكيف اذا أعطى المال  
 والزنا جميعا بل يجب اخراج هذا المال كسائر أموال المصالح المشتركة  
 فكذلك هنا اذا كان قد باع الساعة وقت النداء بربح واحد وأخذ ساعته  
 فان فاتت تصدق بالربح ولم يعطه للمشتري فيكون اعانة له على الشراء  
 والمشتري يأخذ الثمن ويعيد الساعة فان باعها بربح تصدق به ولم يعطه

لابائع فيكون قد جمع له بين ربحين وقد تنازع الفقهاء  
في المقبوض بالعتد الفاسد هل يملك أولا يملك أو  
يفرق بين أن يفوت أو لا يفوت كما هو  
مبسوط في غير هذا الموضع

تمت الرسالة الحادية عشر

ويليهما الرسالة الثانية عشر له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه عما يقع في كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بمضاهم وربما كان حكماً مجمعاً عليه

فمن ذلك قولهم تطهير الماء اذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس بل وتطهير النجاسة على خلاف القياس والتوضؤ من لحوم الابل على خلاف القياس والفطر بالحجامة على خلاف القياس والسلم على خلاف القياس والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المنطر ناسياً والمضي في الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الاحكام فهل هذا القول صواب أم لا وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا

فاجاب الحمد لله رب العالمين \* أصل هذا ان تلم أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين الاول قياس الطرد والثاني قياس العكس وهو من البدل الذي يثبت الله به رسوله

( فالقياس الصحيح ) مثل ان تكون العلة التي علق بها الحكم في الاصل موجودة في الفرع من غير معارضة في الفرع بمنع حكمها او مثل هذا القياس لا تاتى الشريعة بخلافه قط وكذلك القياس بالغاء الفارق وهو أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع فنل هذا القياس



لأنّ الشريعة بخلافه وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأنواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته له - يره لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفاً للقياس فأنما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه ليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر

وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعاً أنه قياس فاسد - في أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن أنها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد وإن كان من الناس من لا يعلم فساده

ونحن نبين أمثلة ذلك مما ذكر في السؤال فالذين قالوا المضاربة والمساقة والمزارعة على خلاف القياس ظنوا أن هذه العقود من جنس الاجارة لأنها عمل بعوض والاجارة يشترط فيها العلم بالعوض والمعوض فلما رأوا العمل في هذه العقود غير معلوم والربح فيها غير معلوم قالوا تخالف القياس وهذا من غلطهم فإن هذه العقود من جنس المشاركات لا من جنس المعاوضات الخاصة التي يشترط فيها العلم بالمعوضين والمشاركات جنس غير جنس المعاوضة وإن قل أن فيها شوب المعاوضة وكذلك المقاسمة جنس غير جنس المعاوضة الخاصة وإن كان فيها شوب معاوضة



حتى ظن بعض الفقهاء انها بيع يشترط فيها شروط البيع الخاص  
 ووايضاح هذا ان العمل الذي يقصد به المال ثلاثة أنواع أحدها أن  
 يكون العمل مقصودا معلوما مقدورا على تسليمه فهذه الاجارة اللازمة  
 والثاني أن يكون العمل مقصودا لكن به مجهول أو غرر فهذه الجمالة  
 وهي عقد جائز ايسر بالازم فاذا قال من رد عبدي الآبق فله مائة فقد  
 يقدر على رده وقد لا يقدر وقد يرد من مكان قريب وقد يرد من  
 مكان بعيد فلهذا لم تكن لازمة لكن هي جائزة فان عمل هذا العمل  
 استحق الجمل والا فلا ويجوز أن يكون الجمل فيها اذا حصل بالعمل  
 جزأ شائما ومجهولا جهالة لا تمنع التسليم مثل أن يقول أمير الغزوين  
 دل على حصن فله ثلث ما فيه ويقول للسرية التي يسريها لك خمس  
 ما تغنمين أو ربه وقد تنازع العلماء في سلب القتال هل هو مستحق  
 بالشرع كقول الشافعي أو بالشرط كقول أبي حنيفة ومالك على قولين  
 هما روايتان عن أحمد فمن جعله مستحقا بالشرط جعله من هذا الباب  
 ومن هذا الباب اذا جعل للطبيب جعلا على شفاء المريض جاز كما  
 أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين جعل لهم قطيع على شفاء  
 سيد الحي فرقاه بعضهم حتى برى فآخذوا القطيع فان الجمل كان على  
 الشفاء لا على القراءة ولو استأجر طبيا اجارة لازمة على الشفاء لم يجز  
 لان الشفاء غير مقدور له فقد يشفيه الله وقد لا يشفيه فهذا ونحوه مما  
 تجوز فيه الجمالة دون الاجارة اللازمة واما النوع الثالث فهو ما لا يقصد  
 فيه العمل بل المقصود المال وهو المضاربة فان رب المال ليس له

قصد في نفس عمل العامل كما للجاعل والمتأجر قصد في عمل العامل  
ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح شيئاً لم يكن له شيء وإن سمي هذا جملة  
بجزء مما يحصل بالعمل كان نزاعاً لفظياً بل هذه مشاركة هذا بنفع  
بدنه وهذا بنفع ماله وما قسم الله من الربح كان بينهما على الإشاعة  
ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر لآخر هذا يخرجهما عن  
العدل الواجب في الشراكة وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم  
من المزارعة

فإنهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها وهو ما ينبت على  
الميازيب وأقبال الجداول ونحو ذلك فنهى النبي صلى الله عليه وسلم  
عن ذلك ولهذا قال الأئمة بن سدد وغيره إن الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم  
عليه وسلم هو أمر إذا نظر فيه ذو البعير بالحلال والحرام علم أنه لا يجوز  
أو كما قال فين إن التمهني عن ذلك موجب القياس فإن مثل هذا لو شرط  
في المضاربة لم يجوز لأن معنى الاشتراكات على العدل بين الشريكين فإذا  
خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن هذا عدلاً بخلاف ما إذا كان لكل  
منهما جزء شائع فإنهما يشتركان في المنفعة وفي المنفعة فإن حصل ربح  
اشتركا في المنفعة وإن لم يحصل ربح اشتركا في الحرمان وذهب نفع بدن  
هذا كما ذهب نفع مال هذا ولهذا كانت الوضعية على المال لأن ذلك في  
مقابلة ذهاب نفع العامل ولهذا كان الصواب أنه يجب في المضاربة إفاسدة  
ربح المثل لأجرة المثل فيعطي العامل ما جرت به العادة أن يعطاه مثله  
من الربح أما نصفه وأما ثلثه وأما ثلثاه فاما أن يعطي شيئاً مقدر

مضمونا في ذمة المالك كما يعطي في الاجارة والجمالة فهذا غلط ممن  
قاله وسبب الغلط ظنه أن هذا اجارة فاعطاه في فائدتها عوض المثل  
كما يعطيه في المسمى الصحيح \* وما يبين غلط هذا اقول ان العامل قد  
يعمل عشر سنين فلو أعطى أجرة المثل لا يعطي أضعاف رأس المال  
وهو في الصحيحة لا يستحق الاجزاء من الربح ان كان هناك ربح فكيف  
يستحق في الفاسدة أضعاف ما يستحقه في الصحيحة

وكذلك الذين أبطلوا المزارعة والمساقاة ظنوا انها اجارة بعوض  
بجهول فابطلوها وبعضهم صحح منها ما بدعوا اليه الحاجة كالمساقاة على  
الشجر لعدم امكان اجارتها بخلاف الارض فانه يمكن اجارتها وجوزوا  
من المزارعة ما يكون تبعا للمساقاة اما مطلقا واما اذا كان البياض الثالث  
وهذا كله بناء على ان مقتضى الدليل بطلان المزارعة وانما جوزت  
للحاجة ومن أعطى النظر حقه علم ان المزارعة أبعد من الظلم والقمار  
من الاجارة باجرة مسماة مضمونة في الذمة فان المستأجر انما يقصد  
الانتفاع بالزرع النابت في الارض فاذا وجب عليه الاجرة ومقصوده  
من الزرع قد يحصل وقد لا يحصل كان في هذا حصول أحد  
المتماوضين على مقصوده دون الآخر وأما المزارعة فان حصل الزرع  
اشتركا فيه وان لم يحصل شيء اشتركا في الحرمان فلا يختص أحدهما  
بحصول مقصوده دون الآخر فهذا أقرب الى العدل وأبعد من الظلم  
من الاجارة \* والاصل في القود جميعها هو العدل فانه بعثت به الرسل  
وأُنزلت الكتب قال تعالى (لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والشارع نهي عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم والقرآن جاء بتحريم هذا وهذا وكلاهما أكل المال بالباطل وما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات كببيع الغرر وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وبيع السنين وبيع جبل الحبلية وبيع المزابنة والمحاقلة ونحو ذلك هي داخلة أما في الربا وأما في الميسر فالاجارة بالاجرة المجهولة مثل أن يكره الدار بما يكسبه المكثري في حانوته من المال هو من الميسر فهذا لا يجوز وأما المضاربة والمساواة والمزارعة فليس فيها شيء من الميسر بل هو من أقوم العدل وهذا مما يبين لك أن المزارعة التي يكون فيها البذر من العامل أحق بالجواز من المزارعة التي يكون فيها من رب الأرض ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزارعون على هذا الوجه وكذلك عامل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر يشطرون ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم والذين اشترطوا أن يكون البذر من رب الأرض قاسوا ذلك على المضاربة فقالوا في المضاربة المال من واحد والغنم من آخر وكذلك ينبغي أن يكون في المزارعة وجعلوا البذر من رب المال كالأرض وهذا القياس مع أنه مخالف للسنة ولا قول الصحابة فهو من أفسد القياس وذلك أن المال في المضاربة يرجع إلى صاحبه ويقتسمان الربح فهو نظير الأرض في المزارعة وأما البذر الذي لا يعود نظيره إلى صاحبه بل يذهب كما يذهب نفع الأرض فالخامق بالنفع الذاهب أولى من الخامق بالأصل الباقي فالماقد إذا أخرج البذر ذهب عمله وبذره

ورب الأرض ذهب نفع أرضه وبذر هذا كارض هذا فمن جعل البذر كالمال كان ينبغي له أن يعيد مثل البذر الى صاحبه كما قال مثل ذلك في المضاربة فكيف ولو اشترط رب البذر نظير عود بذره اليه لم يجوزوا ذلك وليس هذا موضع بسط هذه المسائل وإنما الغرض التنبيه على جنس قول النائل هذا يخالف القياس

(فصل) وأما الحوالة فمن قال تخالف القياس قال انها بيع دين بدين وذلك لا يجوز وهذا غلط من وجهين أحدهما أن بيع الدين بالدين ليس فيه نص عام ولا اجماع وإنما ورد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ والكالئ هو المؤخر الذي لم يقبض بالمؤخر الذي لم يقبض وهذا كما لو أسلم شيئاً في شيء في الذمة وكلاهما مؤخر فهذا لا يجوز بالاتفاق وهو بيع كالئ بكالئ وأما بيع الدين بالدين فينقسم الى بيع واجب بواجب كما ذكرناه وينقسم الى بيع ساقط بساقط وساقط بواجب وهذا فيه نزاع \* الوجه الثاني ان الحوالة من جنس ايفاء الحق لامن جنس البيع فان صاحب الحق اذا استوفى من المدين ماله كان هذا استيفاء فإذا أحاله على غيره كان قد استوفى ذلك الدين عن الدين الذي له في ذمة المحيل ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحوالة في معرض الوفاء فقال في الحديث الصحيح مظل الغني ظلم وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع فأمر المدين بالوفاء ونهاه عن المظل وبين انه ظالم اذا مظل وأمر الغريم بقبول الوفاء اذا أحيل على مليء وهذا كقوله تعالى فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان أمر المستحق أن يطالب بالمعروف وأمر

المدين أن يؤى باحسان ووفاء. الدين ليس هو البيع الخاص وان كان فيه شوب المعاوضة وقد ظن بعض الفقهاء ان الوفاء انما يحصل باستيفاء الدين بسبب أن الغريم اذا قبض الوفاء صار في ذمته للمدين مثله يتقاص ماعليه بماله وهذا تكلف أنكره جمهور الفقهاء وقالوا بل نفس المال الذي قبضه يحصل به الوفاء ولا حاجة أن نقدر في ذمة المستوفي ديناً وأرائك قد صد وأن يكون وفاء الدين بدين وهذا لا حاجة اليه بل الدين من جنس المطلق الكلي والمعين من جنس المعين فمن ثبت في ذمته دين مطلق كلي فالتقصود منه هو الاعيار الموجودة وأي معين استوفاه حصل به المقصود من ذلك الدين المطلق

(فصل ومن قال القرض خـلاف القياس) قال لانه بيع ربوي بمجنسه من غير قبض وهذا غلط فان القرض من جنس التبرع بالمنافع كالعارية ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم منيحة فقال أو منيحة ذهب أو منيحة ورق وباب العارية أصله أن يعطيه أصل المال لينتفع بما يستخاف منه ثم يعيده اليه فتارة ينتفع بالمنافع كما في عارية العفار وتارة يمنحه ماشية ليشرب لبنها ثم يعيدها ونارة يعيره شجرة لياكل ثمرها ثم يعيدها فان اللبن والتمر يستخاف شيئاً بعد شيء بمنزلة المنافع ولهذا كان في الوقف يجري مجرى المنافع والمقرض يقرضه ما يقرضه لينتفع به ثم يعيده له بمثله فان إعادة المثل تقوم مقام إعادة المعين ولهذا نهى أن يشترط زيادة على المثل كما لو شرط في العارية أن يرد مع الأصل غيره وليس هذا من باب البيع فان عاقلاً لا يبيع درهما بمثله من كل وجه الى

أجل ولا يباع الشيء بمجسه الى أجل الا مع اختلاف العفة أو القدر كما يباع نقد بنقد آخر وصحيح بتكسور ونحو ذلك وامكن قد يكون الفرض منفعلة ثم مقروض كما في مسألة السفتجة ولهذا كرهها من كرهها والصحيح أنها لا تكرر لان المقترض ينتفع بها أيضاً ففيها منفعة لهما جميعاً اذا أقرضه

(فصل) وأما قول من يقول ازالة النجاسة على خلاف القياس والنكاح على خلاف القياس . نحو ذلك فهو من أفسد الأقوال وشبهتهم انهم يقولون الانسان شريف والنكاح فيه ابتذال المرأة وشرف الانسان يتنافى الابتذال وهذا غلط فان النكاح من مصلحة شخص المرأة ونوع الانسان والقدر الذي فيه من كون الذكر يقوم على الاثني هو من الحكمة التي بها تتم مصلحة جنس الحيوان فضلاً عن نوع الانسان ومثل هذا الابتذال لا يتنافى الانسانية كما لا يتنافى ان يتغوط الانسان اذا احتاج الى ذلك وان يأكل ويشرب وان كان الاستغناء عن ذلك أكمل بل ما احتاج اليه الانسان وحصل له به مصلحة فانه لا يجوز ان يمنع منه والمرأة محتاجة الى النكاح وهو من تمام صلاحيتها فكيف يقال القياس يقتضي منعها أن تزوج

وكذلك ازالة النجاسة فان شبهة من قال انها تخالف القياس ان الماء اذا لاقها نجس الماء ثم اذا صب ماء آخر لاقى الاول وهلم جرا قالوا فكان القياس انه تنجس المياه المتلاحقة والنجس لا يزيل النجس وهذا غلط فانه يقال لم قائم القياس يقتضي ان الماء اذا لاقى النجاسة نجس \* فان قائم لانه في بعض الصور كذلك \* قيل الحكم في الاصل ممنوع عند



من يقول الماء لا نجس الا بالتغير ومن سلم الاصل قال ليس جعل الازالة مخالفة للقياس بأولى من جعل نجس الماء مخالفا للقياس بان يقال انقياس ينقض ان الماء اذا لاقى نجاسة لا نجس كما انه اذا لاقاها حال الازالة لا نجس فهذا القياس أصح من ذلك لان النجاسة تزول بالماء بالاص والاجماع واما نجس الماء بالملاقاة فمورد نزاع فكيف يجعل مواقع النزاع حجة على مواقع الاجماع والقياس أن يقاس موارد النزاع على مواقع الاجماع ثم يقال الذي يقتضيه المعقول ان الماء اذا لم تغيره ان نجاسة لا نجس فانه باق على أصل خلقه وهو طيب داخل في قوله تعالى (ويحلب لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وهذا هو القياس في مسائل جميعها اذا وقعت فيها نجاسة فاستحالت حتى لم يظهر طعمها ولا لونها ولا ريحها أن لا نجس فقد تنازع الفقهاء هل القياس يقتضي نجاسة الماء بملاقاة النجاسة الا ما استثناء الدليل أو القياس يقتضي أنه لا نجس اذا لم تتغير على قوانين والاول قول أهل العراق والثاني قول أهل الحجاز وفتنهما الحديث منهم من يختار هذا ومنهم من يختار هذا وهم أهل الحجاز وهو الصواب الذي تدل عليه الاصول والنصوص والمعقول فان الله أباح الطيبات وحرم الخبائث والطيب والحديث باعتبار صفات قائمة بالشيء فما دام على حاله فهو طيب فلا وجه لتحريمه ولهذا لو وقعت قطرة خمر في جب لم يجلد شاربه والذين يسمون أن القياس نجاسة الماء بالملاقاة فرقوا بين ملاقاته في الازالة وبين غيرها بفرقهم من قال الماء ههنا وارد على النجاسة وهناك وردت النجاسة عليه وهذا ضعيف فانه لو صب ماء في جب نجس نجس عندهم ومنهم



من قال الماء اذا كان في مورد التطهير لازلة الخبث أو الحدث لم يثبت له حكم النجاسة ولا الاستعمال الا اذا انفصل واما قبل الانفصال فلا يكون مستعملاً ولا نجساً وهذا حكاية مذهب ليس فيه حجة ومنهم من قال الماء في حال الازالة جار والماء الجاري لا نجس الا بالتغير وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهو أنص الروايتين عن أحمد وهو القول القديم للشافعي ولكن ازالة النجاسة تارة تكون بالجريان وتارة تكون بدونه

كجا لو صب الماء على الثوب في الطست

فالصواب ان مقتضى القياس أن الماء لا نجس الا بالتغير والنجاسة لا تزول به حتى يكون غير متغير واما في حال تغيره فهو نجس لكن تخفف به النجاسة واما الازالة فانما تحصل باناء الذي ليس بتغير وهذا القياس في الماء هو القياس في المائعات كلها انها لا تنجس اذا استتحات النجاسة فيها ولم يبق لها فيها أثر فانما حينئذ من الطيبات لامن الخبائث وهذا القياس هو القياس في قليل الماء وكثيره وقليل المائع وكثيره فان قام دليل شرعي على نجاسة شيء من ذلك فلا نقول انه خلاف القياس بل نقول دل ذلك على أن النجاسة ما استتحات

ولهذا كان اظهر الاقوال في المياه مذهب أهل المدينة والبصرة أنه لا نجس الا بالتغير وهو إحدى الروايات عن الامام أحمد نصرها طائفة من أصحابه كالامام أبي الوفاء بن عقيل وأبي محمد بن المني وكذلك علماء المستعمل في طهارة الحدث باق على طهوريته وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الماء لا نجس فلا يصير الماء جنباً ولا يمتد

إليه حكم الجنبات ونهيه صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم  
أو عن الاغتسال فيه لا يدل على أنه يصير نجساً بذلك بل قد نهى عنه  
لما يفضي إليه البول بعد البول من افساده أو لما يؤدي إلى الوسواس  
كما نهى عن بول الرجل في مستحجمه وقال عامة الوسواس منه ونهيه  
عن الاغتسال قد جاء فيه أنه نهى عن الاغتسال فيه بعد البول وهذا  
يشبه نهيه عن بول الانسان في مستحجمه

(وقد) ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن  
فأرة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حوّلها وكلوا سمنكم والتفريق  
المروى فيه أن كان جامداً فألقوها وما حوّلها وإن كان مائماً فلا تقربوه  
غلط كما بينه البخاري والترمذي وغيرهما وهو من غلط معمر فيه وابن  
عباس راويه أفقياً فيما إذا ماتت أن تاتى وما حوّلها وتؤكل فقل لها ما لها  
قد دارت فيه فقال إنما ذلك لما كانت حية فلما ماتت استقرت رواه أحمد  
في مسائل ابنه صالح وكذلك الزهري راوى الحديث أفقياً في الجامد  
والمائع القليل والكثير سمناً كان أو زيتاً أو غير ذلك بأن تاتى وما  
قرب منها ويؤكل الباقي واحتج بالحديث فكيف قد يكون روى  
فيه الفرق

وحديث القلتين أن صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدل على  
ذلك أيضاً فإن قوله إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث وفي اللفظ الآخر  
لم ينجه نىء يدل على أن الموجب لنجاسته كون الخبث فيه محمولا ففى  
كان مستهلكاً فيه لم يكن محمولا فمقطوع الحديث وتأمله لم يدل على ذلك

وأما تخصيص القلتين بالذكور فأنهم سألوه عن الماء يكون بأرض القلاة وما ينوبه من السباع والدواب وذلك الماء الكثير في العادة فبين صلى الله عليه وسلم أن مثل ذلك لا يكون فيه خبث في العادة بخلاف القليل فإنه قد يحمل الخبث وقد لا يحمله فإن الكثرة تعين على إحالة الخبث إلى طهره والمفهوم لا يجب فيه العموم فليس إذا كان القلتان لا تحمل الخبث يلزم أن مادونها يلزمه مطلقاً على أن التخصيص وقع جواباً لأناس سألوه عن مياه معينة فقد يكون التخصيص لأن هذه كثيرة لا تحمل الخبث والقلتان كثير ولا يلزم أن لا يكون الكثير الاقلتين والافلوكان هذا حداً فاصلاً بين الحلال والحرام لذكره ابتداءً ولأن الحدود الشرعية تكون معروفة كنصاب الذهب والمعثرات ونحو ذلك والماء الذي تقع فيه النجاسة لا يعلم كيله الاخرصاً ولا يمكن كيله في العادة فكيف يفصل بين الحلال والحرام بما يتعذر معرفته على غالب الناس في غالب الاوقات وقد أطلق في غير حديث قوله الماء طهور لا ينجسه شيء والماء لا يجنب ولم يقدره مع أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ومنطوق هذا الحديث يوافق تلك ومفهومه إنما يدل عند من يقول بدلالة المفهوم إذا لم يكن هناك سبب يوجب التخصيص بالذكور لا الاختصاص بالحكم وهذا لا يعلم هنا

وحديث الامر باراقة الاناء من ولوغ الكلب لأن الآنية التي يابغ فيها الكلب في العادة صغيرة ولعابه لزج يبقى في الماء ويتصل بالاناء فيراق الماء ويغسل الاناء من ريقه الذي لم يستحل بعد بخلاف ما إذا ولىع في

اناء كبير وقد نقل حرب عن أحمد في كلب ولغ في جب كبير فيه زيت  
فأمره بأكله وبسط هذه المسائل له موضع آخر وانما المعصود التنبيه  
على مخالفة القياس وموافقته

(فصل) وقول القائل ان تطهير الماء على خلاف القياس هو بناء على  
هذا الاصل الفاسد والا فن كان من أصله ان القياس ان الماء لا ينجس  
الا بالتغير فانقياس غده نظيره فان الحكم اذا ثبت بعلة زال بزوالها  
واذا كانت العلة التغير فاذا زال التغير زالت النجاسة كما ان الملة لما كانت  
في الحجر الشدة المطربة فاذا زالت تطهرت كيف والنجاسة في الماء واردة  
عليه كنجاسة الارض ولكن قد يقال هذا مبني على مسئة الاستحالة  
وفيها نزاع مشهور ففي مذهب مالك وأحمد قولان ومذهب أبي حنيفة  
وأهل الظاهر أنها تطهر بالاستحالة ومذهب الشافعي لا تطهر بالاستحالة  
وقول القائل انها تطهر بالاستحالة أصح فان النجاسة اذا صارت مائعاً  
أورماداً فقد تبدلت الحقيقة وتبدل الاسم والصفة فالنصوص المتأولة  
لتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير لا تتناول الملح والرماد والتراب  
لألفظا ولا معنى والمعنى الذي لاجله كانت تلك الأعيان خبيثة معدوم  
في هذه الأعيان فلا وجه للقول بأنها خبيثة نجسة والذين فرقوا بين  
ذلك وبين الحجر قالوا الحجر نجست بالاستحالة فطهرت بالاستحالة فيقال  
لهم وكذلك البول والدم والمذرة انما نجست بالاستحالة فينبغي أن تطهر  
بالاستحالة

(فصل) وأما قول القائل التوضؤ من لحوم الابل على خلاف

القياس فهذا انما قاله لانها لحم والله لحم لا يتوضأ منه وصاحب الشرع قد فرق بين لحم الغنم ولحم الابل كما فرق بين معادن هذه ومبارك هذه فأمر بالصلاة في هذا ونهى عن الصلاة في هذا فدعوى المدعى أن القياس التسوية بينهما من جنس قول الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا والفرق بينهما ثابت في نفس الامر كما فرق بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم فقال الفخر والحية لاء في الفدادين أصحاب الابل والسكنة في أهل الغنم وروى في الابل انها جن خلقت من جن وروى علي ذروة كلب بغير شيطان فالابل فيها قوة شيطانية والغاذى شبيه بالمعتدى ولهذا حرم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير لانها دواب عادية بلا غتذاء بها تجعل في خلق الانسان من المدوان ما يضره في دينه فنهى الله عن ذلك لان المقصود أن يقوم الناس بلفسط والابل اذا أكل منها تبئ في قوة شيطانية وفي الحديث الذي في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطغى النار بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فاذا توضأ أبعد من لحوم الابل كان في ذلك من اطفاء القوة الشيطانية ما يزيل المفسدة بخلاف من لم يتوضأ منها فان الفساد حاصل معه ولهذا يقال ان الاعراب بأكلهم لحوم الابل مع عدم الوضوء منها صار فيهم من الحقد ما صار ولهذا أمر بالوضوء مما مست النار وهو حديث صحيح وقد ثبت في أحاديث صحيحة أنه أكل مما مست النار ولم يتوضأ فقبل ان الاول

منسوخ لكن لم يثبت ان ذلك، منقـدم على هذا بل رواه أبو هريرة  
واسلامه متأخر عن تاريخ بعض تلك الاحاديث كحديث السويق الذي  
كان بخير فانه كان قبل اسلام أبي هريرة وقيل بل الامر بالتوضؤ مما  
مست النار استحب ك الامر بالتوضؤ من الغضب وهذا أظهر القولين  
وهما وجهان في مذهب أحمد فان النسخ لا يصار اليه الا عند التنافي  
والتاريخ وكلاهما منتف بخلاف حمل الامر على الاستحباب فان له نظائر  
كثيرة

وكذلك التوضؤ من مس الذكر ومس النساء هو من هذا الباب  
لما فيه من تحريك الشهوة فالتوضؤ مما يحرك الشهوة كالتوضؤ من  
الغضب وما مسته النار هو من هذا الباب فان الغضب من الشيطان والشيطان  
من النار وأما لحم الابل فقد قيل التوضؤ منه مستحب لكن تفريق النبي  
صلى الله عليه وسلم بينه وبين لحم الغنم مع ان ذلك مسته النار والوضوء  
منه مستحب دليل على الاختصاص وما فوق الاستحباب إلا الإيجاب ولان  
الشيطنة في الابل لازمة وفيما مسته النار عارضة ولهذا نهى عن الصلاة  
في أعطانها للزوم الشيطان لها بخلاف الصلاة في مباركها في السفر  
فانه جائز لانه عارض والحشوش محتضرة فهي أولى بالتهي من أعطان  
الابل وكذلك الحمام بيت الشيطان وفي الوضوء من النجوم الحبيثة عن  
أحمد روايان علي أن أحكم مما عقل معناه فيعدي أو ايس كذلك  
والجباب التي أيجت للضرورة كحوم السباع أبلغ في الشيطنة من لحوم  
الابل فالوضوء منها أولى

وقد تنازع العلماء في الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين كالنساء والحجامة والجرح والقيء والوضوء من مس النساء لشهوة وغير شهوة والتوضؤ من مس الذكر والتوضؤ من الفهقهة فبعض الصحابة كان يتوضأ من مس الذكر كسعد وابن عمر وكثير منهم لم يكن يتوضأ منه والوضوء منه هل هو واجب أو مستحب فيه عن مالك وأحمد روايتان وإيجاه قول الشافعي وعدم الإيجاب مذهب أبي حنيفة وكذلك مس النساء لشهوة إذا قيل باستحبابه فهذا يتوجه وأما وجوب ذلك فلا يقوم لدليل الاعلى خلافة ولا يقدر أحد قط أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه من مس النساء ولا من النجاسات الخارجة لعموم البلوى بذلك وقوله تعالى (أو لامستم النساء) المراد به الجماع كما فسره بذلك ابن عباس وغيره لوجوه متعددة وقوله صلى الله عليه وسلم لامستم حاضة إنما ذلك عرق وليس بالحیضة تعليل لعدم وجوب الغسل لا لوجوب الوضوء فإن وجوب الوضوء لا ينخص بدم العروق بل كانت قد ظنت أن ذلك الدم هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فبين لها النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا ليس هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فإن ذلك يرشح من الرحم كالعرق وإنما هذا دم عرق انفجر في الرحم ودماء العروق لا توجب الغسل وهذه مسائل مبسوطة في مواضع آخر

والمقصود هنا التنبيه على فساد من يدعى التناقض في معاني الشريعة أو ألفاظها ويزعم أن الشارع يفرق بين المتمثلين بل نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم بمث بالهدى ودين الحق بالحكمة والعدل  
والرحمة فلا يفرق بين شيئين في الحكم الا لافتراق صفاتهما المناسبة  
للفرق ولا يسوي بين شيئين الا لتمامهما في الصفات المناسبة للتسوية  
والاظهر انه لا يجب الوضوء من مس الذكر ولا النساء ولا  
خروج النجاسات من غير السيلين ولا القهقهة ولا غسل الميت فانه  
ليس مع الموجبين دليل صحيح بل الادلة الراجحة تدل على عدم  
الوجوب لكن الاستحباب متوجه ظاهر فيستحب أن يتوضأ من مس  
النساء لشهوة ويستحب أن يتوضأ من الحجامة والقيء ونحوها كما في  
السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوضأ والقمل انما يدل على  
الاستحباب ولم يثبت عنه انه أمر بالوضوء من الحجامة ولا أمر  
أصحابه بالوضوء اذا جرحوا مع كثرة الجراحات والصحابة نقل عنهم  
فمل الوضوء لا يجابه وكذلك القهقهة في الصلاة ذنب ويشرع لكل من  
أذنب أن يتوضأ وفي استحباب الوضوء من القهقهة وجهان في مذهب  
أحمد وغيره وأما الوضوء من الحدث الدائم لكل صلاة ففيه أحاديث  
متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صحح بعضها غير واحد من  
العلماء فقول الجمهور الذين يوجبون الوضوء لكل صلاة أظهر وهو  
مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد والله أعلم

( فصل ) وأما الحجامة فانما اعتقد أن الفطر منها مخالف للقياس  
من اعتقد ان الفطر مما خرج لا ما دخل وهؤلاء أشكل عليهم اتفقوا  
والاحتلام ودم الحيض والنفاس وأما من تدبر أصول الشرع ومقاصده



فانه رأى الشارع لما أمر بالصوم أمر فيه بالاعتدال حتى كره الوصال  
وأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور وجعل أعدل الصيام وأفضله  
صيام داود وكان من العادل أن لا يخرج من الانسان ما هو قيام قوته  
فالقيء يخرج الغذاء والاستثناء يخرج المني والحيض يخرج الدم وبهذه  
الامور توام البدن لكن فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن  
فلاحتلام لا يمكن الاحتراز منه وكذلك من ذرعه القيء وكذا دم  
الاستحاضة فانه ليس له وقت معين بخلاف دم الحيض فان له وقتاً معيناً  
فالاحتجم أخرج دمه وكذلك المقتصد بخلاف من خرج دمه بغير  
اختياره كالجروح فان هذا لا يمكن الاحتراز منه فكانت الحجامه من  
جنس القيء والاستثناء والحيض وكان خروج دم الجرح من جنس  
الاستحاضة والاحتلام وذرع القيء فقد تناسبت الشريفة وتشابهت ولم  
نخرج عن القياس والا لظن ان لا يفطر بالكحل ولا بالتقشير في  
الاحليل ولا بابتلاع ما لا يغذى كالخصاء ولكن يفطر بالسقوط لقوله  
وبالغ في الاستنشااق الا أن تكون صائماً

( فصل ) وأما قولهم السلم على خلاف القياس فتقولهم هذا من  
جنس ما رويوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تبع ما ليس عندك  
وأرخص في السلم وهذا لم يرو في الحديث وإنما هو من كلام بعض  
الفقهاء وذلك أنهم قالوا السلم بيع الانسان ما ليس عنده فيكون مخالفاً  
لقياس ونهى النبي صلى الله عليه وسلم حكيم بن حزام عن بيع ما ليس  
عنده اما ان يراء به يبيع عن معينة فيكون قد باع مال الغير قبل أن يشتريه

وفيه نظر واما ان يراد به بيع ملا يقدر على تسليمه وان كان في الذمة وهذا أشبه فيكون قد ضمن له شيئا لا يدري هل يحصل أولا يحصل وهذا في السلم الحال اذا لم يكن عنده ما يوفيه والمناسبة فيه ظاهرة فاما السلم المؤجل فانه دين من الديون وهو كالاتباع بضمن مؤجل فاي فرق بين كون أحد العوضين مؤجلا في الذمة وكون العوض الآخر مؤجلا في الذمة وقد قال تعالى ( اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ) وقال ابن عباس أشهد أن السلب المضمون في الذمة حلال في كتاب الله وقرأ هذه الآية فاباحة هذا على وفق القياس لاعلى خلافه

﴿ فصل ﴾ وأما الكتابة فقال من قال هي خلاف القياس لمكونه بيع ماله بماله وليس كذلك بل باعه نفسه بمال في الذمة والسيد لاحق له في ذمة العبد وانما حتمه في بدنه فان السيد حقه مائة العبد في إنسانيته فهو من حيث يؤمر وينهى انسان مكلف فيلزمه الايمان والصلاة والصيام لانه انسان والذمة العهد وانما يطالب العبد بما في ذمته بعد عتقه وحينئذ لا ملك للسيد عليه فالكتابة بيعه نفسه بمال في ذمته ثم اذا اشترى نفسه كان كسبه له ونفعه له وهو حادث على ملكه الذي استحققه به قد الكتابة لكن لا يعتق فيها الا بالاذن لان السيد لم يرض بخروجه من ملكه الا بان يسلم له العرض فمضى لم يحصل له العوض وعجز العبد عنه كان له الرجوع في المبيع وهذا هو القياس في المعاوضات ولهذا يقول اذا عجز المشتري عن الثمن لا فلاسه كان للبائع الرجوع في

المبيع فالعبد المالكاتب مشتر لنفسه فمجره عن أداء الوض المعجز  
المشترى وهذا القياس في جميع المعاوضات اذا عجز المعاوض عما عليه  
من العوض كان الآخر الرجوع في عوضه ويدخل في ذلك عجز  
الرجل عن الصداق وعجز الزوج عن الوطء وطرده عجز الرجل  
عن الموض في الخلع والصالح عن انقصاص

﴿ فصل ﴾ وأما الاجارة والذين قالوا هي علي خلاف القياس قالوا  
انها بيع معدوم لان المنافع معدومة حين العقد وبيع المعدوم لا يجوز  
ثم ان القرآن جاء باجارة الظئر للرضاع في قوله تعالى ( فان أرضعن  
لكم فآتوهن أجورهن ) فقال كثير من الفقهاء ان اجارة الظئر للرضاع  
علي خلاف قياس الاجارة فال اجارة عقد علي منافع واجارة الظئر عقد  
علي اللبن واللبن من باب الاعيان لامن باب المنافع ومن المعجز انه ليس  
في القرآن ذكر اجارة جائزة الا هذه وقالوا هذه خلاف القياس والشيء  
انما يكون خلاف القياس اذا كان النص قد جاء في موضع يحكم وجاء في  
موضع يشابه ذلك بنقيضه فينال هذا خلاف القياس ذاك النص وليس  
في القرآن ذكر الاجارة الباطلة حتى يقال القياس يقتضي بطلان هذه  
الاجارة بل فيه ذكر جواز هذه الاجارة وليس فيه ذكر فساد اجارة  
يشبهها بل ولا في الآية بيان اجارة فائدة تشبه هذه وانما اصل قولهم  
ظنهم ان الاجارة لشرعية انما تكون علي المنافع التي هي أعراض لاعلى  
أعيان هي أجسام وسنبين ان شاء الله كشف هذه الشبهة ولما اعتقد  
هؤلاء ان اجارة الظئر علي خلاف القياس صار بعضهم يحتال لاجرائها

على القياس الذي اعتقدوه فقالوا الموقوف عليه فيها هو القام الذي  
أورضه في الحجر أو نحو ذلك من المنافع التي هي مقدمات الرضاع  
ومعلوم ان هذه الاعمال انما هي وسيلة الى المقصود به قد الاجارة  
والافهي بمجرد ما ليست مقصودة ولا موقوف عليها ولا قية لها  
أصلاً وانما هو كفتح اباب لمن اكرتري داراً أو حانوتاً أو كصعود الدابة  
لمن اكرتري دابة ومقصود هذا هو السكنى ومقصود هذا هو الركوب  
وانما هذه الاعمال مقدمات ووسائل الى المقصود بالمقدم هؤلاء الذين  
جعلوا اجارة الظئر على خلاف القياس طردوا ذلك في مثل ماء البئر  
والديون التي تنبع في الارض فقالوا ادخات ضمننا وتبعاً في العقد حتى  
ان العقد اذا وقع على نفس الماء كالذي بعقد على عين تنبع ليدقى بها  
بستانه أو ايسوقها الى مكانه ليشرب منها ويتنفع بماؤها قالوا الموقوف عليه  
الاجراء في الارض أو نحو ذلك مما يتكلفونه ويخرجوا الماء المقصود  
بالموقوف عن أن يكون موقوفاً عليه

ونحن على هذين الاصلين على قول من جعل الاجارة على خلاف  
القياس وعلى قول من جعل اجارة الظئر ونحوها على خلاف القياس  
أما الاول فنقول قولهم الاجارة يبيع معدوم ويباع المعدوم على خلاف  
القياس مقدمتان يجملان فيهما تاليس فان قولهم الاجارة يبيع ان أرادوا  
أنها البيع الخاص الذي يعقد على الاعيان فهو باطل وان أرادوا البيع  
العام الذي هو معاوضة اما على عين واما على منفعة فتقولهم في المقدمة  
الثانية ان بيع الماء لا يجوز انما يسلم ان سلم في الاعيان لافي المنافع

والا كان لفظ البيع يحتمل هذا وهذا تنازع الفقهاء في الاجارة هل  
 تنمقد بلفظ البيع على وجهين والتحقيق أن المتعاقدين ان عرفا المقصود  
 انمقدت فأى لفظ من الالفاظ عرف به المتعاقدان مقصودها انمقد  
 به العقد وهذا عام في جميع العقود ان الشارع لم يحدد في الفاظ العقود حدا  
 بل ذكرها مطلقة فكما تنمقد العقود بما يدل عاها من الالفاظ العارسية  
 والرومية وغبرها من الالان العجمية فهي تنمقد بما يدل عليها من  
 الالفاظ العربية ولهذا وقع الطلاق والعاق بكل لفظ يدل عايه وكذلك  
 البيع وغيره وطرد هذا النكاح فان اصح قولى العلماء أنه ينمقد بكل  
 لفظ يدل عليه لا يختص بالفظ الانكاح والتزويج وهذا مذهب جمهور  
 العلماء كأبي حنيفة ومالك وهو أحد القولين في مذهب أحمد بل  
 انصوصه لم يدل الا على هذا الوجه واما الوجه الآخر من أنه انما ينمقد بلفظ  
 الانكاح والتزويج فهو قول أبي عبد الله بن حامد وأتباعه كالقاضي  
 أبي يعلى ومتبعيه وأما قدماء أصحاب أحمد وجمهورهم فلم يقولوا به هذا  
 الوجه وقد نص أحمد في غير موضع على أنه اذا قال أعتقت أمتي  
 وجعلت عتقها صدقها انمقد النكاح وايس هنا لفظ انكاح وتزويج  
 ولهذا ذكر ابن عقيل وغيره ان هذا يدل على أنه لا يختص النكاح بالفظ  
 وأما ابن حامد فطرد قوله وقال لا بد أن يقول مع ذلك وتزوجتها القاضي  
 أبو يعلى جعل هذا خارجا عن القياس فحوز النكاح هنا بدون لفظ  
 الانكاح والتزويج وأصول الامام أحمد وانصوصه يخالف هذا فان من  
 أصله أن العقود تنمقد بما يدل على مقصودها من قول أو فعل فهو

لا يرى اختصاصها بالصيغ ومن أصله ان الكناية مع دلالة الحال كالصریح لا تقتصر الى اظهار الية ولهذا قال بذلك في الطلاق والقذف وغير ذلك والذين قالوا ان النكاح لا ينعقد الا بالفظ الانكاح والتزويج من أصحاب الشافعي قاوا لان ماسوى اللفظين كناية والكناية لا يثبت حكمها الا بالية والنية باطن والنكاح مفتقر الى شهادة والشهادة انما تقع على السمع فهذا أصل أصحاب الشافعي الذين خصوا عقد النكاح باللفظين وابن حامد وأتباعه وافقوهم لكن أصول أحمد ونصوصه تخالف هذا فان هذه المقدمات باطلة على أصله أما قول القائل ماسوى هذين كناية فانما يستقيم أن لو كان ألفاظ الصريح والكناية نائبة بعرف الشرع كما يقوله الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخزقي والقاضي أبي يعلى وغيرهما ان الصريح في الطلاق هو الطلاق والفراق والسراح لحجى القرآن بذلك فاما جمهور الماماء كأبي حنيفة ومالك وغيرهما وجمهور أصحاب أحمد كأبي بكر وابن حامد وأبي الخطاب وغيرهم فلا يوافقون على هذا الاصل بل منهم من يقول الصريح هو لفظ الطلاق فقط كأبي حنيفة وابن حامد وأبي الخطاب وغيرهما من أصحاب أحمد وبعض أصحاب الشافعي ومنهم من يقول بل الصريح أعم من هذه الالفاظ كما يذكر عن مالك وهو قول أبي بكر وغيره من أصحاب أحمد وهو الجمهور يقولون كلا المتقدمين المذكورين ان صريح الطلاق تليه مقدمة باطلة اما قولهم ان هذه الالغاز صريحة في خطاب الشارع فليس كذلك بل لفظ السراح والفراق في القرآن مستعمل في غير الطلاق

قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن نمسوهن فإلكن عليهن من عدة تعتدونها فتموهن وسرحوهن سراحاً جيلاً ) فأمر بتسريحهن بعد الطلاق قبل الدخول وهو طلاق بائن لأرجعة فيه وليس التسريح هنا تطبيقاً باتفاق المسلمين وقال تعالى ( وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ) وفي الآية الأخرى أوفارقوهن بمعروف فلفظ الفراق والسراح ليس المراد به هنا الطلاق فاما المطلقة الرجعية فهو مخير بين ارتجاعها وبين تخلية سبيلها لا يحتاج إلى طلاق ثان

وأما المقدمة الثانية فلا يلزم من كون اللفظ صريحاً في خطاب الشارع أن يكون صريحاً في خطاب كل من يتكلم وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا أن قول القائل أن الأجرة نوع من البيع أن أراد به البيع الخاص وهو الذي يفهم من لفظ البيع عند الإطلاق فليس كذلك فإن ذلك إنما ينعقد على أعيان معينة أو مضمونة في الذمة وإن أراد به أنها نوع من المعاوضة العامة التي تتناول العقد على الأعيان والمنافع فهذا صحيح لكن قوله أن المعاوضة العامة لا تكون على ممدوم دعوى مجردة بل دعوى كاذبة فإن الشارع جوز المعاوضة العامة على الممدوم وإن قاس ببيع المنافع على بيع الأعيان فقال كما أن بيع الأعيان لا يكون إلا على موجود فيكون كذلك بيع المنافع وهذا حقيقة كلامه فهذا القياس في غاية الفساد فإنه من شرط القياس أن يمكن اثبات حكم الأصل في الفرع وهو هنا معذر لأن المنافع لا يمكن أن يعقد عليها في حال وجودها



فلا يتصور ان تباع المنافع في حال وجودها كما تباع الاعيان في حال وجودها والشارع أمر الانسان أن يؤخر العقد على الاعيان التي لم تخلق الى أن يخلق فيهن عن بيع السنين وبيع جبل الحبله وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وعن بيع الحب حتى يشتد ونهى عن بيع المضامين والملاقيح وعن الجمر وهو الحمل وهذا كله نهى عن بيع حيوان قبل أن يخلق وعن بيع حب وثمر قبل أن يخلق وأمر بتأخير بيعه الى أن يخلق وهذا التفصيل وهو منع بيعه في الحال واجارته في حال يتمتع مثله في المنافع فانه لا يمكن أن تباع الا هكذا فما بقاء حكم الاصل مساوياً لحكم الفرع الا أن يقال فانا أقيسه على بيع الاعيان المدومة فيقال له هنا شيان أحدهما يمكن بيعه في حال وجوده وحال عدمه فنهى الشارع عن بيعه الا اذا وجد والشئ الآخر لا يمكن بيعه الا في حال عدمه فالشارع لما نهى عن بيع ذاك حال عدمه فلا بد اذا قست عليه أن تكون العلة الموجبة للحكم في الاصل ثابتة في الفرع فلم قلت ان العلة في الاصل مجرد كونه معدوماً ولم لا يجوز ان يكون بيعه في حال عدمه مع امكان تأخير بيعه الى حال وجوده وعلى هذا التقدير فالعلة مقيدة بعدم خاص وهو معدوم يمكن بيعه بعدم وجوده وأنت ان لم تبين أن العلة في الاصل القدر المشترك كان قياسك فاسداً وهذا سؤال المطالبة وهو كاف في وائف قياسك لكن نبين فسادك فنقول ماذا كرهناه علة مطردة وما ذكرته علة منتقضة فانك اذا علمت المنع بمجرد عدم انتقضت عليك بعض الاعيان والمنافع واذا علمته بعدم ما يمكن تأخير بيعه الى حال



وجوده أو بعدم هو غرراً طردت العلة وأيضاً فالمناسبة تشهد لهذه العلة  
فانه اذا كان له حال وجود وعدم كان بيعه حال عدم فيه مخاطرة وقمار  
وبها عمل النبي صلى الله عليه وسلم المنع حيث قال أرأيت ان منع الله  
الثمرة فيه يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق بخلاف ما ليس له الا حال  
واحدة والغالب فيه السلامة فان هذا ليس مخاطرة فالحاجة داعية اليه  
ومن أصول الشرع أنه اذا تعارض المصلحة والمفسدة قدم أرجحهما  
فهو انما نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التي تضر بأحدهما وفي  
المنع مما يحتاجون اليه من البيع ضرر أعظم من ذلك فلا يمنعهم من  
الضرر اليسير بوقوعهم في الضرر الكثير بل يدفع أعظم الضررين  
باحتمال أدناها ولهذا لما نهاهم عن المزانية لما فيها من نوع ربا أو مخاطرة  
فيها ضرر أباحها لهم في العرايا للحاجة لان ضرر المنع من ذلك أشد  
وكذلك لما حرم عليهم المينة لما فيها من خبث التنفيذ اباحها لهم عند  
الضرورة لان ضرر الموت أشد ونظائره كثيرة \* فان قيل فهذا كله على  
خلاف القياس \* قبل قد قدمنا ان الضرر اختص بوصف أوجب  
الفرق بينه وبين الاصل فكل فرق صحيح على خلاف القياس الفاسد  
وان أريد بذلك ان الاصل والفرع استويا في المقتضى والمانع واختلاف  
حكمهما فهذا باطل قطعاً ففي الجملة الشيء اذا شابه غيره في وصف وفارقه  
في وصف كان اختلافهما في الحكم باعتبار الفارق مخالفاً لاسمائهما  
باعتبار الجامع لكن هذا هو القياس الصحيح طرداً وعكساً وهو  
التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين وأما التسوية بينهما

في الحكم مع افتراقهم ما فيما يوجب الحكم ويمنعه فهذا قياس فاسد والشرع دائماً يبطل القياس الفاسد كقياس البليس وقياس المشركين الذين قالوا انما البيع مثل الربا والذين قالوا الميت على انذكى وقالوا ائنا نكون ماقتلهم ولائنا نكون ماقتل الله فجعلوا العلة في الاصل كونه قتل آدمي وقياس الذين قالوا المسيح على اصنامهم فقالوا لما كانت آلهتنا تدخل النار لانها عبادت من دون الله فكذلك ينبغي أن يدخل المسيح النار قال الله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون) وهذا كان وجه مخصوصة ابن الزمري لما أنزل الله (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اُتُم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) فان الخطاب للمشركين لا لاهل الكتاب والمشركون لم يعبدوا المسيح وانما كانوا يعبدون الاصنام والمراد بقوله وما تعبدون الاصنام فالآية لم تتناول المسيح لالفاظ ولا معنى وقول من قال ان الآية عامة تتناول المسيح ولكن آخر بيان تخصيصها غلط منه ولو كان ذلك صحيحاً لكانت حجة المشركين متوجهة فان من خاطب بلفظ العام يتناول حقاً وباطلاً لم يبين مراده توجه الاعتراض عليه وقد قال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أى هم ضربوه مثلاً كما قال (ما ضربوه لك الا جدلاً) أى جعلوه مثلاً لآلهتهم فقاموا الآلهة عليه وأوردوه مورد الممارضة فقالوا اذا دخلت آلهتنا النار لكونها معبودة فهذا المعنى موجود في المسيح فيجب أن يدخل النار وهو لا يدخل النار فهي

لا تدخل النار وهذا قياس فاسد لظنهم أن العلة مجرد كونه معبوداً وليس كذلك بل العلة أنه معبود ليس مستحقاً للثواب أو معبود لا ظلم في ادخاله النار فالمسيح والعزير والملائكة وغيرهم ممن عبد من دون الله وهو من عباد الله الصالحين وهو مستحق للكرامة الله بوعده الله وعدله وحكمته فلا يعذب بذنب غيره فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى والمقصود بالقاء الاصنام في النار اهانة عابديها وأولياء الله لهم الكرامة دون الاهانة فهذا الفارق بين فساد تعليل الحكم بذلك الجامع والاقبيسة الفاسدة من هذا الجنس فمن قال ان الشريعة تأتي بخلاف مثل هذا القياس فقد أصاب هذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل والمعدل والحكمة التي بعث الله بها رسوله ومن لم يخالف مثل هذه الاقيسة الفاسدة بل سوى بين الشيعتين باشتراكهما في أمر من الامور لزمه أن يسوى بين كل موجودين لاشتراكهما في مسمى الوجود فيسوى بين رب العالمين وبين بعض الخلق فيكون من الذين هم بربهم يعدلون ويشركون فان هذا من أعظم القياس الفاسد وهؤلاء يقولون تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسوبكم رب العالمين ولهذا قال طائفة من السلف أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والنمر الابالمقايس أي بمثل هذه المقاييس التي يشته فيها النفي بما يفارقه كاقبيسة المشركين ومن كان له معرفة بكلام الناس في العقليات رأى عامة ضلال من ضل من الفلاسفة والمتكلمين بمثل هذه الاقيسة الفاسدة التي يسوى فيها بين الشيعتين لاشتراكهما في بعض الامور مع ان بينهما من الفرق ما يوجب أعظم

المخالفة واعتبر هذا بكلامهم في وجود الرب ووجود المخلوقات فان فيه من الاضطراب ما قد بسطناه في غير هذا الموضع وهذا الذي ذكرناه في الاجارة بناء على تسليم قولهم ان بيع الاعيان المعدومة لا يجوز وهذه المقدمة الثانية والكلام عليها من وجهين أحدهما أن نقول لا نسلم صحة هذه المقدمة فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل ولا عن أحد من الصحابة ان يبيع المعدوم لا يجوز لالفاظ عام ولا معنى عام وانما فيه النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي معدومة كافيها النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي موجودة وليست العنة في المنع لا الوجود ولا العدم بل الذي ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع الغرر والغرر ما لا يقدر على تسليمه سواء كان موجودا أو معدوما كالعبد الآبق والبعير الشارد ونحو ذلك مما قد لا يقدر على تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل هو غرر لا يجوز بيعه وان كان موجودا فان موجب البيع تسليم المبيع والبائع عاجز عنه والمشتري انما يشترطه مخاطرة ومقامرة فان أمكنه أخذه كان المشتري قد قر البائع وان لم يمكنه أخذه كان البائع قد قر المشتري وهكذا المعدوم الذي هو غرر نهى عن بيعه لكونه غررا لا لكونه معدوما كما اذا باع ما يحمل هذا الحيوان أو ما يحمل هذا البستان فقد يحمل وقد لا يحمل واذا حمل فالحمول لا يعرف قدره ولا وصفه فهذا من القمار وهو من الميسر الذي نهى الله عنه ومثل هذا اذا أكرأ دواب لا يقدر على تسليمها أو عقارا لا يمكنه تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل فانه اجارة غرر

الوجه الثاني أن نقول بل الشارع صح بيع المردوم في بعض المواضع فإنه ثبت عنه في غير وجه أنه نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه ونهى عن بيع الحب حتى يشتد وهذا من أصح الحديث وهو في الصحيح عن غير واحد من الصحابة فقد فرق بين ظهور الصلاح وعدم ظهوره فأحل أحدهما وحرم الآخر ومعلوم أنه قبل ظهور الصلاح لو اشتراه بشرط القطع كما يشتري الحصرم ليقطع حصره ما جاز بالاتفاق ونما نهى عنه إذا بيع على أنه باق فيدل ذلك على أنه جوزه بعد ظهور الصلاح أن يبيعه على البقاء إلى كمال الصلاح وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن جوزه بيعه في الموضعين بشرط القطع ونهى عنه بشرط التبقية أو مطلقا لم يكن عنده لظهور الصلاح فائدة ولم يفرق بين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أذن فيه وصاحب هذا القول يقول موجب العقد التسليم غيبه فلا يجوز التأخير فيقال له لا نسلم أن هذا موجب العقد أما أن يكون ما أوجبه الشارع بالعقد أو ما أوجبه المتعاقدان على أنفسهما وكلاهما منتف فلا الشارع أوجب أن يكون كل بيع مستحق التسليم عقب العقد ولا العاقدان إنما ذلك بل تارة يعقدان العتد على هذا الوجه كما إذا باع معنا بدين حال وتارة يشترطان تأخير تسليم الثمن كما في السلم وكذلك في الأعيان وقد يكون للبائع مقصود صحيح في تأخير التسليم كما كان لجابر حين باع بعيره من النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستثنى ظهوره إلى المدينة ولهذا كان الصواب أنه يجوز لكل عاقد أن يستثنى من منفعة

العقد وعليه ماله فيه غرض صحيح كما اذا باع عتار واستثنى سكتناه مدة أو  
دوابه واستثنى ظهرها أو وهب ملكا واستثنى منفته أو أعتق العبد واستثنى  
خدمته مدة أو مادام السيد أو وقف عينا واستثنى غلتها لنفسه مدة  
حياته وأمثال ذلك وهذا منصوص أحمد وغيره وبعض أصحاب أحمد  
قال لا بد اذا استثنى منفعة المبيع من أن يسلم العين الى المشتري ثم  
يأخذها ليستوفي المنفعة بناء على هذا الاصل الفاسد وهو انه لا بد من  
استحقاق القبض عقب العقد وهو قول ضعيف وعلى هذا الاصل قال  
من قال انه لا تجوز الاجارة الا لمدة تلي العقد وهؤلاء نظروا الى  
ما يفعله الناس أحيانا جعلوه لازما لهم في كل حال وهو من التباس الفاسد  
وعلى هذا بنوا اذا باع العين المؤجرة ففهم من قل البيع باطل لكون  
المنفعة لا تدخل في البيع فلا يحصل التسليم ومنهم من قال هذا مستثنى  
بالشرع بخلاف المستثنى بالشرط \* ولو باع الامة المزوجة صح باتفاقهم  
وان كانت منعمة البضع المزوج وقد فرق من فرق بينهما بما قد بسط  
في موضعه والمقصود هنا ان هذا كله تفريع على ذلك الاصل الضعيف  
وهو ان موجب العقد استحقاق التسليم عقبه والشرع لم يدل على هذا  
الاصل بل القبض في الاعيان والمنافع كالقبض في الدين تارة يكون  
موجب العقد قبضه عقبه بحسب الامكان وتارة يكون موجب العقد  
تأخير التسليم لمصلحة من المصالح وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم  
جوز بيع الثمر بعد بدو الصلاح مستحق الابقاء الى كمال الصلاح  
وعلى البائع السقي والخدمة الى كمال الصلاح ويدخل في هذا ما هو

معدوم لم يخلق وهذا اذا قبض كان بمنزلة قبض العين المؤجرة فتبضه  
يبيح له التصرف فيه في أظهر قولي العلماء وهو أصح الروايتين عن  
أحمد وتبضه لا يوجب انتقال الضمان اليه بل اذا تلف الثمر بعد بدو  
صلاحه كان من ضمان البائع كما هو مذهب أهل المدينة مالك وغيره وهو  
مذهب أهل الحديث أحمد رضي الله عنه وغيره وهو قول معلق للشافعي وقد  
ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بعت من أخيك ثمرة  
فأصابها جأحة فلا يحل لك أن تأخذ من مال أخيك شيئاً ثم يأخذ أحدكم  
مال أخيه بغير حق وائس مع المنازع دأبل شرعى يدل على ان كل قبض  
جوز التصرف ينقل الضمان وما لم يجوز التصرف لم ينقل الضمان بل قبض  
العين المؤجرة يجوز التصرف ولا ينقل الضمان ومن هذا الباب بيع المقائي  
فان من العلماء من لم يجوز بيعها الا لقطة لقطة لانه يبيع معدوم وجعلوا هذا  
من بيع الثمر قبل بدو صلاحه ثم من هؤلاء قال اذا بيعت بعروقها  
كان كبيع أصل الشجر مع الثمر وذاك يجوز قبل ظهور صلاحه  
لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته من باع نخلاً قد  
أبرت ثمرها للبائع الا أن يشترطه المبتاع اذا اشترط الثمر دخل في  
البيع وهنا جاز بيع الثمر قبل بدو صلاحه تبعاً للأصل ولهذا تكون  
خدمته على المشتري ومعلوم ان المقصود من الشجر هو الأصل  
والمقصود في المقائي هو الثمر فلا يقاس أحدهما بالآخر ومن العلماء  
من جوز بيع المقائي كما هو قول مالك وغيره وهو قول في مذهب أحمد  
وهذا أصح فانه لا يمكن بيعها الا على هذا الوجه اذ لا تتميز لقطة عن



لقطة وسلا يباع الاعلى وجه واحد لاينهى عن بيعه كما تقدم والنبي صلى  
الله عليه وسلم انما نهى عن بيع الثمار التى يمكن تأخير بيعها حتى يبدو  
صلاحها فلم تدخل المقائى في نهيه ولذلك كثير من العلماء ادخلوا  
ضمان البساتين في نهيه فقالوا اذا ضمن الحديقة لمن يعمل عليها حتى  
تثمر بشئ معلوم كان هذا بيعاً للثمر قبل بدو صلاحه فلا يجوز ومن  
الناس من حكى الاجماع على منع هذا وليس كما قال بل قد ثبت أن عمر  
ابن الخطاب رضي الله عنه قبل حديقة أسيد بن خضير ثلاث سنين  
ويستلف الضمان فقصى به ديناً كان على أسيد لانه كان وصيه وقد  
جوز ابن عقيل ضمانها مع الاراضى المؤجرة اذا لم يمكن افراد أحدها  
عن الآخر وجوز مالك ذاك تبعاً الارض في قدر الثلث وقضية عمر  
ابن الخطاب مما يشتهر مثلها في العادة ولم ينقل ان أحداً من الصحابة  
أنكره فالصواب ما فعله عمر بن الخطاب اذ الفرق بين البيع والضمان  
هو الفرق بين البيع والاجارة ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم  
نهى عن بيع الحب حتى يشتد ثم اذا استأجر أرضاً ليزرعها جاز هذا  
مع ان المستأجر مقصود الحب لكن مقصوده ذلك بعمله هو لا بعمل  
البائع وكذلك الذى يستأجر البستان ليخدم شجره ويسقيها حتى تثمر  
هو بمنزلة المستأجر ليس بمنزلة المشتري الذى يشتري ثمراً وعلى البائع  
مؤنة خدمتها وسقيها\* فان قيل هذه أعيان والاجارة لا تكون على الأعيان  
\* قيل الجواب من وجهين . أحدهما ان الأعيان هنا حصلت بعمله هو من  
الاصل المستأجر كما حصل الحب بعمله المؤجر في أرض\* واذا قيل الحب



حصل من بذره والثمر حصل من شجر المؤجر كان هذا فرقا لا أثر له في الشرع ألا ترى ان المساقاة كالزراعة والمساقى يستحق جزءاً من الثمرة الحاصلة من أصل المالك والمزارع يستحق جزءاً من الزرع النابت في أرض المالك وان كان البذر من المالك وكذلك ان كان البذر منه كما ثبت بالسنة واجماع الصحابة فالبذر يتلف لا يعود الى صاحبه وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج من تمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم فالأرض والنخل والماء كان للنبي صلى الله عليه وسلم واستحقوا بعملهم جزءاً من الثمر كما استحقوا جزءاً من الزرع وان كان البذر منهم والشجر من النبي صلى الله عليه وسلم فعلم ان هذا الفرق لا تأثير له في الشرع واذا لم يؤثر في المساقاة والمزراعة التي يكون النماء مشتركاً لم يؤثر في الاجارة بطريق الاولى فان استئجار الأرض ليس فيه من النزاع ما في الزراعة فاذا كانت اجارتها أجوز من المزارعة فاجارة الشجر أجوز من المساقاة

الوجه الثاني أن نقول هذا كاجارة الظئر والبئر ونحو ذلك والكلام على هذا هو الكلام على الاصل الثاني في الاجارة فنقول قول الفائل ان اجارة الظئر على خلاف القياس انما هو لاعتقاده ان الاجارة لا تكون الا على منافع اعراض لا تستحق بها أعيان وهذا القدر لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس بل الذي دلت عليه الاصول ان الاعيان التي تحدث شيئاً بعد شيء مع بقاء أصلها حكمها حكم المنافع كالتمر والشجر واللبن في الحيوان ولهذا سوى بين هذا

وهذا في الوقف فان الاصل تحييس الاصل واسبيل الفائدة فلا بد أن يكون الاصل باقيا وأن تكون الفائدة تحدث مع بقاء الاصل فيجوز أن تكون فائدة الوقف منفعة كالسكنى ويجوز أن يكون ثمره كوقف الشجر ويجوز أن يكون لبناً كوقف الماشية للانتفاع بلبنها وكذلك باب التبرعات فان العارية والعربة والمنحة هي اعطاء العين لمن ينتفع بها ثم يردّها فلما حقة اعطاء الماشية لمن يشرب لبنها ثم يردّها والعربة اعطاء الشجرة لمن يأكل ثمرها ثم يردّها والسكنى اعطاء الدار لمن يسكنها ثم يميدها فكذلك في الاجارة تارة تكرية العين للمنفعة التي ليست أعياناً كالسكنى والركوب وتارة للعين التي تحدث شيئاً بعد شيء مع بقاء الاصل كلبن الظئر ونقع البئر والعين فان الماء والابن لما كانا شيئاً بعد شيء مع بقاء الأصل كان كل منهما والمسوغ للاجارة هو ما بينهما من القدر المشترك وهو حدث والمقصود بالعقد شيئاً فشيئاً سواء كان الحوادث عيناً أو منفعة اذ كونه جسماً أو معني قائماً بالجسم لأنزله في جهة الجواز مع اشتراكهما في المقتضى للجواز بل هذا أحق بالجواز فان الاجسام أكمل من صفاتها ولا يمكن العقد عليها الا كذلك وطرد هذا أكثر في الظئر من الحيوان للارضاع ثم الظئر تارة نستأجر بأجرة مقدرة وتارة بطعامها وكسوتها وتارة يكون طعامها وكسوتها من جملة الأجرة وأما الماشية اذا عقد على لبنها بعوض فتارة يشتري لبنها مع ان علفها وخدمتها على المالك وتارة على ان ذلك على المشتري فهذا الثاني يشبه ضمان البساتين وهو بالاجارة أشبه لان اللبن تسقيه الطفل فيذهب وينتفع به فهو كاستئجار العين يستقي بمائها أرضه بخلاف

من يقبض اللبن فانه هنا قبض العين المقود عليها وتسمية هذا بيعا وهذا اجارة نزاع لفظي والاعتبار بالمقاصد ومن الفقهاء من يجعل اختلاف العبارات مؤثرا في صحة العقد وفساده حتي ان من هؤلاء من يصحح العقد بلفظ دون لفظ كما يقول بعضهم ان السلم الحال لا يجوز واذا كان بلفظ البيع جاز ويقول بعضهم ان المزارعة على أن يكون البذر من العامل لا يجوز واذا عقده بلفظ الاجارة جاز وهذا قول بعض أصحاب أحمد وهذا ضعف فان الاعتبار في المقود بمقاصدها واذا كان المعنى المقصود في الموضعين واحدا فتجوز به عبارة دون عبارة كتجوز به بلغة دون لغة نعم اذا كان أحد اللفظين يقتضي حكما لا يقتضيه الآخر فهذا له حكم آخر وایس هذا موضع بسط هذه المسائل وانما المقصود التنبيه علي ما يقال انه موافق القياس ومخالفه وان الشارع اذا سوى بين شيئين كما سوى بين الاستئجار على الرضاع والخدمة فالفارق بينهما عدم التأثير وعوكون هذا عينا وهذا منفعة واذا فرق بين شيئين فالجامع بينهما ليس هو وحده مناط الحكم بل للفارق تأثير

( فصل ) ومن هذا الباب قول من يقول حمل العقل علي خلاف القياس فيقال لا ريب أن من أتلف مضمونا كان ضامنا عليه والناس متنازعون في العقل هل تحمله العاقلة ابتداء أو تحملا كتنازعوا في صدقة الفطر التي تجب على الغير كصدقة الفطر عن الزوجة والولد هل تجب ابتداء أو تحملا وفي ذلك نزاع معروف في مذهب أحمد وغيره وعلى ذلك ينبنى لو أخرجها الذي يخرج عنه بدون اذن المخاطب

بها فن قال هي واجبة على المخاطب تحملاً قال تجزئ ومن قال هي واجبة عليه ابتداء قال هي كداء الزكاة عن الغير ولذلك تنازعوا في العقل اذا لم تكن عاقلة هل تجب في ذمة القاتل أم لا والعقل فارق غيره من الحقوق في أسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك ان دية المقتول مال كثير والعاقلة انما تحمّل خطأ لا تحمّل العمد بلا نزاع وفي شبهه العمد نزاع والظاهر انها لا تحمله والخطأ مما يعذر فيه الانسان فإيجاب الدية في ماله ضرر عظيم به من غير قنب تعمده ولا بد من إيجاب بدل المقتول فالشارع أوجب على من عليهم موالاة القاتل ونصره أن يعينوه على ذلك فكان هذا كإيجاب النفقات التي تجب للقريب أو تجب للفقراء والمساكين وإيجاب فسكك الأسير من بلد العدو فان هذا أسير بالدية التي تجب عليه وهي لم تجب باختيار مستحقة ولا باختياره كالديون التي تجب بالقرض والبيع وليست أيضاً قليلة في الغالب كبدال المتلفات فان اتلاف مل كثير بقدر الدية خطأ نادر جداً بخلاف قتل النفس خطأ فما سببه العمد في نفس أو مال فالمتلف ظالم مستحق فيه للعقوبة وما سببه الخطأ في الاموال فقليل في العادة بخلاف الدية ولهذا كان عند الأكثرين لا تحمّل العاقلة الا ماله قدر كثير فعند مالك وأحمد لا تحمّل مادون الثلث وعند أبي حنيفة مادون السن والموضحة فكان إيجابها من جنس ما أوجبه الشارع من الاحسان الى المحتاجين كبنى السبيل والفقراء والمساكين والاقارب المحتاجين ومعلوم ان هذا من أصول الشرائع التي بها قيام مصلحة العالم فان الله لما قسم خلقه الى غنى وفقير

ولا تتم مصالحهم الا بسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي يضر الفقراء  
فيكون الامر بالصدقة من جنس النهي عن الربا ولهذا جمع الله بين هذا  
وهذا في مثل قوله تعالى ( يعحق الله الربا ويربي الصدقات ) وفي مثل قوله  
تعالى وما آتيتم من ربا لبريوفي أموال الناس فلا يريو عند الله وما آتيتم  
من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ) وقد ذكر الله في آخر  
البقرة أحكام الاموال وهي ثلاثة أصناف عدل وفضل وظلم فالعدل  
البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم  
المربيين وبين عقابهم وأباح البيع والتداين الى أجل مسمى فالعقل  
من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض الناس على بعض كحق المسلم  
وحق ذي الرحم وحق الجار وحق المملوك والزوجة

( فصل ) والاحكام التي يقال انها على خلاف القياس نوعان نوع  
يجمع عليه ونوع متنازع فيه فما لانزاع في حكمه تبين انه على وفق  
القياس الصحيح وينبنى على هذا ان مثل هذا هل يقاس عليه أم لا  
فذهب طائفة من الفقهاء ان ما ثبت على خلاف القياس لا يقاس عليه  
ويحكي هذا عن أصحاب أبي حنيفة والجمهور انه يقاس عليه وهذا هو  
الذي ذكره أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما وقالوا انما ينظر الى  
شروط القياس فما علمت علمته ألحقنا به ما شاركه في العلة سواء قيل انه  
على خلاف القياس أو لم يقل وكذلك ما علم انتفاء الفارق فيه بين الاصل  
والفرع والجمع بدليل الملة كالجمع بالعلة وأما اذا لم يقم دليل على ان الفرع  
كالاصل فهذا لا يجوز فيه القياس سواء قيل انه على وفق القياس

أو خلافه ولهذا كان الصحيح ان العرايا يباحق بها ما كافر في منهاها  
وحقيقة الامر انه لم يشرع نهي علي خلاف القياس الصحيح بل ما قيل  
انه علي خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الامور  
التي خالفها واقتضى مفارقتها لها في الحكم واذا كان كذلك فذلك الوصف  
ان شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه والا كان من الامور المفارقة له . وأما  
المتنازع فيه فتلما يأتي حديث بخلاف أمر فيقول القائلون هذا بخلاف  
القياس أو بخلاف قياس الاصول وهـ ذالـه أمثلة من أشهرها المصرية  
فان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لا تصروا الابل ولا الغنم فمن ابتاع  
مصرية فهو بخير النظرين بعد أن يحملها ان رضىها أمسكها وان سخطها  
ردها وصاعا من تمر وهو حديث صحيح فقال قائلون هذا يخالف قياس  
الاصول من وجوه . منها انه رد المبيع بلا عيب ولا خلف في صفة . ومنها  
ان الحراج بالضمنان فالابن الذي يحدث عند المشتري غير مضمون عليه  
وهنا قد ضمنه . ومنها ان الابن من ذوات الامثال فهو مضمون بمثله  
ومنها ان ما لا مثل له يضمن بالقيمة من النقد وهنا ضمنه بالتمر . ومنها  
ان المال المضمون يضمن بقدره لا بقدر بدله بالشرع وهنا قدر بالشرع  
فقال المتبعون للحديث بل ما ذكرتموه خطأ والحديث موافق للاصول  
ولو خالفها لكان هو أصلاً كما أن غيره أصل فلا يضرب الاصول بعضها  
ببعض بل يجب اتباعها كلها فانها كلها من عند الله أما قولهم رد بلا عيب  
ولا فوات صفة فليس في الاصول ما يوجب انحصار الرد في هـ ذين  
الشئيين بل التدليس نوع ثبت به الرد وهو من جنس الحلف في الصفة

فان البيع تارة تظهر صفاته بالقول وتارة بالفعل فاذا ظهر انه على صفة  
وكان على خلافها فهو تدليس وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم  
الخيار للركب إذا تلقوا واشترى منهم قبل أن يهبطوا السوق ويعلموا  
السعر رليس كذلك واحد من الامرين ولكن فيه نوع تدليس \* وأما  
قوله الخراج بالضمنان فأولا حديث المصراة أصح منه باتفاق أهل العلم  
مع أنه لا منافاة بينهما فان الخراج ما يحدث في ملك المشتري ولفظ  
الخراج اسم للغة مثل كسب العبد وأما اللبن ونحوه فملحق بذلك  
وهنا كان اللبن موجوداً في الضرع فصار جزءاً من المبيع ولم يجعل  
الصاع عوضاً عما حدث بمد العقد بل عوضاً عن اللبن الموجود في  
الضرع وقت العقد وأما تضمين اللبن بغيره وتقديره بالشرع فلان  
اللبن المضمون اختلط باللبن الحادث بعد العقد فتعذرت معرفة قدره  
فهذا قدر الشارع البديل قطعاً للزراع وقدر بغير الجنس لان التقدير  
بالجنس قد يكون أكثر من الاول أو أقل فيفضي الى الربا بخلاف غير  
الجنس فانه كأنه ابتاع لذلك اللبن الذي أمذرت معرفة قدره بالصاع  
من التمر والتمر كان طعام أهل المدينة وهو مكيل مطعوم يقتات به كما  
أن اللبن مكيل مقتات وهو أيضاً يقتات به بلا صنعة بخلاف الخنطة  
والشمير فانه لا يقتات به الا بصنعة فهو أقرب الاجناس التي كانوا  
يقتاتون بها الى اللبن ولهذا كان من موارد الاجتهاد أن جميع الامصار  
يضمنون ذلك بصاع من تمر أو يكون ذلك لمن يقتات التمر فهذا من  
موارد الاجتهاد كأمرة في صدقة الفطر بصاع من شمير أو تمر ومن



ذلك قول بعضهم ان أمره للمصلي خلف الصف وحده بالاعادة على خلاف القياس فان الامام يقف وحده والمرأة تقف خلف الرجال وحدها كما جاءت به السنة وليس الامر كذلك فان الامام يسن في حقه التقدم بالاتفاق والمؤمنون يسن في حقهم الاصطفاف بالاتفاق فكيف يشبه هذا بهذا وذلك لان الامام يؤتم به فاذا كان امامهم رأوه وكان اقتداؤهم به أكمل وأما المرأة فانها تقف وحدها اذا لم يكن هناك امرأة غيرها فالسنة في حقها الاصطفاف لكن قضية المرأة تدل على شيئين تدل على انه اذا لم يجد خلف الصف من يقوم معه وتمذر الدخول في الصف صلى وحده للحاجة وهذا هو القياس فان الواجبات تسقط للحاجة وأمره بأن يضاف غيره من الواجبات فاذا تمذر ذلك سقطت الحاجة كما سقط غير ذلك من فرائض الصلاة للحاجة في مثل صلاة الخوف محافظة على الجماعة وطر ذلك اذا لم يمكنه أن يصلي مع الجماعة الاقدام الامام فانه يصلي هنا لاجل الحاجة امامه وهو قول طوائف من أهل العلم وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد وان كانوا لا يجوزون التقدم على الامام اذا أمكن ترك التقدم عليه وفي الجملة فليست المصافة أوجب من غيرها فاذا سقطت غيرها للمعذر في الجماعة فهي أولى بالسقوط \* ومن الاصول المكية ان المعجوز عنه في الشرع ساقط الوجوب وان المضطر اليه بلا معصية غير محذور فلم يوجب الله ما يعجز عنه العبد ولم يحرم ما يضطر اليه العبد ومن ذلك قول بعضهم في الحديث الصحيح الذي فيه ان الرهن مركوب ومحلوب وعلى الذي



يركب ويحلب النفقة انه على خلاف القياس وايس كذلك فان الرهن اذا كان حيوانا فهو محترم في نفسه وللمالك فيه حق والمرتهن فيه حق واذا كان بيد المرتهن فلم يركب ولم يحلب ذهبت منفقته باطلا وقد قدمنا أن الابن يجري مجرى المنفعة فاذا استوفى المرتهن منفقته وعوض عنها نفقته كان في هذا جمع بين المصلحتين وبين الحقين فان نفقته واجبة على صاحبه والمرتهن اذا اتفق عليه أدى عنه واجبا وله فيه حق فله أن يرجع ببذله والمنفعة تصلح أن تكون بدلا فأخذها خير من أن تذهب على صاحبها وتذهب باطلا وقد تنازع الفقهاء فيمن أدى عن غيره واجبا بغير اذنه كالدين فذهب مالك وأحمد في المشهور عنه له أن يرجع به عليه ومذهب أبي حنيفة والشافعي ليس له ذلك واذا اتفق نفقة تجب عليه مثل أن ينفق على ولده الصغير أو عبده فبعض أصحاب أحمد قال لا يرجع وفرقوا بين النفقة والدين والمحققون من أصحابه سواهم ما وقالوا الجميع واجب ولو اقتداه من الاسر كان له مطالبة بالفسداء وليست ديناً والقرآن يدل على هذا القول فان الله قال فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فأمراً بآباء الأجر بمجرد الارضاع ولم يشترط عقدا ولا اذن الاب وكذلك قال (والوالدات برضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فأوجب ذلك عليه ولم يشترط عقدا ولا اذنا ونفقة الحيوان واجبة على ربه والمرتهن والمستأجر له فيه حق فاذا اتفق عليه النفقة الواجبة على ربه كان أحق بالرجوع من الاتفاق على ولده فاذا

قدر أن الراهن قال لم آذن لك في النفقة قال هي واجبة عليك وإنه  
 استحق أن أطالبك بها لحفظ المهرين والمستأجر وإذا كان المنفق قد  
 رضى بأن يعتاض بمنفعة الرهن التي لا يطالبه بنظر النفقة كان قد  
 أحسن إلي صاحبه فهذا خير محض مع الراهن وكذلك لو قدر أن  
 المؤمن على حيوان الغير كالمودع والشريك والوكيل أنفق من مال  
 نفسه واعتاض بمنفعة المال لأن هذا إحسان إلى صاحبه إذا لم يدفع عليه  
 صاحبه وما يقل أنه أبعد الأحاديث عن القياس الحديث لذى في السنن  
 عن الحسن بن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لم قضى في رجل وقع على جارية امرأته إن كان  
 استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها وإن كانت طاوخته فهي له  
 وعليه لسيدتها مثلها وقد روى في لفظ آخر وإن كانت طاوخته فهي  
 ومثلها من ماله لسيدتها وهذا الحديث تكلم بعضهم في إسناده لكنه  
 حديث حسن وهم يحتاجون بما هو دونه في القوة ولكن لا شك أنه قوي  
 عندهم تضعيفه وهذا الحديث يستقيم على القياس مع ثلاثة أصول هي  
 صحيحة كل منها قول طائفة من الفقهاء أحدها أن من غير مال غيره  
 بحيث يفوت مقصوده عليه فله أن يضمه إياه بمثله وهذا كما إذا تصرف  
 في المصوب بما أزال اسمه ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره  
 أحدها أنه باق على ملك صاحبه وعلى الغاصب ضمان النقص ولا شيء  
 له في الزيادة كقول الشافعي والثاني يملكه الغاصب بذلك ويضمه  
 لصاحبه كقول أبي حنيفة والثالث ينجز المالك بين أخذ وتضمن النقص

وبين المطالبة بالبدل وهذا أعـدل الاقوال وأقواها فان فوت صفاته  
 للمعنوية مثل أن ينسبه صناعته أو يضعف قوته أو يفسد عقله ودينه  
 فهذا أيضاً بخبر المالك بين تضمنين النقص وبين المطالبة بالبدل ولو  
 قطع ذنب بعـله القاضى فعند مالك يضمها بالبدل ويملكها لـهـمـذر  
 مقصودها على المالك في العادة أو بخبر المالك وكذلك السلطان اذا قطع  
 آذان فرسه وذنبا ~~في~~ الاصل الثاني \* أن جميع المتلفات تضمن بالجنس  
 بحسب الامكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان كما أنه في القرض يجب  
 فيه رد المثل واذا اقترض حيوانا رد مثله كما اقترض النبي صلى الله عليه  
 وسلم بكرا ورد خيرا منه وكذلك في المغرور يضم ولده بمثلهم كما  
 قضت به الصحابة وكذلك اذا استثنى رأس المبيع ولم يذبحه فان الصحابة  
 قضوا بشرائه أى برأس مثله في القيمة وهذا أحد القولين في مذهب  
 أحمد وغيره وقصة داود وسليمان عليهما السلام من هذا الباب فان  
 الماشية كانت قد أتلقت حرث القوم وهو يستأنهم قالوا وكان عينا والحرث  
 ناسم للشجر والزرع فقضى داود بالغنم لاصحاب الحرث كانه ضمنهم ذلك  
 بالقيمة ولم يكن لهم مال الا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة \* وأما سليمان  
 فحكم بأن أصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان  
 فضمنهم اياه بالمثل وأعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضا عن المنفعة  
 التي فانت من حين تلف الحرث الى أن يعود وبذلك أفق الزهري  
 لعمر بن عبد العزيز فيمن كان أتلقت له شجرا فقال بفرسه حتى يعود  
 كما كان وقيل ربعة وأبا الزناد قال عليه القيمة فغلط الزهري القول

فهما وهذا موجب الأدلة فإن الواجب ضمان المتلف بالمثل بحسب  
 الامكان قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم  
 فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم) وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل  
 ما عوقبتم به) وقال (والحرمت قصاص) فاذا أتلف نقدا أو حبوبا ونحو  
 ذلك أمكن ضمانها بالمثل وان كان المتلف ثيابا أو آنية أو حيوانا فهنا  
 مثله من كل وجه وقد يتركه فالا مضر دائر بين شيئين اما أن يضمه  
 بالقيمة وهي دراهم مخالفة للمتلف في الجنس والصفة لكنها تساويه في  
 المالية واما أن يضمه بثياب من جنس ثياب المثل أو آنية من جنس  
 آنيته أو حيوان من جنس حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان  
 ومع كون قيمته بقدر قيمته فهنا المساوية كما في النقد وامتناز هذا  
 بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك أمثل من هذا وما كان أمثل  
 فهو أعدل فيجب الحكم به اذا تمذر المثل من كل وجه ونظير هذا  
 ما ثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة والضربة وهو  
 قول كثير من السلف وقد نص عليه أحمد في رواية اسماعيل  
 ابن سعيد الشافعي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالمرجم  
 فقال طائفة من الفقهاء المساواة متعذرة في ذلك فيرجع الى التعزير  
 فيقال لهم ما جاءت به الآثار هو موجب القياس فان التعزير عقاب  
 غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيها الى اجتهاد  
 الوالي ومن المعلوم الامر بضرب يقارب ضربه وان لم يعلم انه مساو له  
 أقرب الى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير

مقدرة أصلاً واعلم أن المعامل من كل وجه متمذر حتى في المكيلات  
 فضلاً عن غيرها فإنه إذا أنصف صاعاً من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم أن  
 أحد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد أحدهما على  
 الآخر ولهذا قال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً  
 إلا وسعها) فإن تحديد الكيل والوزن مما قد يميز عنه البشر ولهذا يقال  
 هذا أمثل من هذا إذا كان أقرب إلى الممثلة منه إذا لم تحصل الممثلة  
 من كل وجه . الأصل الثالث من مثل بعبده عتق عليه وهذا مذهب  
 مالك وأحمد وغيرهما وقد جاءت بذلك آثار مرفوعة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم وأصحابه كعمر بن الخطاب كما قد ذكر في غير هذا  
 الموضع فهذا الحديث موافق لهذه الأصول الثلاثة النابتة بالادلة  
 الموافقة للقياس العادل فإذا طأوعته فقد أفسدها علي سيدها فإنها مع  
 المطاوعة تبقى زينة وذلك ينقص قيمتها ولا يمكن سيدها من استخدامها  
 لما كانت تمكن قبل ذلك ابتغضها ولطمع الجارية في السيد ولا تستشرف  
 السيد إليها لاسيما وبعسر علي سيدها فلا يطعمها كما كانت تطعمه وإذا  
 تصرف بالمال بما ينقص قيمته كان لصاحبه المطالبة بالمثل ففقد لها بالمثل  
 ومعلوم أنها لو رضيت أن تبقى مملوكاً لها وتغرمه مانقص من قيمتها لم  
 يمتنع من ذلك وإنما المقضى به ما يبيع لها ولكن موجب هذا أن الأمة  
 إذا أفسدها رجل علي أهلها حتى طأوعت علي الزنا فلاهلها أن يطالبوه  
 ببذلها واجب مثلها بناء على أن المثل يجب في كل مضمون بحسب الامكان  
 وأما إذا استكرهها فإن هذا من باب المنسلة فإن الاكره على الوطاء

مسألة فإن الوطء يجري مجرى الائتلاف ولهذا قيل ان من استكره عبده على التلوط به عتق عليه ولهذا لا يخلو من عقر أو عقوبة لا تجرى مجرى منفعة الخدمة فهي إما صارت له بإفسادها على سيدها أو جوب عليه مثلها كما في المطاوعة واعتقها عليه لكونه مثلها . وقد يقال إنه يلزم على هذا اذا استكره عبده على الفاحشة عتق عليه ولو استكره أمة الغير على الفاحشة عتقت وضمنها بمثلها الا أن يفرق بين أمة امرأته وبين غيرها فان كان بينهما فرق شرعي والافوجوب القياس التسوية وأما قوله عز وجل ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فار الله من بعدا كراههن غفور رحيم ) فإذا انتهى عن اكرههن على كسب المال بالغاء كما نقل ان ابن أبي المنافق كان له من الاماء ما يكرهن على البغاء وليس هو استكرها لالامة على أن يزني هو بها فان هذا بمنزلة التمثيل بها وذلك الزام لها بأن يذهب فتزني بنفسها مع انه قد يمكن أن يقول العتق بالمثلثة لم يكن مشروعا عند نزول الآية ثم شرع بعد ذلك والكلام على هذا الحديث من أدق الامور فان كان ثابتاً فهو هذا الذي ظهر في توجيهه وتخرجه على الاصول الثابتة وان لم يكن ثابتاً فلا يحتاج الى الكلام عليه وبالجملة فما عرفت حديثاً صحيحاً الا ويمكن تخرجه على الاصول الثابتة وقد تدبرت ما يمكنني من أدلة الشرع في رأيي قياساً صحيحاً يخالف حديثاً صحيحاً لما أن المعقول الصريح لا يخالف المنقول الصحيح بل متى رأيت قياساً يخالف أثراً فلا بد من ضمف أحدهما لكن التمييز

بين صحيح القياس وفاسده مما يخفى كثير منه على أفاضل العلماء فضلا  
عن هو دونهم فان ادراك الصفات المرتبة في الاحكام على الوجه ومعرفة  
الحكم والمعاني التي تضمنها الشريعة من أنرف العلوم فمنه الجايل  
الذي يعرفه كثير من الناس ومنه الدقيق الذي لا يعرفه الا خواصهم  
فلهذا صار قياس كثير من العلماء يرد مخالفاً للنصوص الخفاء القياس  
الصحيح عليهم كما يخفى على كثير من الناس وفي النصوص من الدلائل  
الدقيقة التي تدل على الاحكام

( فصل ) وأما قولهم ان المضي في الحج الفاسد على خلاف القياس  
فليس الامر كذلك فان الله أمر باتمام الحج والعمرة فعلى من شرع  
فيهما أن يضي فيهما ما وان كان متطوعا بالدخول باتفاق الائمة وهم  
متنازعون فيما سوى ذلك من التطوعات هل تلزم بالشروع فقد وجب  
عليه بالاحرام أن يمضي الى حين يتحلل وأن لا يظأ في الحج فاذا وطئ  
في الحج لم يمنع وطؤه ما وجب عليه من اتمام الحج ونظير هذا الصيام في  
رمضان لما وجب عليه الانعام بقوله ثم أنتموا الصيام الى الليل فاذا أفطر  
لم يسقط عنه فطره ما رجب من الانعام بل يجب عليه اتمام صوم  
رمضان وان أفسده وهذا لان الصيام له حد محدود وهو غروب  
الشمس كما للحج وقت مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان  
مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو عرفة ومن دافه  
يومه فلا يمكنه احلال الحج قبل وصوله الى مكانه كما لا يمكنه احلال  
الصيام اللهم الا اذا كان معذورا كالمحصر فهذا كالمعذور في الفطر



وهذا بخلاف الصلاة اذا أفسدها فانه يبتديها لان الصلاة يمكنه فعلها في اثناء الوقت والحج لا يمكنه فعله في اثناء الوقت

(فصل) وأما الاكل ناسياً فالذين قالوا هو خلاف القياس قالوا هو من باب ترك المأمور ومن ترك المأمور ناسياً لم تبرأ ذمته كما لو ترك الصلاة ناسياً أو ترك نية الصيام ناسياً لم تبطل عبادته الا من فعل محذور ولكن من يقول هو على وفق القياس يقول القياس ان من فعل محظوراً ناسياً لم تبطل عبادته لان من فعل محظوراً ناسياً فلاثم عليه كما دل عليه قوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد ثبت في الصحيح ان الله قال قد فعلت وهذا مما لا يتنازع فيه العلماء ان الناسي لا يأنثم لكن يتنازعون في بطلان عبادته فيقول القائل اذا لم يأنثم لم يكن قد فعل محرماً ومن لم يفعل محرماً لم تبطل عبادته فان العبادة انما تبطل بترك واجب أو فعل محرم فاذا كان ما فعله من باب فعل المحرم وهو ناس في لم تبطل عبادته وصاحب هذا القول يقول القياس أن لا تبطل الصلاة بالكلام في الصلاة ناسياً وكذلك يقول القياس ان من فعل شيئاً من محظورات الاحرام ناسياً لا فدية عليه وقيل الصيد هو من باب ضمان المتلفات كدببة المقتول بخلاف الطيب واللباس فانه من باب الترفه وكذلك الحاق والتقليم هو في الحقيقة من باب الترفه لا من باب متلف له قيمة فانه لا قيمة لذلك فلهذا كان أعدل الاقوال أن لا كفارة في شيء من ذلك الا في جزء الصيد وطردها ان من فعل المحلوف عليه ناسياً لا يحنث سواء حلف بالطلاق أو العتاق أو غيرها لان من فعل المنهى



عنه ناسياً لم يعص ولم يخالف والحديث في الإيمان كالمصية في الاسروا النهى  
وكذلك من باثر النجاسة في الصلاة ناسياً فلا إعادة غايه لانه من باب  
فعل المحذور بخلاف ترك طهارة الحدث فانه من باب المأمور \* فان قيل  
الترك في الصوم مأمور به ولهذا يشترط فيه النية بخلاف الترك في هذه  
المواضع فانه ليس مأموراً به فانه لا يشترط فيه النية \* قيل لاريب أن  
النية في الصوم واجبة ولو لا ذلك لما أثيب لان الثواب لا يكون الا مع  
النية وتلك الامور اذا قصد تركها لله أثيب على ذلك أيضاً وان لم  
يخطر بقله قصد تركها لم يثب ولم يعاقب ولو كان ناوياً تركها لله وفعله  
ناسياً لم يقدح نسيانه في أجره بل يثاب على قصد تركها لله وان فعلها  
ناسياً كذلك الصوم فانما يفعله الناس لا يضاف اليه بل فعله لله به من  
غير قصده ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل أو شرب ناسياً  
فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه فأضاف اطعامه واسقائه الى الله لانه  
لم يعتمد ذلك ولم يقصده وما يكون مضافاً الى الله لا ينهى عنه العبد فانما  
ينهى عن فعله والافعال التي ليست اختيارية لا تدخل تحت التكليف  
ففعل الناس كفعل النائم والمجنون والصغير ونحو ذلك يبين ذلك ان  
الصائم اذا احتلم في منامه لم يفطر ولو استمنى باختياره أفطر ولو ذرعه  
التي لم يفطر ولو استدعى التي أفطر فلو كان ما يوجد بغير قصده بمنزلة  
ما يوجد بقصده لا يفطر بهذا وهذا \* فان قيل فالخطيئ يفطر مثل من  
يأكل يظن بقاء الليل ثم تبين انه طلع الفجر أو يأكل يظن غروب  
الشمس ثم تبين له أن الشمس لم تغرب \* قيل هذا فيه نزاع بين السلف

والخلف والذين فرقوا بين الناس والمخطي قالوا هــذا يمكن الاحتراز  
منه بخلاف النسيان وقاسوا ذلك على ما اذا أفطر يوم الشك ثم تبين أنه  
من رمضان ونقل عن بعض السلف انه يقضى في مسألة الغروب  
دون الطلوع كما لو استمر الشك والذين قالوا لا يفطر في الجميع قالوا  
حيثما أقوى ودلالة الكتاب والسنة على قولنا أظهر فان الله  
قال (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) فجمع بين النسيان والخطأ  
ولان من فعل المحظورات الحج والصلاة مخطئاً كمن فعلها ناسياً وقد  
ثبت في الصحيح انهم أفطروا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم  
طلعت الشمس ولم يذكرها في الحديث انهم أمروا بالقضاء ولكن هشام  
ابن عروة قال أو بد من القضاء وأبوه أعلم منه وكان يقول لا قضاء  
عليهم وثبت في الصحيحين أن طائفة من الصحابة كانوا يأكلون حتى  
يظهر لاحدهم الحيط الأبيض من الحيط الأسود وقال النبي صلى الله  
عليه وسلم لاحدهم ان وسادك امرئض انما ذلك بياض النهار وسواد  
الليل ولم ينقل أنه أمرهم بقضاء وهؤلاء جهلوا الحكم فكانوا مخطئين  
وثبت عن عمر بن الخطاب انه أفطر ثم تبين النهار فقال لا نقضى فانما لم  
تجأف لانهم وروى عنه انه قال لا نقضى ولكن اسناد الاول أثبت  
وصح عنه انه قال الخطب يسير فتأول ذلك من تأوله على انه أراد  
خفة أم القضاء لكن اللفظ لا يدل على ذلك وفي الجملة فهذا القول أقوى  
اثراً ونظراً وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس وبه يظهر ان القياس  
في الناسي أنه لا يفطر والاصل الذي دل عليه الكتاب والسنة ان من فعل

محظورا ناسيا لم يكن قد فعل منها عنه فلا يبطل بذلك شيء من العبادات ولا فرق بين الوطء وغيره سواء كان في إحرام أو صيام

﴿ فصل ﴾ وأما قول القائل أنهم يقولون ذلك فيما يروى عن بعض الصحابة فهو ذا باب واسع والذي يلتزمه إنما كان من أقوال الصحابة فقال بعضهم يقول وقال بعضهم بخلافهم فقد يكون أحد القولين مخالفا للقياس الصحيح بل وللنص الصريح والذي لا ريب فيه انه حجة ما كان من سنة الخلفاء الراشدين الذي سنوه للمسلمين ولم ينقل ان أحدا من الصحابة خالفهم فيه فهذا لا ريب انه حجة بل اجماع وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة مثال ذلك حبس عمر وعثمان رضى الله عنهما للأرضين المفتوحة وترك قسمتها على الغانمين فمن قال ان هذا لا يجوز قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر وقال ان الامام اذا حبسها نقض حكمه لاجل مخالفة السنة فهذا القول خطأ وجراءة على الخلفاء الراشدين فان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر إنما يدل على جواز ما فعله لا يدل على وجوبه فلو لم يكن معنا دليل يدل على عدم وجوب ذلك لكان فعل الخلفاء الراشدين دليلا على عدم الوجوب فكيف وقد ثبت انه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الاحاديث الصحيحة بل تواتر ذلك عند أهل المغازى والسير فانه قدم حين نقضوا العهد ونزل بمر الظهران ولم يأت أحد منهم صالح ولا

أرسل إليهم أحدا يصالحهم بل خرج أبو سفيان يتجسس الاخبار فأخذه  
العباس وقدم به كالأسير وغايته أن يكون العباس أمناه فصار مستأمنا  
ثم أسلم فصار من المسامحين فكيف يتصور أن يعقد عقد صالح الكفار  
بعد اسلامه بغير اذن منهم مما يبين ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم  
علق الامان باباب كقوله من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن  
دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن فآمن من لم يقاتله  
فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا لي ذلك وأيضا فسماهم النبي صلى الله عليه  
وسلم طلقاء لانه أطلقهم بعد القدرة عليهم كما يطلق الاسير فصاروا بمنزلة  
من أطلقهم من الاسر كئامة بن أنال وغيره وأيضا فانه أذن في قتل  
جماعة منهم من الرجال والنساء . وأيضا فقد ثبت عنه في الصحيح انه قال  
في خطبته ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما حلت  
لي ساعة من نهار ودخل مكة وعلى رأسه المغفر لم يدخلها باحرام فلو كانوا قد  
صالحوه لم يكن قد أحل له شيء لو صالح مدينة من مدائن اهل لم يكن قد أحلت  
شكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون له صالح مع وأيضا فقد  
قاتلوا خالدا وقتل طائفة منهم وفي الجملة من نذر الآثار المقولة علم  
بالاضطرار ان مكة فتحت عنوة ومع هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقسم  
أرضها كما لم يسترق رجالها ففتح خير عنوة وقسمها وفتح مكة عنوة  
ولم يقسمها فعلم جواز الامرين والافوال في هذا الباب ثلاثة اما  
وجوب قسم البقار كقول الشافعي واما تحريم قسمه ووجوب تحميمه  
كقول مالك واما التخيير بينهما كقول الاكثرين الثوري وأبي

حنيفة وأبي عبيد وهو ظاهر مذهب أحمد وعنه كالقولين الأولين ومن  
أشكى ما أشكى على الفقهاء، من أحكام الخلفاء الراشدين أمن العقود  
فانه قد ثبت عن عمر بن الخطاب انه لما أجل امرأته أربع سنين وأمرها  
أن تزوج بعد ذلك ثم قدم المفقود خيره عمر بين امرأته وبين مهرها  
وهذا مما اتبعه فيه الامام أحمد وغيره وأما طائفة من متأخري أصحابه  
فقالوا هـ هذا يخالف القياس والقياس انها باقية على نكاح الاول الا أن  
نقول افرقة تنفذ ظاهرا وباطنا فهي زوجة الثاني والاول قول الشافعي  
والثاني قول مالك وآخرون أسرفوا في انكار هذا حتى قالوا لو حكم  
حاکم بقول عمر لنقض حكمه لبعده عن القياس وآخرون أخذوا  
ببعض قول عمر وتركوا بعضه فقالوا اذا تزوجت فهي زوجة الثاني  
واذا دخل بها الثاني فهي زوجته ولا ترد الى الاول ومن خالف عمر لم  
يهتد الى ما اهتدى اليه عمر ولم يكن له من الخبرة بالقياس الصحيح مثل  
خبرة عمر فان هذا مبنى على أصول وهو وقف العقود اذا تصرف  
الرجل في حق الغير بغير اذنه هل يقع تصرفه مردودا أو موقوفا على  
اجازته على قولين مشهورين هما روايتان عن أحمد أحدهما الرد في  
الجملة على تفصيل عنه والرد مطلقا قول الشافعي والثاني انه موقوف  
وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهذا في النكاح والبيع والاجارة وغير  
ذلك فظاهر مذهب أحمد ان المتصرف اذا كان معذورا لعدم تمكنه  
من الاستئذان وحاجته الى التصرف وقف على الاجازة بلا نزاع وان  
أمكنه الاستئذان أو لم يكن به حاجة الى التصرف ففيه النزاع فالاول

مثل من عنده أموال لا تعرف أصحابها كالفصوب والعواري ونحوهما  
إذا تعذرت عليه معرفة أرباب الأموال ويئس منها فإن مذهب أبي  
حنيفة ومالك وأحمد أنه يتصدق به عنهم فإن ظهروا بعد ذلك كانوا  
مخبرين بين الامضاء وبين النضمين وهذا مما جاءت به السنة في  
اللقطة فإن التلقظ يأخذها بعد التعريف ويتصرف فيها ثم إن جاء  
صاحبها كان مخيرا بين امضاء تصرفه وبين المطالبة بها فهو تصرف  
موقوف لكن تعذر الاستئذان ودعت الحاجة الى التصرف وكذلك  
الموصى بما زاد على الثالث وصينه موقوفة على اجازة الورثة عند  
الاكثرين وانما يخبرون عند الموت ففي المفقود المنقطع خبره ان قيل  
ان امرأته بقيت الى أن يعلم خبره بقيت لأيماء ولا ذات زوج الى أن  
تصير عجوزا وتموت ولم تعلم خبره والشرية لم تأت بمثل هذا فلما  
أجلت أربع سنين ولم ينكشف خبره حكم بموته ظاهرا وان قيل  
انه يسوغ للإمام أن يفرق بينهما للحاجة فانما ذلك لاعتقاده موته والا  
قلو علم حياته لم يكن مفقودا كما ساغ التصرف في الأموال التي تعذر  
معرفة أصحابها فاذا قدم الرجل تبين انه كان حيا كما اذا ظهر صاحب  
المال والامام قد تصرف في زوجته بالتفريق فيبقى هذا التفريق موقوفا  
على اجازته فان شاء أجاز بما فعله الامام واذا أجاز صار كالتفريق  
المأذون فيه ولو أذن للإمام أن يفرق بينهما ففرق وقعت الفرقة بلا  
ريب وحينئذ فيكون نكاح الاول صحيحا وان لم يحزم مافعله الامام  
كان التفريق باطلا من حين اختار امرأته لا ما قبل ذلك بل المجهول



كالمردوم كما في الالفة فانه اذا ظهر مالها لم يبطل مائة - دم قبل ذلك  
وتكون باقية على نكاحه من حين اختارها فتكون زوجته فيكون  
القيام بخير ايين اجازة مافعله الامام ورده واذا اجازة فقد اخرج البضع  
عن ملكه وخروج البضع من ملك الزوج متقوم عند الاكثرين كمالك  
والشافعي وأحمد في أنص الروايتين عنه وهو مضمون بالمسمى كما يقوله  
مالك وأحمد في احدى الروايتين عنه والشافعي يقول هو مضمون بمهر  
المثل والنزاع بينهم فيما اذا شهد شهود انه طلق امرأته ورجعوا عن  
الشهادة فليل لاثني عليهم بناء على ان خروج البضع من ملك الزوج  
غير متقوم وهو قول أبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين اختارها  
مناخروا أصحابه كالناضي أبي يعلى وأصحابه وقيل عليهم مهر المثل وهو  
قول الشافعي وهو وجه في مذهب أحمد وقيل عليهم المسمى وهو  
مذهب مالك وهو أشهر في نصوص أحمد وقد نص على ذلك فيما اذا  
أفسد نكاح امرأته برضاع انه يرجع بالمسمى والمكاتب والسنة دلالة على  
هذا القول ففي سورة الممتحنة في قول الله تعالى ( واسئلوا ما أنفقتم  
وليسئلوا ما أنفقوا ) وقوله ( فأتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا )  
وهذا المسمى دون مهر المثل وكذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم زوج  
المختلعة أن يأخذ ما أعطاها ولم يأمر بمهر المثل وهو انما يأمر في  
الماوضات المطلقة بالعدل وهو مبسوط في غير هذا الموضع فقصه عمر  
تنبني على هذا والقول بوقف الموقوف عند الحاجة متفق عليه بين  
الصحابه ثبت ذلك عنهم في قضايا متعددة ولم يعلم ان أحدا أنكر ذلك

مثل قصة ابن مسعود في صدقته عن سيد الجارية التي ابتاعها باليمن  
الذي كان له عليه في ذمته لما تعذرت عليه معرفته وكتصدق الغال بالمال  
المغلول لما تعذر قسمته بين الجيش واقرار معاوية على ذلك وغير ذلك  
من القضايا مع أن القول بوقف المفقود مطلقا هو الاظهر في الحاجة  
وهو قول الجمهور وليس ذلك اضرازا أصلا بل صلاح بلا فساد فان  
الرجل قد يرى أن يشتري لغيره أو يبيع له أو يستأجر له أو يوجب له  
ثم يشاوره فان رضي ولا فلم يصبه ما يضره وكذلك في تزويج موليته  
ونحو ذلك وأما مع الحاجة فالقول به لا بد منه فمسئلة المفقود هي مما  
يقف فيها تعريف الامام على أن الزوج اذا جاء كما يقف تصرف الملتقط  
على اذن المالك اذا جاء والقول برد المهر اليه لخروج امرأته من ملكه  
ولكن تنازعوا في المهر الذي يرجع به هل هو ما أعطاها هو أو ما أعطاها  
الثاني وفيه روايتان عن أحمد والصواب انه انما يرجع بمهره هو فانه  
الذي استحقه وأما المهر الذي أصدقها الثاني فلا حق له فيه واذا ضمن  
الاول للثاني المهر فهل يرجع به عاينها فيه روايتان . احدها يرجع  
لأنها التي أخذته والثاني قد أعطاها المهر الذي عليه فلا يضمن مهرين  
بخلاف المرأة فانها لما اختارت فراق الاول ونكاح الثاني فعليها أن ترد  
المهر لان الفرقة جاءت منها . والثانية لا يرجع لان المرأة تستحق المهر  
بما استحلت من فرجها والاول يستحق المهر لخروج البضع من ملكه  
فكان على الثاني مهران وهذا المأثور عن عمر في مسألة المفقود هو  
عند طائفة من أئمة الفقهاء من أبعد الأقوال عن القياس حتي قال من



أئمة الفقهاء فيه ماقال وهو مع هذا أصح الأقوال وأجراها على القياس  
وكل قول قيل سواء فهو خطأ فمن قال أنها تعاد إلى الأول وهو  
لا يختارها ولا يريد بها وقد فرق بينه وبينها تفريقاً سائفاً في الشرع وأجاز  
هو ذلك التفريق فإنه وإن كان الإمام يبين أن الأمر بخلاف ما اعتقده  
فالحق في ذلك للزوج فإذا أجاز ما فعله الإمام زال المحذور وأما كونها  
زوجة الثاني بكل حال مع ظهور زوجها وتبين الأمر بخلاف ما فعل  
فهو خطأ أيضاً فإنه لم يفارق امرأته وإنما فرق بينهما بسبب ظهوره لم  
يكن كذلك وهو بطالب امرأته فكيف يحال بينهما وهو لو طلب ماله  
أو بدله رد إليه فكيف لا ترد إليه امرأته وأهلها أعز عليه من ماله وإن  
قيل تعاق حق الثاني بها قيل حقه سابق على حق الثاني وقد ظهر  
انتقاض السبب الذي به استحق الثاني أن تكون زوجة له ومما ألوجب  
لمراعاة حق الثاني دون حق الأول . فالصواب ما قضى به أمير المؤمنين  
عمر بن الخطاب وإذا ظهر صواب الصحابة في مثل هذه المشكلات  
التي خالفهم فيها مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي فلأن يكون الصواب  
معهما فيما وافقهم فيه هؤلاء بطريق الأولى وقد تأملت من هذا الباب  
ما شاء الله فرأيت الصحابة أئمة الأمة وأعلمها واعتبر هذا بمسائل  
الإيمان بالنذر والعق والطلاق وغير ذلك ومسائل تعليق الطلاق  
بالشروط ونحو ذلك وقد بينت فيما كتبت أن المنقول فيها عن الصحابة  
هو أصح الأقوال قضاء وقياساً وعامية يدل الكتاب والسنة وعليه يدل  
القياس الجلي وكل قول سوى ذلك تناقض في القياس مخالف للنصوص

وكذلك، في مسائل غير هذه مثل مسألة ابن الملا عنة ومسئلة ميراث  
المرتد وما شاء الله من المسائل لم أجدا أجود الاقوال فيها الا الاقوال  
المنقولة عن الصحابة والى ساعى هذه ما علمت قولاً قاله الصحابة ولم  
يختلفوا فيه الا وكان القياس معه لكن العلم بتصحيح القياس وفاسده من  
أجل العلوم وانما يعرف ذلك من كان خبيراً بأسرار الشرع ومقاصده  
وما اشتملت عليه شريعة الاسلام من المحال التي تفوق التعداد  
وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد وما فيها من  
الحكمة البالغة والرحمة السابعة والعدل التام

والله أعلم بالصواب واليه

المرجع والمآب

(تم)

كتاب السماع والرقص

جمعه

الشيخ محمد بن محمد بن محمد النبهجي الحنبلي من كلام الائمة

والعلماء المفسرين وقد نقلت هذه

النسخة عن أصل مسودته

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية  
 رضى الله عنه عن صفة سماع الصالحين ماهو وهل سماع القصائد  
 الملعنة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح  
 فاجاب الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك  
 له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
 أصل هذه المسئلة أن يفرق بين السماع الذى ينتفع به في الدين وبين  
 ما يرخص فيه رفعا للحرج وبين سماع المتقربين وسماع المتلعين فالما  
 السماع الذى شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من الصحابة والتابعين  
 وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات  
 الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة فان الله تعالى  
 لما ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام في قوله (أولئك الذين أنعم  
 الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم  
 واسرائيل ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا  
 سجدا وبكيا) وقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم  
 واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى  
 (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا  
 ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان  
 يكونون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول  
 ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وبهذا السماع أمر

الله تعالى في قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعلى أهله أئني تعالى كما في قوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال تعالى في الأخرى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أئني تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى (واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعهما كأن في أذنيه وقراً) وقال تعالى (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) وقال تعالى (فألهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنقرة فزت من قسورة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما ندعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذلك وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقى يستمعون وكان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه

ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اقرأ على قال قلت اقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الي هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك فاذا عيناه تذرفان

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى (قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المذنبين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى (يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فإلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكذلك يخرج عليهم يوم القيامة كما قل تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الي جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية

وقد أخبر الله تعالى ان المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والممرض

ضال شـ. قى قال الله تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى) الآية وقال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم) وقال (يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) وقال تعالى (وما يأتهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وقال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) وقال تعالى (ان هـ والاذكر لعالمين) وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار ايمانية من المعارف القدسية والاحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها وله فى الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقتصرار الجلد وهذا مذكور فى القرآن وهذه الصفات موجودة فى الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب الصراخ والانعناء والموت فى التابيين

وهلجثة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فامن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى



وأما سماع المكاء والتصديّة والتصديّة هي التصفيق بالأيدي  
والمكاء مثل الصفيّر ونحوه فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى  
في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديّة) فأخبر الله  
تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد  
والتصويت باليد قربة ودينًا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن  
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل  
المعرفة بمحدثه وسننه والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في  
مسئلة السماع في صفة النصوص ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص  
عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف ان النبي صلى الله عليه  
وسلم أنشده اعرابي

قد لست حية الهوي كبدى \* فلا طيب لها ولا راق  
الا الحبيب الذي شفقت به \* فعنده رقيتي وترباتي  
وانه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم  
فقال مهلا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث  
مكذوب باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا  
حديث آخر يذكر فيه انه لما بشر الفقراء ببقعهم للاغنياء الى  
الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم وان جبريل نزل من السماء فقال يا محمد  
ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعاقها بالعرش  
وان ذلك هو زبق الفقراء \* وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل



الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الايمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتبه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا اياه فقال يارب ألم تأمرني أن لا أفشي به فقال أمرتك أنت أن لا تفشي به ولكن أنا أعلمهم به ونحو هذه الاحاديث التي يروونها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام ويبنون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها نارة يسقطون التوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقاً وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكنهم يقولون لانسقط الوساطة الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقاً عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أكفر من جهة اسقاط السفارة مطلقاً بل أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الي الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه الا خيالات ووسوس وظنون ألفاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله وتارة يحملون هذه

الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام  
ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية  
وتارة يجعلونه حجة في الأعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى  
الله عليه وسلم الى ما يترعوه من اتخاذ دينهم لهوا ولعباً  
وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي صلى الله عليه  
وسلم لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع  
الآيات المماثلة مع ضرب بالاكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم  
يمح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة  
لأنى باطن الامر ولا فى ظاهره لا لأمى ولا لحاص ولكن رخص النبي  
صلى الله عليه وسلم فى أنواع من اللهو فى العرس ونحوه كما رخص للنساء  
أن يضربن بالدف فى الاعراس والافراح وأما الرجال على عهدہ فلم  
يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه فى  
الصحيح انه قال إنما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات  
من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب  
بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك  
مختناً ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور فى كلامهم ومن  
هذا الباب حديث عائشة رضى الله عنها لما دخل عليها أبو بكر  
فى أيام العيد وعندها جاريتان من الانصار تغنيان بما تقاولت  
به الانصار يوم بعث فقال أبو بكر أبعزمير الشيطان فى بيت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً عنه مقبلاً

بوجهه الى الحائط فقال دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا  
 أهل الاسلام ففي هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى  
 الله عليه وسلم وأصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر  
 رضى الله عنه مزمار الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى  
 عليه معادلا ذلك بأنه يوم عيد والصغار يرخص لهم في اللعب في الأعياد  
 كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحا وكما كان يكون  
 لعائشة لعب تلعب بهن ونحوه وأحباتها من صغار النسوة يلعبن معها  
 وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع إلى  
 ذلك والامر والنهي انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية  
 فانه انما يتعلق بقصد الرؤية لانها يحصل منها بغير الاختيار كذلك في  
 اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم فلما اذا شم مالا يقصده  
 فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع  
 والبصر والشم والذوق واللمس انما يتعلق الامر والنهي في ذلك بالامد  
 فيه قصد وعمل وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهى وهذا  
 مما وجه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي  
 صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال  
 هل تسمع حتى انقطع الصوت فان من الناس من يقول بنقدیر صحة  
 الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجيب بان ابن عمر لم يكن يستمع  
 وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله عليه وسلم عدل طلبا  
 الاكمل والافضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون بكلام

محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأتهم بذلك

إلاهم الا أن يكون في سماعه ضرب ديني لا يندفع لا بالسد

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع

هل هو محذور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج

بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الربابات

لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من الهروب

والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة

ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلب به مشاهد أهل العرفان

حتى يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو لأخصاة من سماع القرآن

من عدة وجوه وحتى يجعلونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا

للفوس يحدوها على المسير الى الله عز وجل ويحثها على الاقبال عليه

ولهذا يوجد من اعتاده واغتذي به لا يحب القرآن ولا يفرح به ولا

يحمدي في سماع الآيات كما يحمدي في سماع الايات بل اذا سمعوا

القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل

المكاء والتصديّة خشعت الاصوات وسكنت الحركات وأصغفت القلوب

وتعاطت المنروب فمن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه

بما كان النساء يغنين به في الاعياد والافراح لم يكن قد اهتمدى الى

الفرق بين طريق أهل الحسرة والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل

هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصددين

ومن أعمال أهل البقية ومن طريق المحبين المحبوبين ومن أفعال

السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه هل هو محمود أو مذموم فاخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامه الى الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتبه المتنازع فيه واذا عرفت هذا

فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لابلحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لابدق ولا بكف ولا بقضيب وإنما حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه فقال الشافعي خلفت بي بغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغير يصعدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هرون ما يغبر إلا فاسق ومتى كان التغير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل أتجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهلهم كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو اليمان وغيرهما من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه أنه من أحداث الزنادقة من كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو

اليه في الاصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندى والفارابي وابن  
سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع عن  
ابن الراوندى أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم وكرهه  
قوم وأنا أوجبه أو قال آمر به بخالف اجماع العلماء في الامر به وأبو  
نصر الفارابي كان بارعا في الغناء الذى يسمونه الموسيقى وله فيه طريقة  
معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما  
ضرب فابكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج • وابن سينا ذكر في  
اشاراته في مقامات المارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب  
طريقة أسلافه الصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب  
والاصنام كارسطو وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس ونا مسطيوس  
والاسكندر الافروديسى وكان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلنوس  
المقدوني الذى تؤرخ له اليهود والنصارى وكان قبل المسيح بخمسة وثلاثمائة  
سنة وأما ذو القرنين المذكور في القرآن الذى بنى السد فكان قبل  
هؤلاء بزمان طويل وأما الاسكندر الذى وزر له ارسطو فانه انما بلغ  
بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل الى السد وهذه الامور  
مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام  
سلفه اليونانى ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم  
وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية  
والعملية ومزجه بشئ من كلام الصوفية وحقيقته تعود الى كلام  
اخوانه الاسماعيلية الفرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من اتباع



الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل  
اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافق الامم الذين ليسوا مسلمين ولا  
يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليوناني التي هي  
للعالم ارسطو واتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء  
ففي هذه الطوائف من يرغب لله ويحمله مما تركوه به النفوس وترتاض  
به وتهذب به الاخلاق

وأما الخنفاء أهل ملة ابراهيم الخليل الذي جعله الله للناس اماما  
وأهل دين الاسلام لا يقبل الله من أحد دينا غيره المتبعون لتريعة  
خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليما فهو لاء ليس منهم من  
يرغب في ذلك ولا يدعو اليه وهؤلاء هم أهل القرآن والايمان والهدى  
والرشاد والسمعة والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والاخلاص لله  
والحب له والتوكل عليه والخشية منه والانابة اليه

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة وعن له نصيب في المحبة  
لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته كما دخل  
قوم من الفقهاء أهل الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم  
في أنواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الاسلام ظنا منهم أنه حق  
موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته فان القيام بحقائق الدين علما  
وقولا وعملا وذوقا وخبرة لا يستقل به أكثر الناس ولكن الدليل  
الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمدا صلى  
الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله

شهيدا وقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيماً) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفي ضمن ذلك من الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس أعظم ما تفعله حيا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكر أعظم من سكر الخمر فيجسدون لذة كما يجسد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله أعنى الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد بل بما يقتربهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الأحوال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجنى على لسان المصروع اما بكلام من جنس كلام الاعاجم الذين لا يفقه كلامهم كالان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من اخوانهم واما بكلام لا يعقل



ولا يفهم له معنى وهـ هذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعباداً وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هـ هذا النمط فان الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط احساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء وانما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالصروع وبالمغرب ضرب من الزط يقال لاحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ويفعل أشياء أباغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لاخلق لهم والجن تخطف كثيراً من الانس وتغيبه عن ابصار الناس وتطير به في الهواء وقد باشرنا من هـ هذه الامور ما يطول وصفه وكذلك هؤلاء المتوكلون المنتسبون الي بعض الشيوخ اذا حصل لهم وجد سماعي عند سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد المحمى بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هـ هذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الافعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لان هذه عبادات شرعية ايمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً يقرب الى الجنة الا وقد حدث به ولا شيئاً يبعد عن النار الا وقد حدث به وان هـ هذا السماع لو كان مصالحة لشرعه الله ورسوله فان الله

يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم ياتفت اليه كما ن الفقيه إذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم ياتفت اليه

وفصل النزاع في حكم مسألة السماع ثلاث تواعد من أهم قواعد الايمان والسلوك فمن لم يبين عليها فبناؤه على شفا جرف هار ~~في~~ القاعدة الاولى ~~في~~ ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو متحاكم اليه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون اليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فبندوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الاذواق والاحال والمواجيد فعمم الفساد وطغت معالم الايمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات الى شهوات أكبر منها ومن حظوظ الى حظوظ أعظم منها وكان حالهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكمل وخير من هؤلاء لانهم لم يمارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوا مقربة ودينياً واقفون مع حظوظهم من الله فانون بهاء عن مرد الله وامسا زهدوا في حظ الى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة فليتدبر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل ما خالف مرا الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ذوقاً كان أو حالاً أو وجداً، لا أوصورة ونحو ذلك فمن قدمه على مراد فهو أسوأ حالاً ممن يترف انه يهوى ويحببه وان

مراد الله أولى بالتقديم منه وانه ذنب تجب التوبة منه  
 ﴿القاعدة الثانية﴾ انه اذا وقع النزاع في حكم فعل من الافعال أو حال  
 أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى  
 الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الاساس  
 ومن لم يبن على هذا الاصل فعلمه وسلوكه ليس على شيء  
 ﴿القاعدة الثالثة﴾ اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل  
 هو الاباحية أو التحريم فليُنظر الى مفسدته ونعمته وغايته فان كان  
 مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به  
 أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان طريقه مفضيا الى  
 ما يبيغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس  
 الالبزة من المسكر لانه يشوق النفس الى المسكر الذي يشوقها الى  
 المحرمات ثم يبيع ما هو أعظم منها شوقا للنفس الى المحرم بكثير فان  
 الغناء كما قال ابن مسعود هورقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاتاه صبي  
 الا وفسد ولا امرأة الا وبغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور  
 وقال شيخ الاسلام بن تيمية فصل الخطاب في هذا الباب ينبغي أن  
 ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك  
 والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجييج فانهم ينشدون أشعار  
 يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الاشعار مباح  
 وفي معنى هؤلاء الغزاة فانهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو  
 وفي هذا المعنى انشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه

وسلم لحاديه رويده سوكا بالقوارير وقال عبد الله بن رواحة بمدح النبي  
صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله ينلو كتابه \* اذا انشق معروف من الفجر ساطع  
يبيت بجاني جنبه عن فراشه \* اذا استمقلت بالمنركين المضاجع  
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا \* به موقنت أن مقال واقسح  
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة  
وفهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم

وقال الشيخ في موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات  
الاهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك  
ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعي قولين ولم يذكرنا عن أبي حنيفة  
ومالك في ذلك نزاعاً وذكر زكريا بن يحيى الساجي وهو أحد الأئمة  
المتقدمين من المائلين إلى مذهب الشافعي أنه لم يخاف من الفقهاء  
المتقدمين إلا إبراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن  
الغبري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو  
القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما  
وقعت به لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع إلا أن هذا ليس  
قول أئمتهم ونفقاتهم

وقال شيخ الاسلام أبصا وجماع الامر في ذلك أنه اذا كان الكلام  
في السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلا بد من دليل شرعي يدل على  
ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلا بد من دليل شرعي

يدل على ذلك اذ لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وانهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية

قال أبو سليمان الداراني انه ليعر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضا ليس لمن ألهم شيئا من الخبر أن يفعله حتى يسـ مع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نورا على نور وقال الجنيـد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن وبكتب الحديث لا يصاح له أن يتكلم في علمنا وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلنا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلنا نطق بالبدعة وقال أبو الفرج بن الجوزي اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهي القلب عن التذكير في عظمة الله تعالى والقيام بخدمة الثاني أن يميله الى اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا في المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك بحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح وازنا أكبر لذات النفس

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وإنكار ذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ حباة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والامكان والحال والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رحموا عنه في آخر عمرهم كالجنيد فإنه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك أنه يحمل ليس فيه تفصيل فان الايات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل واللوم ونحو ذلك هو قول يحمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصابان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب الذنوبان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة اذ هيح القاطن أنار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما اثما كبيرا ومنافع للناس واثمهما

أكبر من نفعهما فلهذا لم يأت به الشريعة فان الشريعة لم تأت الا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ما تكون مفسدته غالبية على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك انه يبيع الوجد المشترك فيثير من النفس كوا من تضره آثارها ويغذى النفس وبقيتها به فتعاض به عن سماع القرآن حتي لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا ياتذ به ولا يستعليه بل قد يبتقي في النفس بنفس لذلك واستتقال به كمن يستقل نفسه بتعلم التوراة والانجيل وعلوم أهل الكتابين والصائين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله الي أشياء أخر يطول ذكرها

فلما كان هذا السماع لا يعطى بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الاحوال والمعارف بل قد يصعد عن ذلك ويعطي ما لا يحبه الله ورسوله بل ما يفضله الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الامة ولا أعيان مشايخها

والصوت يؤثر في النفس بحسب الاوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا واذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس اذا سكرت بالصور والجسد اذا سكر بالطعام والشراب فان السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذي صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العداء والبغضاء

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من



الائمة بل قال الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا) والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار

وانما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزفن والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه اسلم الله ذلك كما تقدم فاما الذي اذا تكلف من الاسباب ما لم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وأنا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفر التمر وأعوان الظلمة من ذوى الاحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصاري والمشركين ببعض ما لهم من الاحوال ومن كان كاذب فهو منافق ضال

(فصل) وقد استدل قوم على اباحة السماع بامور الخصم الهالك منها انه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار لا ينسام حتى تحذوله القائمة بامرهم والابل تنفسي تمب السير ومشقة الحمولة فيهن عليها بالحداد ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزبادة في خافه



وقد يستدلون عليه بقوله (يزيد في الحاق ما يشاء) وبأن الله تعالى ذم الصوت  
الفضيع (ان أنكر الاصوات لصوت الخمر) فقال  
ومنها ان الله وصف أهل الجنة انهم في روضة يجرون وان ذلك  
هو السماع الطيب فكيف يكون حراما وهو في الجنة  
ومنها ما ثبت ان الله تعالى ما أذن اشيء كاذبه أى كاستماعه لنبي  
حسن الصوت يتغنى بالقرآن

ومنها ان أبا موسى الأشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته  
وأني على حسن الصوت وقال لقد أوتي هذا زممارا من زمامر آل  
داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لخبرته لك تحبيرا أى  
زينة وحسنه

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لم زينوا القرآن بأصواتكم وقوله  
ليس منا من لم يتغن بالقرآن والصحيح انه من التغنى وهو تحسين  
الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويعضده ما فسر به الامام  
أحمد فقال يحسن صوته ما استطاع

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم  
العيد وقال لاني بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل  
الاسلام

ومنها انه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماء لهوا  
ومنها انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه  
ومنها انه كان يسمع امتداد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه

في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا \* على الجهاد ما بقينا أبدا  
ودخل مكة والمرنجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدا  
به الحادي في منصرفه من خير فجعل يقول  
والله لولا الله ما هتدينا \* ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأزلن سكة عاينا \* وثبت الأقدام ان لا قينا  
ان الالي قد بغوا علينا \* اذا أرادوا فتنة أينا  
قدما لقائلة

ومنها انه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازة  
ومنها انه استنشد الاسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد  
من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الاعشى شيئا من شعره  
فسمعه

ومنها انه صدق لييدا في قوله  
ألا كل نبيء - اخلا الله باطل \* وكل نعيم لا محالة زائل  
ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس مادام يتافع عنه وكان يعجبه  
شعره وقال له اهجههم وروح القدس مملك وأنشد عائشة رضى الله  
عنها قول أبي كثير الهذلي

واذا نظرت الى أسرة وجهه \* برقت كبرق العارض المتهلل  
وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها  
ومنها انهم ادعوا انه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن

جعفر وأهل المدينة بار كذا وكذا ولي لله حضوره وسمعوه فمن حرمه  
فقد قدح في هؤلاء السادة القدوة الاعلام

ومها ان اجماع العلماء منعقد على اباحة أصوات الطيور المطربة  
الشجية فلذة سماع صوت الآدمي أولى بالاباحة أو مساوية وبان السماع  
يحمد وروح السماع وقلبه الي نحو محبوبه فان كان محبوبه حراما كان  
السماع مميئلا له على الحرام وهو حرام في حقه وان كان مباحا كان  
السماع في حقه مباحا وان كانت محبة رحمانية كان السماع في حقه قرينة  
وطعة لانه يحرك الحجة الرحمانية ويميجها وبان التذاذ الاذن بالصوت  
الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة والذوق بالطعم  
الطيب فاذا كان هذا حراما كانت هذه الذات والادراكات محرمة  
والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الاسلام  
ابن تيمية والامامة ابن القيم وغيرهما كفاية وما ذكر حيد عن المقصود  
وروغان عن محل النزاع فان جهة كون الشيء مسئلة للحاسة ملائما لها  
لا يدب على اباحته ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة  
تكون في أحكام التكليف الخمسة فكيف يستدل بها على الاباحة من  
يعرف شروط الدلائل ومواقع الاستدلال وهل هذا الا بمنزلة من  
يستدل على اباحة الزنا بما يجذب به فاعله من اللذة ولذته لا يشكرها  
ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود اللذة الملازمة على حل اللذات الملائم  
أحد وهل خلت غالب المحرمات من اللذات وهل أصوات المعازف  
التي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها وان في أمته من يستحلها

باضح الاسانيد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم  
جملتها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة  
يعنى اذا كان معه آلة لهو وهل التذاذ الابل والطفل بالصوت الطيب  
دليل نرعى من اباحة أو تحريم وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة  
بان الله تعالى خالق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال  
والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطى  
حسنها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الاطلاق  
وهل هذا المذهب أهل الاباحة الجارين على رسوم الطبيعة وهل في  
ذم الله لصوت الحمار ما يدل على اباحة الاصوات المطربات بالانمات  
الموزونات والالمان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع القصائد  
المستحسنات بالدقوف والشبابات هذا من المضحكات الممجبات وأعجب من  
هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يجبرون  
فما يخاف صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة  
الخمر بان في الجنة خمر او على اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة  
الحرير وعلى حل أواني الذهب والفضة والتحلل بها للرجال فان هذا  
كله مباح لاهل الجنة

فان قبل قام الدلائل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع  
فيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة  
نعم لم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم  
دليل على تحريم السماع فيقال أى السماعات تبنى وأى المسموعات

تريد فان منهما المحرم والمكروه والمباح ولواجب والمستحب فمين نوعا  
يقع الكلام فيه نفيا وإثباتا

فان قلت سماع القصائد مامدح الله به ورسوله وكتابه وهجي به  
أعداؤه فهذا لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها وبدرسونها وهي  
التي سمعها الرسول وأصحابه وأئاب عليها وحرص حسان عليها وهي  
التي غرت أصحاب السماع الشيطاني فقالوا تلك قصائد ويكفي هـ هذا  
والسنة كلام والبدعة كلام والتبليغ كلام والغيبة كلام ولكن هل  
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هـ هذا المشتمل  
على قريب من مائة مفردة ونظير هذا ما استدلوا به علي ان الرسول  
استحسن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبي موسى  
الاشعري وغيره فنقلوا هذا الاستحسان الى صوت النسوان والمردان  
وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصفوف والشبابات والاونار وغير  
ذلك من المعازف وذكر القدود والثغور والنهود والحضور ووصف  
خواتم العيون وسوادها وسواد الشعور ومحاسن الشباب وحمرة الحدود  
وذكر الوصل والصد والتجنى والهجران والعتاب والاستعفاف  
والاشتياق واللقاء والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من  
سكر الخمر وأى نسبة لسكر يوم ونحوه الى سكرة العشق اتي لا يستفيق  
صاحبها الا في سكر الهالكين أسيرا قليلا حزينا وهل يقاس سكرة  
الشراب الى سكرة الارواح بالسماع فان نازع منازع في سكر السماع  
وتأثيره في العقول والارواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت

مكابرة القوم فكيف يحمى الطبيب والمريض عما يشوش عليه صحته  
 ويبيح له ما فيه أعظم الستم والكلام مع من وجد لا من فقد وأعجب  
 من هذا من استدل على اباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية  
 اجتماع البنين الصغريتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد  
 وفرح بايات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الاخلاق  
 والشيم فأين هذا من هذا والعجب ان هذا من أكبر الحجج عليهم فان  
 الصديق سمى ذلك مزموور الشيطان وأقره على هذه التسمية مرخصا  
 فيه لجورين غير مكلفتين ولا مفسدة في انشاده ولا في استماعه أفيدل  
 هذا على اباحة ما يفهمونه من السماع اليوم وأعجب من هذا كله  
 الاستدلال على اباحته بما سمعه الرسول من الحد المشتمل على الحق  
 والتوحيد وهل حرم أحد مطاق الشعر وقوله واستماعه وأعجب  
 استدلالهم باباحته على اباحة أصوات الطيور اللذيذة وهل هذا الا من  
 جنس قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور الي  
 نفقات النسوان والمردان والاوزار والعبدان والغناء منهم بما يحدو  
 الارواح والقلوب الى مواصلة كل محبوبة ومحبوب وأين الفتنة بمن  
 هو من جنسك الى الفتنة بصوت القمرى والبايل والهزار والشحرور  
 ونحوها وأعجب من هذا من قال انه من أنكره فقد أنكر على كذا  
 كذا ولي الله فحجة عامية نعم يشكر أولياء الله على أولياء الله فقد أنكر  
 عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله وعند  
 المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله في صفين بالسيوف ولما سار بعضهم الى

بعض كان يقال سار أهل الجنة الى الجنة وكون ولي الله يرتكب  
المكروه أو المحذور متأولاً أو عاصياً لا يمنع ذلك الانكار عليه ولا  
يخرجه عن أصل ولايته لله وهبات هبات أن يكون أحد من أولياء  
الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي  
تفتن القلوب أعظم فتنه

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق  
ابن موسى الطباع سألت مالكا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء  
فقال انما يفعله عندنا المساق وهذا النص عن مالك معروف في كتب  
أصحاب مالك مشهور وهم أعرف بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط  
وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لاعلم بمذاهب الفقهاء ومن  
ذكر عن مالك أنه ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نهت على هذا  
لان فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك  
حكايات وآثاراً يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف انها صدق  
وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيه من الخير ولزهد والدين  
والتصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق  
مقصوده كل ما يجده ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة  
والكلام ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام  
المردود ما يضر من لا خبرة له وبعض الناس توقف في روايته حتى ان  
البيهقي كان اذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه  
وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة عنه



فانه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ماروي من غث وسمين ولم يميزوا ذلك اه كلامه

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ماروي فيه من غث وسمين ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن يصنف في الابواب مثل المصنفين في فضائل الشهر والاقوات وفضائل الاعمال والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الايام والليالي صلاة يوم الاحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة اول جمعة في رجب والتي اول رجب ونصف شعبان واحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب مارواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب انه كان يضرب أيدي الناس في رجب حتى يفطروا ويقول لا تشبهوه برمضان وكذا كره افراده بالصوم غير واحد من السلف والائمة وأجود ما روى من هذه الصلوات حديث



صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهما زعم هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الأربعة بل الإمام أحمد ضعف الحديث وقال لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشيء مثل الصلاة المرفوعة فإن تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الأصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الأصول علم أنه موضوع وأما سائر هذه الأحاديث فإنها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة بانفاق أهل المعرفة مع أنها توجد في مثل كتاب أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتاب الشيخ عبد القادر وتوجد في مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص بن شاهين وعبد العزيز الكنعاني وأبو علي بن البناء وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج بن الجوزي ذكر مثل هذا في كتاب فضائل الشهور ويذكر في الموضوعات أنه كذب موضوع

والذين جمعوا الأحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ما روى في هذا الباب ومن أجل ما صنف في هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك وفيه أحاديث وأهية وكذلك كتاب الزهد لهاد بن السري ولو كيع وكذلك الزهد لاسد بن موسى وغيرهم وأجود ما صنف في ذلك كتاب الزهد للإمام أحمد لكنه مرتب على الأسماء وزهد ابن المبارك على الأبواب وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء والصحابة والتابعين ثم إن المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين كأبي نعيم في الحلية وأبي الفرج في صفوة الصفوة

ومنه من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السامى فى طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيرى فى رسالته ثم الحكايات التى يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن خنيس الموصلى وأمثاله يذكرون حكايات مرسله بعضها صحيح وبعضها باطل قطما والله أعلم

وقال الشيخ رحمه الله والمقصود هنا أن المذكور عن سلف الأمة وأئمتها من المنقولات يتبنى الإنسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغي مثل ذلك فى المقولات والظريات وكذلك فى الآذواق والمواجيد والمكاشفات والمحاطبات فإن كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجماع ذلك أن ماوافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فإن الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) الآية

(فصل) وأما من زعم أن الملائكة أو الأنبياء تحضر سماع المسكئ والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر بل إنما تحضره الشياطين وهى التى تنزل عليهم وتنفع فيهم كما روى الطبرانى وغيره عن ابن عباس مرفوعا أن الشيطان قال يارب اجعل لى بيتا قال بينك الحمام قال اجعل لى قرآنا قال قرآك الشعر قال اجعل لى مؤذنا قال مؤذذك المزمار وقد قال الله تعالى مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجاب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما نهيت عن صوتين أحمرين فاجرين صوت لهُو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وتدكوشن جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية وكيف يدور الشيطان عيهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى ان بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا يشهد بها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخبر الدنيا والآخرة وان لم يعرف حقائق الامور بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادى فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في موطنه وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادى كان ضالا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق والدليل الهادى هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارفاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجردون في

نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد في الهوي المذموم واما غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق نياح وصياح كصياح المحزون المحروم الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالاشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ايضا عن سبيل الله ورقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه ولهذا قال من اقال من العلماء ان هؤلاء يجب عليهم القود والدية اذا عرف انهم قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظالمة المسلطون ومن هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة ومحة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الاعانة على الظالم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن

ظاهرا وباطنا ليس مستلزما لولاية الله بل قد يكون ولي الله متمكنا إذا سلطان  
وقد يكون مستضعفا الى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفا  
وقد يكون مسلطا الى أن ينتقم الله منه نخفراء السر في الباطن من  
جنس التستر في الظاهر هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الاجناد وأما  
الغلبة فان الله قد يبدل الكافرين كما كان يكون لاصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول (انا  
لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذا  
كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهما عليهم كان ذلك لسبب  
ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنا وظاهرا وأما  
امداواتهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا قال الله تعالى (ان الذين  
تولوا منكم يوم انتفى الجمعان انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا وقال  
تعالى (اولما اصابتمكم مصيبة قد اصابتم مثلها قلتم اني هذا قل هو من عند  
انفسكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله اقوى عزيز  
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرنا بالمعروف  
ونہوا عن المنکر ولله عاقبة الامور)

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ الصفيق والنفا والضرب  
بالدفوف والتفخ في الشبابت والاجتماع على ذلك ديننا وطريقا الى الله  
وقربة فهذا ليس من دين الاسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى  
الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسن ذلك أحد من ائمة  
المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم باحسان ولا تابعي  
التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثة لا بالحجاز  
ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر  
يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الاسلام بعد القرون  
الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ينفد ذنباً أحدثته  
الزندقة

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع  
والرقص فأنكر عليه رجل فقال هذه الايات

أنكروا رقصا وقالوا حرام \* فعايهم من أجل ذلك سلام  
اعبد الله يافقيه وصل \* والزم الشرع فالسماع حرام  
بل حرام عليك ثم حلال \* عند قوم أحوالهم لا اتلام  
مثل قوم صفوا وبان لهم من \* جانب الطور جذوة وكلام  
فاذا قوبل السماع بلهو \* فحرام على الجميع حرام  
أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر يتضمن منكرا من القول  
وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزندقة  
والإلحاد المخالفة للحقيقة الإلهية الدينية النبوية وذلك أن قول القائل  
مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل  
هؤلاء بمرسى بن عمران الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار  
قال لا ههنا امكثوا اني آنست نارا على آتيكم منها بقبس أو جذوة من  
النار املككم نصطلون وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق

الرياضة والتصفية ويظنون أنهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما  
خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف

صنف يزعمون أنهم يخاطبون أعظم مما خاطب به موسى بن  
عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن  
الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فإن هؤلاء يدعون أنهم  
أعلى من الانبياء وأن الخطاب الذي يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل  
لأبراهيم وموسى وعيسى ومحمد \* ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر  
اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون  
ببعض الانبياء ويكفرون ببعض

والنوع الثاني من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران  
كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفهم الذين يقولون ان  
تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة  
مكتسبة

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة  
قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم  
دون هذا كما يوجد هذا في اخبار صاحب مشكاة الانوار وكذلك  
سلك مسلكه صاحب خلع النعيلين وأمثالهما وأما قوله في أول الشعر  
لمن يخاطبه الزم الشرع يا فقيه وصل يشعر بانك أنت تبع الشرع وأما  
نحن فاننا الى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له الى الله طريقا  
يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها



رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة استمطوا

وزعموا ان العبد يصل الى الله بلا متابعة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغفون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن الاسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى علمها فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لا تخالفها

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد آياتا يذكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكر عليه رجل فقال له لاتفعل هذا وعليك بالتسبيح والحمد والقصائد الربانية فهل أصاب أم لا

أجاب رضى الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الايات التي هي من جنس النباحة والمرأى وكذلك ما كان من جنس الغزل فان في ذلك مفسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشرع للمؤذن ولا بأس بالآيات المتضمنة لذكر الآيات والاختبار والتوبة الاستغفار والله أعلم



(فصل) نافع ان شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى ( فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال العلماء من انفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أى لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيديويه وأصحابه فدل على ان اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كانه قال كتب الله عليكم وسنة الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة علي أقوال وكذلك الخلاف

رسالة في الكلام على الفطرة ومعرفة الله

عن وجيل جمع الشيخ محمد

ابن محمد بن محمد المنبجي

رحمه الله تعالى

في قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة قابوا  
يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون  
فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا إن شئتم (فطرة الله التي فطر الناس  
عليها لا تبديل لحاق الله) رواه البخاري ومسلم فالفطرة المراد بها الاسلام  
قاله أبو هريرة وابن شهاب\* وسئل مجاهد عن الفطرة فقارها الاسلام  
وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لحاق الله) قال لا تبديل لدين  
الله وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي وروى عن ابن عباس  
وعكرمة في احدي الروايتين عنهما والقول بان الفطرة الاسلام هو  
احدي الروايات عن الامام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد وقال  
آخرون والفطرة ههنا الاسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف  
وأهل التأويل قاله في نفسه - ير هذا الحديث المتقدم\* ثم قال وأما قوله  
فطرة الله التي فطر الناس عليها (فقد أجمعوا علي) أن قالوا دين الاسلام  
انتهى وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها  
دين الاسلام وهو المعروف عند عامة السلف الى أن قال ومعني هذا  
أن الطفل خلق سائما من الكفر على الميثاق الذي أحذه الله على ذرية  
آدم حين أخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة  
أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى

وقال أبو بكر النقاش اختلف أهل التأويل في الفطرة ف قيل على

ملة ابراهيم ثم ذكر قريبا مما ذكره القرطبي

وقد احتج لهذا القول بادلة

منها حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل خلقت عبادي حنفاء مسلمين فاجتالهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

ومنها ما رواه الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أنهم فاجتالهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا

ومنها ما في الصحيحين خمس من الفطرة أي من فطرة الاسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود عشر من الفطرة وفي لفظ عشر من سنن الاسلام

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلق البهائم التي لا تصل لخلقها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى (وما لي لأعبد الذي فطرني) يعني الذي خلقني ووجهوا هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني نسالة هل نحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا في هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد اليهائم لانقص

فيهم

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد

على ما سبق له في علم الله أنه سائر إليه  
قال الشيخ ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي  
مولودة على ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على  
الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله قابوا يهودانه وينصرانه  
ويعمجسونه معنى قائما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين  
التهويد والتنصير

ثم قال بعد أسطر فتمثله صلى الله عليه وسلم بالهيمية التي ولدت  
جمعا ثم جدعت يمين ان أبويه غيرا ما ولد عليه

ثم قال بعد ذلك وقواكم خلقوا خاليين من المعرفة والانكار من  
غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدا منها بل يكون القلب كالموحي الذي  
يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر  
فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة  
والانكار والتهويد والتنصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب  
فكان ينبغي أن يقال قابوا يسلما يهودانه وينصرانه فلما ذكر أن  
أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه في  
حصول سبب مفصل غير حكم الكفر

ثم قال بعد ذلك ففي الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء  
لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول (واقم وجهك للدين حنيفا  
فطرة الله التي فطر الناس عليها) فامر به بلزوم فطرته التي فطر الناس  
عليها

وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما بطراً عليها من الكفر بمجدع الأنف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمود ولا مذمومة اه  
وقد ذكر الحلال في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة

( أنبأ ) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صغاراً وان كانوا مع أحد الابوين ويحتاج بالحديث وذكر عنه نصوصاً كثيرة في هذا الباب

وقد سئل الزهري عن رجل عليه رقبة مؤمنة أجزيه رضيع يعتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهري بصلى على كل مولود متوفى وان كان لغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لا اله الا الله وذلك في قوله تعالى ( أفن شرح الله صدره للاسلام ) قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لا اله الا الله ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لا بد لكل موجود من موجد ولكل مصنوع من صانع كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ) قل ( من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ) الآيات الثلاث

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقدهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة

كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا انما بعث الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فتفاصيل الامر والنهي انما نعرف من جهة الرسل

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة ( قالت رسالهم أفي الله شك ) فالمشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به انه ربهم وخالقهم ورازقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المقصود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي عمران بن حصين كم تعبد اليوم الهما قال ستة في الارض وواحد في السماء قال فأيمم اعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء رواه الترمذي قاله تعالى فطر الخلق كلهم علي معرفته فطرة توحيد حتى من خلق تخنونا مطبقا مصطلما لا يفهم شيئا ما يحالف الابه ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء لاستحضاره قال لو ترك طفل رضيع في بيت لا يكلم وله من يقوم بأمره اعرف ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبدد قنوع الانسان أشرف من كثير من المخلوقات قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله في قوله ( ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) ولا شك انه أفضل من الجمادات وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه

وتحميده وتنزيهه انطقا لا يفهما، الا الذي انطقها به قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحها تسبيح حقيقي ولهذا قال انه كان حليما غفورا أى اذا كانت الجمادات التى لا تنتم تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور اذ لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة في حقهم بالعقوبة وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الآية وقال تعالى (يسبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (يسبح لله ما في السموات وما في الارض) والآيات كثيرة في هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضى الدال على وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح ونجده كل وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر بنى آدم على الافرار برؤيته ألت بربكم قالوا بلى لم يخلف منهم أحد وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقال تعالى (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى في حق داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) قال أبو هريرة كان داود اذا سبح أجابته الجبال والطير



بالسبيح والذكر وقال أبو الفرج ابن الجوزي قد روى أن داود كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتي يشفق هو فيسبح وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان فقال هـذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر الله بل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالي ( ولقد آتينا داود منا فضلا يا حبال أوبي معه والطير ) والتأويب هو ترجيع السبيح وأخبر سبحانه عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف رها معرفة تليق بها فان الخشية تستلزم العلم بالخشى وكذلك قوله ( ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها والارض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أيتنا طائمين ) وهذا خطاب من يعرف ربه ويمقل أمره وليس هذا خطاب يتكلمون لمدوم فانه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله ( اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ) ومعنى أذنت أصغت واستمعت لقوله وأمره وكذلك اخباره عن الارض يوم القيامة انها يومئذ تحدث أخبارها وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها من خير أو شر وهذه شهادة نطق لما تحمله من الشهادة في هذه الدار لما أوحى لها فانه تعالي قال ( بأن ربك أوحى لها ) وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالي ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس

والقمر والنجوم والحيال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ولو كان سيّجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختلف بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه وأمثال هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستذكر معرفته لربه وسجوده له وتسبيحه بحمده ولو لم يكن في هذه الآيات الا قوله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) في أوائل هذه السور فانه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولى العلم قطما اما اختصاصا واما تغليباً ولا يصح حمل ما ذكرنا من الآيات على أولى العلم وتخصيصها بهم اذ لو أريد ذلك لحي بلفظ من المختصة بمن يعقل وان كان قد وقع في القرآن ما لم يعقل ومن لا لا يعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره

والمقصود اذا كانت هذه الجادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتزيينه والانسان أشرف منها فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الاولى والاخرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفضة لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الاسلام والاسلام كلمة التوحيد كما تقدم وان كان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والانقياد

(فصل) ومن تمام الكلام على ان معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاستدلال بالآية والحديث فان أول ما يبدأ به في الاستدلال الكتاب والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وان كان في أصل المسئلة الناس

متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل فيقول بخلاف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة والكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتمل حينئذ الى النظر فهي في الاصل ضرورية وقد تكون نظرية ثم المعرفة الواجبة لانتهاج نظر خاص بل قد تحصل ضرورية فنصفية النفس ورباضتها من أعظم الاسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد يحتاج الى أمور يجب الايمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لما طرا على الفطرة من الفساد فان كون هذا العالم لا بد له من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فيكونه لا يعرف هذا الا بطريق النظر فيه نظر وأي نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها متبعة بحمده عارفة به ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد ومع دلالتها على الوحدةانية مسبحة بحمده معترفة به تسجد له وان جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شيء بحسبه فتلوا ان كل شيء يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لانظمه نحن ولا يعلمه الا الذي أنطقه به لما أخبرنا به وانه دال على عظمته

وقد روينا في جزء الزباني في كتاب الذكر له باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الجبل لينادي الجبل مقابله باسمه هل من بك اليوم ذا كر الله عز وجل فان قال نعم فيقول هنيأ لك لكن مامر

علي اليوم أحد يذكر الله

وروى أيضا بسنده عن أنس رضي الله عنه قال ما من صباح ولا رواح الا تنادى بقاء الارض بعضها بمضا يا جارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلا فكل فطرة سليمة لم تجتالها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقربه وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لا تنفذ شيئا في هذا الباب وانما هذه من باب الفرجة والمطالمة

قلنا يكفي ما تقدم لنا من اخبار الله تعالى في القرآن من الدلائل القطعى عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها والا لما هبطت من خشيته فان الخشية تستلزم العلم بالخشى وقد تقدم ذلك

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وانما تهبط من خشية الله ثلاث مذاهب قالت الصوفية هي حيوان وفيها جزء حي تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له وقال آخرون هذا من مجاز التشبيه وقال الاشعري الله تعالى يخلق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل الطور انتهى كلامه ذكره في النكت

قلت ما ذكره من هذه الاقوال \* أما القول الاول فهو قول بعض جهالة الصوفية والا فيكون الحجارة حيوانا كما يعلم بالفطرة بطلانه \* وأما القول الثانى كونه من مجاز التشبيه فان هذا مما يشهد

الكتاب والسنة بطلانه أما الكتاب فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شئ بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان يسم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولولم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل جمدان فقال هذا جمدان يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يبعضنا ونبغضه

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطاولت الجبال ليتجلى لها وتواضع زبيراي عني الطور فتجلى له وهذا يدل على انها تعرف ربها

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وجعله دكا قال صار أعظمته ستة أجيال ف وقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى و وقعت بمكة ثلاثة بئير وحرأ وثور

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجمادات فقال تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) فهذا الالباء والاستعفاء بعد ان عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها

وليس المقصود ذلك وانما المقصود ان الانسان أشرف عند الله

وأعظم من الجبال حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيب وأطيب وربك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك

فمع شرف الانسان لا يركب الله في فطرته وعقله ما يعرفه ربه من غير دلائل نظري يحتاج فهمه الى عسر وقد ينتقض عليه أو يشكك فيه من هو ألحن بحجته منه

هذا الهدهد طير من الطيور وفي نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك (فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين) الى قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عاينها جميع المخلوقات فان أريد بالمعرفة المرفة التامة وهي معرفته بصفات الكمال ونموه الجلال فيما لم يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراد من عبادته شرعا وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه فهذا ما لم يعلم الا بالسمع من جهة إرسال صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعبادة الله تعالى والايمان به انما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ

قال الامام أحمد في رواية الروزي معرفة الله تعالى في القلب تفاضل وتزيد وهذا يدل على ان المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم انما

تزيد وتمكن بتظامر الأدلة والقاضى أبو يعلى في المعتمداستدل بهذه الرواية على انها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم تزدد وقال في رواية يعقوب ان المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها القاضى على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لانه موقوف على الشهادتين وفيما قلناه نظراته صدر في أول المسألة فقال معرفة الله تحصل بادلته الظاهرة وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسموات والارض وما بينهما وذلك ان آثار الصنعة لازمة لهذه الاشياء فدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم وذكر أن أول ما أوجب الله على نبيه وأمره به اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم قال بعد كلام كثير فقد بين ان الاقرار بالاعتراف بالخالق فطرى ضرورى في نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظر ان المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى

وقال الشيخ أيضا في نرح الاصفهانية وأما طريقة القرآن في اثبات المصانع فانا قد بينا في غير هذا الموضع اختلاف الناس في الاقرار بالمصانع هل هو فطرى أو نظري وبيننا قول من قال انه فطرى وان كل مولود يولد على الفطرة وانه قد يصير نظريا لبعض الناس لما يمرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالأدلة الكثيرة انتهى فاذا قلنا هذا محدث



وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجب أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يتخلاق بذهنه ويتهم أذهان الناس بالفساد ويركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل على محدث مطابق وواجب مطلق وواحد مطابق لا يمتنع تصويره من وقوع الشراكة فيه فلهذا يكله الله تعالى الى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضال فلن تجد له وليا مرشدا فن يهد الله فهو المهتد

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي الى فاعل قديم لا يكون الا واحدا وواجب بنفسه لا يكون الا واحدا فهو واحد مطلق عندنا أليس هو معنا في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لاسيما في معرفة ربه فلا بد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وان الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أنهم فاجتالهم عن دينهم فمنهم من هودنه ومنهم من نصرتهم ومنهم من مجسته ونقول ومنهم من وسوست له بما تشككه في خالقه وقد أخبر فقال عن رساله انهم قالوا



لقومهم أني الله شك فاطر السموات والارض يعنى خالق السموات والارض ومالي لأعبد الذى فطرني أى خلقتني أني الخالق شك وقد قال هل من خالق غير الله

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره ايجاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الائمة الاربعة كالقاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري وأصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحاق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكفي به اختلف أصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال واختلفوا أيضا في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونه لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها ما يقوم الدليل من الكتاب والسنة الا على بعضها

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد اما لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة

وذلك لا يحتاج الى نظر واما لان المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاما وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعي وغيرهما والله أعلم

وقال بعض الملماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من الموارد التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال لامن الوازم العامة فيقال كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجبا لم يكن النظر واجبا

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هذا اعدل الاقوال وكلام الأئمة والسلف انما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس معهم ما يدل على عموم وجوبه انما يدل على أنه قد يجب فانهم قالوا الواجب لا يحصل الا به لقوله تعالى ( قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تنفي الآيات ولنذر ) الآية وقوله ( قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ) وقوله ( فلينظر الانسان ما خلق ) فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا ريب ان النظر يجب على هؤلاء والذين خالفوا في وجوب النظر ومنهم من قالوا لا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها في النظر

والمقصود أن الذين أوجبوا لله على عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله

وأن يطيعوا الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ووجوب الايمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ونصوص القرآن متظاهرة به فالعلم بمعرفة الله ضرورى والالو كان نظريا لكان يجب على الرسل أول ما يدعونهم الى النظر وهذا مما علم فساد من دين الاسلام فان كل كافر اذا أراد لدخول في دين الاسلام أول ما يؤمن بالشهادتين فلو قال أنا أقر بالخلق لم يكن بذلك مسلما ولو قال أنا أعرف الله انه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلما فمعرفة الله فطرية حاصلة للجمهور الخلق

فان قيل اذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهى ثابتة في فطرة كل أحد وكيف ينكر ذلك كثير من النظار انظار المسلمين وغيرهم وفي زعمهم انهم الذين يقيمون ادلة العقلية على المطالب الالهية فيقال أول من عرف في الاسلام بانكار هذه المعرفة هم أهل كلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند ملف الامة من أضل الطوائف وأجهلهم هذا معنى ما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك ما ركزه الله في فطرة كل أحد انه اذا دعاهم بنفت يمنة ولا يسرة بل يمجذ في قلبه ضرورة تطلب العلو ولهذا قال بام الحرمين لما أورد عليه معنى هذا قال حيرنى الهمدانى

وأما العلم الذى لا يحصل الا بالنظر فيجب لاجله النظر لفهم القرآن نى لا يحصل الا بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر في مسائل نزاع التي لا يعلم الحق فيها الا بالنظر فاذا أراد معرفة الحق فيها وجب

عليه النظر فاذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه، وأداه النظر الى غير  
الحق فيها نخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده وان أصاب الحق فله أجران  
قاله تعالى يلهمنا الرشاد \* ويوفقنا للسداد \* في أقوالنا وأفعالنا مما يحبه  
ربنا ويرضاه ويفعل ذلك باخواننا من المؤمنين آمين انه ولي ذلك  
والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الامي  
وآله وصحبه وسلم

رسالة تتضمن أجوبة شيخ

الامام الحافظ ابن تيمية

عن الاحاديث التي

يروىها القصاص

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سئل الشيخ تقي الدين بن تيمية عن أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يروونها القصاص وغيرهم بالطرق وغيرها فأجاب عنها

\* منها ما يروون أنه قال ( أدنى ربي فأحسن تأديي )

أجاب الحمد لله المعنى صحيح لكن لا يعرف له اسناد ثابت

\* ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ( لو كان المؤمن في ذروة جبل قبض الله له من يؤذيه أو شيطاناً يؤذيه )

أجاب الحمد لله ليس هذا معروفاً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم \* ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ( لو كانت الدنيا دماً عبيها كان قوت المؤمن منها حلالاً )

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف عنه بأسناده ولكن المؤمن لا بد أن يتيسر الله له من الرزق ما يغنيه ويمتنع في الشرع أن يحرم على المؤمن ما لا بد منه فإن الله لم يوجب على المؤمنين ما لا يستطيعونه ولا حرم عليهم ما يضطرون إليه من غير معصية منهم وتحت ذلك كله قاله وكتبه أحمد بن تيمية

\* ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم عن الله ( ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن )

أجاب الحمد لله هذا مذكور في الاسرائيليات ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى وسعني قلبه الايمان بي

ومحبتى ومعرفتى ولا من قال ان ذات الله تحل فى قلوب الناس فهذا من  
النصارى خصوا ذلك بالمسيح وحده

ومما يروونه عنه أيضا (القلب بيت الرب)

أجاب الحمد لله هذا كلام من جنس الاول فان القلب بيت الايمان

بالله ومعرفته ومحبته وليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم  
ومما يروونه عنه أيضا (كنت كنزا لا أعرف فأحييت أن أعرف  
فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفونى)

أجاب ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له  
اسناد صحيح ولا ضعيف

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم (أن عمر بن الخطاب رضى  
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم مع أبى بكر  
كنت كالزنجى بينهما الذى لا يفهم)

أجاب الحمد لله هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث  
ولم يروه الا جاهل أو ما جحد

ومما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (أنا مدينة العلم  
وعلى بابها)

أجاب هذا حديث ضعيف بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث  
الكن قد رواه الترمذى وغيره ومع هذا فهو كذب

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله يعتذر للفقراء  
يوم القيامة ويقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنكم لهواكم على

لكن أردت أن أرفع قدركم في هذا اليوم انطلقوا الى الموقف فمن  
أحسن اليكم بكسرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خارقة انطلقوا  
به الى الجنة)

أجاب الحمد لله هذا الشأن كذب لم يروه أحد من أهل المسلم  
بالحديث وهو باطل يخالف للكتاب والسنة بالاجماع

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (انه لما قدم المدينة في الهجرة  
خرجت بنات النجار بالدفوف وهن يقان طلح البدر علينا من ثنيات  
الوداع الى آخر الشعر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هزوا  
كراييلكم بارك الله فيكم)

أجاب أما ضرب النسوة الدف في الزواج فقد كان معروفا على  
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله هزوا كراييلكم بارك  
الله فيكم فهذا لا يعرف عنه صلى الله عليه وسلم  
ومما يروون عنه انه قال (لو وزن ايمان أبي بكر بإيمان الناس  
لرجح ايمان أبي بكر على ذلك)

أجاب الحمد لله هذا جاء منه في حديث معروف في السنن ان  
أبا بكر رضى الله عنه وزن هذه الامة فرجح

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (اللهم انك أخرجني  
من أحب البقاع الى فاسكني في أحب البقاع اليك)

أجاب الحمد لله هذا باطل بل ثبت في الترمذى وغيره انه قال  
لمكة والله انك لاحب بلاد الله الى الله وقال انك لاحب البلاد الى



فأخبر أنها أحب البلاد إلى الله وإلى

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (من زارني وزار أبي إبراهيم  
في عام واحد دخل الجنة)

أجاب الحمد لله حديث كذب موضوع ولم يروه أحد من أهل  
العلم بالحديث

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (فقراؤكم)  
أجاب الحمد لله هذا اللفظ ليس مأثورا لكن معناه صحيح وان  
الفقراء موضع الاحسان اليهم فهم تحصل الحسنات

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (البركة مع أكابركم)  
أجاب الحمد لله قد ثبت في الصحيح من حديث جبير انه قال  
كبر كبر أى يتكلم الاكبر وثبت من حديث الامامة انه قال فان استووا  
أى فى القراءة والسنة والهجرة فليؤمهم أكبرهم سنا  
ومما يروون أيضا (الشيخ فى قومه كائى فى أمته)

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وإنما  
يقوله بعض الناس

ومما يروون أيضا (لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)  
أجاب الحمد لله هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح  
ومما رووا عن على رضى الله عنه ان اعرابيا صلى وتقر صلاته  
فقال له على لا تتقر صلاتك فقال له الاعرابى لو تقرها أبوك ما دخل النار

أجاب الحمد لله هذا كذب ورووه عن عمر وهو كذب

ومما يروون عن عمر رضى الله عنه أنه قتل أباه

أجاب هذا كذب فإن أبا عمر رضى الله عنه مات في الجاهلية قبل

أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الماء

والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين

أجاب الحمد لله هذا اللفظ كذب باطل ولكن اللفظ المأثور الذي

رواه الترمذى وغيره أنه قيل يا رسول الله متى كنت نبيا قال وادم

بين الروح والجسد وفي السنن عن العرباض بن سارية أنه قال انى عند

الله لم يكتب خاتم النبیین وان آدم لم يجد في طينته

ومما يروون أيضا العازب فراشه من النار ومسكين رجل بلا

امراة ومسكينة امراة بلا رجل

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولم

أجده مرويا ولم يثبت

ومما يروون أن ابراهيم عليه السلام لما بنى البيت صلى في كل

ركن ألف ركعة فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أفضل من هذا سعد

جوعة أو ستر عورة

أجاب الحمد لله هذا كذب ظاهر ليس هو من كتب المسلمين

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا ذكر ابراهيم

وذكرت أنا فصلوا عليه ثم صلوا على واذا ذكرت أنا والانباء غيره

فصلوا على ثم صلوا عليهم

أجاب الحمد لله هذا لا يعرف من كتب أهل العلم ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم من أكل مع مغفور له غفر له

أجاب الحمد لله هذا ليس له اسناد عن أهل العلم ولا هو في شيء من كتب المسلمين وإنما يروونه عن سالم وليس معناه صحيحا على الإطلاق فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون

ومما يروون أيضا من أشبع جوعة أو ستر عورة ضمننت له الجنة أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومما يروون لا ينكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين

أجاب الحمد لله هذا ليس معروفًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ومما يروون سب أصحابي ذنب لا يغفر

أجاب رحمه الله هذا كذب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويفقر مادون ذلك لمن يشاء

ومما يروون من علم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقه

أجاب الحمد لله هذا كذب ليس في شيء من كتب أهل العلم

ومما يروون عنه آية من القرآن خير من محمد وآله

أجاب الحمد لله القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فلا يشبهه بالمخلوقين

واللفظ المذكور غير مأثور

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا من العرب وليس العرب مني  
أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم  
ومما يروون عنه أيضا اللهم احبني مسكينا وأمتي مسكينا واحشمني  
في زمرة المساكين

أجاب هذا يروى لكنه ضعيف لا يثبت ومعناه أحبني خاشعا  
متواضعا لكن اللفظ لم يثبت

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم عن حديثنا  
فأعرضوه على الكتاب والسنة فان وافق فارووه وان لم يوافق فلا  
أجاب الحمد لله هذا مروي ولكنه ضعيف عن غير واحد من  
الائمة كالشافعي وغيره

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يا على اتخذ لك نملين  
من حديد واقهما في طلب العلم ولو بالصين

أجاب الحمد لله ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم  
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لافوني  
بنيانكم ولا تلاقوني بأعمالكم

أجاب الحمد لله ليس هذا اللفظ معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم  
ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ابريقا متوضي  
فكانما قدم جوادا مسرجا ما جوما يقاتل عليه في سبيل الله

أجاب هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف في  
شيء من كتب المسامحين المعروفة

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم يأتي على أمتي زمان ما يسلم  
يدينه الا من يغفر من شاق الى شاق  
أجاب الحمد لله هذا اللفظ ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه  
وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حسنات الابرار  
سيئات المقربين

أجاب الحمد لله هذا كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي  
صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستروا من أصحابي  
هدية القتاتل والمقتول في الجنة

أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم  
ومما يروون عنه اذا وصلتم الى ماشجر بين أصحابي فامسكوا  
واذا وصلتم الى القضاء والتقدر فامسكوا

أجاب الحمد لله هذا مأثور باسناد منقطع وماله اسناد ثبت  
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم اذا كثرت الفتن فعليكم  
بأطراف اليمن

أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف  
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من بات في حراسة

تكتب بات في غضب الرب

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر النساء بالغنج لأزواجهن  
عند الجماع

أجاب ليس هذا عنه صلى الله عليه وسلم  
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كسر قلبا فعليه جبره  
أجاب الحمد لله هذا أدب من الآداب وهذا اللفظ ليس معروفا  
عن النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من الكلام يكون صحيحا لكن يمكن  
أن يقال عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقدح في هذا اللفظ. ليس  
بمطلق في كسر قلوب الكفار والمنافقين إذ به إقامة الملة والله أعلم  
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين  
وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين

رسالة للمؤلف أيضا في الجواب

عن حنفي 'صلى' بجماعة

ورفع يديه في كل

تكبيرة وغير

ذاك

!

:

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام ابن نيمية رحمه الله تعالى في رجل حنفي صلى  
بجماعة ورفع يديه في كل تكبيرة فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له ان  
هذا لا يجوز في مذهبك وأنت مبتدع فيه فهل ما فعله نقص في صلاته  
مخالف للسنة وللإمامة أم لا

فأجاب الحمد لله أما رفع اليدين مع كل تكبيرة حتى في السجود  
فأبست هي السنة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها ولكن الأمة  
متفقة على أنه يرفع اليدين مع تكبيرة الافتتاح وأما رفعها عند الركوع  
والاعتدال من الركوع فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كإبراهيم النخعي  
وأبي حنيفة والثوري وغيرهم وأما أكثر فقهاء الأمصار وعلماء  
الأنار فانهم عرفوا ذلك كما أنه استفاضت به السنة عن النبي صلى الله  
عليه وسلم كالوزاعي والشافعي وإسحق وأحمد بن حنبل وأبي عبيد  
وهي إحدى الروايتين عن مالك فإنه قد ثبت في الصحيحين من  
حديث ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا  
افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع ولا كذلك بين  
السجدين وثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من  
حديث مالك بن الحويرث ووائل بن حجر وأبي حنيفة الساعدي في  
عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهم أبو قتادة وهو  
معروف من حديث علي بن أبي طالب وأبي هريرة وعدد كثير من  
المصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر إذا رأى من



يصلى ولا يرفع يديه في الصلاة حصبه وقال عقبة بن عامر له بكل  
 إشارة عشر حركات والكوفيون حجّتهم ان عبد الله بن مسعود لم  
 يكن يرفع يديه وهم معذورون فهذا قبل أن تباينهم السنة الصحيحة فان  
 عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذي بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
 ليعلم أهل الكوفة السنة ليكن قد حفظ الرفع عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم خلق كثير من الصحابة وابن مسعود لم يصرح بأن النبي صلى الله  
 عليه وسلم لم يرفع الا أول مرة لانهم رأوه يصلون ولا يرفع الا أول  
 مرة والانسان قد ينسى وقد يذهل وقد خفي على ابن مسعود التطبيق  
 في الصلاة فكان يصلى واذا ركع طبق بين يديه كما كانوا يفعلون أول  
 الاسلام ثم ان التطبيق نسخ بعد ذلك وأمر بالركب وهذا لم يحفظه  
 ابن مسعود فان الرفع المنازع فيه ليس من نواقص الصلاة بل يجوز  
 أن يصلى بالرفع واذا رفع كان أفضل وأحسن وان كان الرجل متبعاً  
 لابن حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد ورأى في بعض المسائل ان  
 مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح في عدالته  
 ولا دينه بلا نزاع بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله فمن  
 يتعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كمن يتعصب لمالك  
 أو الشافعى أو أحمد أو أبى حنيفة ويرى ان قول هذا الممين هو الصواب  
 الذى ينبغى اتباعه دون قول الامام الذى خالفه فمن فعل هذا كان  
 جاهلاً ضالاً بل قد يكون كافراً فانه متى اعتقد انه يجب على الناس  
 اتباع واحد بعينه من هؤلاء الائمة دون الامام الآخر فانه يجب أن

يستتاب فان تاب والا قتل بل غاية ما يقال له انه يسوغ أو ينيهي أو  
يجب على العاقل أن يقلد واحدا بعينه من غير تعيين زيد ولا عمرو اما  
أن يقول قائل انه يجب على الامامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله  
مسلم ومن كان مواليا للائمة محبا لهم يقلد واحدا منهم فيما يظهر له انه  
موافق لسنة فهو محسن في ذلك هذا أحسن حالا من غيره ولا يقال  
لمثل هذا مذبذب على وجه الذم وانما المذبذب المذموم الذي لا يكون  
مع المؤمنين ولا مع الكافرين بل يأتي المؤمنين بوجه والمنافقين بوجه  
كما قال تعالى في المنافقين (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا  
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا  
مذبذبين بين ذلك لالى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد  
له سبيلا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة  
بين الغنمين تعير الى هؤلاء مرة والى هؤلاء مرة فهو هؤلاء المنافقون  
المذبذبون وهم الذين ذمهم الله ورسوله وقال في حقهم (اذا جاءك  
المنافقون قالوا انشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد  
ان المنافقين لكاذبون) وقال في حقهم (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب  
الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون عني الكذب وهم يعلمون)  
فهؤلاء المنافقون الذين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ما هم من  
اليهود ولا منا مثل من أظهر الاسلام من اليهود والنصارى  
وغيرهم وقلبه مع طائفة فلا هو مؤمن محض ولا هو كافر ظاهر  
وباطن فهو هؤلاء المذبذبون الذين ذمهم الله ورسوله وأوجب على عباده

أَن يَكُونُوا لَا كُفَّارًا وَلَا مُنَافِقِينَ بَلْ يَحِبُّونَ اللَّهَ وَيُبِغِضُونَ اللَّهَ وَيَعُطُونَ  
 اللَّهَ وَيَنْمُونُ لِلَّهِ قَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى  
 أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (إِنَّمَا  
 وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
 وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ  
 هُمُ الْغَالِبُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ  
 أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ الْبَغْضَاءَ بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) لَا يَءِ وَقَالَ  
 تَعَالَى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤَيِّنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
 إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) \* وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمِثْلِ الْجَسَدِ  
 إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحِمَى وَالسَّهْرِ وَفِي  
 الصَّحِيحِينَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمَا بَعْضًا وَشَبَكَ  
 بَيْنَ أَصَابِعِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا  
 يَظْلَمُهُ وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى  
 يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى  
 تَأْمِنُوا وَلَا تَأْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ نَحَابَّتُمْ  
 أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْاجْتِمَاعِ وَالْإِتِّلَافِ  
 وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ فَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا  
 اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) الى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة القائمة الذين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين وان تنازعوا في بعض فروع الشريعة مثل الطهارة والصلاة والحج والطلاق والفرائض وغير ذلك فاجماعهم حجة قاطعة وتنازعهم رحمة واسعة ومن تعصب لواحد بعينه من الائمة دون الباقيين فهو بمنزلة من يتعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقيين كالرافضى الذى يتعصب لعلى دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة وكالحارجى الذى يقدر فى عثمان وعلى وهذه طرق أهل البدعة والاهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والاجماع انهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذى بعث الله به رسوله فمن تعصب لواحد من الائمة بعينه فقد شبه بهؤلاء سواء تعصب لمالك أو أبى حنيفة أو أحمد أو غيرهم ثم غاية المتعصب لواحد منهم يكون جاهلا بقدره في العلم والدين وبقدر الآخرين فيكون جاهلا ظالما والله يأمر بالعلم والعدل وينهى عن الجهل والظلم قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لابي حنيفة وأعلمهم بقوله وهما خلفاء في مسائل لا تكاد تحصى لما تبين لهما من السنة والحجة ماوجب عليهما

اتباعه وهما مع ذلك يعظمان لامامهما لا يقال فيه - ما مذبذب بل أبو  
 حنيفة وغيره من الائمة يقول القول ثم تبين له الحجة في خلافه  
 فيقول بها ولا يقال له مذبذب فان الانسان لا يزال يطالب العلم  
 والايمن فاذا تبين له من العلم ما كان خافيا عليه اتبعه وليس هذا  
 بمذبذب بل هذا مهتد زاده الله هدى وقد قال تعالى (وقل رب زدني  
 علما) والواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وان يقصد الحق ويتبعه  
 حيث وجدته و علم ان من اجتهد منهم فأصاب فله أجران ومن اجتهد  
 منهم فأخطأ فله أجر الاجتهاد وخضوعه مغفور له وعلى المؤمنين أن  
 يتبعوا امامهم اذا فعل مايسوغ فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما  
 جعل الامام ايؤتم به وسواء رفع يديه أو لم يرفع يديه لا يقدر ذلك في  
 صلاتهم ولا يبطلها لا عند أبي حنيفة ولا مالك ولا الشافعي ولا أحمد  
 ولو رفع الامام دون المأموم أو المأموم دون الامام لم يقدر في صلاة  
 واحد منهما ولو رفع الرجل بعض الاوقات دون بعض لم يقدر ذلك  
 في صلاته وليس لاحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارا يوجب اتباعه  
 وينهى عن غيره مما جاءت به السنة بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع  
 مثل الاذان والاقامة فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم انه أمر بالالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة وثبت عنه في  
 الصحيح انه علم أبا مخذرة الاقامة شفعاً شفعاً كالاذان فمن شفع  
 الاقامة فقد أحسن ومن أفردا فقد أحسن ومن أوجب هذا  
 دون هذا فهو مخطئ ضال ومن وإلى من يفعل هذا دون هذا

بمجرد ذلك فهو مخطئ ضال وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله  
 التتعليلها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها حتى تجرد  
 المنتسب الى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج  
 عن الدين والمنتسب الى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي  
 وغيره حتى يخرج من الدين والمنتسب الى أحمد يتعصب لمذهبه على  
 مذهب هذا أو هذا وفي المغرب تجرد المنتسب الى مالك يتعصب لمذهبه  
 على هذا وهذا وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله  
 ورسوله عنه وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوي  
 الانفس المتبعين لاهوائهم بغير هدى من الله مستحقون الذم والعقاب  
 وهذا باب لا يحتمل هذه الفتيا لبسطه فان الاعتصام بالجماعة والاتلاف  
 من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من فروع الحقيقة فكيف يقدر  
 في الاصل بخفض النوع وجمهور المتبعين لا يعرفون من الكتاب  
 والسنة الا ما شاء الله بل يتمسكون بأخايت ضعيفه أو آراء فاسدة أو  
 حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد تكون صدقا وقد تكون كذبا  
 أو كانت صدقا فليس صاحبها معصوما يتمسكون بنقل غير مصدق عن  
 قائل غير معصوم ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو  
 مانقله الاثبات الثقات من أهل العلم ودونوه في الكتب الصحاح عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم فان الناقلين لذلك معذوقون باتفاق أئمة الدين  
 والمنقول عنه معصوم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى قد  
 أوجب الله تعالى على جميع الخلق طاعته واتباعه وقال تعالى (فلأوربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا  
فيما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن  
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) والله تعالى يوفقنا وسائر  
أخواننا المؤمنين لما يحببه ويرضاه من القول والعمل والهدى والنية  
والله أعلم \* تمت

كتاب مناسك الحج تأليف الشيخ الامام العالم لهامة  
ناصر الاسلام والمسلمين وقامع الشرك والمشركين  
تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم  
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني رضى  
الله عنه وأرضاه وعنا وسائر  
المسلمين آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة ناصر السنة وماحى البدعة تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحلیم ابن الامام مجد الدين عبد السلام ابن عبد الله بن تيمية رضى الله عنه الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فقد تكرر السؤال من كثير من المسلمين أن أكتب في بيان مناسك الحج ما يحتاج اليه غالب الحجاج في غالب الاوقات فإني كنت قد كتبت منسكا في أوائل عمرى فذكرت فيه أدعية كثيرة ووقدت في الاحكام من اتبعته قبلى من العلماء وكتبت في هذا ما تبين لى من من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مختصرا مبنا ولا حول ولا قوة الا بالله

فصل أول ما يفعله قاصد الحج والعمرة اذا أراد الدخول فيهما أن يحرم بذلك وقبل ذلك فهو قاصد الحج أو العمرة ولم يدخل فيهما بمنزلة الذى يخرج الى صلاة الجمعة فله أجر السعى ولا يدخل في الصلاة حتى يحرم بهاءه وعليه اذا وصل الى الميقات أن يحرم\* والمواقيت خمسة ذو الحليفة والجحفة وقرن المنازل ويلملم وذات عرق ولما وقت النبي صلى الله عليه وسلم المواقيت قال هن لاهمن ولهن مرعبلهن من غير أهلهن لمن يريد الحج والعمرة ومن كان منزله دونهن فهله من أهله حتى أهل

مكة يهلون من مكة فذو الحليفة هي أبعد المواقيت بيئها وبين مكة عشر مراحل أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف الطرق فان منها الى مكة عدة طرق وتسمى وادي العقيق ومسجدها يسمى مسجد الشجرة وفيها بئر تسميها جهال العامة بئر على لظنهم ان عليا قاتل الجن بها وهو كذب فان الجن لم يقاتلهم أحدهم الصحابة وعلى أرفع قدرا من أن يشبث الجن لقتاله ولا فضيلة لهذا البئر ولا مذمة ولا يستحب أن يرمى بها حجارا ولا غيره . وأما الجحفة فيئنها وبين مكة نحو ثلاث مراحل وهي قرية كانت قديمة معمورة وكانت تسمى مهيعة وهي اليوم خراب ولهذا صار الناس يحرمون قبلها من المسكن الذي يسمى رابعا وهذا ميقات لمن حج من ناحية المغرب كأهل الشام ومصر وسائر المغرب اذا اجتازوا بالمدينة النبوية كما يفعلونه في هذه الاوقات أحرموا من ميقات أهل المدينة فان هذا هو المستحب لهم بالاتفاق فان أخذوا الاحرام الى الجحفة ففيه نزاع وأما المواقيت الثلاثة فيبين كل واحد منها وبين مكة نحو مرحلتين وليس لاحد أن يجاوز الميقات اذا أراد الحج أو العمرة الا باحرام . وان قصد مكة لتجارة أو لزيارة فينبغي له أن يحرم وفي الوجوب نزاع ومن وافق الميقات في أشهر الحج فهو مخير بين ثلاثة أنواع وهي التي يقال لها التمتع والافراد والقران ان شاء أهل بعمره فاذا حل منها أهل بالحج وهو يخص باسم التمتع وان شاء أحرم بهما جميعا أو أحرم بالعمرة ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف وهو القران وهو داخل في اسم التمتع في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وان شاء أحرم بالحج مفردا وهو الافراد

فصل في الافضل من ذلك فالتحقيق في ذلك أنه يتنوع باختلاف حال الحاج فان كان يسافر سفرة للعمرة ولا حج سفرة أخرى أو يسافر الى مكة قبل أشهر الحج ويعتمر ويقم بها حتى يحج فهذا الافراد له افضل باتفاق الائمة الاربعة\* والاحرام بالحج قبل أشهره ليس مسنوناً بل مكروه واذافعله فهل يصير محرماً بعمرة أو يحج فيه زاع وأما اذا فعل ما يفعله غالب الناس وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة ويقدم مكة في أشهر الحج وهن شوال وذوالقعدة وعشر من ذى الحجة فهذا ان ساق الهدى فالقران افضل له وان لم يسق الهدى فالتحلال من احرامه بعمرة افضل فانه قد ثبت بالقول المستفيضة التي لم يختلف في صحتها أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج حجة الوداع هو وأصحابه أمرهم جميعهم أن يحلوا من احرامهم ويحجوا لولها عمرة الامن ساق الهدى فانه أمره أن يبقى على احرامه حتى يبلغ محله يوم النحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدى هو وطائفة من أصحابه وقرن هو بين العمرة والحج فقال ليلى عمرة وحجاً ولم يعتمر بعد الحج أحد ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الا عائشة وحدها لانها كانت قد حاضت فلم يمكنها لطواف لان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقضى الحائض المناسك كلها الا الطواف بالبيت فامرهم أن تهل بالحج وتدع أفعال العمرة لانها كانت متممة ثم انها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمرها فأرسلها مع أخيها عبد الرحمن فاعتمرت من التعميم والتعميم هو أقرب الحل الى مكة وبه اليوم المساجد التي تسمى مساجد عائشة ولم تكن هذه على عهد النبي

صلى الله عليه وسلم وانما بنيت بعد ذلك علامة على المكان الذي  
أحرمت منه عائشة وليس دخول هذه المساجد ولا الصلاة فيها لمن اجتاز  
بها محر ما لافرضا ولا سنة بل قصد ذلك واعتقاد انه يستحب بدعة  
مكروهة لكن من خرج من مكة ليعتمر فانه اذا دخل واحدا منها وصلى فيه  
لاجل الاحرام فلا بأس بذلك ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم  
وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر الا لعذر لا في رمضان  
ولا غير رمضان والذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من  
اعتمر بعد الحج من مكة الا عائشة كما ذكر و كان هذا من فعل الخلفاء  
الراشدين والذين استحبوا الافراد من الصحابة انما استحبوا أن يحج  
في سفرة ويعتمر في أخرى ولم يستحبوا أن يحج ويعتمر عقب ذلك  
عمرة بمكة بل هذا لم يكونوا يفعلونه قط اللهم الا أن يكون شيئا نادرا  
وقد تازع السلف في هذا هل يكون متمما عليه دم أم لا وهل تجزئه  
هذه العمرة عن عمرة الاسلام أم لا وقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم  
بعد هجرته أربع عمر \* حرة الحديبية وصل الى الحديبية والحديبية  
وراء الجبل الذي بالتعيم عند مساجد عائشة عن يمينك وأنت داخل  
الى مكة فصدته المشركون عن البيت فصالحهم وحل من احرامه وانصرف  
\* وعمرة القضية اعتمر من العام القابل \* وعمرة الجمرات وان كان قد قاتل  
المشركين بخنبن وحنين من ناحية المشرق من ناحية الطائف وأما بدر  
فهي بين المدينة وبين مكة وبين الغزوتين ستينين ولكن قرنتاني  
الذكر لان الله تعالى أنزل فيهما الملائكة لنصر النبي صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين في القتال ثم ذهب فحاصر المشركين بالطائف ثم رجع  
 وقسم غنائم حنين بالجمرة فلما قسم غنائم حنين اعتمر من الجمرة  
 داخلا الى مكة لا خارجا منها للاحرام\* والعمرة الرابعة مع حجته فانه  
 قرن بين العمرة والحج باتفاق أهل المعرفة بسنته وباتفاق الصحابة على  
 ذلك ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه تمتع تمتعا حل فيه بل كانوا  
 يسمون القران تمتعا ولا ينقل عن أحد من الصحابة انه لما قرن  
 طاف طوافين وسمي سميين وطامة المنقول عن الصحابة في صفة حجته  
 ليست بمختلفة وانما اشبهت على من لم يعرف مرادهم وجميع الصحابة  
 الذين نقل عنهم انه أفرد الحج كمائشة وابن عمر وجابر قالوا انه تمتع  
 بالعمرة الى الحج فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة وابن عمر باسناد  
 أصح من اسناد الافراد ومرادهم بالتمتع القران كما ثبت ذلك في  
 الصحاح أيضا فاذا أراد الاحرام فان كان قارنا قال لييك عمرة  
 وحجا وان كان متمتعا قال لييك عمرة وان كان مفردا قال لييك  
 حجة أو قال اللهم اني أوجبت عمرة وحجا أو أوجبت عمرة أو أوجبت  
 حجا أو أريد الحج أو أريدهما أو أريد التمتع بالعمرة الى الحج فهمما  
 قال من ذلك أجزاء باتفاق الأئمة ليس في ذلك عبارة مخصوصة  
 ولا يجب شيء من هذه العبارات باتفاق الأئمة كما لا يجب التلفظ بالنية  
 في الطهارة والصلاة والصيام باتفاق الأئمة بل متى لبي قاصدا  
 للاحرام انعقد احرامه باتفاق المسلمين ولا يجب عليه أن يتكلم  
 قبل التلبية بشيء ولكن تنازع العلماء هل يستحب أن يتكلم

بذلك كما تنازعوا هل يستحب التلفظ بالنية في الصلاة والصواب المقطوع به أنه لا يستحب شيء من ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع للمسلمين شيئا من ذلك ولا كان يتكلم قبل التكبير بشيء من ألفاظ النية لاهو ولا أصحابه بل لما أمر بضاعة بفت الزبير بالاشتراط قالت فكيف أقول قال قولي إياك اللهم إياك محلى من الأرض حيث يحبسني<sup>١</sup> رواه أهل السنن وصححه الترمذي ولفظه النسائي إني أريد الحج فكيف أقول قال قولي إياك اللهم إياك محلى من الأرض حيث يحبسني فإن لك على ربك ما استغنيت وحديث الاشتراط في الصحيحين يمكن المقصود بهذا اللفظ أنه أمرها بالاشتراط في التلبية ولم يأمرها أن تقول قبل التلبية شيئا لاشتراطا ولا غيره وكان يقول في تلبيته إياك عمرة وحجاً وكان يقول للواحد من أصحابه بم أهلت وقال في المواقيت مهل أهل المدينة ذو الحليفة ومهل أهل الشام الجحفة ومهل أهل اليمن يلم ومهل أهل نجد قرن المنازل ومهل أهل العراق ذات عرق ومن كان دونهن فهله من أهله والاهلال هو التلبية فهذا هو الذي شرع النبي صلى الله عليه وسلم التكلم به في ابتداء الحج والعمرة وإن كان مشروعا بعد ذلك كما تشرع تكبيرة لإحرام ويشرع التكبير بعد ذلك عند تغير الأحوال ولو أحرم إحراما مطلقا جاز فلو أحرم بالقصد للحج من حيث الجملة ولا يعرف هذا التفصيل جاز ولو أهل ولي كما يفعل الناس قصدا للنسك ولم يسم شيئا بلفظه ولا قصد بقائه لاتنما ولا إفرادا ولا قرانا صح حجه أيضا وفعل واحدا من الثلاثة

فان فعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كان حسنا وان اشترط  
على أمره خوفا من العارض فقال وان حبسني حابس فمحلى حيث  
حبستني كان حسنا فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابنة عمه ضباعة  
بنت الزبير بن عبد المطلب أن تشتري على ربها لما كانت شاكية بخاف  
أن يصدها المرض عن البيت ولم يكن يأمر بذلك كل من حج وكذلك  
ان شاء المحرم أن يتطيب في بدنه فهو حسن ولا يؤمر المحرم قبل  
الاحرام بذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم لم فعله ولم يأمر به الناس  
ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أحدا بمباراة بعينها وانما يقال  
أهل بالحج أهل بالعمرة أو يقال لبي بالحج لبي بالعمرة وهو تأويل  
قوله تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا  
فسوق ولا جدال في الحج) وثبت عنه في الصحيحين انه قال من حج  
هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهذا  
على قراءة من قرأ فلا رفث ولا فسوق بالرفع فالرفث اسم للجتماع  
قولا وعملا والفسوق اسم للمعاصي كلها والجدال على هذه القراءة  
هو المراء في أمر الحج فان الله قد وضحه وبينه وقطع المراء فيه كما  
كنوا في الجاهلية يتمارون في أحكامه وعلى القراءة الاخرى قد  
يفسر بهذا المعنى أيضا وقد فسروها بأن لا يماري الحاج أحدا والتفسير  
الاول أصح فان الله لم ينه المحرم ولا غيره عن الجدال مطلقا بل  
الجدال قد يكون واجبا أو ممتحبا كما قال تعالى (وجادلهم بالتي هي  
أحسن) وقد يكون الجدال محرما في الحج وغيره كالجدال بغير علم



وكالجدال في الحق بعد ماتبين وانفطء الفسوق يتناول ما حرمه الله تعالى ولا يختص بالسباب وان كان سباب المسلم فسوقا فالفسوق يم هذا وغيره \* والرفث هو الجماع وليس في المحظورات ما يفسد الحج الا جنس الرفث فلهذا ميز بينه وبين الفسوق \* وأما سائر المحظورات كاللباس والطيب فانه وان كان يائمه بها فلا تفسد الحج عند أحد من الائمة المشهورين . وينبغي للمحرم أن لا يتكلم الا بما يعنيه وكان شريح اذا أحرم كانه الحية الصماء ولا يكون الرجل محرما بمجرد ما في قلبه من قصد الحج ونيته فان القصد مازال في القلب منذ خرج من بلده بل لا بد من قول أو عمل يصير به محرما وهذا هو الصحيح من القولين والتجرد من اللباس واجب في الاحرام وليس شرطافيه فلو أحرم وعليه ثياب صح ذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتفاق ائمة أهل العلم وعليه أن ينزع اللباس المحظور

﴿ فصل ﴾ يستحب أن يحرم عقيب صلاة اما فرض واما تطوع

ان كان وقت تطوع في احد القواين وفي الآخر ان كان يصلى فرضا أحرم عقيبها والافليس للاحرام صلاة نخصه وهذا أرجح \* ويستحب أن يغتسل الاحرام ولو كانت نفساء أو حائضان احتاج الى التنظيف كتقائم الاظفار وتنف الابط . وحلق العانة ونحو ذلك فعمل ذلك وهذا ليس من خصائص الاحرام وكذلك لم يكن له ذكر فيما نقله الصحابة لكنه مشروع بحسب الحاجة وهكذا يشرع لمصلى الجمعة والعيد على هذا الوجه . ويستحب أن يحرم في ثوبين نظيفين فان كانا أبيضين



فهما أفضل ويجوز أن يحرم في جميع أجناس الثياب المباحة من القطن والكتان والصوف . والسنة أن يحرم في أزار ورداء سواء كانا مخيطين أو غير مخيطين باتفاق الأئمة ولو أحرم في غيرهما جاز إذا كان مما يجوز لبسه ويجوز أن يحرم في الأبيض وغيره من الألوان الجائزة وإن كان ملوناً . والأفضل أن يحرم في نعلين أن تيسر وأنعل هي التي يقال لها التأسومة فإن لم يجد نعلين لبس خفين وليس عليه أن يقطعهما دون الكعبيين فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقطع أولاً ثم رخص بعد ذلك في عرفات في لبس السراويل لمن لم يجد أزار أو رخص في لبس الخفين لمن لم يجد نعلين وأنما رخص في المقطوع أولاً لأنه يصير بالقطع كالنعلين ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يلبس مادون الكعبيين مثل الخف المكعب والجحيم والمداس ونحو ذلك سواء كان واجداً للنعلين أو فقداهما وإذا لم يجد نعلين ولا ما يقوم مقامهما مثل الجحيم والمداس ونحو ذلك فله أن يلبس الخف ولا يقطعه وكذلك إذا لم يجد أزاراً فإنه يلبس السراويل ولا يفتقه هذا أصح قولی العلماء لأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في البدل في عرفات كما رواه ابن عمر . وكذلك يجوز أن يلبس كل ما كان من جنس الأزار والرداء فله أن يلتحف بالقباء والجبة والقميص ونحو ذلك ويتغطي به باتفاق الأئمة عرضاً ويلبسه مقلوباً يجعل أسفله أعلاه ويتغطي بالاحفاف وغيره لكن لا يغطي رأسه إلا الحاجة والنبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرم أن يلبس القميص والبرنس والسراويل والخف والعمامة ونهاهم أن يغطوا

رأس المحرم بعد الموت وأمر من أحرم في حبة أن ينزعها عنه فما كان من هذا الجنس فهو في معنى ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فما كان في معنى القميص فهو مثله وليس له أن يلبس القميص لآبكم ولا بغيركم وسواء أدخل يديه أو لم يدخلهما وسواء كان سليما أو مخروقا وكذلك لا يلبس الحبة ولا القباء الذي يدخل يديه فيه وكذلك الدرع الذي يسمى عرق جين وأمثال ذلك باتفاق الأئمة وأما إذا طرح القباء على كتفيه من غير إدخال يديه ففيه نزاع وهذا معنى قول الفقهاء لا يلبس الخيط والمخيط ط ما كان من اللباس على قدر العضو وكذلك لا يلبس ما كان في معنى الحف كالموق والجورب ونحو ذلك ولا يلبس ما كان في معنى السراويل كالتبان ونحوه وله أن يعقد ما يحتاج إلى عقده كالآزار وحميان النفقة والرداء لا يحتاج إلى عقده فلا يعقده فإن احتاج إلى عقده ففيه نزاع والاشبه جوازه حينئذ وهل المتع من عقده منع كراهة أو تحريم فيه نزاع وليس على تحريم ذلك دليل إلا ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنه فمنهم من قال هو كراهة تنزيه كإبي حنيفة وغيره ومنهم من قال كراهة تحريم وأما الرأس فلا يغطيه إلا بمخيط ولا غيره فلا يغطيه بعمامة ولا قلنسوة ولا كوفية ولا ثوب يلقى به ولا غير ذلك وله أن يستظل تحت السقف والشجر ويستظل في الخيمة ونحو ذلك باتفاقهم وأما الاستظلال بالحمل كالحجارة التي لها رأس في حال السير فهذا فيه نزاع والافضل للبحر أن يضحى لمن أحرم له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وبلى وأصحابه يحجون وقد رأى ابن عمر رجلا ظلال

عليه فقال أيها المحرم أضح لمن أحرمت له ولهذا كان السلف يكرهون النقاب على المحامل وهي المحامل التي لها رأس وأما المحامل المكتنوفة فلم يكرهها إلا بعض النساء وهذا في حق الرجل وأما المرأة فانها عورة فلذلك جاز لها أن تلبس النقاب التي تستتر بها وتستظل بالمحمل لكن نهاها النبي صلى الله عليه وسلم أن تنتقب أو تلبس القفازين والقفازان غلاف يصنع لئلا يكشفه حلة البراة ولو غطت المرأة وجهها بشيء لا يمس الوجه جاز بالاتفاق وإن كان يمس فالصحيح أنه يجوز أيضا ولا تكلف المرأة أن تجافي سترتها عن الوجه لابعود ولا بيد ولا غير ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم سوى بين وجهها ويديها وكلاهما كبدن الرجل لا كراسه . وأزواجه صلى الله عليه وسلم كن يسدان على وجوههن من غير مراعاة المجافاة ولم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحرام المرأة في وجهها وإنما هذا قول بعض السلف لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أن تنتقب أو تلبس القفازين كما نهى المحرم أن يلبس القميص والخف مع أنه يجوز له أن يستر يديه ورجليه باتفاق الأئمة والبرقع أقوى من النقاب فلهذا ينهى عنه باتفاقهم ولهذا كانت المحرمة لا تلبس ما يصنع لستر الوجه كالبرقع ونحوه فإنه كالنقاب وليس للمحرم أن يلبس شيئا مما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه إلا الحاجة كما أنه ليس للصائم أن يفتطر إلا الحاجة والحاجة مثل البرد الذي يخاف أن يمرضه إذا لم يغط رأسه أو مثل مرض نزل به يحتاج معه إلى تغطية رأسه فيلبس قدير الحاجة

فاذا استغنى عنه نزع وعليه أن يفقدى اما بصيام ثلاثة أيام واما بنسك  
شاة أو باطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من تمر أو  
شعير أو مد من بر وان أطعمه خبزاً جاز ويكون رطلين بالعراقي  
قريباً من نصف رطل بالدمشقي وينبغي أن يكون مأدوماً وان  
أطعمه مما يأكل كالقمح والرقاق ونحو ذلك جاز وهو أفضل من  
أن يعطيه قمحاً أو شعيراً وكذلك في سائر الكفارات اذا أعطاه مما  
يقتات به مع ادمه فهو أفضل من أن يعطيه حباً مجرداً اذا لم يكن  
عاديهم أن يطحنوا بأيديهم ويخبزوا بأيديهم والواجب في ذلك كله  
ما ذكره الله تعالى بقوله (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون  
أهلكم أو كسوتهم) الآية فأمر الله تعالى باطعام المساكين من أوسط  
ما يطعم الناس أهلكم . وقد تنازع العلماء في ذلك هل ذلك مقدر بالشرع  
أو يرجع فيه إلى العرف وكذلك تنازعوا في المنفقة نفقة الزوجة  
والراجع في هذا كله أن يرجع فيه إلى العرف فيطعم كل قوم مما  
يطعمون أهلهم . ولما كان كعب بن عجرة ونحوه يقتاتون التمر أمره  
النبي صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقاً من التمر بين ستة مساكين  
والفرق ستة عشر رطلاً بالبغدادى وهذه الفدية يجوز أن يخرجها اذا  
احتاج إلى فعل المحذور قبله وبعده ويجوز أن يذبح النسك قبل أن  
يصل إلى مكة ويصوم الايام الثلاثة متتابعة ان شاء ومتفرقة ان شاء  
فان كان له عذر أخر فعلها والا عجل فعلها واذا لبس ثم لبس مراراً  
ولم يكن أدى الفدية أجزأته فدية واحدة في أظهر قولي العلماء

(فصل) فاذا أحرم لبي بتلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك ان الحمد والنعمة لك والملك  
 لا شريك لك وان زاد على ذلك ليك ذا المعارج أو ليك وسـمديك  
 ونحو ذلك جاز كما كان الصحابة يزيدون ورسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يسموهم فلم ينههم وكان هو يداوم على تليته ويلو من حين يحرم  
 سواء ركب دابة أو لم يركبها وان أحرم بعد ذلك جاز والتلبية هي  
 اجابة دعوة الله تعالى لخالقه حين دعاهم الى حج بيته على لسان خليله  
 والملي هو المستسلم المتقاد لغيره كما ينقاد الذي لرب وأخذ بلبته والمعنى  
 انا مجيبوك لدعوتك مستسلمون لحكمته مطيعون لامرك مرة بعد  
 مرة لانزال على ذلك والتلبية شعار الحج فافضل الحج العج والنج فالعج  
 رفع الصوت بالتلبية والنج اراقة دماء الهدى ولهذا يستحـرفع الصوت  
 بها للرجل بحيث لا يجهد نفسه والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها  
 ويستحب الاكثار منها عند اختلاف الاحوال مثل أدبار الصلوات  
 ومثل ما اذا صعد نضرا أو هبط واديا أو سمع مليها أو أقبل الليل  
 والنهار أو التقت الرفاق وكذلك اذا فعل ما نهى عنه وقد روى انه من  
 لبي حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفورا له وان دعا عقيب التلبية  
 وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وسأل الله رضوانه والجنة واستعاذ  
 برحمته من سيخطه والنار فحسن

(فصل) وما ينهى عنه المحرم أن يتطيب بهـد الاحرام في  
 بدنه أو ثيابه أو يتمد لشم العطيب وأما الدهن في رأسه أو بدنه بالزيت

والسمن ونحوه اذا لم يكن فيه طيب ففيه نزاع مشهور وتركه اولي ولا يقلم أظفاره ولا يقطع شعره وله أن يحك بدنه اذا حكه ويحتجم في رأسه وغير رأسه وان احتاج أن يحاق شعر الذكر جاز فانه قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وهو محرم ولا يمكن ذلك الا مع حلق بعض الشعر وكذلك اذا اغتسل وسقط شيء من شعره بذلك لم يضره وان تيقن انه انقطع بالغسل ويفتصد اذا احتاج الى ذلك وله أن يغتسل من الجنابة بالاتفاق وكذلك لغير الجنابة ولا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ولا يصطاد صيدا برياً ولا يتملكه بشرء ولا اتهاب ولا غير ذلك ولا يعين على صيد ولا بذبح صيدا فاما صيد البحر كالسمك ونحوه فله أن يصطاده ويأكله وله أن يقطع الشجر لكن نفس الحرم لا يقطع شيئاً من شجره وان كان غير محرم ولا من نباته المباح الا الاذخر وأما ما غرس الناس أوزرعوه فهو لهم وكذلك ما يبس من النبات يجوز أخذه ولا يصطاد به صيدا وان كان من الماء كالسمك علي الصحيح بل ولا ينفر صيده مثل أن يقيمه ليقعد مكانه وكذلك حرم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما بين لابتيها والالابة هي الحرة وهي الارض التي فيها حجارة سود وهو بريد في بريد والبريد أربع فراسخ وهو من عبر الي ثور وعير هو جبل عند المقات يشبه العير وهو الحمار وثورهو جبل من ناحية أحد وهو غير جبل ثور الذي بمكة فهذا الحرم أيضا لا يصاد صيده ولا يقطع شجره الا الحاجة كآلة الركوب والحراث ويؤخذ

عن حشيشه ما يحتاج اليه للاف فان النبي صلى الله عليه وسلم رخص  
 لاهل المدينة في هذا لحاجتهم الى ذلك اذ ليس حولهم ما يستقنون به  
 عنه بخلاف الحرم المكي واذا أدخل عليه صيد لم يكن عليه ارساله  
 وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ولا غيره الا هذان الحرمان ولا  
 يسمى غيرها حرما كما يسمى الجهال فيقولون حرم المقدس وحرم  
 الخليل فان هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين والحرم المجمع  
 عليه حرم مكة\* وأما المدينة فلها حرم أيضا عند الجمهور كما استفاضت  
 بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتنازع المسلمون في  
 حرم ثالث الا وحاء وهو وادبا لطائف وهو عند بعضهم حرم وعند  
 الجمهور ليس بحرم\* ولله حرم أن يقتل ما يؤذى بمادته الاس كالحية والعقرب  
 والفأرة والفراب والكلاب العقور وله أن يدفع ما يؤذيه من الآدميين  
 والبهائم حتى لو صال عليه أحد ولم يدفع الا بالقتال قتله فان النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه  
 فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمة فهو  
 شهيد واذا قرصته البراغيث والقمل فله اقاؤها عنه وله قتلها ولا  
 شيء عليه والقاؤها أهون من قتلها وكذلك ما يمرض له من الدواب  
 فينهي عن قتلها وان كان في نفسه محرما كالاسد والفهد فاذا قتله فلا  
 جزاء عليه في أظهر قولي العلماء وأما التفلح بدون التأذي فهو من  
 الترفه فلا يفعله ولو فعله فلا شيء عليه ويحرم على المحرم الوطء  
 ومقدماته ولا يبطأ شيئا سواء كان امرأة ولا غير امرأة ولا يتمتع بقبلة



ومس يد ولا نظر بشهوة فان جامع فسد حجه وفي الانزال بغير  
الجماع نزاع ولا يفسد الحج بشيء من المحظورات الا بهذا الجنس  
فان قيل بشهوة أو أمدى لشهوة فعليه دم

﴿ فصل ﴾ اذا أتى مكة جاز أن يدخل مكة والمسجد من جميع  
الجوانب لكن الأفضل أن يأتي من وجه الكعبة اقتداء بالنبي صلى  
الله عليه وسلم فانه دخلها من وجهها من الناحية العليا التي فيها اليوم  
باب المعلاة ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمكة ولا للمدينة  
سور ولا أبواب مبذية ولكن دخلها من الثنية العليا ثنية كداء بالفتح  
والمد المنرفة على المقبرة ودخل المسجد من الباب الاعظم الذي يقال  
له باب بنى شيبه ثم ذهب الى الحجر الاسود فان هذا أقرب الطرق  
الى الحجر الاسود لمن دخل من باب المعلاة ولم يكن قديما بمكة بناء  
يعلم على البيت ولا كان فوق الصفا والمروة والمشعر الحرام بناء ولا كان  
يعنى ولا بعرفات مسجد ولا عند الجمرات مساجد بل كل هذه محدثة  
بعد الخلفاء الراشدين ومنها ما أحدث بعد الدولة الاموية ومنها  
ما أحدث بعد ذلك فكان البيت يرى قبل دخول المسجد وقد ذكر  
ابن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم لم كان اذا رأى البيت رفع يديه  
وقال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد  
من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما فمن رأى البيت  
قبل دخول المسجد فعل ذلك وقد استحب ذلك من استحبه عند  
روية البيت ولو كان بعد دخول المسجد لكن النبي صلى الله عليه وسلم



بعد أن دخل المسجد ابتداءً بالطواف ولم يصل قبل ذلك تحية المسجد  
ولا غير ذلك بل تحية المسجد الحرام هو الطواف بالبيت وكان صلى الله  
عليه وسلم يغتسل لدخول مكة كما كان يبيت بذي طوى وهو عند الآبار  
التي يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت بها والاغتسال ودخول  
مكة نهاراً والافليس عليه شيء من ذلك وإذا دخل المسجد بدأ بالطواف  
فابتدئ من الحجر الأسود يستقبله استقبالا ويستلمه ويقبله إن  
أمكن ولا يؤذى أحداً بالمزاحمة عليه فإن لم يمكن استلمه وقبل يده والـ  
أشار إليه ثم ينتقل للطواف ويجعل البيت عن يساره وليس عليه أن  
يذهب إلى ما بين الركنين ولا يمشي صرخاً ثم ينتقل للطواف بل ولا  
يستحب ذلك ويقول إذا استلمه بسم الله والله أكبر وإن شاء قال اللهم  
إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى  
الله عليه وسلم ويجعل البيت عن يساره فيطوف سبماً ولا يخترق الحجر  
في طوافه لما كان أكثر الحجر من البيت والله أمر بالطواف به  
لأن الطواف فيه ولا يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين  
فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما استلمهما خاصة لأنهما على قواعد  
إبراهيم والآخرا نهما في داخل البيت فالركن الأسود يستلم ويقبل  
واليماني يستلم ولا يقبل والآخرا ن لا يستلمان ولا يقبلان والاستلام  
هو مسحه باليد وأما سائر جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في  
الأرض من المساجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين كحجارة نبينا  
صلى الله عليه وسلم ومغارة إبراهيم ومقام نبينا صلى الله عليه وسلم الذي

كان يصلى فيه وغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس فلا تستلم ولا تقبل باتفاق الائمة وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة ومن اتخذ ديناً يستتاب فان تاب والا قتل ولو وضع يده على الشاذر وان الذي يربط فيه أستار الكعبة لم يضره ذلك في أصح قولى العلماء وليس الشاذر وان من البيت بل جعل عمداً للبيت ويستحب له في الطواف الاول أن يرمل من الحجر الى الحجر في الاطواف الثلاثة والرمل مثل الهرولة وهو مسارعة المشى مع تقارب الخطافان لم يمكن الرمل لازمة كان خروجه الى حاشية المطاف والرمل أفضل من قربه الى البيت بدون الرمل وأما اذا أمكن القرب من البيت مع اكمال السنة فهو أولى ويجوز أن يطوف من وراء قبة زمزم وما وراءها من السقائف المتصلة بحيطان المسجد ولوصل الى المصلى في المسجد والناس يطوفون أمامه لم يكره سواء مرّ أمامه رجل أو امرأة وهذا من خصائص مكة وكذلك يستحب ان يضطبع في هذا الطواف والاضطباع هو أن يبدى ضبعه الايمن فيضع وسط الرداء تحت ابطه الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر وان ترك الرمل والاضطباع فلا شئ عليه\* ويستحب له في الطواف أن يذكر الله تعالى ويدعوه بما يشرع وان قرأ القرآن سرا فلا بأس وليس فيه ذكر محدود عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه بل يدعو فيه بسائر الادعية الشرعية وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يُحْتَمَّ طَوَافُهُ بَيْنَ الرَّكْنَيْنِ بِقَوْلِهِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ كَمَا كَانَ يُحْتَمَّ سَائِرَ دُعَائِهِ بِذَلِكَ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ  
ذِكْرٌ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ كَالصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ فِيهِ  
الْكَلَامَ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِخَيْرٍ وَلِهَذَا يُؤَمَّرُ الطَّائِفُ أَنْ يَكُونَ  
مُطَهَّرًا الطَّاهَرَتَيْنِ الصَّغْرَى وَالْكُبْرَى وَيَكُونُ مُسْتَوْرًا الْعَوْرَةَ مُجْتَنِبًا  
الزَّجَاسَةَ الَّتِي يُجْتَنَبُهَا الْمُصَلِّي وَالطَّائِفُ طَاهِرًا لَكِنْ فِي وَجُوبِ الطَّهَارَةِ فِي  
الطَّوَافِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
أَنَّهُ أَمَرَ بِالطَّهَارَةِ لِلطَّوَافِ وَلَا نَهَى الْمَحْدُثَ أَنْ يَطُوفَ وَلَكِنَّهُ طَافَ  
طَاهِرًا لَكِنَّهُ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ نَهَى الْحَائِضَ عَنِ الطَّوَافِ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا تَحْتَ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ  
فَالصَّلَاةُ الَّتِي أَوْجِبَ لَهَا الطَّهَارَةُ مَا كَانَ يَفْتَتِحُ بِالتَّكْبِيرِ وَيُخْتَمُّ بِالتَّسْلِيمِ كَالصَّلَاةِ  
الَّتِي فِيهَا رُكُوعٌ وَسُجُودٌ كَصَلَاةِ الْجَنَازَةِ وَسُجُودَتِي السَّهْوِ وَأَمَّا الطَّوَافُ  
وَسُجُودُ الزَّلَاةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا وَالْإِعْتِكَافُ يَشْتَرِطُ لَهُ الْمَسْجِدُ وَلَا  
يَشْتَرِطُ لَهُ الطَّهَارَةُ بِالْإِتِّفَاقِ وَالْمُعْتَكِفُ الْحَائِضُ تَنْهَى عَنِ اللَّبَثِ فِي الْمَسْجِدِ  
مَعَ الْحَيْضِ وَإِنْ كَانَتْ تَابِتًا فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ مُحْدَثَةٌ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
فِي مَنَاسِكَ الْحَجِّ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُونُسَ أَنَّ أَبَا نَاشَةَ سَمِعَ عَنْ  
أَحْمَدَ وَمَنْصُورٍ قَالَا سَأَلْتُهُمَا عَنِ الرَّجُلِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ غَيْرُ مُتَوَضِّئٍ فَلَمْ  
يَرِيَاهُ بِأَسَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ - أَلْتِ أَبِي عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ لَا يَطُوفَ  
بِالْبَيْتِ وَهُوَ غَيْرُ مُتَوَضِّئٍ لِأَنَّ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ وَقَدْ اخْتَلَفَتْ  
الرِّوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ فِي اشْتِرَاطِ الطَّهَارَةِ فِيهِ وَوُجُوبِهَا كَمَا هُوَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ

في مذهب أبي حنيفة لكن لا يختلف مذهب أبي حنيفة انها ليست بشرط ومن طاف في جورب ونحوه الا يطاء نجاسة من ذرق الحمام أو غطى يديه لئلا يمس امرأة ونحو ذلك فقد خالف السنة فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين مازالوا يطوفون بالبيت ومازال الحمام بمكة لكن الاحتياط حسن ما لم يخالف السنة المعلومه فاذا أفضى الى ذلك كان خطأ واعلم ان القول الذي يتضمن مخالفة السنة خطأ كمن يجتمع عليه نعليه في الصلاة المكتوبة أو صلاة الجنائزة خوفا من أن يكون فيهما نجاسة فان هذا خطأ يخالف للسنة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في نعليه وقال ان اليهود لا يصلون في نعالهم يخافوهم وقال اذا أتى المسجد أحدكم فلينظر في نعليه فان كان فيهما أذى فليدلكهما في التراب فان التراب لهما طهور وكما يجوز أن يصلي في نعليه فكذلك يجوز أن يطوف في نعليه وان لم يمكنه الطواف ماشيا فطاف راكبا أو محمولا أجزاء بالاتفاق وكذلك ما يعجز عنه من واجبات الطواف مثل من كان به نجاسة لا يمكنه ازالها كالمستحاضة ومن به سلس البول فانه يطوف ولا شيء عليه باتفاق الاثمة وكذلك لو لم يمكنه الطواف الا حريانا فطاف بالليل كما لو لم يمكنه الصلاة الا عريانا وكذلك المرأة الحائض اذا لم يمكنها طواف الفرض الا حائضا بحيث لا يمكنها التأخر بمكة ففي أحد قولي العلماء الذين يوجبون الطهارة على الطائف اذا طافت الحائض أوجنب أو المحدث أو حامل لنجاسة مطلقا أجزاء الطواف وعاليه دم اما شاة واما بدنة مع الحيض والجنابة وشاة مع الحدث الأصغر

ومنع الحائض من الطواف قد يعلى بأنه يشبه الصلاة وقد يعلى بأنها  
 بمنوعة من المسجد كما تمنع منه بالاعتكاف وكما قال عز وجل لآبراهيم  
 صلى الله عليه وسلم وطهر بيتي للطائفين والما كفين والركع السجود  
 فأمره بتطهيره لهذه العبادات فمنعت الحائض من دخوله وقد اتفق  
 العلماء على أنه لا يجب للطواف ما يجب للصلاة من تحريم وتحليل  
 وقراءة وغير ذلك ولا يبطله ما يبطلها من الأكل والشرب والكلام  
 وغير ذلك ولهذا كان مقتضى تعاليل من منع الحائض حرمة المسجد  
 أنه لا يرى الطهارة شرطاً بل مقتضى قوله أنه يجوز لها ذلك عند الحاجة  
 كما يجوز لها دخول المسجد عند الحاجة وقد أمر الله تعالى بتطهيره  
 للطائفين والما كفين والركع السجود والما كف فيه لا يشترط له  
 الطهارة ولا نجس عليه الطهارة من الحدث الأصغر باتفاق المسلمين ولو  
 اضطرت الما كفة الحائض إلى لبثها فيه للحاجة جاز ذلك وأما الركع  
 السجود فهم المصلون والطهارة شرط للصلاة باتفاق المسلمين والحائض  
 لا تصلح لأداء ولا أداء يبقى الطائف هل يلحق بالما كف أو بالمصل  
 أو يكون قسماً ثالثاً بينهما هذا محل اجتهاد وقوله الطواف بالبيت  
 صلاة لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هو ثابت عن ابن  
 عباس وقد روى مرفوعاً ونقل بعض الفقهاء عن ابن عباس أنه قال  
 إذا طاف بالبيت وهو جنب عليه دم ولا ريب أن المراد بذلك أنه يشبه  
 الصلاة من بعض الوجوه ليس المراد أنه نوع الصلاة التي يشترط لها  
 الطهارة وهكذا قوله إذا أتى أحدكم المسجد فلا يشربك بين أصابعه

فانه في صلاة وقوله ان العبد في صلاة ما كانت الصلاة تمجسه وما دام  
ينتظر الصلاة وما كان يعتمد الى الصلاة ونحو ذلك فلا يجوز لحائض أن  
تطوف الا طاهرة اذا أمكنها ذلك باتفاق العلماء ولو قدمت المرأة  
حائضا لم تطف بالبيت لكن تقف بعرفة وتفعل سائر المناسك كلها مع  
الحيض الا الطواف فانها تنتظر حتي تظهر ان أمكنها ذلك ثم تطوف  
وان اضطرت الي الطواف فطافت أجزأها ذلك على الصحيح من  
قولي العلماء فاذا قضى الطواف صلى ركعتين للطواف وان صلاهما  
عند مقام ابراهيم فهو أحسن ويستحب أن يقرأ فيهما بسورتي  
الاخلاص قل يأبى الكافرون وقل هو الله أحد ثم اذا صلاهما  
استحب له أن يستلم الحجر ثم يخرج الى الطواف بين الصفا والمروة  
ولو أخر ذلك الى بعد طواف الافاضة جاز فان الحج فيه ثلاثة أطوفة  
طواف عند الدخول وهو يسمى طواف القدوم والدخول والورود  
والطواف الثاني هو بعد التعريف ويقال له طواف الافاضة والزيارة  
وهو طواف الفرض الذي لا بد منه كما قال تعالى ثم ايقضوا نفوسهم  
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق والطواف الثالث هو لمن  
أراد الخروج من مكة وهو طواف الوداع واذا سمي عقيب واحد  
منها أجزأه فاذا خرج للسمي خرج من باب الصفا وكان النبي صلى الله  
عليه وسلم يركي على الصفا والمروة وهما في جانب جبل مكة فيمكبر  
ويهلل ويدعو الله تعالى واليوم قد بنى فوقها دكتان فمن وصل الي  
أسفل البناء أجزأه السمي وان لم يصعد فوق البناء فيطوف بالصفا

والمروءة سيما بتدبير الصفا ويختتم بالمروءة ويستحب أن يسعى في بطن الوادي من العلم إلى العلم وها معلمان هناك وإن لم يسع في بطن الوادي بل مشى على هيئته جميع ما بين الصفا والمروءة أجزاء باتفاق العلماء ولا شيء ولا صلاة عقيب الطواف بالصفا والمروءة وإنما الصلاة عقيب الطواف بالبيت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق السلف والأئمة فإذا طاف بين الصفا والمروءة حل من إحرامه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لما طافوا بهما أن يحلوا إلا من كان معه هدى فلا يحل حتى ينجره والمفرد والقارن لا يحلان إلا يوم النحر ويستحب له أن يقصر من شعره ليدع الخلق للحج وكذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحل حل له ما حرم عليه بالإحرام

﴿ فصل ﴾ فإذا كان يوم التروية أحرم وأهل بالحج فيفعل كما فعل عند الميقات وإن شاء أحرم من مكة وإن شاء من خارج مكة هذا هو الصواب وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إنما أحرموا كما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم من البطحاء والسنة أن يحرم من الموضع الذي هو نازل فيه وكذلك المكي يحرم من أهله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان منزله دون مكة فمهله من أهله حتى أهل مكة يهلون من مكة والسنة أن يبيت الحاج بمنى فيصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ولا يخرجون منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأما الإيقاد فهو بدعة مكروهة باتفاق العلماء وإنما الإيقاد بمنزلة خاصة بعد الرجوع من عرفة وأما الإيقاد



يعني أو عرفة فبدعة أيضا ويسبرون منها الى نمرة على طريق ضب من  
يمين الطريق ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات من جهة اليمين  
فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسبرون  
منها الى بطن الوادي وهو موضع النبي صلى الله عليه وسلم الذي صلى  
فيه الطاهر والعصر وخضب وهو في حدود عرفة ببطن عرنة وهناك  
مسجد يقال له مسجد ابراهيم واما بني في أول دولة بني العباس فيصلي  
هناك الظهر والعصر قصرا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي  
خلفه جميع الحاج أهل مكة وغيرهم قصرا وجما يخطب بهم الامام كما  
خطب النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره ثم اذا قضى الخطبة أذن  
المؤذن وأقام ثم يصلي كما جاءت بذلك السنة ويصلي بعرفة ومزدلفة  
وهي قصرا ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجتمعون الصلاة  
بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خاف النبي صلى الله  
عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وكذلك كانوا يفعلون خلف أبي بكر  
وعمر رضي الله عنهما ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه  
أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى  
أتموا صلاتكم فانا قوم سفر ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ ولكن  
المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما  
صلى بهم بمكة وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة  
وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل  
مكة وغيرهم ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بتي أيام منى



صلوا معه ولم يقل لهم اتموا صلاتكم فانا قوم سفر ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لابسافة ولا بزمان ولم يكن بمنى أحد ساكنا في زمته ولهذا قال متى مناخ من سبق ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافرين من يحمل الزاد والمزاد ثم بعد ذلك يذهب الى عرفات فهذه السنة لكن في هذه الاوقات لا يكاد يذهب أحد الى نمرة ولا الى مصلى النبي صلى الله عليه وسلم بل يدخلون عرفات بطريق المازمين ويدخلونها قبل الزوال ومنهم من يدخلها ليلا ويبيتون بها قبل التعريف وهذا الذي يفعله الناس كله مجزى معه الحج لكن فيه نقص عن السنة فيفعل ما يمكن من السنة مثل الجمع بين الصلاتين فيؤذن أذانا واحدا ويقم لكل صلاة والايقاد بمرفة بدعة مكروهة وكذلك الايقاد بمنى بدعة باتفاق العلماء وانما يكون الايقاد بمزدلفة خاصة في الرجوع ويقفون بعرفات الى غروب الشمس ولا يخرجون منها حتى تغرب الشمس واذا غربت الشمس يخرجون ان شاؤا بين العالمين وان شاؤا من جانبيهما والعلمان الاولان عرفات فلا يجاوزها حتى تغرب الشمس والميلان بعد ذلك حد مزدلفة وما بينهما بطن صرفة ويجتهد في الذكر والدعاء هذه العشية فانه ما رأى ابليس في يوم هو فيه أصفر ولا أحقر ولا أغيض ولا أدحض من عشية عرفات لما يرى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه رأى جبريل يزع الملائكة ويصيح وقوف الحائض وغير الحائض ويجوز الوقوف ماشيا وراكبا وأما الافضل

فيختلف باختلاف الناس فان كان ممن اذا ركب رآه الناس لحاجتهم اليه  
أو كان يشق عليه ترك الركوب وقف راكباً فان النبي صلى الله عليه وسلم  
وقف راكباً وهكذا الحج فان من الناس من يكون حجه راكباً أفضل  
ومهم من يكون حجه ماشياً أفضل ولم يعين النبي صلى الله عليه وسلم  
لعرفة دعاء ولا ذكر بل يدعو الرجل بما شاء من الادعية الشرعية  
وكذلك يكبر ويهلل ويذكر الله تعالى حتى تغرب الشمس والغتسال  
لعرفة قد روى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن  
ابن عمر وغيره ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن  
أصحابه في الحج الا ثلاثة أغسال غسل الاحرام والغسل عند  
دخول مكة والغسل يوم عرفة وما سوى ذلك كالغسل لرمى الجمار  
والطواف والمبيت بمزدلفة فلا أصل له لاعتن النبي صلى الله عليه  
وسلم ولا عن أصحابه ولا استجبه جمهور الأئمة لأملاك ولا أبو  
حنيفة ولا أحمد وان كان قد ذكره طائفة من متأخري أصحابه  
بل هو بدعة الا أن يكون هناك سبب يقتضي الاستحباب مثل أن يكون  
عليه راحة يؤذى الناس بها فيغتسل لازالتها وعرفة كلها موقف ولا  
يقف ببطن عرنة وأما صعود الجبل الذي هناك فليس من السنة  
ويسمى جبل الرحمة ويقال له الال على وزن هلال وكذلك القبة التي  
فوقه يقال لها قبة آدم لا يستحب دخولها ولا الصلاة فيها والطواف  
بها من الكبائر وكذلك المساجد التي عند الجمرات لا يستحب دخول  
شيء منها ولا الصلاة فيها وأما الطواف بها أو بالصخرة أو بحجرة النبي

صلى الله عليه وسلم أو ما كان غير البيت العتيق فهو من أعظم البدع المحرمة

﴿ فصل ﴾ فإذا أفاض من عرفات ذهب الى المشعر الحرام على طريق المأزمين وهو طريق الناس اليوم وإنما قال الفقهاء على طريق المأزمين لانه الى صرفة طريق أخرى تسمى طريق ضب ومنها دخل النبي صلى الله عليه وسلم الى عرفات وخرج على طريق المأزمين وكان صلى الله عليه وسلم في المناسك والاعباد بذهب من طريق ويرجع من أخرى فدخل من النذبة العليا وخرج من النذبة السفلى ودخل المسجد من باب بنى شيبة وخرج بعد الوداع من باب حرورة اليوم ودخل الى عرفات من طريق ضب وخرج من طريق المأزمين وأتى الى جرة العقبة يوم العيد من الطريق الوسطى التي يخرج منها الى خارج مني ثم يمطف على يساره الى الجمرة ثم لما رجع الى موضعه بمنى الذي نحر فيه هديه وحلق رأسه رجع من الطريق المتقدمة التي يسير منها جمهور الناس اليوم فيؤخر المغرب الى أن يصلها مع العشاء بمزدلفة ولا يزاحم الناس بل ان وجد خلوة أسرع فاذا وصل الى المزدلفة صلى المغرب قبل تبريك الجمال ان أمكن ثم اذا بركوا صلبوا العشاء وان أخر العشاء لم يضره ذلك ويبيت بمزدلفة وكلها يقال لها المشعر الحرام وهي ما بين مازمي صرفة الى بطن محسر فان بين كل مشعرين حدا ليس منهما فان بين صرفة ومزدلفة بطن عرنة وبين عرندة ومني بطن محسر قال النبي صلى الله عليه وسلم لم عرفة كلها

موقف وارفعوا عن بطن عرنة ومزدلفة كلها مواقف وارفعوا عن بطن محسر وفي كلها منجر. وفجاج مكة كلها طريق والسنة أن يبيت بمزدلفة الى أن يطلع الفجر فيصلي بها الفجر في أول الوقت ثم يقف بالمشعر الحرام الى أن يسفر جدا قبل طلوع الشمس فان كان من الضممة كالنساء والصبيان ونحوهم فانه يتمجل من مزدلفة الى منى اذا غاب القمر ولا ينبغي لاهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع الفجر فيصلوا بها الفجر ويقفوا بها ومزدلفة كلها موقف لكن الوقوف عند قزح أفضل وهو جبل المقيدة وهو المكان الذي يقف فيه الناس اليوم قد بنى عليه بناء وهو المكان الذي يخصه كثير من الفقهاء باسم المشعر الحرام فاذا كان قبل طلوع الشمس أقاض من مزدلفة الى منى فاذا أتى محسرا أسرع قدر رمية بحجر فاذا أتى منى رمى جرة العقبة بسبع حصيات ويرفع يده في الرمي وهي الجرة التي هي آخر الجمرات من ناحية منى وأقربهن من مكة وهي الجرة الكبرى ولا يرمى يوم النحر غيرها يرميها مستقبلا لها بجمل البيت عن يساره ومنى عن يمينه هذا هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويستحب أن يكبر مع كل حصة وان شاء قال مع ذلك اللهم اجعله حججا مبرورا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا ويرفع يديه في الرمي ولا يزال يابى في ذهاب من مشعر الى مشعر مثل ذهابه الى عرفات وذهابه من عرفات الى مزدلفة حتى يرمي جرة العقبة فاذا شرع في الرمي قطع التلبية فانه حينئذ يشرع في التبحل والعلماء في التلبية على ثلاثة أقوال منهم من

يقول بقطعها اذا وصل الى عرفة ومنهم من يقول بل يابى بعرفة  
وغيرها الى أن يرمى الجرة والقول الثالث انه اذا أفاض من عرفة الى  
مزدلفة ابى واذا أفاض من مزدلفة الى منى ابى وهكذا صح عن النبي  
صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ وأما التلبية في وقوفه بعرفة ومزدلفة فلم ينقل عن  
النبي صلى الله عليه وسلم وقد نقل عن الحلفاء الراشدين وغيرهم أنهم  
كانوا لا يلبون بعرفة فاذا رمى جرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدى  
ويستحب أن تنحر الابل مستقبلة القبلة قائمة معقولة اليسد اليسرى  
والبقر والغنم يضجها على شئها الايسر مستقبلا بها القبلة ويقول  
بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم  
خايلك وكذا ذبح بمنى وقد سبق من الحل الى الحرم فانه هدى سواء  
كان من الابل أو البقر أو الغنم ويسمى أيضا أضحية بخلاف ما يذبح  
يوم النحر بالحل فانه أضحية وليس بهدى وليس بمنى ماهو أضحية  
وليس بهدى كما في سائر الامصار فاذا اشترى الهدى من عرفات وساقه  
الى منى فهو هدى باتفاق العلماء وكذلك ان اشتراه من الحرم فذهب  
به الى التمتع وأما اذا اشترى الهدى من منى وذبحه فيها ففيه نزاع  
فذهب مالك أنه ليس بهدى وهو منقول عن ابن عمر ومذهب الثلاثة  
أنه هدى وهو منقول عن عائشة وله أن يأخذ الحصى من حيث شاء  
لكن لا يرمى بالحصى قد رمى به ويستحب أن يكون فوق الحصى ودون  
للبنديق وان كسره جاز والتقاط الحصى أفضل من تكثيره من الخيل

ثم يخلق رأسه أو يقصره والحاق أفضل من التقصير وإذا قصره تسنن  
الشعر وقص منه بقدر الأنملة أو أقل أو أكثر والمرأة لا تقص أكثر  
من ذلك وأما الرجل فله أن يقصره ماشاء وإذا فعل ذلك فقد تحلل  
باتفاق المسلمين التحال الأول فيلبس الثياب ويقلم أظفاره وكذلك له  
على الصحيح أن يتطيب ويتزوج وأن يصطاد ولا يبقى عليه من  
المحظورات إلا النساء ومع ذلك يدخل مكة فيطوف طواف الاقضية  
إن أمكنه ذلك يوم النحر والافعله بعد ذلك لكن ينبغي أن يكون في  
أيام التمتع فإن تأخيره عن ذلك فيه نزاع ثم يسمى بعد ذلك سمي  
الحج وليس على المفرد إلا سمي واحدا وكذلك القارن عند جمهور العلماء  
وكذلك المتمتع في أصح أقوالهم وهو أصح الروايتين عند أحمد وأبى  
عليه إلا سمي واحدا فإن الصحابة الذين تمتعوا مع النبي صلى الله عليه  
وسلم لم يطوفوا بين الصفا والمروة إلا مرة واحدة قبل التمتع فذا  
اكتفى المتمتع بالسمي الأول أجزاء ذلك كما يجزى المفرد والقارن  
وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قيل لابي التمتع كم يسمى بين  
الصفا والمروة قال إن طاف طوافين يسمى بالبيت وبين الصفا والمروة  
فهو أجود وإن طاف طوافا واحدا فلا بأس وإن طاف طوافين فهو  
أنجب إلى وقال أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن عطاء  
عن ابن عباس أنه كان يقول المفرد والمتمتع يجزئ طواف بالبيت وسمي  
بين الصفا والمروة وقد احتلفوا في الصحابة المتمتعين مع النبي صلى الله  
عليه وسلم مع اتفاق الناس على أنهم طافوا أولا بالبيت وبين الصفا

والمرورة ولما رجعوا من عرفة قيل لهم سموا أيضا بمعد طواف  
 الافاضة وقيل لم يسموا وهذا هو الذي ثبت في صحيح مسلم عن جابر  
 قال لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمرورة الا  
 طوافا واحدا طوافه الاول وقد روى في حديث عائشة أنهم طافوا  
 مرتين لكن هذه الزيادة قبل أنها من قول الزمري لا من قول عائشة  
 وقد احتج بها بمضهم علي أنه يستحب طوافان بالبيت وهذا ضعيف  
 والاطهر ما في حديث جابر ويؤيده قوله دخلت العمرة في الحج الى  
 يوم القيامة فالمتنع من حين أحرم بالعمرة دخل بالحج لكنه فصل  
 بتحلل ليكون أيسر على الحاج وأحب الدين الى الله الخفيفة السمحة  
 ولا يستحب للمتنع ولا لغيره أن يطوف لاقدم بمعد التمرين بل  
 هذا الطواف هو السنة في حقه كما فعل الصحابة مع النبي صلى الله عليه  
 وسلم فاذا طاف طواف الافاضة فقد حل له كل شيء النساء وغير النساء  
 وليس بمنى صلاة عيد بل رمى جرة العقبة لهم كصلاة العيد لاهل  
 الامصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل جمعة ولا عبدا في السفر  
 ولا بمكة ولا عرفة بل كانت خطبته بعرفة خطبة منك لا خطبة جمعة ولم  
 يجهر بالقراءة في الصلاة بعرفة

**فصل** ثم يرجع الى منى فيبيت بها ويرمي الجمرات الثلاث  
 كل يوم بمعد الزوال يبتدي بالجمرة الاولى التي هي اقرب الى مسجد  
 الحيف ويستحب أن يمشي اليها فيرميها بجمع حصيات \* ويستحب له  
 أن يكبر مع كل حصاة وان شاء قل اللهم اجعلها حجلا مبرورا وسعيًا



مشكورا وذنبها مغفورا ويستحب له اذا رماها ان يتقدم قلبه الى  
 موضع لا يصيبه الحصى فيدعو الله تعالى مستقبل القبلة رافعا يديه  
 بقدر سورة البقرة ثم يذهب الى الجرة الثانية فيرميها كذلك فيقدم  
 عن يساره يدعو مثل ما فعل عند الاولى ثم يرمي الثالثة وهي جرة  
 العقبة فيرميها بسبع حصيات ايضا ولا يقف عندها ثم يرمي في اليوم  
 الثاني من ايام منى مثل ما رمى في الاول ثم ان شاء رمى في اليوم الثالث  
 وهو الافضل وان شاء تعجل في اليوم الثاني بنفسه قبل غروب الشمس  
 كما قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الآية فاذا غربت  
 الشمس وهو بمنى اقام حتى يرمي مع الناس في اليوم الثالث ولا يتفر  
 الامام الذي يقيم لاس المناسك بل السنة ان يقيم الى اليوم الثالث  
 والسنة الامام ان يصلي بالناس بمنى ويصلي خلفه اهل المومم\* ويستحب  
 ان لا يدع الصلاة في مسجد منى وهو مسجد الحيف مع الامام فان  
 النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يصلون بالناس قصرا بلا  
 جمع بمنى ويقصر الناس كلهم خلفهم اهل مكة وغير اهل مكة وانما  
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا اهل مكة اتوا صلاتكم  
 قائما قوم ففرمنا صلى بهم بمكة نفها فان لم يكن للناس امام عام صلى  
 الرجل بأصحابه والمسجد بمنى بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على  
 عهد ثم اذا نفر من منى فان بات بالمحصب وهو الابطح وهو ما بين  
 الحيلين الى المقبرة ثم نفر بعد ذلك فحسن فان النبي صلى الله عليه وسلم  
 مات به وخرج ولم يقم بمكة بعد صدوره من منى لكنه ودع البيت وقال



لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهد باليت فلا يخرج الحاج حتى  
يودع البيت فيطوف طواف الوداع حتى يكون آخر عهده باليت ومن  
أقام بمكة فلا وداع عليه وهذا الطواف يؤخره الصادر من مكة حتى يكون  
بعد جميع أموره فلا يشغل بعهده تجارة ونحوها لكن ان قضى  
حاجته أو اشترى شيئاً في طريقه بعد الوداع أو دخل الى المنزل الذي هو  
فيه لا يحمل المتاع على دابته ونحو ذلك مما هو من أسباب الرحيل  
فلا اعاده عليه وان أقام بعد الوداع أعاده وهذا الطواف واجب عند  
الجهور لكن يسقط عن الحائض وان أحب أن يأتي للملزم وهو ما بين  
الحجر الاسود والباب فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه  
ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعمل ذلك وله أن يفعل ذلك قبل  
طواف الوداع فان هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره  
والصحابه كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة وان شاء قال في دعائه  
الدعاء المأثور عن ابن عباس اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك  
حملتني على ما سخرت لي من خلقك ويسراني في بلادك حتى بلغت  
بنتك الي بيتك وأعنتني على أداء نسكك فان كنت رضيت عني  
فازد عني رضا والافن الآن قارض عني قبل أن تنأى عن بيتك دارى  
فهذا أو ان انصرافى ان أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغباً  
عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبنى العافية في بدنى والصحة في جسمى  
والعصمة في دينى وأحسن من منقلبى وارزقنى طاعتك ما بقيتني واجمع  
لي بين خبرى الدنيا والآخرة لك على كل شئ قدیر ولو وقف عند

الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسنا فإذا ولى لا يقف ولا يلتفت ولا يمشى الفهقري قال الثعلبي في فقه اللغة الفهقري مشبهة الراجع الى خلف حتى قد قيل انه اذا رأى البيت رجع فودع وكذلك عند سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم لا ينصرف ولا يمشى الفهقري بل يخرج كما يخرج الناس من المساجد عند الصلاة وليس في عمل القارن زيادة على عمل المفرد لكن عليه وعلى الممتع هدى بدنة أو بقرة أو شاة أو شوك في دم فمن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام قبل يوم التحرر وسبعة اذا رجع وله أن يصوم الثلاثة من حين أحرم بالعمرة في أظهر أقوال العلماء وفيه ثلاث روايات عن أحمد قيل انه يصومها قبل الاحرام بالعمرة وقيل لا يصومها الا بعد الاحرام بالحج وقيل يصومها من حين الاحرام بالعمرة وهو الأرجح وقد قيل انه يصومها بعد التحلل من العمرة فانه حينئذ شرع في الحج ولكن دخات العمرة في الحج كما دخل الوضوء في الغسل قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا متمتعين معه وانما أحرموا بالحج يوم التروية وحينئذ فلا بد من صوم بعض الثلاثة قبل الاحرام بالحج ويستحب أن يشرب من ماء زمزم ويتصلع منه ويدعو عند شربه بما شاء من الادعية الشرعية ولا يستحب الاغتسال منها \* وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفيح أبي قيس ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمسجد المولد وغيره فليس قصد  
 شيء من ذلك من السنة ولا استحبه أحد من الأئمة وإنما المشروع  
 إتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر عرفة ومزدلفة والصفاء والمروة  
 وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة  
 ومزدلفة وفي مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال أنه  
 كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك فإنه ليس من سنة رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بل هو بدعة وكذلك ما يوجد في  
 الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال أنها من الآثار  
 لم يشرع النبي صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بخصوصه ولا زيارة  
 شيء من ذلك ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة بل  
 دخولها حسن والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها في الحج ولا في  
 العمرة لا عمرة الجمرات ولا عمرة القضية وإنما دخلها عام فتح مكة  
 ومن دخلها يستحب له أن يصلي فيها ويكبر الله ويدعوه ويدكره  
 فإذا دخل مع الباب تقدم حتى يصير بينه وبين الحائط ثلاثه أذرع  
 والباب خلفه فذلك هو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه  
 وسلم ولا يدخلها إلا حافيا والحجر أكثر من البيت من حيث ينحني  
 وأما حائطه فمن دخله فهو كمن دخل الكعبة وليس على داخل الكعبة  
 ما ليس على غيره من الحجاج بل يجوز له من المشي حافيا وغير ذلك  
 ما يجوز لغيره ولا كثار من الطواف بالبيت من الأعمال الصالحة فهو  
 أفضل من أن يخرج الرجل من الحرم وبأني بعمرة مكة فإن هذا لم

يكن من أعمال السابقين الأولين من المهاجرين والانصار ولا رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم لامته بل كرهه السلف

(فصل) واذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتي مسجد

النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولا تشد الرحال الا اليه والى المسجد الحرام والمسجد الانصفي هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو مروى من طرق آخر ومسجده كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيدي في جميع الاحكام ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فانه قد قال ما من رجل يسلم على الاراد الله عليّ روي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود وغيره وكان عبد الله بن عمر يقول اذا دخل المسجد السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أباي ثم ينصرف وهكذا كان الصحابة يسامون عليه ويسامون عليه مستقبلي الحجره مستدبري القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجره ومنهم من قال يجملها عن يساره واتفقوا على انه لا يستلم الحجره ولا يقبأها ولا يطوف بها ولا يصلي اليها واذا قال في سلامه السلام عليك يا رسول الله يا نبي الله يا خيرة الله من خلقه يا أكرم الخلق الى ربه يا امام المتقين فهذا كله من صفاته بآتي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وكذلك اذا صلى عليه مع السلام

عليه فهذا مما أمر الله به ولا يدعو ذلك مستقبل الحجرة فان هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه أمر المنصور أن يستقل الحجرة وقت الدعاء ككذب على مالك ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه فان هذا بدعة ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده بدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده فانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وقبرا يبعثني وقال لا تجعلوا قبوري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تباركنا وقال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وإيلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على فقالوا كيف تمرض صلاتنا عليك وقد أرميت أي بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء فاخبر انه يسمع الصلاة والسلام من القريب وانه يبلغ ذلك من البعيد . وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكنه كره أن يتخذ مسجدا أخرجاه في الصحيحين فدفنته الصحابة من موضعه الذي مات فيه من حجرة عائشة وكانت هي وسائر الحجر خارج المسجد من قبله وشرقه لكن لما كان في زمن الوايد بن عبد الملك عمر هذا المسجد وغيره وكان نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز فأمر أن تشترى الحجر ويزاد في المسجد فدخلت الحجرة في المسجد من ذلك الزمان وبنيت منحرفة عن القبلة منعمة لئلا يصل أحد إليها فانه قال صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا على القبور ولا تصلوا إليها \* رواه مسلم عن أبي

مرئد اغنوى والله أعلم \* وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية \* فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد بالصلاة على جنازته فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه فالسنة أن يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبيا أو غير نبى كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمُر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي على القبور اما محرمة واما مكروهة \* والزيارة البدعية أن يكون مقصود الزائر أن يطالب حوائجه من ذلك الميت أو يقصد الدعاء عند قبره أو يقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا استحبه أحد من سلف الامة وأئمتها وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة.

وقوله من زارني بعد مماتي فكاننا زارني في حياتي ومن زارني بعد  
مماتي حات عليه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة  
ليست في شيء من دواوين الإسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها امام من  
أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار  
والدارقطني ونحوهما بإسناد ضعيفة ولأن من عادة الدارقطني وأمثاله  
يذكرون هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف  
من ذلك فإذا كانت هذه الأمور التي فيها شرك وبدعة نهي عنها عند قبره  
وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى ويستحب  
أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من  
تطهر في بيته وأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة  
فيه كان له كاجر عمرة \* رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وقال النبي  
صلى الله عليه وسلم الصلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حسن  
والسفر إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه والدعاء والذكر والقراءة  
والاعتكاف مستحب في أي وقت شاء سواء كان عام الحج أو بعده ولا  
يفعل فيه وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما قبل في سائر  
المساجد وليس فيها شيء يتمسح به ولا يقبل ولا يطاف به هذا كله ليس  
لاحد إلا في المسجد الحرام خاصة ولا يستحب زيارة الصخرة بل  
للمستحب أن يصلي في قبلي المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب  
للمسلمين ولا يسافر أحد ليقف بغير عرفات ولا يسافر للوقوف بالمسجد  
الأقصى ولا للوقوف عند قبر أحد لامن الأنبياء ولا المشايخ ولا غيرهم



باتفاق المسلمين بل أظهر قولي العلماء أنه لا يسافر أحد لزيارة قبر من القبور ولكن تزار القبور بالزيارة الشرعية من كان قريبا ومن اجتاز بها كما أن مسجد قباء زار من المدينة وليس لاحد أن يسافر إليه أنه صلى الله عليه وسلم لم أن أشد الرجال إلا إلى المساجد الثلاثة وذلك أن الدين مبني على أصليين أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا يعبد إلا بما شرع لا نعبد معه بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ولهذا كن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعله لي لأحد شيئا وقال الفضل بن عياض في قوله تعالى إيلوكم (أيكم أحسن عملا) قال أخلاصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله والمقصود بجميع العبادات أن يكون الدين كله لله وحده فافقه هو المعبود والمؤل الذي يخاف ويرجى ويسئل ويعبد فله الدين خالصا وله أم لم من في السموات والأرض طوعا وكرها والقرآن مملوء من هذا كما قال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أنا أنزلناه إليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص إلى قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) إلى قوله (أفغير الله تأمروني أعبدونها الجاهلون) وقال تعالى (ما كان لبشر أن



يؤتبه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله) الآيتين وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كون كشف الضر عنكم) الآيتين

﴿فصل﴾ قالت طائفة من الساف كان أقوام يدعون الملائكة والانباء كاليسوع والعزى فانزل الله تعالى هذه الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول) الآيات ومثل هذا فى القرآن كثير بل هذا مقصود القرآن ولبه وهو مقصود دعوة الرسل كلهم وله خالق الخلق كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فيجب على المسلم أن يعلم أن الحج من جنس الصلاة ونحوها من العبادات التى يعبد الله بها وده لا شريك له وأن الصلاة على الخنازى وزيارة قبور الاموات من جنس الدعاء لهم والدعاء للخلق من جنس المعروف والاحسان الذى هو من جنس الزكاة والعبادات التى أمر الله بها توحيد سنة وغيرها فيها شرك وبدعة كعبادات النصارى ومن أشبههم مثل قصد البقعة لغير العبادات التى أمر الله بها فإنه ليس من الدين ولهذا كان أئمة العلماء يمدون من جملة البدع المنكرة السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين وهذا فى أصح القولين غير مشروع حتى صرح به من قال ذلك ان من سافر هذا السفر لا يقصر الصلاة لانه سفر معصية وكذلك من يقصد بقعة لاجل الطلب من مخلوق هى منسوبة اليه كالتبر والمقام أو لاجل الاستماذة به ونحو ذلك فهذا شرك وبدعة كما فعله النصارى ومن أشبههم من بدعة

هذه الامة حيث يحملون الحج والصلاة من جنس ما يضلون به من الشرك  
والبدع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما ذكر له بعض أزواجه  
كنيسة بأرض الحبشة وذكر له من حسناتها وما فيها من التصاوير فقال  
أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه  
تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولهذا نهى العلماء  
عنه فيه عبادة لعير الله وسؤال لمن مات من الانبياء أو الصالحين مثل  
من يكتب رقعة ويلقها عند قبر نبي أو صالح أو يسجد لقبره أو يدعو  
أو يرغب اليه وقالوا انه لا يجوز بناء المساجد على القبور لان النبي صلى  
الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس ليال ان من كان قبلكم كانوا  
يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن  
ذلك \* رواه مسلم وقال لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت  
أبا بكر خليلاً وهذه الاحاديث في الصحاح وما يفعله بعض الناس من  
أكل التمر في المسجد أو تعليق الشعر في القناديل فبدعة مكروهة ومن  
حمل شيئاً من ماء زمزم ففقد كان السلف يحملونه وأما التمر  
الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والمجوة خير منه  
والاحاديث انما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك  
كما جاء في الصحيحين من تصبغ بسبع تمرات عجوة لم يصبه ذلك اليوم  
سم ولا سحر ولم يجبه عنه في الصيحاني نبي وقول بعض الناس انه  
صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يجهل منه بل انما سمى بذلك لبيته  
لانه يقال تصوح التمر اذا يبس وهذا كقول بعض الجهال ان عيسى

الزرقاء جاءت معه من مكة ولم يكن بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عين جارية الا الزرقاء ولا عيون حمزة ولا غيرها بل كل هذا مستخرج بعده ورفع الصوت في المساجد منهى عنه وقد ثبت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلين يرفعان أصواتهم في المسجد فقال لو أعلم انكما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً ان الأصوات لا ترفع في مسجده فما يفعل بعض جهال العامة من رفع الصوت عقب الصلاة من قولهم السلام عليك يا رسول الله بأصوات عالية من أقبح المنكرات ولم يكن أحد من السلف يفعل شيئاً من ذلك عقب السلام بأصوات عالية ولا منخفضة بل ما في الصلاة من قول انصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته هو المنع كمال الصلاة عليه . شرعية في كل زمان ومكان وقد ثبت في الصحيح انه قيل من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشر لو في المسجد أن رجلاً قال يا رسول الله أجعل عليك ثلاث صلواتي قال اذا يكفيك الله ثلاث أمرك فقال أجعل عليك ثلاثي صلواتي قال اذا يكفيك الله ثلاثي أمرك قال أجعل صلواتي كلها عليك قال اذا يكفيك الله ما أمرك من أمر دينك وأمر آخرتك وفي السنن عنه أنه قال لا تأخذوا قبري عبيدا وصلوا على حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقد رأى عبد الله بن حسن شيخ الحنابلة في زمنه رجلاً يذتاب قبر النبي صلى الله عليه وسلم للدعاء عنده قال يا هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تأخذوا قبري عبيدا وصلوا على حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني فما أنت ورجل

بالاندلس الا سواء. ولهذا كان السلف يكثر من الصلاة والسلام عليه في كل مكان وزمان ولم يكونوا يجتمعون عند قبره للقراءة ختمة ولا ايقاد شمع واطعام واسقاء ولا انشاد قصائد ولا نحو ذلك بل هذا من البدع بل كانوا يفعلون في مسجده ما هو المشروع في سائر المساجد من الصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف وتلايم القرآن والعلم وتعلمه ونحو ذلك وقد علموا ان النبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر كل عمل صالح تعلمه أمته فانه صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى فله من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً وهو الذي دعا أمته الى كل خير فكل خير يعمله أحد من الامة فله مثل أجره فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحتاج أن يهدي اليه ثواب صلاة أو صدقة أو قراءة ن كان له مثل أجر من يعملونها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً وكل من كان له أطوع وأتبع كان أولى الناس به في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل هذه بيدي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال صلى الله عليه وسلم ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين وهو أولي بكل مؤمن من نفسه وهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده فالجلال ماحله والحرام ماحرمه والدين ماثرة والله هو المعبود المسؤل المستعان به الذي يخاف ويرجى ويتوكل عليه قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الصابرون) فجعل الطاعة لله والرسول كما قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وجعل الحشية والتقوى لله وحده لا شريك له فقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) فاضاف الايتاء الى الله والرسول كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس لاحد أن يأخذ الا ما أباحه الرسول وان كان الله آتاه ذلك من جهة لقدرة والملك فانه يؤتى الملك من يشاء ويتزرع الملك ممن يشاء ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في الاعتدال من الركوع وبعد السلام اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من آتيته جدا وهو البخت والمال والملك فانه لا ينجي به منك الا الايمان والتقوى وأما التوكل فعلى الله وحده والرغبة فاليه وحده كما قال تعالى (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله وقالوا (إنا إلى الله راغبون) ولم يقولوا هنا ورسوله كما قال في الآية بل هذا نظير قوله (فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قلها ابراهيم حين ألقى في النار وقلها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد قال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أى الله وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين اتبعوك ومن قال (ان الله والمؤمنين حسبك فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فان الله وحده هو حسب كل مؤمن به والحسب

الكافي كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ولله تعالى حق لا يشركه فيه مخلوق كالمبادات والاخلاص والتوكل والخوف والرجاء والحج والصلاة والزكاة والصيام والصدقة والرسول له حق كالإيمان به وطاعته واتباع سنته وموالاته من يواليه ومماداته من يعاديه وتقديمه في المحبة على الأهل والمال والنفس كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين بل يجب تقديم الجهاد الذي أمر به على هذا كله كما قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (والله ورسوله أحق

أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) وبسط ما في هذا المختصر

وشرحه مذكور في غير هذا الموضع والله سبحانه

وتعالى أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا

محمد وآله وصحبه وسلم والحمد

لله رب العالمين

آمين

يقول مصححه راجي عفوره الكريم \* ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم

بك اللهم أحمدك حق حمدك يا واحد وأستمطرك غيث عفو كريم واحد  
وأستمديك هداية الناكين العابدين وأسلمي وأسلم على سيد الخلائق  
أجمعين سيدنا محمد الرحمة المهداة لسائر الثقلين وآله وصحبه ومن بهديه  
اهتدى صلاة وسلاما دائمين أبدا وبعد فقد تم طبع مجموع  
الرسائل نسبيج امام الأئمة الجهادة الامثل شيخ الاسلام والمسلمين  
خادم سنة سيد المرسلين من لاسبيل الى الوقوف له على ثاني سيدي  
أحمد بن تيمية الحنبلي الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه وكان  
طبعها الزاهي الزاهر وتمثيل شكلها الفائق الباهر بالمطبعة العاصرة  
الشهيرة الشرفية ذات الأدوات الكاملة البهية النبات محل ادارتها  
بشارع الخرافش من مصر المعزية العزبزية للمالكها ومديرها ( حضرة  
السيد حسين أفندي شرف ) تولانا الله واياهم وبنا في كل

الامور لطف آمين وقد بدر بدر التمام وقاح مسك

الختام أواخر الثاني من الربيعين من سنة ١٣٢٤

من هجرة سيد الثقلين عليه صلاة الله

وسلامه مابدا شيء وراق ختامه

وآله وصحبه وسائر جنده

آمين



﴿ فهرست الجزء الاول من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ﴾

صحيفة

- ١ ترجمة للأواب رضى الله عنه
- ٢ رسالة الفرقان بين الحق والباطل وهي الاولى
- ١٤ ذكر معتقدات أهل الضلال والرد عليهم
- ٤٨ فصل وكل من خالف ما جاء به الرسول الخ
- ٦٣ مطلب صرع الجن للانس لاسباب ثلاثة الخ
- ١٨٠ الرسالة الثانية معارج الوصول
- ٢١٨ الرسالة الثالثة التبيان في نزول القرآن
- ٢٣١ الرسالة الرابعة في الوصية في الدين والدنيا الخ
- ٧٤١ الرسالة الخامسة في التوبة في العبادات وفيها مباحث
- ٢٥٧ الرسالة السادسة تتضمن للسؤال عن المرض هل هو كرى أم لا  
والجواب عن ذلك
- ٢٦٢ الرسالة السابعة وتسمى الوصية الكبرى بما جاء به الرسول صلى  
الله عليه وسلم ويان فضل أمته على سائر الامم
- ٣١٨ الرسالة الثامنة وتسمى الارادة والامر وفيها مباحث مهمة ينبغي  
التفطن لها والبحث عنها ومعرفة ما
- ٣٨٧ الرسالة التاسعة وفيها بيان اعتقاد الفرقة الناجية المتصورة الى  
قيام الساعة وهم أهل السنة والجماعة وتسمى المعقيدة الواسطية



صحيحة

- ٤٠٧ الرسالة العاشرة وتسمى المأظرة في العقيدة الواسطية  
٤١٠ الرسالة الحادية عشر وتسمى العقيدة الحموية الكبرى  
٤٧٠ الرسالة الثانية عشر تتضمن السؤال عن الاستغناء برسول الله  
صلى الله عليه وسلم هل جائزة أو محرمة والجواب عن ذلك

﴿تمت﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني من مجموع الرسائل الكبرى لشيخ ﴾

الاسلام ابن تيمية رحمه الله ﴿

محيضة

- ٢ الرسالة الاولى وهي المسماة رسالة الاكليل في المتشابه والتأويل.
- ٣٦ الرسالة الثانية في الجواب عن قول القائل اكل الحلال ممتذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان الخ
- ٥٣ الرسالة الثالثة في قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وفي زيارة بيت المقدس
- ٦٤ الرسالة الرابعة مراتب الارادة
- ٨٠ الرسالة الخامسة في القضاء والقدر
- ٨٧ الرسالة السادسة في الاحتجاج بالقدر
- ١٤٦ الرسالة السابعة في درجات المؤمنين
- ١٥٢ الرسالة الثامنة بيان الهدى من الضلال
- ١٦٧ الرسالة التاسعة في سنة الجمعة
- ١٨٠ الرسالة العاشرة تفسير المعوذتين
- ٢٠٣ الرسالة الحادية عشر بيان المعقود المحرمة
- ٢١٧ الرسالة الثانية عشر في معنى القياس
- ٢٨٨ الرسالة الثالثة عشر في حكم السماع والرقص
- ٣١٨ الرسالة الرابعة عشر في الكلام على الفطرة

مجمعة

٢٣٦ الرسالة الخامسة عشر في الكلام علي القصاص

٣٤٦ الرسالة السادسة عشر في الكلام علي رفع الامام الخنفي يديه

في الصلاة

٣٤٥ الرسالة السابعة عشر في مناسك الحج

﴿ تمت ﴾







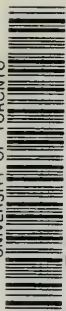








UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 01641775 0